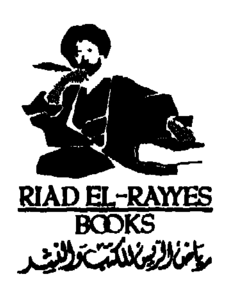
زياد منى

بلقيس

امرأة الألغاز وشيطانة الجنس



RIAD EL-RAYYES BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر



امرأة الألغاز وشيطانة الجنس

BALQIS,

Queen of Saba': Diffusing the Riddles

BY:

ZIAD MOUNA

First Published in September 1997
2nd Published in July 1998
Copyright © **Riad El-Rayyes Books Ltd**
BEIRUT-LEBANON

British Library Cataloguing in Publication Data Available

ISBN 1 85513 230 3

All rights reserved. No part of this publication
may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted
in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying,
recording or otherwise, without prior permission
in writing of the publishers

الغلاف: تصميم محمد حمادة

الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر ١٩٩٧

الطبعة الثانية: تموز/يوليو ١٩٩٨

الإهداء

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته

لكان يهدى لك الدنيا وما فيها

المحتويات

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الرسوم والخرائط

«علاوة على ذلك، فإن الموضوع برمته مثير للحساسية، ذلك أنه للجميع تقريباً حصة في الكتاب المقدس. فاليهود والمسيحيون الأكثر محافظة لا يحبون سماع وجود احتمال بأن قسماً من الكتاب المقدس هو مجرد خيال. ولا يستطيع الملحدون الانتظار للبرهنة على أن كل شيء هو مجرد قصص خرافية. وحتى بالنسبة إلى الأغلبية المعتدلة فإن الكتاب المقدس يشكل القسم الأكبر من أسس الثقافة الغربية بحيث يضحي من الأهمية بمكان فيما إذا كانت رواياته ترتكز على حقائق».

مجلة «تايم» الأميركية، سنة ١٤٦

عدد ٢٥ بتاريخ ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٥

مقدمة

موضوع هذا المؤلف ملكة سبأ، التي دخلت التراث العربي والعربي ـ الإسلامي تحت اسم بلقيس واستقطبت اهتمام وخيال أمم وشعوب، من العرب إلى الحبشيين إلى الأوروبيين، حتى وصلت إلى أزقة حي منهاتن بالولايات المتحدة. وهدف هذا العمل، وهو الأول باللغة العربية، لغة أهل بلقيس، الإجابة على بعض الأسئلة التي لا تزال تحيط بتلك الملكة اليمانية والروايات المرتبطة بها،[1] وإماطة اللثام عن الجوانب الغامضة في تلك الشخصية العربية العتيقة التي ألهمت ولا تزال مصدر إيحاء وإبداع لفنانين وكتّاب وشعراء وموسيقيين ينتمون إلى مختلف الأمم والعقائد والاتجاهات الفكرية.

لقد دخلت بلقيس تاريخ وتراث الكثير من أقوام العالم تحت أسماء مختلفة. فقد عرفها العرب باسم بلقيس وبلمقه، بينما أطلق عليها التراث العربي المسيحي، والحبشي ـ المسيحي اسم مَكِدًّا، وكُندكة، وأشار إليها التراث المسيحي العام بصفة «ملكة الجنوب» أو «ملكة التيمن». أما التراث الديني اليهودي فقد عرفها باسم «ملكة سبأ» والشيطان أو الغول «ليلت». رغم ذلك، سنشير إليها في هذا المؤلف باسم بلقيس أو ملكة سبأ.

كما ويبحث هذا العمل مسألة وجود تلك الملكة العربية في التاريخ، أي هل عرفت سبأ فعلاً ملكة أم أن الرواية عنها مجرد أساطير وميثولوجيا ابتدعتها مخيلة العرب، وساهم في نشرها باقي أقوام المشرق؟ لكننا سنلتفت أولاً إلى الخلفية التاريخية وسبب ربط تلك الملكة بجنوب جزيرة العرب، أي، باليمن، وليس بأي إقليم عربي آخر، أي أننا سنباشر بحثنا بتقصي دور اليمن، والعرب اليمانيين تحديداً، في رسم ملامح حضارات المشرق العربي في العصور الأولى. نقول العصور الأولى، بدلاً من العصر الجاهلي لأن الأخير مصطلح يعكس نظرة قدسية للتاريخ، ونحن نبحث في التاريخ الفعلي، الحقيقي، الذي شارك في صنعة البشر، وبوعي تام. فالمصطلح «جاهلية» ذو جوهر وطابع ديني ويشير، برأينا، إلى قصور الحلم وليس العقل، والآثار الفذة في جنوب جزيرة العرب خير

شاهد على المستوى الحضاري الرفيع الذي وصل إليه العرب اليمانيون.

كما وسنبحث في الصفحات التالية، ضمن مسائل أخرى، في خلفية وأسباب نشوء التباينات في اسم بلقيس. وسنعمل على تقصي الأسباب الكامنة وراء التناقضات الكبيرة في روايات العرب عنها. فهل كان الإخباريون العرب يشيرون إلى شخصية واحدة، أم أنهم دمجوا العديد من الحاكمات اليمانيات في ملكة واحدة؟ وفي تلك الحالة، هل كان ذلك الدمج متعمداً وما هي أسبابه؟ وهل لكتابات الإخباريين العرب، المليئة بهذا القدر من الاختلافات، أية قيمة علمية ـ عند البحث في الموضوع؟

ثم سنتقصى بلقيس الشخص، من كانت؟ وما يعني اسمها؟ ولماذا صمت العرب، الذين أجهدوا أنفسهم في تسجيل مؤلفات واسعة عن اللغة العربية وأصولها، عن معنى اسم تلك الملكة العربية؟ ثم سنتحرى خلفية إصرار بعض الإخباريين العرب على القول بأنها من أصول جنية، وسنناقش سبب رفض آخرين لذلك. وسنبحث في الدوافع التي جعلت البعض يقول بأن ساقها كانت كحافر حمار، بينما اكتفى آخرون بالقول بوجود شعر كثيف، أو خفيف، على ساقها! وماذا يعني وجود الشعر على الساقين؟ وماذا يعني أن ساقها كانت كحافر حمار؟ ثم ما هو دور «اليهوديات» في رسم تلك الصورة القبيحة للملكة العربية اليمانية بلقيس ـ ملكة سبأ، التي اقتحمت تراث معظم شعوب العالم بصفتها مثال الجمال والحكمة والسلطان والثروة؟

وهناك جوانب أخرى يتعامل معها المؤلف، وهي سبب تعريف بلقيس ـ ملكة سبأ بأنها هي المشار إليها في القرآن، بالارتباط مع النبي سليمان. فهل كانت هي فعلاً الشخص نفسه، أم أن الأمر اختلط على الرواة والمؤولين؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل هذا مجرد سوء فهم، أم كان الهدف أبعد من ذلك؟

كما وسنتقصى الدوافع التي جعلت بعض الإخباريين العرب يرسلون بلقيس إلى بابل وإلى تدمر وإلى سمرقند، بل وإلى الصين أيضاً. فهل في هذه المقولات أية حقيقية تاريخية، أم أن تلك الإشارات تقع ضمن دائرة الخيال الواسع التلفيقي؟ وفي حالة أن الواقع لم يكن أياً منهما، فما هو السر إذن؟

ويركز العمل على صورة بلقيس ـ ملكة سبأ في التراث الديني اليهودي، ولماذا أضحت فيه ممثلاً للشيطان، بل الشيطان نفسه، بينما اقتحمت تراث الشعوب بصفتها رمز الحكمة والجمال والسلطان؟ وهل هناك علاقة بين الرؤية الدينية اليهودية لبلقيس ـ ملكة سبأ من جهة، وبين الروايات التي دخلت التراث العربي ـ الإسلامي تحت اسم «اليسرئيليات»؟ ـ الأصح «اليهوديات».

ويتناول هذا العمل بالبحث والتحليل كيفية الإشارة إلى بلقيس ـ ملكة سبأ في التراث العربي المسيحي، وهل هناك علاقة بين روايات ذلك التراث من جهة وبين روايات عرب العصور الأولى وقصص عرب العصر الثاني؟

ثم سنبحث في كيفية الإشارة إلى بلقيس ـ ملكة سبأ في التراث الحبشي ـ المسيحي، وهل

يعكس ذلك ذاكرة شفهية عن مرحلة تاريخية معينة سيطر فيها العرب اليمانيون على بعض أقاليم الحبشة، أم العكس؟ أم أن الأمر مجرد ميثولوجيا وأسطورة، أو أنه نتاج سوء فهم وتأويل خاطىء للتاريخ؟

وقد خصصنا فصلاً لمسألة الألغاز أو الأحاجي المختلفة التي ترد في الروايات عن بلقيس، وحاولنا شرحها بقصد فهم مغزى إضافتها للقصص. فهل أن الألغاز شكلت فعلاً جزءاً من الرواية الأصلية، أما أن المقصود شيء أبعد من ذلك؟

وكنا قد نوينا أن نتعامل مع كيفية تجلي بلقيس في التراث الأوروبي، لكننا وجدنا أن الموضوع معقد للغاية لأن إشارته تأتي ضمن نصوص أدبية تتطلب إلمام القارئ بها. وحيث إن الأساطير والميثولوجيا الأوروبية غير معروفة للقارىء العربي، فقد وجدنا أن طرح هذا الجانب يستدعي شرح الأدبيات الأصلية، وهذا يتطلب مئات الصفحات. كما ترد بلقيس في التراث الأوروبي ضمن صور ونقوش يتطلب أخذ إذن نشرها وقتاً طويلاً للغاية. لهذا كله قررنا عدم التعامل مع هذا الجانب، الذي لا يختلف كثيراً عن كيفية وروده في التراث العربي والعربي الإسلامي والحبشي ـ المسيحي على أية حال. وقد نعود إليه في ملحق خاص، إذا رأينا اهتماماً من قبل القرّاء به.

هذه بعض الجوانب التي سنتناولها في عملنا، وسنحاول الإجابة عليها، قدر ما تسمح لنا معارفنا واللقى الأثرية. وقد لا نتمكن من تقديم إجابة شافية على بعض الأسئلة، إلاّ أننا سنحاول أن نقدم اجتهاداتنا والقناعات التي توصلنا إليها، ونأمل أن يشاركنا القراء في ما توصلنا إليه، وأن يشكل مؤلفنا هذا مدخلاً لأعمال أخرى حول المادة وحول تاريخ العرب العتيق. لذلك قمنا بوضع ما توفر بين أيدينا من مواد أصلية، خصوصاً غير العربية، حتى نمكن المهتمين بمتابعة الموضوع من العودة إليها كلما استدعت الحاجة. ونأمل أن نكون قد وفقنا في هدفنا.

ونهي تقديمنا بالتعبير عن عميق امتناننا للزميلات اللاتي دعمن هذا العمل بشتى الطرق، سواءً كان ذلك عبر تزويدنا بمراجع تعذر علينا الحصول عليها في منفانا، أو بلفت انتباهنا إلى بعض المؤلفات التاريخية والأدبية، الحديثة والعتيقة، التي أشارت إلى بلقيس، وأولاً وقبل كل شيء، بحماستهن وتشجيعهن لنا على الكتابة في هذا الموضوع، والذي أمدنا حقاً بما يحتاجه المرء من صبر للتعامل مع هذه المادة المعقدة.

كما نتوجه بعميق شكرنا وتقديرنا للعاملات والعاملين في قسم الشرق وأفريقيا التابع لمكتبة الدولة ببرلين وفي مكتبات جامعتي «هُمبُلدت» و«برلين الحرة» على مساعدتهم القيمة في تحصيل المراجع النادرة المبعثرة في برلين وباقي مدن ألمانيا. لقد يسّر تعاونهم معنا في هذه المسألة إنجاز المؤلف وفق المستوى الذي طمحنا إليه، ونأمل أن يشكل إتمامه ونشره مكافأة تتناسب مع مجهوداتهم الطيبة.

زياد منى

برلين في شباط/فبراير ١٩٩٦

مدخل

المشكلة الأولى التي تواجه الباحث في الموضوع هي أن النقوش التي كشف عنها في اليمن لا تشير إطلاقاً إلى بلقيس أو إلى أية ملكة يمانية أخرى، بما يعني أن عملنا يعتمد بشكل شبه كلي على المصادر المكتوبة، أي الكتابات التاريخية التي كتبها العرب وغير العرب. وقد تبين لنا خلال قراءتنا للكثير من المراجع الأصلية أن الروايات التي ترد فيها عن المادة تحوي قصصاً وأساطير وميثولوجيا، وتاريخاً أيضاً، وسنعود لاحقاً لهذه المصطلحات. لقد كانت تلك المؤلفات التي تحوي قدراً كبيراً من التناقضات، مشكلة بحد ذاتها مما جعل أية إمكانية للاستفادة منها مشروطة بالتعامل المنفتح مع الموضوع والقدرة على تمييز عناصر ومكونات الروايات من بعضها بعضاً، ومن ثم فرزها، كل على حدة، وهذا أساس عملنا.

لقد اقتحمت بلقيس، وبغض النظر عن صحة تاريخية الشخصية أو عدمها، العديد من الثقافات العالمية. فقد سجل إخباريون عرب رواية، أو روايات بالأحرى عن تلك الملكة اليمانية وأخباراً عن لقاء لها مع سليمان ــ النبي، ضمن منهجية الكتابة القدسية للتاريخ وفي إطار التفسيرات الدينية، أي ما يعرف تقليدياً باسم «قصص الأنبياء». وقد تشكّل، عبر عصور، رأي عام يقول بأن بلقيس هي ملكة سبأ المشار إليها في القرآن، وفي سورة النمل تحديداً؛ ومؤلفنا لا يتناول بالبحث الرواية القرآنية عن سليمان وملكة سبأ، لأننا لا نعتبر القرآن مرجعاً تاريخياً أو تراثياً، وإنما كتاب المسلمين المقدس. لكن حيث إن الإخباريين العرب قاموا بربط الروايات المتداولة حينذاك بما ورد عن ملكة سبأ في سورة النمل، فقد وجدنا أنفسنا مضطرين لتفحص ما كتبوه لنرى إن تمسكوا بنص وروح ما ورد في القرآن ــ هذا إن كان المقصود حقاً الشخص نفسه.

إن إنجاز قراءة متكاملة للمادة يستدعي أيضاً استشارة وتقييم الكتابات الدينية اليهودية، المبكرة منها والمتأخرة. فرغم أن العهد القديم، وهو سجل التجربة الدينية والتاريخية لبعض بني يسرئيل[1]، وليس اليهود، لا يشير إلاّ بشكل عابر في سِفري أخبار الأيام والملوك الأول إلى ملكة سبأ، إلاّ أن

هناك كتابات دينية يهودية أخرى سنشير إليها تباعاً، تعود بمعظمها إلى مرحلة متأخرة تصل حتى القرن السابع عشر تتعامل مع مادة المؤلف. ونقول هنا إننا لم نتردد لحظة واحدة في العودة إلى تلك الكتابات، ونشدد على أنه من الخطأ العلمي الجسيم تجاهلها، خصوصاً أن معظمها نشأ في بيئة عربية، ودخل جزء منها في التراث العربي تحت ما نسميه «اليهوديات». فهذه المصادر تورد صورة مختلفة عن بلقيس ـ ملكة سبأ عما نجده في الروايات العربية والعربية ـ الإسلامية وغيرها، عدا أنها تعكس تأثراً وتأثيراً في الأخيرة، ولذا قرنا الالتزام بالمنهجية العلمية الصحيحة واستشارة تلك المراجع.

وهناك جانب معقّد آخر في الرواية ومرتبط تحديداً بما ورد في الروايات الحبشية ـ المسيحية، خصوصاً ملحمة «مجد الملوك» التي بقيت تلعب دوراً رسمياً بارزاً في ذلك البلد حتى ثورة عام ١٩٧٤، وعادت بعض جوانبها للإطلال، بكل عنف، في أعقاب تهجير الأحباش اليهود المعروفين باسم الفلاشا، إلى الكيان الصهيوني بفلسطين المحتلة. فمن المعروف أن إمبراطور الحبشة، المعروف في التراث العربي الإسلامي باسم النجاشي، اعتبر نفسه وآباءه وأجداده من مملكة يهوذا! ومن نتاج نكاح سليمان التوراة لملكة سبأ!

نقول «سليمان التوراة» ونعني به شلومو، المسجل في كتابات اليهودية المقدسة على شكل <شْلُمُه>، وسنشير إليه بهذه الصيغة عند الحديث عنه ضمن إطار التراثين الديني اليهودي والمسيحي. لكننا سنذكره بالاسم سليمان عندما نتعامل مع التراث العربي والعربي ـ الإسلامي. وقد يقول قائل بأن المقصود واحد. لكن هذا الزعم يعني أن مردديه يجعلون من التوراة، ودون أن يدروا على الأغلب، مرجعاً لشرح بعض القصص القرآنية. لقد ارتأينا توظيف الصيغتين حتى نسهل على القارىء التفريق بين الشخصيتين، اللتين تباينتا عن بعضهما بعضاً، ليس من ناحية شكل الاسم فقط.

لقد تعامل الكثير من البحاثة الأوروبيين مع الرواية، وقد أشرنا إلى أهم مؤلفاتهم في سجل المراجع، لكنه تبين لنا أن الكثير منهم أخضع تحليلاته لحماسة دينية بما جعل معظمها تلاحق أحكاماً مسبقة، وعرقل، بل وحتى عطل، التعامل مع المادة بالموضوعية المتوقعة من علماء. لقد وجدنا أن معظم أولئك البحاثة استخدموا رواية بلقيس ـ ملكة سبأ للاسترسال غير المقيد بأية أطر علمية في حديث خيالي عما أسموه بعظمة الملك شلومو، المعرّف تقليدياً بأنه سليمان النبي المذكور في القرآن، وعن مجد بني يسرئيل المزعوم. كما وتبين لنا أن معظم تلك الكتابات قد تعامل مع موضوع بلقيس ـ ملكة سبأ من خلال شلومو، وليس بالعكس، حسب ما تقتضيه المنهجية العلمية، والفرق كبير. نقول هذا في الوقت الذي لا نقصد أبداً التشكيك أو الانتقاص من القدرات العلمية لأولئك العلماء وإسهاماتهم الهامة في التعرف على جوانب من تاريخ العرب الأول.

لذا نقول الآن أن المسألة المركزية في حكاية ملكة سبأ، وبغض النظر عن الجانب التاريخي، هي بلقيس نفسها، وليس شلومو أو سليمان. ونحن على قناعة بأن الأخير استحضر إلى الرواية كشاهد فقط على عظمة تلك المملكة اليمانية التي أثارت مخيلة الشعوب القديمة وعلى رأسهم الإغريق

والرومان. فالقول على سبيل المثال أنه حتى بلقيس سمعت به، هو خير دليل على رأينا. وبالإضافة إلى ذلك، فبلقيس هي التي تطرح الألغاز، وهي التي تعرف الإجابات، بينما وجب عليه هو التفكير، مستعيناً بالإنس والجان والشياطين والأرواح!

لكن سليمان أو شلومو دخل في الرواية أيضاً بصفته رمزاً للرجل ـ صاحب الحكمة والقوة والسلطان بالطبع، ليضحي ممثلاً لآراء وأحكام وتشريعات لكتّاب متعصبين لذكوريتهم. ولذا نراه يلعب دوراً ثانوياً في أحداث الرواية أو بالأحرى الروايات، واقتصرت مهمته فيها على دور الناطق بآرائهم وأحكامهم وتعاليقهم.

كما توجد عقد أخرى وجب حلها وفكها قبل أن نستوعب أبعاد القصة بأكملها، والقصد من روايتها وحفظها جيلاً بعد جيل، ومن ذلك معنى ومغزى تلك الأحاجي أو الألغاز التي طرحتها بلقيس. لقد نقل لنا الإخباريون العرب، وغيرهم، بعض هذه الألغاز، لكنهم لم يفصحوا عن الخلفية. فهل أن المقصود بالقول بأنها طرحت ألغازاً فقط لإظهار حكمة شلومو أو سليمان، أم أن الألغاز تحمل في ثناياها مغزى أكبر وأبعد؟ هل كان هدف إدخال الألغاز، في رواية بلقيس، نقل رسالة معينة بأسلوب غير مباشر؟

هذه وغيرها من الأسئلة تلاحقنا وتطالب الباحث في الموضوع بتقديم إجابات، وهو ما سنحاول إنجازه في هذا المؤلف آملين أن نتمكن من فتح الطريق أمام فهم واستيعاب شموليين لإحدى أعرق وأعقد الحكايات العربية وأقدمها على الإطلاق، وشرح سبب استمرارها حية في التراث العالمي حتى يومنا هذا. هذا سيمكننا، كما نأمل، من التعرف بشكل أفضل على مرحلة هامة من عصور العرب المبكرة، وعلى نمط من الحياة والتفكير في ذلك العصر. كما نعتقد أن فهم هذه الرواية سيلقي بعض الضوء على علاقات العرب الجنوبيين بالممالك العريقة التي احتضنها المشرق العربي وأيضاً على كيفية تعامل العرب المسلمين مع بعض جوانب تراث الأقوام المجاورة.

وسنعتمد في عملنا على منهجية تحليل النصوص بلغتها الأصلية ـ حيثما توفرت، ومقارنة بعضها ببعض. وسيكون منطلقنا استيعاب، ومن ثم فهم وشرح دلالات مكونات أو عناصر القصص الأصلية وعلاقاتها في وحدتها الداخلية، إعتماداً على معارفنا العلمية الموثقة عن تاريخ اليمن وحضاراته القديمة. ثم سنعمل على مقارنة ما استنبطناه من معلومات بما ورد عند الرواة والمؤولين بما يفهمنا قصدهم ودلالات إضافاتهم للرواية الأصلية. وسنبقى ملتزمين بمنهجيتنا التي اتبعناها في كتاباتنا السابقة والقائمة على قراءة التاريخ، وليس كتابته، ونأمل أن تمكننا هذه المنهجية من فهم واستيعاب بعض جوانب تراثنا الأدبي والثقافي بعيداً عن العصبيات أياً كان مصدرها ووجهتها.

هوامش المدخل

(١) لقد رأينا توظيف هذه الصيغة بدلاً من «إسرائيل» حتى لا نخلط التاريخ بالسياسة والعلم بالشعوذة.

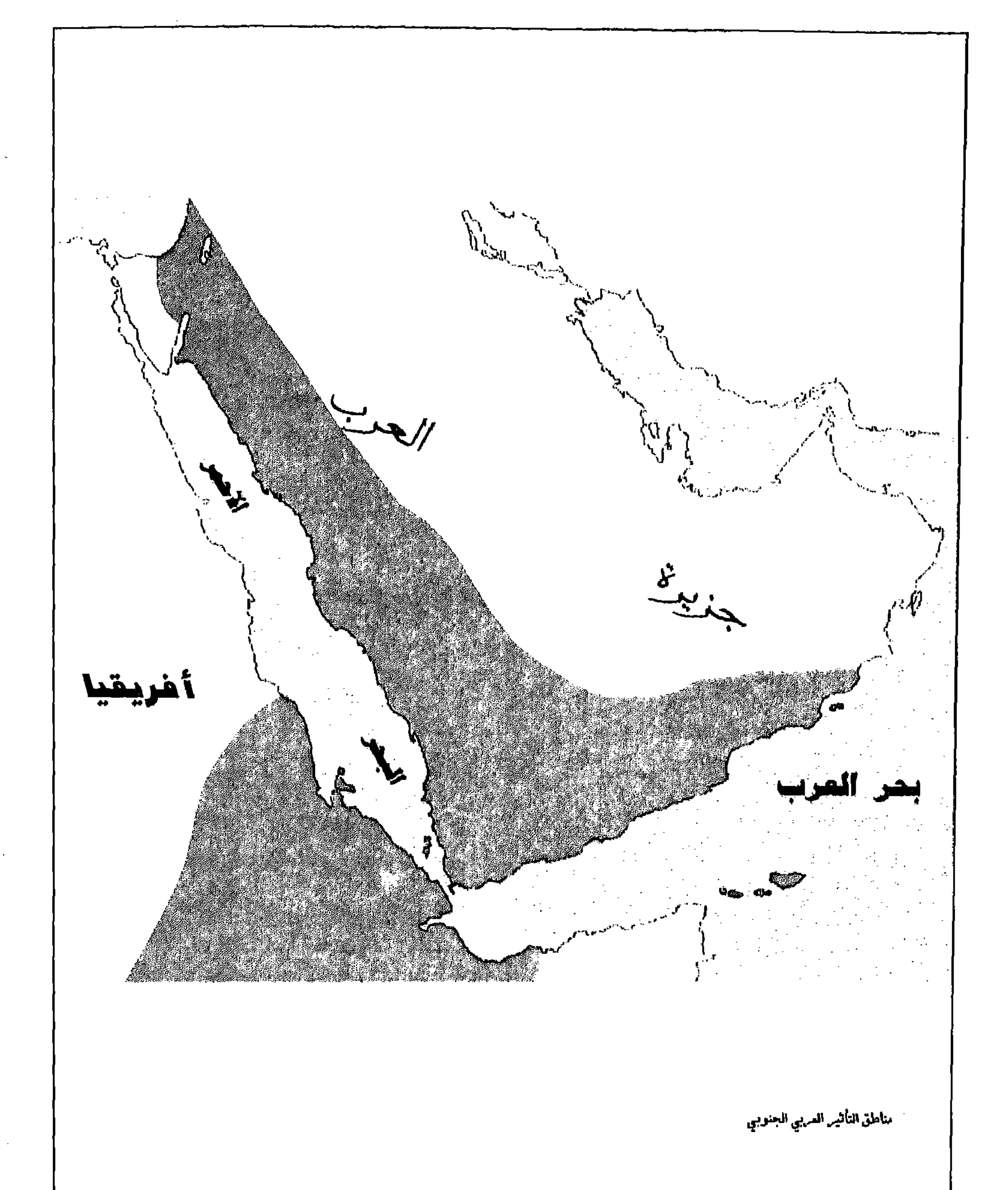
الفصل الأول

المسرح التاريخي والجغرافي

بما أن منطلق مؤلفنا هو القناعة بأن الشخصية الرئيسة في رواية ملكة سبأ هي بلقيس نفسها، فإننا نرى أن المدخل الصحيح للبحث يجب أن يبدأ من تقصّي تاريخ بلادها، وفق كتابات الإخباريين العرب، لكن بعد تنقيتها من الأساطير والميثولوجيا والتأويلات وغير ذلك من الشوائب التي تراكمت وعلقت بها على مر العصور. فرغم أهمية بعض ما جاء في تلك المؤلفات، تبقى اللقى الأثرية هي المرجع الأساسي الذي وجب الاعتماد عليه لمادة هذا الفصل. أي أنه في حالة وجود تناقضات بين كتابات الإخباريين وبين معلومات واضحة تحويها اللقى الأثرية، علينا نبذ الأولى لصالح الثانية التي لم تتعرض إلى تزوير وفق آراء الكتبة والمؤولين الذين عبثوا بالتاريخ وحوروه وفق أهوائهم ومعتقداتهم الشخصية. وحيث إن الآراء التقليدية بخصوص المسألة تشدد على أن سليمان التوراة، أو شلومو، قد حكم بني يسرئيل في الفترة الممتدة من ٩٦١ - ٩٢٢ق.م. تقريباً،(*) فمن الضروري العودة إلى ذلك التاريخ للبحث في مملكة سبأ.

إن المسرح الجغرافي الرئيسي لقصة بلقيس، بكافة مكوناتها وعناصرها القصصية والتاريخية والأسطورية والميثولوجية، هو جنوب جزيرة العرب، الذي عرف تاريخياً باسم اليمن. وباستشارة اللقى الأثرية التي عثر عليها في مأرب، عاصمة سبأ الثانية[1]، التي تقع على بعد حوالى مائة

(*) تعتمد التواريخ التوراتية على الربط بين أحداث معينة حصلت في مملكة بني يسرئيل وأخرى جرت بالارتباط مع ممالك الشرق العربية القديمة. وقد تمّ تحديد هذه الفترة التقريبية لحكم سليمان التوراة عبر الاستعانة بالقوائم المصرية. فالعهد القديم يسجل أن شيشنق هاجم يهودا في عهد يربعام الذي تلا والده في حكم بني يسرئيل - يهوذا بالأحرى. وحيث إن الحوليات المصرية تسمح بالتعرف الدقيق، نوعاً ما، على فترات حكم فراعنة مصر، فقد يسر ذلك عملية تحديد تقريبي لعهد شلومو.



المشرق العربي

(القرن الخامس ق.م. تقريبا)

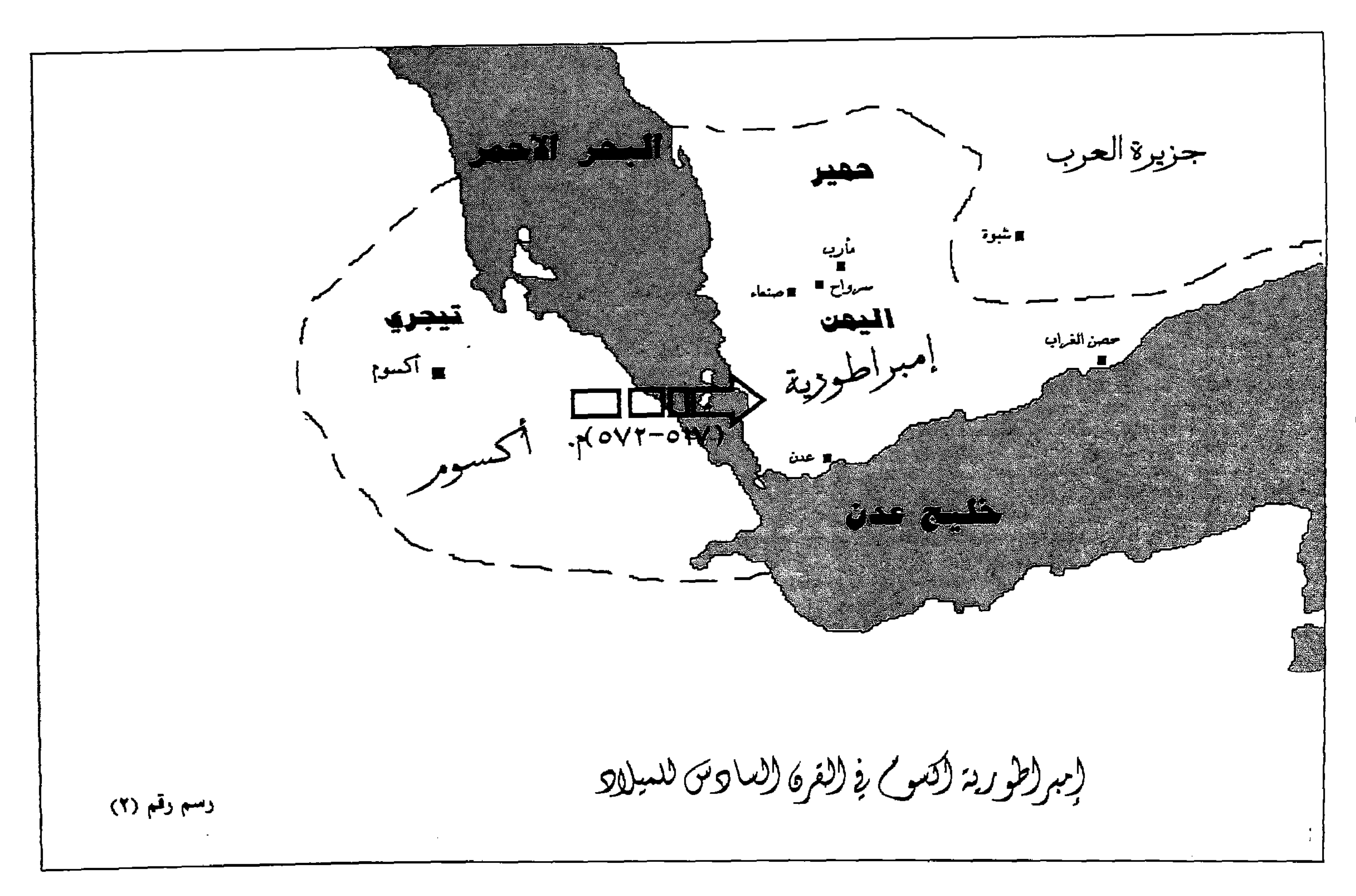
رسم رقم (١)

وتسعين كيلومتراً شرقي صنعاء عاصمة الجمهورية اليمنية، يتبين أن جنوب جزيرة العرب شكل منذ أقدم العصور، مركزاً حضارياً متقدماً حيث قامت على أرضه إحدى أقدم الممالك العربية. فاللقى الأثرية تفيد، وفق الرأي السائد، بأن مملكة سبأ تشكلت في اليمن عشرة قرون قبل الميلاد، هذا على أحدث تقدير، واستمرت في الوجود حتى سيطر عليها الحميريون في القرن الأول قبل الميلاد ـ أنظر الرسم رقم (١). وفي الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والسادس للميلاد خضعت سبأ وأقاليم أخرى من اليمن لسيطرة مملكة أكسوم التي كان مركزها على الشاطىء الجنوبي الغربي من البحر الأحمر ـ أنظر الرسم رقم (٢)، والتي أسسها أصلاً العرب اليمانيون عندما عبروا مضيق باب المندب حوالى القرن الأول للميلاد. وقد عثر على لقى أثرية في الساحل الغربي للبحر الأحمر تفيد، وفق رأي علماء الآثار، بأن السبئيين عبروا المضيق باتجاه الغرب واستوطنوا المنطقة فترة سابقة للألف الأولى قبل الميلاد. رغم ذلك، تبقى اليمن هي محور عملنا وبحثنا، ونجد أنفسنا ملزمين بالعودة إلى التاريخ المسجل أعلاه لأن العهد القديم، وهو أقدم نص متوفر عن موضوع بلقيس، يربط ما بين سبأ وملكتها من جهة، وبين شلومو من جهة أخرى.

وقد يعترض البعض على اعتماد التوراة كمرجع تاريخي لتحديد الزمان الذي افترض أن بلقيس حكمت فيه، خصوصاً في ظل حقيقة أن ذلك الكتاب لا يذكرها بالاسم، لكننا نقول إنه من الخطأ إهماله كمرجع عن المسألة حيث إن قصتها في تراث العصر العربي الأول والعربي ـ الإسلامي وفي التراث الديني اليهودي والمسيحي تربط بين الطرفين. والمسألة بالنسبة إلينا ليست صحة أو خطأ رواية التوراة أو القصص الأخرى، وإنما تقصي الخلفية التاريخية للمسألة.

إن التنقيبات الأثرية في اليمن لم تتعد بعد مرحلة سابقة للقرن الثامن قبل الميلاد، واللقى الأثرية التي كُشِفت هناك حتى الآن لم تعط أي دليل على أن تلك البلاد عرفت أية حاكمة على الإطلاق، ناهيك عن ملكة باسم بلقيس. أما كتابات الإخباريين العرب فلا تعتبر، من وجهة نظر علمية، إثباتات غير قابلة للنقض، هذا ما لم تجد دعماً لها من مصادر أخرى. فعلى سبيل المثال، نود التذكير بأنه من المعروف، من اللقى الأثرية، أن حكام سبأ لم يعرفوا بصفة ملك، أو بصفة «تُبّع» كما قال الإخباريون العرب، وإنما اكتسبوا في البداية الصفة «مُكرِّب»، وهي صفة كهنوتية على ما يبدو. وقد فهم من اللقى الأثرية أن سبأ عرفت اثني عشر؟ مكرّباً منذ البداية، ولا تظهر الصفة «ملك» إلاّ حوالى القرن السابع للميلاد، على ما يقوله علماء الآثار.

وهناك لقى أثرية من خارج الإقليم تشير إلى «سبأ» في مرحلة سابقة للزمن المفترض أن بلقيس عاشت فيه. فالنقوش السومرية العائدة لحوالى عام ٢٥٠٠ق.م. تشير إلى <سابو>[٢]، رغم أن بعض العلماء يرجع سبأ إلى <سابو> المذكورة في النقوش العائد تاريخها إلى حوالى عام ٣٧٥٠ق.م. لكن مسألة تحديد هوية أصحاب الاسم لا تزال تحتاج إلى بحث كثير[٣]، آخذين بعين الاعتبار أن التنقيبات الأثرية في اليمن لا تزال في مرحلة البداية.



إمبراطورية أكسوم في القرن السادس للميلاد

رسم رقم (٢)

كما وعثر على نصوص أحدث من النقوش السومرية تشير إلى سبأ والعرب، وبرأينا إلى جنوبي جزيرة العرب أيضاً. فملك آشور تغلت فلصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ق.م.) يسجل استلامه جزية من (زبيبي[٤] ملكة بلاد العرب[٥])، وتلقيه إتاوة منها قوامها: ذهب، فضة، رصاص، حديد، جلود الفيلة، عاج، أقمشة ملونة، أقمشة كتانية، أقمشة بنفسجية وأرجوانية، أخشاب مختلفة[٦]، كل ما هو ثمين! ثروة الملكة! دهون؟ ماشية، جلودها، أصباغ أرجوانية، طيور السماء المريشة ذات الأجنحة البنفسجية اللون، خيول، بغال، أبقار وماشية صغيرة، جمال، ونوق وصغارها[٧].

كما وترك حاكم آشور سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ق.م.) نقوشاً تعلن استلامه جزية من (فرعون ملك مصر[٨] وسمسي ملكة العرب[٩] والتعمر[١٠] السبئي)، وقوامها أيضاً ذهب، منتجات الجبال، خيول، وجمال.

وينطبق الأمر ذاته على روايات أسرحدون الآشوري (٦٨١ - ٦٦٨ق.م.) الذي سجل أن: (أدومو[١١]، القلعة الواقعة في بلاد العرب والتي احتلها أبي الذي خلفني سنحريب ملك آشور... واقتدتُ خزائل ملك العرب، وحضر إلى مقري في نينوى وأحضر معه جزية كبيرة وقبّل قَدَمَيَّ ورجاني أن أعيد له آلهته...).

وأشار ملك آشور سنحريب (٧٠٥ - ٦٨١ق.م.) إلى قيامه بقيادة حملة عسكرية ضد «تلخونو»[١٢] ملكة العرب (في وسط الصحراء)، و«خزائلوا»[١٣] الذي يعرف أحيانا بأنه ملك العرب، ومرات أخرى بصفته ملك قِدري. وما يهمنا بشكل خاص هنا إشارته إلى «كرب إيل» ملك سبأ، حيث يسجل في نص آخر (وعند وضع حجر الأساس لبيت أكيتو، فقد أحضر كرب إيل[١٤] ملك سبأ بناءً على أوامر منِّي حجارة وحجارة كريمة وتوابل طيبة...).

هذا العرض المختصر لبعض النقوش الآشورية التي يرد فيها ذكر العرب وجنوب جزيرة العرب وملكات عربيات وسبأ، يعكس حضوراً قوياً لتلك المملكة العتيقة في العصور القديمة. كما توضح تلك النقوش أن العرب عرفوا في العصور الأولى ملكات حكمن، وإن أخفق الإخباريون العرب في الإشارة إليهن.

لقد قلنا بأننا على قناعة بأن تلك اللقى الأثرية تشير إلى جنوبي جزيرة العرب، لكن أهل الاختصاص الأوروبيين يرون أن جغرافية الأحداث المشار إليها في تلك النقوش هي شمالي الجزيرة. والسبب أنها تشير أيضاً إلى غزوات بعض ملوك آشور ضد يهوذا. وحيث إن الرأي التقليدي يقول بأن التوراة، أي العهد القديم، هي تسجيل للتجربة التاريخية الدينية لبني يسرئيل - وليس لليهود - في فلسطين، فقد أجبرت جغرافية تلك النقوش على الرحيل شمالاً[١٥]. لكننا

على قناعة بأن موطن بني يسرئيل الذين كانوا من العرب البائدة كان في عسير جنوب غربي جزيرة العرب، وقدمنا شرحاً ودعماً للموضوعة في مؤلفين وعدد من الأبحاث.

كما ترد إشارات مهمة تعكس المكانة التاريخية لجنوب غربي جزيرة العرب عموماً، وسبأ تحديداً، في نصوص أخرى منها تلك الواردة في التوراة. فباستشارة نصوص العهد القديم عن سبأ، نقرأ في سِفر أيوب ١: ١٤ ـ ١٥ التالي: (وحدث يوماً أن النبي أيوب وبناته كانوا يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر، فأقبل رسول إلى أيوب وقال: كانت البقر تحرث والحمير ترعى بجانبها، فانقض عليها سبأ[١٦] وأخذوها وقتلوا الرعيان ونجوت أنا وحدي لأخبرك). لقد شكل هذا النص غير المحدد للمساحة الزمنية التي يغطيها، معضلة حقيقية لعلماء التوراة لأنه يشير إلى سبأ على أنها قريبة من موطن أيوب المعتبر من بني يسرئيل، والمفترض أنهم كانوا بدورهم في فلسطين. وهناك اتجاه، غير مقبول من معظم علماء التوراة التقليديين، يقول بأن بلاد عوص، أي مسكن أيوب، هي اليمن. واقع الأمر أن مجرد ذكر سبأ قرب موطن أيوب هو إشارة قوية إلى أن مسرح القصة في جنوبي جزيرة العرب، قرب مملكة سبأ، وليس في أي مكان آخر.

وقد لجأ الرأي التقليدي المتمسك بأن موطن بني يسرئيل كان في فلسطين إلى «حل» هذه التناقضات بالقول إن سبأ المشار إليها في السفر، والذي يتفق معظم أهل الاختصاص على أنه كتب في مرحلة ما بعد السبي البابلي، أي بعد عام ٥٨٧ق.م.، كانت قبيلة بدوية متنقلة. ويرون دعماً لرأيهم في حقيقة أن النص يشير بشكل واضح إلى غارة، وهي من طرق حياة القبائل المتنقلة. لكننا ننبه إلى أن هذا النمط المعيشي ليس مقصوراً على البدو فقط. نقول هذا في ضوء أن اللقى الأثرية تثبت أن سبأ وجدت كمملكة منذ القرن الثامن قبل الميلاد، هذا على أحدث تقدير، وهذه حقيقة وليست افتراضاً. وبغض النظر عن جغرافية الحكاية، فإننا على قناعة بأن إشارة سِفر أيوب إلى غزو سبأ هي مسألة ثانوية الأهمية، وأنها ألحقت بالقصة بهدف التهويل من حجم المصيبة التي لحقت به بما يزيد من مغزى صبره. أي أن جوهر القصة هو الحديث عن المصائب التي توالت على أيوب، ولم يكن هدف الإشارة إلى سبأ ـ المملكة أو القبيلة... الخ، تحديد تاريخية أو جغرافية مكان الكارثة. ونجد دعماً لاجتهادنا هذا في حقيقة أن المقاطع التالية من الإصحاح نفسه، أي ١: ١٦ ـ ١٩ تشير إلى كوارث أخرى لحقت بأيوب، ويعقب ذلك التعليق المشدد على أن أيوب هذا لم يتخل، رغم كل ما جرى له، عن إيمانه بإلهه. هذا يجعلنا نكرر القول إن الرأي التقليدي بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في أحكامه لأن اللقى الأثرية هي أكثر صدقاً من كافة الآراء النظرية، خصوصاً تلك المنطلقة من أحكام مسبقة[١٧].

وترد إشارات أخرى إلى سبأ في العهد القديم في مجال الحديث عن رأي محرريه بخصوص أصل بعض الشعوب أو القبائل أو الممالك. فسِفر الخروج ١٠:٧ يقول (وبنو كوش [هم ـ ز.م] سبأ وحويله وسبته ورعمه وسبتكا، وبنو رعمه شبا وددن)[١٨]. لقد حير هذا النص أجيالاً من

علماء تاريخ المشرق العربي وعلماء التوراة الذين يستشيرون النصوص التوراتية في عملية رسم خريطة سكانية أو «عرقية» للمنطقة. وبينما لا نعتقد بأن هذه الاستشارة هي خطأ مبدئي، إلاّ أنه وجب نبذ مقولات النصوص التوراتية عندما لا تتفق مع المعلومات الكثيرة التي أقتنيت حتى الآن، خصوصاً في مجال علم اللغات المقارن والمعارف الجغرافية، وفي المقام الأول تلك المعارف التاريخية المستندة إلى اللقى الأثرية. نقول إنه حيّر العلماء لأنهم تعاملوا مع تلك النصوص التوراتية على أنها تشير إلى شعوب مجمل إقليم المشرق العربي، ولم يقبلوا حتى الآن، أن بني يسرئيل كانوا أحد أقوام المشرق العربي الصغيرة التي لم تخلف أي أثر عنها، على الأقل حتى الآن. لقد تعامل معظم علماء التوراة مع «قائمة الشعوب» هذه على أنها تشير إلى كافة شعوب العالم الذي كان معروفاً حتى ذلك الحين، بينما هناك اتجاه أكثر تطرفاً يتمسك بغوغائية عجيبة، بأن الشعوب أو الأقوام المسجلة في التوراة هي شعوب الأرض قاطبة، بما في ذلك الأميركيتان، ناهيك عن أستراليا وبلاد المومو أيضاً!

لكن إذا قبلنا الرأي المنطقي القائل بأن المقصود هو مجرد عرض محلي لمحيط بني يسرئيل السكاني في جنوب جزيرة العرب، ينتهي الإشكال فوراً، علماً بأن سفر التكوين سجل، كباقي أسفار التوراة، في مرحلة متأخرة. وقد تم ذلك في بابل، البعيدة عن المسرح الجغرافي لتجربة بني يسرئيل الدينية ـ التاريخية، ومن قبل أشخاص ليس لهم معرفة وثيقة بتضاريس الإقليم، الجغرافية والسكانية، دون أن ننفي أن بعض الروايات اعتمدت نصوصاً مكتوبة. وهذا بالضبط ما يشرح قولنا إنه من غير الصحيح استبعاد وجود عبث بالنصوص.

بالعودة إلى النص التوراتي، نقول بأن الرأي التقليدي يرى أن المقصود بكوش هو الحبشة. وفي حالة تقييدنا بهذا الفهم الجغرافي، فمن الصعب قبول القول بأن: (بنو كوش هم سبأ وحويله وسبته ورعمه وسبتكا، وبنو رعمه شبا وددن) لأنه من المعروف والمثبت أثرياً أن موطن معظم الشعوب أو الأقوام المذكورة في النص هو جنوب جزيرة العرب، وقد تركت العديد منها آثاراً قائمة حتى الآن. كما أنه من الصعب قبول القول في سِفر الخروج ١٠:٦ بأن: (بنو حام: كوش ومصريم وفوط وكنعان). فإذا قبلنا التأويل التقليدي التعسفي، تكون كوش هي الحبشة، وتضحي سبأ مجرد فرع منها، هذا عدا عدم إمكانية تقبل القول بأن الكنعانيين و(فوط) الليبيين؟ و(مصريم) المصريين؟ هم من أصل واحد. فمن المعروف تاريخياً والمثبت أثرياً أن العرب اليمانيين هم الذين عبروا مضيق باب المندب حيث أسسوا دولة جديدة في القرن الإفريقي. كما تقول اللقى الأثرية بأن أقدم آثار مصريي وادي النيل، وجدت في جنوبي وادي النيل مقابل جنوب غربي جزيرة العرب. لذلك كله، نقبل قول ابن المجاور صاحب (تاريخ المستبصر) بأن (أرض تهامة، المعروفة بأنها زبيد وأرض الحصيب، والتي هي قطعة من اليمن، وهي جبال مشتبكة... تشرف على بحر القلزم[١٩] غرباً، وشرقيها بناحية صعدة وحرض ونجران، وشماليها حدود مكة وجنوبيها من

صنعاء كانت تسمى في عدن، الشام، وتسمى في المهجم، اليمن، وتسمى عند آل عمران، كوش).

أما الأقوام الأخرى الوارد ذكرها في النص التوراتي آنف الذكر فهي، وكما سجلنا أعلاه، من بلاد اليمن. وحيث أن موضوع عملنا ليس تحديد مواطن هذه الشعوب، فسنتجنب ذلك حتى لا نبتعد عن موضع المؤلف، لكننا سنحدد موطناً واحداً هو «فوط»، والمعرّف تقليدياً بأنه ليبيا أو الليبيون ـ أي تلك المناطق من شمال ووسط أفريقيا ـ باستثناء مصر وادي النيل. إن الاسم لا يزال قائماً حتى يومنا هذا دونما أي تغيير، ونعني بذلك بلاد «فوط» باليمن حيث تصفها المعاجم الجغرافية المتخصصة بأنها (قاع منبسط بالشمال الغربي من ساقين من بلاد صعدة، في وسطه تقع مدينة حيدان)[٢٠].

كما يرد الاسم (سبأ)، وفي النص الكنعاني ـ التوراتي الأصلي بصيغة <سبء ـ شبء> في سفر التكوين ٢٨:١٠، وبالارتباط مع أسماء مجموعة أخرى من الأقوام أو المواقع، ومنها حضرموت، وفي النص التوراتي <حصرموت>، بما لا يدع أي مجال للشك في أن المقصود هنا سبأ، هذا رغم اختلاف تهجئة الاسم الأخير. ونحن نرجح أن هذا الاختلاف عائد إلى جهل كاتبي ومحرري العهد القديم من يهوذيي السبي بجغرافية الإقليم «العرقية». ونحن لا ننفي بشكل قاطع أن هذا الاسم يشير أحياناً إلى السبئيين الذين استوطنوا القرن الإفريقي، لكن علينا انتظار لقى أثرية تدعم هذا الفهم.

ونجد دعماً إضافياً لرأينا بخصوص المقصود بالاسم الذي يرد ثلاث مرات في سِفر الملوك الأول ١:١٠ ـ ٣ ويتحدث عن لقاء شْلُمُو التوراة، مع ملكة سبأ حيث يرد الاسم الأخير بصيغة <شبء>، أي سبأ[٢١]، وليس بصيغة <سبء> بحرف السامك. لكننا سنعود لتحليل هذا النص بشكل مفصل في فصل لاحق.

كما ويشير سِفر إشعيا إلى سبأ في الإصحاح ٣:٤٣ بالقول ـ وفق الترجمة التقليدية المعمول بها (... جعلت مصر فِديَة عنكِ وكوش وسبأ بدلاً منك). ويقول محررو «الكتاب المقدس»[٢٢] في مجال التعليق على هذا النص بأن المقصود بسبأ «منطقة قريبة من الحبشة». وسبب هذا التأويل فهمهم بأن المقصود بمصر[٢٣] وكوش كل من بلاد وادي النيل والحبشة. وقد قدمنا رأينا بالخصوص دعماً لموضوعة كمال الصليبي القائلة بأن المقصود هنا منطقة ما في عسير عرفت باسم مصر أو مصريم، أي مثنى مصر، والمقصود مصر العليا ومصر السفلى حيث جمدت القرية العسيرية (المصرمة) تاريخ الإقليم في اسمها. كما وبيّنا آنفاً أن العرب عرفت أن قسماً من منطقة تهامة بعسير عُرِف عند آل عمران باسم كوش. أما أخطاء علماء التوراة في هذا المجال فناتجة أصلاً عن سوء تأويلهم لمجمل جغرافية العهد القديم وموطن بني يسرئيل الذين كانوا أحد أقوام العرب البائدة.

والأمر ذاته ينطبق على سِفر إشعيا ٦:٦٠ القائل (... والذين من سبأ[٢٤] يجيئون كلهم حاملين الذهب والبخور ومبشرين بأمجاد يهوه[٢٥]). وحيث إن النص يتحدث هنا عن البخور كمنتوج آت من سبأ، فمن الواضح أن المقصود هنا تلك المملكة بجنوب غربي جزيرة العرب.

ويذكر الإصحاح ٦:٢٠ من سفر إرميا سبأ بالقول (لماذا يأتونني بالبخور من سبأ وبعيدان الطيب من أرض بعيدة...). ويلاحظ هنا أن النص الكنعاني يسجل الاسم موظفاً حرف السين، لكن المترجم سجله في الترجمة العربية بصيغة (شبا)، وهو أمر يدعو للدهشة لأنه يربطه في الحاشية بسِفر إشعيا ٦:٦٠ حيث كتب هناك اسم الموقع بصيغة (سبأ)، وهو ما يرد في النص التوراتي. على أية حال، من الواضح أن النص يشير إلى مملكة أو بلاد سبأ لأنه يذكرها بالارتباط مع البخور والعطور.

ويتحدث سِفر حزقيال ٢٢:٢٧، ٢٣ عن سبأ بالقول (تجار سبأ ورعمة كانوا تجارك وبأفضل أنواع الطيب والأحجار الكريمة والذهب بادلوك بضائعك. حران وكنة وعدن وسبأ وآشور وكلمد تاجروا معك). ولا شك أن هذا النص يقصد بلاد أو مملكة سبأ في جنوب غربي جزيرة العرب لأنه يشير إلى متاجرتها بالطيب والأحجار الكريمة، وهي بضائع احتكرها العرب الجنوبيون، وذلك كما يتبين من خلال النصوص اليونانية والرومانية التالي ذكرها.

ويشير العهد القديم إلى سبأ المملكة في نصوص أخرى بما يعكس، برأينا، الدور الكبير الذي لعبته تلك المملكة اليمانية في العصور القديمة. وقد رأينا تجنب الإشارة إلى كافة النصوص وأضفنا في الملحق عرضاً يشرح كيفية تهجئة الاسم في العهدين القديم والجديد والسبعونية لفائدة من يود متابعة المسألة من القراء والبحاثة.

ومن الضروري التذكير هنا أن السبعونية، أي الترجمة اليونانية للعهد القديم التي أنجزت تحت إشراف ديني يهوذي مركزي تورد الاسم بصيغة سبأ، وبغض النظر ما إذا كان النص الأصلي يسجله بحرف السين/الشين أو بحرف السامك، هذا رغم بعض الاستثناءات التي أشرنا إليها في الملحق آنف الذكر.

ننتقل الآن إلى كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق والرومان التي تعكس أهمية اليمن ومملكة سبأ بما جعلهم يتناولونها في مؤلفاتهم بشكل مسهب. ونظراً لأهمية تلك الكتابات التي تشرح دور جنوب جزيرة العرب في التاريخ القديم، نسمح لأنفسنا الاسترسال بعض الشيء في عرض النصوص ذات العلاقة. لقد رأينا أن المنهجية الأفضل هي ترك كتاباتهم تنقل بنفسها ما تحويه من معلومات، ودون أي تدخل أو تأويل من جانبنا. ولذا سنورد تالياً ترجمتنا لبعض منها حتى نمكن القارىء من تشكيل صورة عن موقع العرب الجنوبيين وحضاراتهم في التاريخ القديم كما عرفها قدماء الإغريق والرومان، ونبدأ بسرد[٢٦] كتابات المؤرخ اليوناني سترابون الذي يقول في كتابه (الجغرافيا)[٢٧]، والترجمة لنا، التالي:

الجغرافيا ١٦: ١٩,٤ ويحد أراضي هؤلاء الشعوب بلاد السبئيين شديدة الخصوبة؛ وهم قبيلة كبيرة وتنتج اللبان والبخور والقرفة. ويمكن العثور على البلسم على شواطئهم، وكذلك على كل الأعشاب العطرة التي تفقد أريجها بسرعة. وهناك أيضاً نخيل حلو الرائحة، وكذلك أعشاب. كما يوجد هناك أفاع بلون أحمر داكن، وهي بطول شبر، لكنها تزحف بسرعة الأرنب البري، وذات لسعة قاتلة. وبسبب توافر الفواكه، فإن السكان كسالى، ويقودون حياة متمهلة ورتيبة. وينام معظم الناس على جذور أشجار استخرجت من باطن الأرض. كما ويحصل السكان المتجاورون على حمولات من النباتات العطرة بشكل دوري ويقومون بتسليمها تباعاً إلى جيرانهم حتى [تصل إلى](٢٨) سوريا وبلاد النهرين(٢٩). وعندما يغلب عليهم النعاس بسبب الروائح العطرة، فإنهم يتغلبون على ذلك باستنشاق عبق الراتينج وذقن الماعز. وتقع عاصمة السبئيين مأرب على جبل ذي أحراش كثيرة، ولهم ملك مسؤول عن القضايا القانونية وغيرها. ولكن من غير المسموح له قانونياً بمغادرة القصر. وإذا فعل ذلك، يقوم الناس برجمه فوراً، وذلك عملاً بنبوءة معينة. ويعيش هو وبطانته في جو من البذخ المخنث. لكن معظم السكان يعملون في الزراعة، أو يتاجرون بالنباتات العطرة المحلية والحبشية. ومن أجل تحصيل النوع الأخير، فهم يعبرون المضيق(٣٠) في قوارب جلدية. وتتوافر تلك النباتات العطرة بكثرة لدرجة أنهم يستخدمون القرفة والأكاسيا والنباتات الأخرى كوقود بدلاً من الأغصان. ويوجد في بلاد السبئيين لاريمنم(٣١)، وهو أكثر البخور عطراً. وقد صار السبئيون والجرهيون أكثر الأقوام ثراءً من خلال التجارة، كما أنهم يمتلكون كميات كبيرة من الأدوات الذهبية والفضية، ومنها البسط والمناصب ثلاثية القوائم(٣٢) والطاسات، وكذلك كؤوس الشرب وبيوت فخمة للغاية ذلك أن أبوابها وحوائطها وسقوفها مرقشة بالعاج والفضة، ومطعمة بالأحجار الثمينة. هذا هو تقرير أرتميدوروس(٣٣) عن هذه الشعوب، لكن باقي تقريره مشابه لما ورد عند إراتوسثينيس(٣٤)، أو أنه مقتبس من مؤرخين آخرين.

ويقول ديودور الصقلي في مؤلفه (مكتبة التاريخ)(٣٥)، والترجمة لنا، التالي:

مكتبة التاريخ ٣: ٤٦ ويلي هذا القوم شعب كرباي(٣٦) ثم السبئيون الذين هم أكبر قبائل الشعوب العربية عدداً. وهم يقطنون ذلك الإقليم من جزيرة العرب المسمى العربية السعيدة، والذي ينتج معظم الأشياء التي نعتبرها ثمينة. كما ويحتضن قطعاناً من كافة أصناف الحيوانات، وبكميات تفوق أي تصور. وتعم كافة نواحي الإقليم الروائح الذكية لأن كل النباتات المتميزة بعطرها تنمو هناك بشكل دائم. كما وتنمو على طول الشاطىء نبتة البلسم(٣٧) والسّنة وعشب آخر ذو طبيعة متميزة. وهذا العشب مسر للعين عندما يكون طازجاً، لكنه يتلاشى فجأة فيما لو ترك لبعض الوقت. وهناك في الأقاليم الداخلية من البلاد غابات كثيفة تحوي أشجاراً ضخمة تنتج البخور واللبان(٣٨)، وكذلك النخيل والقرفة وكافة الأصناف التي تنتج رحيقاً مماثلاً في حلاوته. ونظراً لعددها الهائل وثرائها الأريجي الاستثنائي، فإنه من المستحيل تعداد مميزات وطبيعة

كل منها. ويبدو الأريج وكأنه شيء إلهي وأعظم من أن تصفه قوة اللغة لأنه ينفذ ويحرك أحاسيس كل إنسان. ولا يحرم المبحرون على طول الساحل، ورغم أنهم يكونون بعيدين عن الإقليم، من المشاركة في هذه المتعة، ذلك أن الرائحة العطرة المنبعثة من أشجار اللبان وغيرها تخترق هواء البحر القريب عند هبوب الرياح في فصل الصيف بعيداً عن الشواطىء. والسبب، أنه، وعلى عكس ما يجري في بلادنا حيث تفقد العطور أريجها عند خزنها، إن فعاليتها تصل لأوجها عندما تكون طازجة، وتخترق أكثر ثنايا حاسة الشم رهافة. وحيث إن النسيم يحمل أكثر روائح النباتات انبثاقاً، فإن المسافر الذي يقترب من الساحل يهب عليه مزيج من الروائح الممتعة والفعالة والصحية والغريبة، والتي هي مزيج من أفضلها؛ لأنه لم يتم سحق منتجات الأشجار إلى أجزاء صغيرة ولم تفقد خصوصيتها، كما ولم يتم حفظها في أوان من مواد أخرى، بل إنها بقيت في قمة طزاجتها وطبيعتها الإلهية محافظة على براعمها دون شوائب بحيث إن أولئك الذين يشاركون في ذلك الأريج المميز يشعرون بأنهم يستمتعون بطعام الآلهة المسمى أمبروسيا(٣٩) الذي تشير إليه الخرافات، والذي لا يمكن إعطاؤه أي اسم آخر بسبب الحلاوة المتميزة لرائحته.

مكتبة التاريخ ٣:٤٧ رغم ذلك، فإن الثراء المغدق على هذه الشعوب لم يقد إلى هناء مثالي ودون ترك مجال للحسد حيث تمّ مزج هذا العطاء الكبير بما هو ضار ليكون بمثابة إنذار للبشر الذين أضحوا متعودين على احتقار الآلهة بسبب البركة الممنوحة لهم دون انقطاع. والسبب أنه يوجد في غابات العطور أعداد كبيرة من ثعابين(٤٠) ذات لون أحمر داكن طولها شبر، وذات لدغة مميتة. وبعد أن تقفز هذه الثعابين على ضحيتها تلدغه تاركة على جلده بقعة دم.

وهناك شيء غريب يجري للسكان الذين أنهكت الأمراض أجسادهم. فعندما يصبح الجسد مخترقاً بمادة مركزة ولزجة، وتتراكم جسيمات غريبة في موقع نفيذ، يلي ذلك حالة ضعف يصعب الشفاء منها. لذا فإنهم يقومون بإحراق الراتينج وذقن الماعز لمقاومة الرائحة الطيبة بمادة ذات طبيعة مضادة. والحقيقة هي أنه عندما يتم قياس كمية الأشياء ومرتبتها الطيبة، فإنها تغدو متعة للإنسان، لكنها تضحي غير مفيدة عندما تتجاوز الحد المعقول.

وعاصمة هذه القبيلة المسماة سبأ(٤١) مبنية على جبل. ويتعاقب على حكمها ملوك بشكل وراثي. ويقدم لهم السكان احتراماً تتجمع فيه المميزات مع العوائق. والسبب أنهم رغم ما يبدو من عيشهم حياة راغدة، فإنهم يوجهون أوامر للجميع، دون أن يحاسبوا على تصرفاتهم. لكنهم يعتبرون في الوقت نفسه غير محظوظين إطلاقاً لأنه من الممنوع عليهم قانونياً مغادرة قصورهم. وفي حالة فعلهم ذلك، يتم رجمهم بالحجارة من قبل السكان، وذلك عملاً بنبوءة إلهية قديمة(٤٢).

ولا تتفوق هذه القبيلة من ناحية ثرائها وغلوها على العرب فحسب، وإنما على بقية البشر. والسبب هو أنهم، ودون كل من يتعامل بالتجارة من أجل تحصيل الفضة، يتقاضون مقابل تبادل

وبيع بضائعهم أعلى الأسعار لأقل الأشياء وزناً. لذا، وحيث إنهم لم يعانوا من أي نهب بسبب منأى موقعهم، يتوافر في بلادهم الذهب والفضة بكميات كبيرة، خصوصاً في مدينة سبأ حيث يقع القصر الملكي. وهم يمتلكون كافة أنواع الأقداح الفضية والذهبية المنقوشة، ويوجد عندهم أرائك من الفضة والذهب وثلاثيات ذات قوائم فضية وتجهيزات غاية في الغلاء وقاعات محاطة بأعمدة مطلية بالذهب ومنقوشة بحجارة كريمة وأخرى مزينة القواعد بأشكال فضية بما يجعل مساكنهم مثيرة من ناحية تنوعها. كما ويقسمون الأسقف والأبواب عبر ألواح وصناديق ذهبية مرصعة بأحجار كريمة متقاربة فيما بينها بما يجعل كل زاوية من منازلهم عظيمة الكلفة، ذلك أن بعض أقسامها مبنية بالذهب والفضة والعاج والأحجار الكريمة وبكل ما هو محبب للإنسان. لكنهم حافظوا على هذا الرخاء دون انقطاع ولفترة زمنية غاية في الطول لأنهم يعيشون بشكل منفصل عن تلك الشعوب التي جعلها الطمع تعتقد أن ثروات الشعوب الأخرى عطاء لها من هرمز[٤٣].

ويبدو البحر في هذه الأقاليم أبيض اللون بما يجعل الرائي مندهشاً من هذه الظاهرة، ويحاول في الوقت نفسه فهم سببها. وبالقرب من الإقليم هناك جزر ثرية[٤٤] تضم مدناً غير مسورة. وكافة القطعان الموجودة فيها بيضاء اللون، كما أن ليس لإناثها أية قرون على الإطلاق. ويزور هذه الجزر بحارة من كافة النواحي، وخصوصاً من فوتانا، وهي المدينة التي أسسها الإسكندر [المقدوني ـ ز.م.] على ضفاف نهر الهند[٤٥] عندما رغب في إقامة قاعدة بحرية مطلة على المحيط. والآن نكتفي بما ذكرناه عن العربية السعيدة وسكانها.

أما أقدم معلوماتنا عن الإقليم فتعود إلى المؤرخ الإغريقي هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد)[٤٦] الذي سجل المعلومات التي كانت سائدة في عصره عن جزيرة العرب في مؤلفه «التاريخ» بالقول:

التاريخ ٧٥:٢ ويوجد في مكان لا يبعد عن مدينة بوتو [وقعت في دلتا مصر وغير محددة بدقة حالياً ـ ز.م] موقع في جزيرة العرب زرته بهدف جمع المعلومات عن الثعابين المجنحة. وعندما وصلت إلى المكان المقصود رأيت أعداداً لا تحصى من عظام وفقرات الأفاعي؛ هناك الكثير منها، ومن مختلف الأحجام. وفي هذا المكان الذي تتناثر فيه العظام، يقع ممر جبلي ينفذ إلى السهل الفسيح المتصل بدوره بسهل مصر. ويقال إن الأفاعي المجنحة تبدأ في الطيران من جزيرة العرب إلى مصر في مطلع الربيع. لكن الطيور الحارسة تهاجم من يقترب من الممر وتقتله. ويقول العرب إن هذا هو سبب تقديس المصريين للطير الحارس، كما ويعطي المصريون السبب نفسه لتبجيل هذا الطير.

التاريخ ١٠٧:٣ مرة أخرى، إن جزيرة العرب هي أكثر المناطق بعداً تجاه الجنوب عن البلاد المأهولة، وهي الإقليم الوحيد المنتج للبخور واللبان والسّنا والقرفة والصمغ. ويصعب على العرب

تحصيل هذه المواد باستثناء اللبان. وهم يجمعون البخور الذي يقوم الفينيقيون بإرساله إلى بلاد الهيلينيين [أي اليونان ـ ز.م.] عبر حرق الميعة. وهم يقومون بحرقه ويستخرجون بذلك البخور. والسبب هو أن الأشجار المنتجة للعطور تحرسها ثعابين مجنحة صغيرة ذات ألوان متباينة، وهي الثعابين نفسها التي تهاجم مصر. ولا يمكن إبعادها عن الأشجار إلاّ باستخدام دخان الميعة.

التاريخ ٣:١٠٨ ويقول العرب إنه لولاهم لامتلأت الأرض كلها بهذه الثعابين. ويبدو أن الحكمة الإلهية جعلت كافة المخلوقات الجبانة والصالحة للأكل تخلف صغاراً حتى يتمكن المرء من العثور على مأكل، بينما لا تخلف الخطرة والضارة منها إلاّ أعداداً قليلة. فالأرنب يلد بكثرة بحيث إنه أضحى فريسة لكل سبع وطير وإنسان. وهو الوحيد دون كافة المخلوقات الأخرى الذي يحمل مرة ثانية بعد الولادة الأولى. ولبعض الصغار الذين لم يلدوا بعد شعر، لكن البعض الآخر دون شعر. وبينما تكون بعض الصغار قد ولدت، تكون أخرى ما تزال تتشكل في داخل الرحم. وبينما هذا هو الحال مع الأرنب، فإن اللبوة والتي هي سبع قوي وشجاع، لا تلد سوى شبل واحد ومرة واحدة في حياتها، ذلك أن الرحم يخرج مع عملية الولادة. وهذا هو السبب: عندما يبدأ الشبل في التحرك داخل الأم، فإن أنيابه التي هي أحدّ من رديفها في أي حيوان آخر، تمزق الرحم، وكلما كبر في الحجم زاد من جرحه وتمزيقه بحيث انه عندما يحين موعد الولادة لا يكون قد بقي شيء من الرحم.

كما وسجل بلينيوس الثاني (الأكبر)(٤٧) ملاحظاته(٤٨) عن دور جنوب جزيرة العرب واستهلاك البخور الآتي من سبأ أو من «العربية السعيدة» قائلاً:

وتعرف جزيرة العرب باسم «المباركة» أو «السعيدة»، ولكن هذا خطأ وغير مستحب فيما يخص الصفة الملحقة بها، لأنها تعتبرها صفة وهبة من الآلهة العليا، لكنها مدينة للآلهة الصغرى. إن ترف البشر يجعل بلاد العرب ثرية حتى من خلال الموت، وذلك عبر حرق أشياء عند الدفن، وهي أمور رآها العرب بكل وضوح، رغم أن تلك الأشياء خلقت أصلاً لأجل الآلهة. ويؤكد أشخاص ذوو علم بأن جزيرة العرب لا تنتج سنوياً كميات من البخور تساوي تلك التي حرقها الإمبراطور نيرون يوم وفاة زوجته «بُوبِيَّا». لنقم الآن بعمل إحصاء لعدد احتفالات الدفن في عام واحد وكميات المنتوج الذي يجمع بكميات كبيرة احتراماً لأجساد الموتى والتي قدمت للآلهة على شكل كتل صغيرة. على الرغم من ذلك، إن تلك الآلهة لم تكن أقل رحمة تجاه أولئك الذين قدموا قمحاً وملحاً، بل من الواضح أنها كانت أكثر رحمة تجاههم. لكن الأكثر مباركة هو بحر العرب لأنه يزودنا باللؤلؤ. ووفق الإحصاءات المتوفرة فإن الهند والسيريين وشبه الجزيرة هذه يأخذون من إمبراطوريتنا مائة مليون ساستر كل عام. وهذه هي كلفة ابتهاجاتنا ونسائنا. ولذا فإن أسأل: كم يذهب من كل هذا إلى الآلهة العليا وكم منه يذهب إلى الآلهة السفلى.

وبالإضافة إلى ما كتبه المؤرخون والجغرافيون وعلماء الطبيعة الإغريق والرومان عن السبئيين، تثبت التنقيبات الأثرية أن ذلك الشعب، كجيرانه من أقوام جنوب جزيرة العرب، قد أبدع في العديد من أوجه الحضارة التي يعود تأسيسها إلى حوالى القرن السادس عشر قبل الميلاد، وكان أهمها نظام الري الذي أسسه، ويشبه رديفه عند قدماء المصريين والأكاديين. لكن الفن السبئي وذلك العائد إلى بقية أقوام شعوب جنوب غربي جزيرة العرب، يتميز من خلال حقيقة أن تلك البلاد الوعرة لم تحو أنهاراً على الإطلاق، مما استدعى إقامة نظام ري يستفيد إلى أقصى درجة من مياه الأمطار التي لم تكن تهبط لأكثر من أسابيع معدودة في العام. إن هذا الإبداع أيضاً يشرح إسهاب الرحالة الإغريق في الحديث عن المنتجات الزراعية لتلك البلاد التي حصرت أو عددت في مؤلف «عن البحر الإريتري»[٤٩]. كما تميز نظام الري ذاك بأن هدف السدود والأقنية لم يكن حجز المياه، كما كان الحال في وادي النيل والفرات، وإنما إعادة توجيهها لسقاية الأراضي الزراعية.

لقد كان على التقنية السبئية بشكل خاص، والعربية اليمانية بشكل عام، الاستفادة القصوى والفورية من مياه الأمطار التي تتحول إلى سيول من الأودية، وقبل أن تبتلعها التربة العطشى. وكان ذلك يتم عبر مجموعات من القنوات يتميز بعضها عن بعض وفقاً لطبوغرافية المنطقة أو الإقليم. وتفيد التنقيبات الأثرية والصور الملتقطة من الجو لمنطقة مأرب وسدها الشهير قرب فوهة وادي أذّنة، أن مياه السيول كانت تحرف اصطناعياً عبر قناتين هائلتي الحجم بواسطة بوابات حجرية قرب جانبي السد حيث كانت مياه السيول تمر نحو أقنية تقودها تجاه الحقول. فالهدف من السد كان تحويل مياه الأمطار الجارية في الأودية أو السيول إلى الأراضي الزراعية، وليس حجزها لأنه لم يكن من الممكن إغلاق تلك البوابات. وتفيد التقديرات العلمية المرتكزة على الصور الجوية لمنطقة سد مأرب، والذي يعتبر أحد أهم ما أبدعه العرب الجنوبيون من الناحية التقنية، لكن ليس أهمها، وأيضاً على التنقيبات الأثرية التي لا تزال في مرحلة الولادة، أن تلك القنوات كانت تسقي حوالى ١٦٢٠ هكتاراً، أي ١,٦٢ مليون متر مربع. أنظر الرسم رقم (٣).

لقد ساعد نظام الري هذا سبأ وباقي ممالك جنوبي جزيرة العرب في سد حاجاتها من الغذاء، إلاّ أن قوتها الاقتصادية كمنت في احتكارها للتجارة البحرية العالمية مع شرقي أفريقيا وشبه القارة الهندية، وفي المقام الأول في تجارة البخور واللبان حيث عرف المنتوج الأول في العالم القديم الولع بالطقوس الدينية الوثنية باسم أمبروسيا أو «غذاء الآلهة». وقد أوضحت اقتباساتنا من كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق والرومان المسجلة أعلاه، الدور الرئيس الذي لعبه هذا المنتوج في الحياة الدينية للعالم القديم. ومن الجدير بالذكر أن البخور واللبان لم يتوافرا، بسبب الظروف المناخية الضرورية لنموه، إلاّ في مناطق محددة من جنوب جزيرة العرب وشمالي الصومال بما ساعد العرب على احتكار التجارة العالمية بالمحصولين ـ أنظر الرسم رقم (٤). لقد تساوت قيمة البخور في العالم القديم مع الذهب، هذا إن لم تكن أكثر أهمية منه. ونجد تعبيراً

عن ذلك في قول إنجيل متى ١١:٢ (... ثم فتحوا أكياسهم وأهدوا إليه ذهباً وبخوراً ومُراً) حيث وضع كلا المنتوجين في الأهمية نفسها. كما ونعثر على إشارات أخرى لأهمية البخور واللبان في المؤلفات الإغريقية القديمة حيث سجل هيرودوت في مؤلف «التاريخ» أن الإمبراطور الفارسي قامبيس أحرق كميات كبيرة من البخور المستورد من جنوب جزيرة العرب بالطبع.

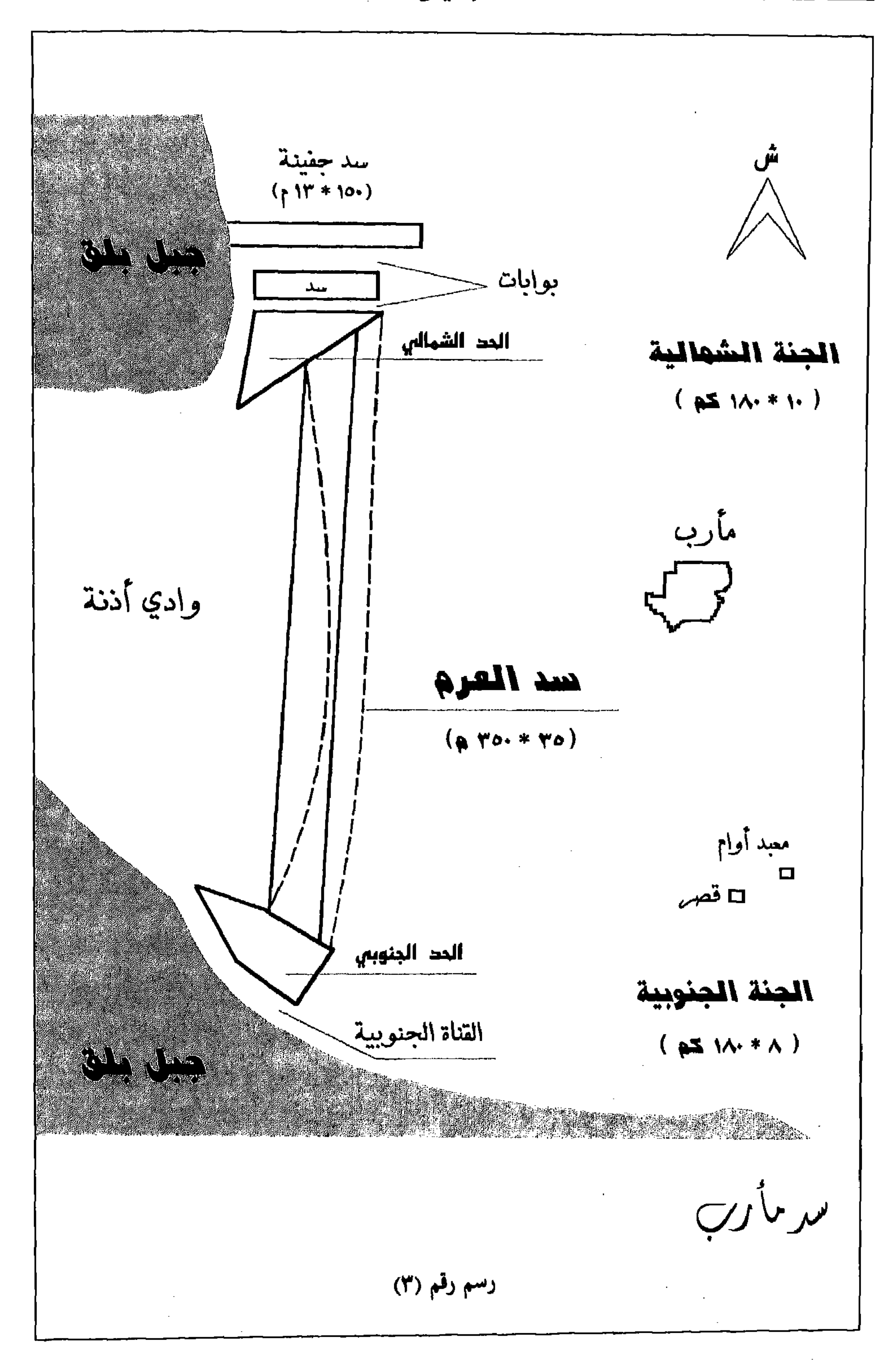
لقد استفاد العالم القديم من البخور واللبان في العديد من الأمور، وعلى رأسها في طقوس دفن الموتى حيث كانت الجثث تغطى بهما بما يسعد الآلهة التي تنتظرها. وقد استمر هذا الطقس لعصور طويلة حيث نقرأ في إنجيل يوحنا ٣٩:١٩ ـ ٤٠ التالي: (وجاء نيقوديموس، وهو الذي ذهب إلى يسوع ليلاً من قبل، وكان معه خليط من المُر والعود وزنه نحو مائة درهم. فحملا جسد يسوع وسكبا عليه الطيب ولفّاه في كفن...). وكان بلينيوس الأكبر قد أشار، في الاقتباس المسجل أعلاه، إلى التقليد نفسه.

لكن الاستعمال الرئيسي للبان أو المر كان في حقل تصنيع المساحيق التجميلية. فالكتابات المصرية تفيد بأن الملكة حتشبسوت[٥٠] (١٤٩٠ ـ ١٤٨٦) ق.م. كانت تدلك ساقيها بزيت اللبان. كما يشير العهد القديم إلى هذه المسألة في مجال الحديث عن بطلة يهوذيي السبي الخرافية أستير، حيث يفيد السفر الذي يحمل اسمها بأنها عطرت بزيت اللبان أو المُر لمدة ستة أشهر قبيل إدخالها عالم الحريم وتقديمها إلى الإمبراطور الفارسي ليتمتع بجسدها[٥١].

كما وتشير كتابات الإغريق والرومان إلى استخدام البخور واللبان في المجال الطبي. فقد وظف الأول كترياق مضاد لشراب الشوكران السام، ولتخفيف آلام الصدر وفي علاج البواسير والأطراف المشلولة والتقرح والخُراج. وكان اللبان يقدم كوصفة لأمراض العين والأذن والأنف ولإحداث الطمث، وأيضاً لمعالجة البواسير والملاريا والاستسقاء، كما كان يستعمل في حالته الصلبة لتغطية كسور الرأس.

لقد أدى توسيع استعمال البخور واللبان إلى خلق طلب كبير عليه في العالم القديم بما قاد بالضرورة إلى تطوير طرق تصديره إلى العالم القديم، والذي كان يتم عبر ما عرف تاريخياً باسم «درب البخور والذهب»، وكذلك عبر البحر. وكان هذا الدرب ينطلق من مناطق إنتاج البخور واللبان في جنوبي جزيرة العرب عبر شبوة في حضرموت ثم إلى تمنا ومأرب، وإلى معن ونجران باتجاه يثرب (المدينة المنورة) حتى ديدان (العُلا حالياً). وكان الطريق ينفصل من هناك باتجاهين أحدهما يذهب لناحية الشرق عبر تيماء نحو العراق، وكان الآخر يتجه غرباً نحو ميناء غزة بفلسطين، أو يستمر في السير شمالاً إلى دمشق ومنها إلى باقي أنحاء العالم القديم ـ أنظر الرسم رقم (٥).

لقد لعب البخور واللبان دوراً غاية في الأهمية في العالم القديم قروناً كثيرة قبل توسع الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية واستعمارهما للمشرق والمغرب العربيين. فالحوليات والرسومات


سد جفينة
(١٥٠ * ١٣ م)
ش
جبل بلق
سد
بوابات
الحد الشمالي
الجنة الشمالية
(١٠ * ١٨٠ كم)
مأرب
وادي أذنة
سد العرم
(٣٥ * ٣٥٠ م)
معبد أوام
قصر
الحد الجنوبي
الجنة الجنوبية
(٨ * ١٨٠ كم)
القناة الجنوبية
جبل بلق
سد مأرب

رسم رقم (٣)

المصرية العائدة إلى فترة تبدأ بالأسرتين الخامسة والسادسة (٢٤٥٠ - ٢١٥٥) ق.م. توضح الأهمية القصوى للمنتوجين، كما وتتحدث النقوش العائدة لتلك المرحلة، ولمراحل سابقة على ذلك بكثير، أهمها العائدة إلى مرحلة حكم حتشبسوت، والمسجلة على جدران معبد في منطقة دير البحري، عن رحلات إلى حضرموت[٥٢].

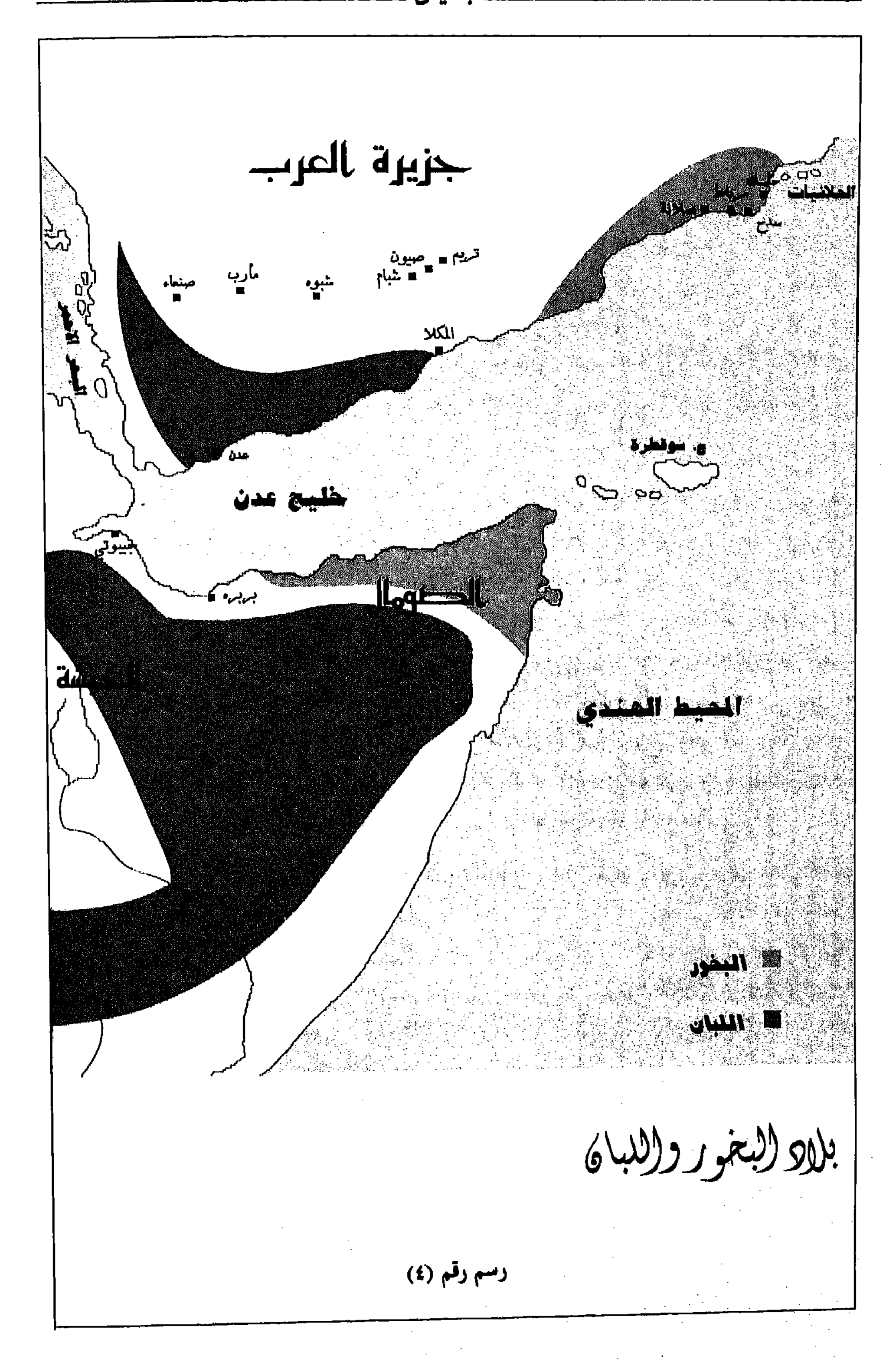
إن ذكر البخور ودوره الكبير في العالم القديم، كأهم بضاعة استهلاكية، يعكس، برأينا، الدور الكبير الذي لعبه اليمانيون وجنوبيو جزيرة العرب في العصور الأولى. وقد تكشف التنقيبات الأثرية المستقبلية في الإقليم المزيد عن هذا الدور، حتى قبل ولادة أو تأسيس مملكة سبأ التي هي موضوع هذا القسم من مؤلفنا. لكن ما يهمنا، في ما يتعلق بعملنا الحالي، الدور الكبير، الذي يصل أحياناً إلى درجة خيالية، لتلك المملكة العربية القديمة في رسم صورة العالم القديم، وهو أمر وثيق العلاقة بالرواية عن بلقيس - موضوع عملنا.

وقد عرفت لغة سبأ مجازاً باسم اللغة السبئية، وتنتمي إلى أسرة العربية الجنوبية والتي يقع ضمن إطارها اللهجات المعينية والقتبانية والحضرمية. وقد سجل السبئيون، ومعهم باقي أقوام جنوبي جزيرة العرب، إبداعاتهم الروحية والمادية بأبجدية تضم تسعة وعشرين حرفاً، وتعرف في التراث العربي باسم المسند. ويرى بعض أهل الاختصاص وجوب البحث عن أصول تلك الأبجدية في النقش السيني - الأولي ذي الأثر الكنعاني، والذي يعود تاريخ نشوئه إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد. ومن الجدير بالذكر أن الكثير من العشرة آلاف نقش سبئي التي تمّ حصرها وتسجيلها حتى الآن وجدت على صخور ومناطق معرضة للرياح، وهي مناطق لا يزورها أحد، مما يرجح الاحتمال أنها سجلت من قبل رعاة وأفراد كانوا في قوافل. وهذا يعكس درجة عالية للغاية من التعليم في تلك المملكة التي ألهب ثراؤها خيال قدماء الكتاب.

ومكنت اللقى الأثرية التي عُثر عليها من التعرف على ديانة السبئيين حيث عرف عنهم التعبد للكواكب والنجوم، ومن ذلك شمس وعثتر والمقه، وسنعود إليها في الفصل الثالث في مجال الحديث عن بلقيس الميثولوجيا. ويلاحظ المرء أن الإله عثتر، أي كوكب الزهرة، تعبّد له أقوام المشرق العربي بما في ذلك أوغاريت ومصر وبابل، ودخل في هيكل العبادة الهيلينية الرومانية تحت اسم أتَرجاتيس[٥٣].

أما أقدم معبد سبئي عثر عليه حتى الآن فهو ما يعرف الآن باسم «محرم بلقيس» الواقع قرب مأرب حيث يبدو أن ما كشف عنه حتى الآن يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، إلاّ أن أسسه التي لم يكشف ما تحتها حتى الآن، فتعود إلى قرون سابقة لذلك.

وقبل الانتقال إلى الفصل التالي من المؤلف، نود لفت الانتباه إلى أن العديد من العلماء الأوروبيين الذين تعاملوا مع الموضوع، أي مسألة بلقيس وسبأ، استخدموا، لأسباب واضحة، الموضوع للكتابة عن سليمان التوراة وما زعموه عن عظمة دوره في المشرق العربي. فقد كتب

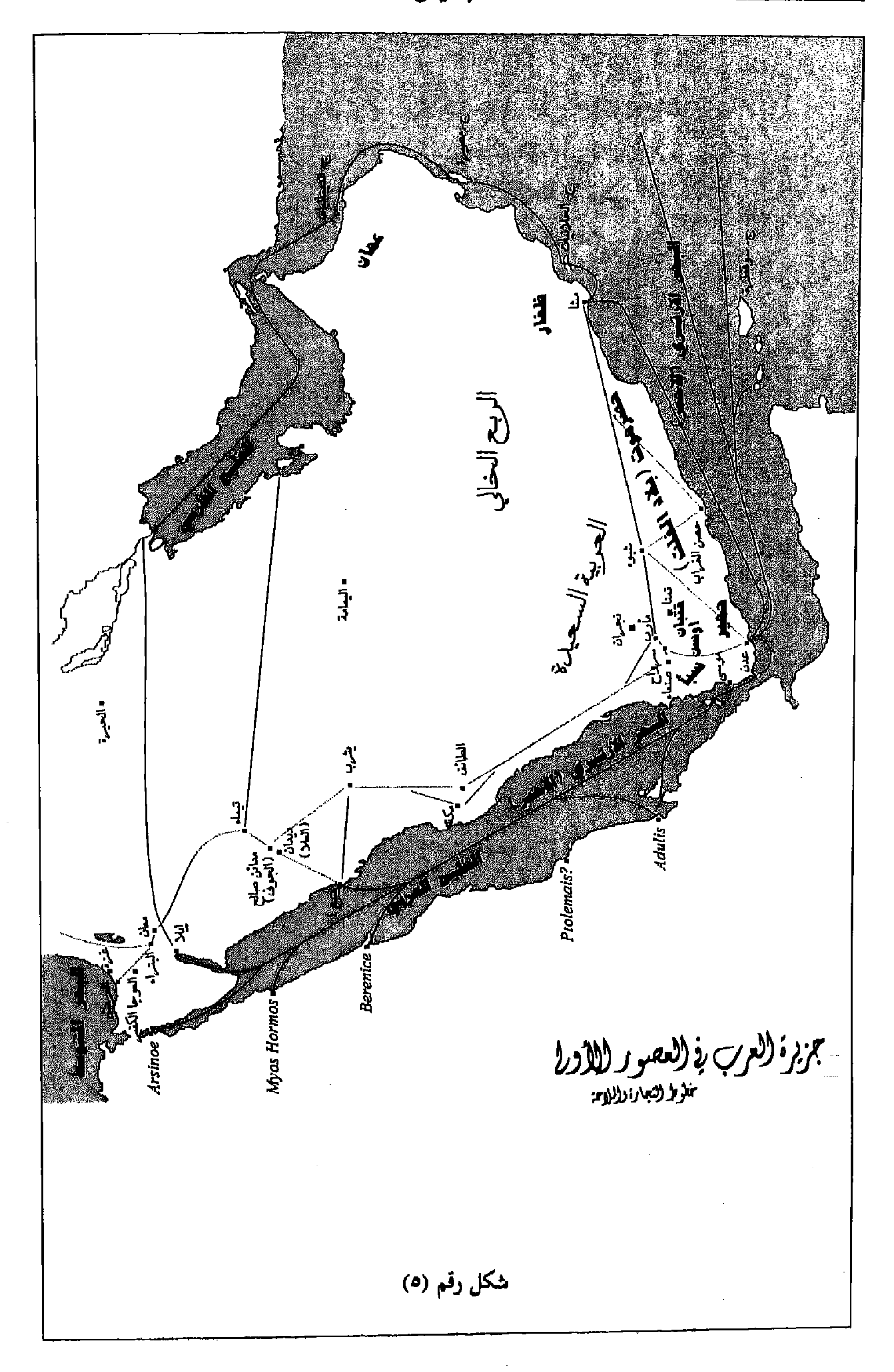


بلاد البخور واللبان

رسم رقم (٤)

العالم جيمس برتشارد آراءه التالية عن المادة في كتاب يدل عنوانه على أحكام مسبقة، والترجمة من النسخة الأصلية تعود لنا: «وحيث إن سليمان سيطر على أعظم إمبراطوريات الشرق الأدنى مساحة في القرن العاشر قبل الميلاد، بما في ذلك طرق القوافل السبئية الرئيسة، فمن الممكن أنه ضمن حرية مرورها مقابل التبادل التجاري معها»(٥٤). هنا لا يبقى أمامنا إلاّ أن نضرب كفاً بكف ونعبّر عن عميق أسفنا لقيام عالم كبير وقدير بخرق عمل علمي تاريخي بمصطلحات سياسية، ونعني بذلك «الشرق الأدنى» الذي أطلق على منطقة المشرق العربي انطلاقاً من اعتبار بريطانيا مركز العالم، وأن موقع بقاع العالم تسمى وفقاً لقربها أو بعدها عنها. لكن هذه الملاحظة جانبية عندما نقارنها بحسمه اللاعلمي واللامعقول وغير المدعوم بأية براهين أو شواهد، مباشرة أو غير ذلك، بزعمه عن عظمة مملكة شلومو. ورغم أن مسألة جغرافية موطن بني يسرئيل أو مساحتها ليست موضوع عملنا، إلاّ أنه من الخطأ الحسم بأمور من هذه الناحية، خصوصاً في غياب أية لقى أثرية على الإطلاق، هذا بعد أكثر من قرن ونيف من التنقيبات الأثرية المحمومة في المشرق العربي، وخصوصاً في فلسطين المحتلة. إن قول العالم بريتشارد المسجل أعلاه لا يعتمد إلاّ على النصوص التوراتية، وليس على أي شيء آخر، وكان عليه، للأمانة العلمية ليس إلاّ، لفت انتباه القارىء إلى أرضية تعاليقه المبالغة بشكل غير معقول إطلاقاً، وتدخل ضمن إطار السياسة لا العلم. لقد رأينا أنه لجأ في مجال تحليله لتاريخ سبأ في المؤلف إلى عدم تجاوز ما يمكن استنباطه من اللقى الأثرية في الإقليم، بما في ذلك العشرة آلاف نقش التي تم العثور عليها وتسجيلها، وهذه منهجية صحيحة تماماً. لكنه لم يكن ملتزماً، حتى بالحد الأدنى من هذه المنهجية في حديثه عن شلومو وقصص التوراة.

الآن وقد تبين لنا، وللقارىء كما نأمل، المكانة المهمة لجنوبي جزيرة العرب وممالكه القديمة في العالم القديم، يمكننا الانتقال إلى الفصل الثاني لمباشرة البحث عن بعض جوانب ومكونات وعناصر بلقيس على أسس صلبة.


جزيرة العرب في العصور الأولى
خطوط التجارة والملاحة
الربع الخالي
العربية السعيدة
عمان
ظفار
اليمامة
الحيرة
تيماء
يثرب
الطائف
مكة
مدائن صالح (الحجر)
ديدان (العلا)
نجران
شبوة
عدن
سبأ
Arsinoe
Myos Hormos
Berenice
Ptolemais?
Adulis

شكل رقم (٥)

هوامش الفصل الأول

(١) كانت العاصمة الأولى هي مدينة صِرْوَاح.

(٢) كافة الكلمات الواردة ضمن الأطر المدبية (< >) مسجلة بلغة النص الأصلية.

(٣) لقد عثرنا على «سبأ» كاسم موقع في منطقة الأحساء شرقي جزيرة العرب، لكننا لم نجده مسجلاً في المعاجم الجغرافية.

(٤) في النص الأصلي <زء - بي - بي - ي \za-bi-bi-e> .

(٥) في النص الأصلي <(مء تو) ء - ري - بي \(matu) a-ri-bi> .

(٦) لم يتعرف أهل الاختصاص على نوعية الخشب المقصود الذي سمي في النص الأصلي بصيغة <ء شو \usu] و<أوركارينو \urkarinu> .

(٧) هذا النص وغيره من النصوص الآشورية التالية مأخوذة من المؤلف التالي:

Hugo Winckler: **Keilschriftliches Textbuch zum Alten Testament.** Leipzig, 1909.

أنظر أيضاً:

Rosmarin Trude Weiss: Aribi und Arabien in den babylonisch-Assyrischen Quellen. **Journal of the Society of 'Oriental Reserch'** vol. XVI 'January-April' 1932' numbers 1-2.

(٨) من الواضح أن النص يشير هنا إلى فرعون، أي فرع مصر الواقعة في جزيرة العرب، وفي النص الأصلي <في - ير - ع - و(ماتو) مو - صو - ري \pi-ir-' -u (matu) mu-su-ri> . أنظر حول هذه المسألة مؤلفنا: جغرافية التوراة - مصر وبنو يسرئيل في عسير. الريّس للكتب والنشر، لندن - قبرص ١٩٩٤.

(٩) في النص الأصلي <سا - ام - سي - هـ شار - رات (ماتو) ء - ري - بي \sa-am-si-e sar-rat (matu) a-ri bi> .

(١٠) في النص الأصلي <ء ت - ع - ام - ا - را (ماتو) سا - با - ء - اي \it-'am-a-ra (matu) sa-ba-' ai> .

(١١) في النص الأصلي <ء - دو - مو \a-du-mu> .

(١٢) في النص الأصلي <تل - خو - نو>

(١٣) في النص الأصلي <خا - زا - ءلو>

(١٤) المقصود هو (مكرب)، ويبدو أنه يشير إلى كهنة.

(١٥) أنظر نقداً لهذا الرأي في القسم الأول من الفصل المخصص لرواية بلقيس في التراث الديني - اليهودي.

(١٦) في النص العربي المترجم (بني سبأ)، لكن النص الكنعاني الأصلي لا يشير إلى <بني>، وإنما إلى (سبأ).

(١٧) أنظر عرضاً لكافة الآراء التقليدية بخصوص تحديد موطن سبأ في هذا النص التوراتي في مقالة Saba المسجلة في:

Pauly-Wissowa Realenzyklopaedie der Altertumswissenschaft.

(١٨) في النص الكنعاني الأصلي <وبني كوش سبء وحويله وسبته ورعمه وسبتكء وبني رعمه شبء وددن>، علماً بأن الاسماء الثاني والرابع والسادس مسجلة بحرف السامك. أما الاسم الثامن فمسجل بحرف الشين أو السين، ولذا فمن الصحيح لفظه بأي من الحرفين حيث لم يفرق بينهما إلاّ في مرحلة متأخرة للغاية. ومن غير المستبعد أنه عبث بالنص في مرحلة متأخرة، لكن هذه مسألة ثانوية بالنسبة لموضوع العمل.

(١٩) أي البحر الأحمر.

(٢٠) مادة (فوط) في معجم البلدان والقبائل اليمنية لإبراهيم أحمد المقحفي. صنعاء ١٩٨٨.

(٢١) علينا هنا تذكر مسألة عدم وجود قاعدة لنطق سين أو شين، والاختلاف يعود، وكما سجلنا آنفاً، إلى اجتهادات نحويي لغة التوراة الذين أضافوا نقطة على الحرف لتحديد كيفية نطقه.

(٢٢) **الكتاب المقدس**. جمعية الكتاب المقدس في لبنان ١٩٩٣.

(٢٣) في النص التوراتي الأصلي <مصريم>.

(٢٤) بحرف السين أو الشين في النص التوراتي.

(٢٥) في الترجمة العربية التقليدية دوماً بصيغة «الرب».
(٢٦) لقد عملنا على التقيد في ترجمتنا بأسلوب الكاتب الأصلي لأنها تعكس العقلية والذهنية التي كتبت بها.
(٢٧) The Geography of Strabo. Translated by: H. L. Jones. - Loeb Classical Liberary (LCL). London 1983.
(٢٨) كافة الكلمات الواردة ضمن الإطارات [ ] إضافات منا ـ ز. م.
(٢٩) Mesopotamia.
(٣٠) أي مضيق باب المندب.
(٣١) Larimnum.
(٣٢) Tripodes.
(٣٣) سياسي وجغرافي إغريقي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، كتب ١١ كتاباً جغرافياً لم يبق منها سوى مقتطفات قصيرة.
(٣٤) عالم إغريقي (٢٨٢ ـ ٢٠٢ق.م.)، كان رئيس مكتبة الإسكندرية.
(٣٥) **Diodorus Siculus.** Translated by: C.H. Oldfather. (LCL). London 1979.
(٣٦) في النص الأصلي Karbai، أي «مُكَرِّب».
(٣٧) أو الراتينج.
(٣٨) لقد أخطأ ديودور الصقلي في وصفه لأنها شجيرة وليست شجرة ضخمة.
(٣٩) Ambrosia.
(٤٠) أنظر كتابات هيرودوت (٣:١٠٧) عن المسألة، وإن أحيطت بخيال واسع.
(٤١) Sabae.
(٤٢) أثبتت التنقيبات واللقى الأثرية عدم صحة هذه المعلومة التي يوردها سترابو أيضاً.
(٤٣) الإله الإغريقي المسؤول عن نمو الحيوانات، وعادة ما يربط بالجدي أو الوعل.
(٤٤) حرفياً «مباركة».
(٤٥) Indos.
(٤٦) Herodot: **Das Geschichtswerk.** Ubertragen von Theodor Braun. Berlin 1958.
(٤٧) عالم روماني (٤٢ ـ ٧٩م.) ألف موسوعة كبيرة عن الطبيعة وتوفي أثناء انفجار بركان فيزوف.
(٤٨) Pliny: **Natural History** (LCL). Translated by: H. Rackham. London 1979.
(٤٩) كتب حوالى القرن الأول للميلاد.
(٥٠) وهناك من يحدد تاريخ حكمها في (١٥٠٣ ـ ١٤٨٢) ق.م.
(٥١) أنظر استعراضنا وتحليلنا لهذا السفر في مؤلفنا «بنو إسرائيل ـ جغرافية الجذور» ـ دار الأهالي، دمشق ١٩٩٥.
(٥٢) لا يوجد اتفاق بين أهل الاختصاص على موقع هذه البلاد والذي يكتب بصيغة (فنت) حيث يرى البعض بأن المقصود جنوب جزيرة العرب بينما يفضل آخرون الصومال. وهناك اتجاه ثالث يرى أن الاسم يشير إلى كلا الإقليمين. وقد شرحنا في مؤلفنا المشار إليه في الملاحظة السابقة قناعتنا بأن المقصود حضرموت إنطلاقاً من تحليل الاسم الذي وجب تسجيله على شكل (فلت) وليس «بونت» أو «فونت»، حيث يعني الاسم، وهو غير «مصري»، في لسان العرب بأنه «الموت»، وتكون بلاد الفونت (الفلت) هي حضرموت، أي بلاد الموت.
(٥٣) Atargatis.
(٥٤) Pritchard, J. The Age of Solomon. in: **Solomon Sheba.** London 1974, p. 47f.

الفصل الثاني

بلقيس ـ الأصل والاسم

لعله لم تشغل العلماء والبحاثة مادة في تاريخ العرب أكثر من اسم وأصل بلقيس. فقد أسهب في الكتابة عنها، وظهرت نظريات أو اجتهادات عديدة حول الاسم وأصوله واشتقاقه. وما زال البحث في اشتقاق هذا الاسم محل اهتمام علماء من كافة الاتجاهات والثقافات، باستثناء أصحاب القضية، ونعني بذلك نحن العرب. ومن الأمور المثيرة فعلاً للدهشة أن الإخباريين العرب الذين كثيراً ما بحثوا في فقه اللغة العربية وتفرعاتها واشتقاقات الأسماء وأصولها، ووضعوا لهذا الاتجاه اللغوي مؤلفات متخصصة، قد تجنبوا هذا الموضوع. بل إننا نجد أنهم اختلفوا في أصل واسم الملكة ـ ملكة سبأ ـ موضوع هذا الفصل. وسنقوم في هذا الفصل بطرح ومناقشة اجتهادات من كتب عن الموضوع من علماء أوروبيين، آملين أن نتمكن من إعطاء إجابة ما على الأسئلة المرتبطة بالمادة.

لقد نبهنا سابقاً إلى حقيقة أنه لم يعثر، حتى الآن، على أي أثر للاسم «بلقيس» في الآثار التي عثر عليها في المشرق العربي، رغم كثرتها. كما أن كتابات الإخباريين العرب، خصوصاً تلك التي تعالج اشتقاقات الأسماء، لم تقدم أي شرح للاسم. والاستثناء الوحيد هو قول ابن نشوان الحميري (توفي سنة ١١١٧م) التالي:

«وبلقيس اسمان جُعلا اسماً واحداً مثل حضرموت وبعل بك، وذلك أن بلقيس لما ملكت بعد أبيها الهدهاد قال بعض حمير لبعض ما سيرة هذه الملكة من سيرة أبيها، فقالوا بلقيس، أي بالقياس، فسُميت بلقيس»[١].

ورغم إشارته إلى بلقيس في «القصيدة الحميرية»[٢]، نرى أنه يتجنب محاولة تفسير معنى الاسم هناك.

لكن عندما نستشير معاجم عربية متخصصة باشتقاقات الأسماء، ومنها على سبيل المثال

كتاب «الاشتقاق»[٣] لابن دريد (توفي سنة ٨٣٧م)، وهو أحد أهم ما وصلنا من كتابات الإخباريين عن المادة، نلاحظ قوله في مجال الحديث عن نسب عرنجج من حميَر:

«وهذه أسماء قد أُميتت الأفعال التي اشتقت منها.... وقد عرّفتك آنفاً أن هذه الأسماء الحميرية لا تقف لها على طريق اشتقاق، لأنها لغة قد بعدت وقَدُمَ العهد بمن كان يعرفها».

وبكلمات أخرى، يقول ابن دريد أنه لا يعرف أصول أو اشتقاقات أسماء الحميريين. لكننا نراه يخرج عن هذه القاعدة في المؤلف نفسه وعند الحديث عن سَدد بن زُرعَة، ليقول التالي:

«زوج بلقيس، كان سليمان عليه السلام قال: «لا تصلح امرأة بلا زوج»، فزوّجها سليمان منه، وكان اسمها يَلمَقَة(*). و«اليلمق» القَباء المحشو، ويقال إنه فارسي معرب(**)».

ومن المثير للانتباه أن ابن دريد ينسب زوج بلقيس إلى حِميَر، لكن من غير الواضح أنه ينسبها هي إلى القبيلة نفسها. وفي مجال الإشارة إلى سبأ كاسم علم واسم قبيلة، ومعنى الاسم واشتقاقه، قال:

«سبأ» مهموز. قال الكلبي: اسمه عبد شمس. وقال قوم: اسمه عامر، وسبأ اسم يجمع القبيلة كلهم، وهو في التنزيل مهموز... فمن صرف سبأ جعله اسم الرجل بعينه، ومن لم يصرف جعله اسم القبيلة، واشتقاق «سبأ» من قولهم: سبأت الخمر أسبؤها سبئاً، إذا اشتريتها... أو من قولهم: سَبأت النارِ جلدةُ إذا أثّرت فيه».

واقع الأمر أن لغة الحبشة الأمهرية هي الوحيدة التي لا تزال تحمل مفهوم الاسم «سبأ» الذي يعني «أناس» «بشر». وقد عرفت العديد من شعوب الإقليم وخارجه نفسها بأسماء شبيهة ومنها قدماء المصريين الذين نسبوا أنفسهم لبلادها <طء> التي تعني (مصر)، (أرض).

أما ابن جرير الطبري (توفي سنة ٩٢٣م)، صاحب كتاب «تاريخ الأمم والملوك»[٤] والمعروف باسم «تاريخ الطبري»، فيقول فيما يخص نسب بلقيس التالي:

«وهي فيما يقول أهل الأنساب يلمقه ابنة اليشرح، ويقول بعضهم: ابنة إيلي شرح، ويقول

(*) هنا يضيف محقق الكتاب التالي: (في الحكم: الهاء والدال. وهدد اسم لملك من ملوك حمير، وهو هدد بن هماد، يروى أن سليمان بن داود عليهما السلام زوجه يلمقة، وهي بلقيس بنت يليشرح). ويليشرح، هي في الأصل: «يلب شرح»، وفي المحبر لابن حبيب ٣٧٦ والطبري ١:٢٥٤ «اليشرح» وهما لغتان. وفي التيجان ١٣٥ أنها بلقيس بنت الهدهد. وفي الطبري: يقول بعضهم: ابنة إيلي شرح. ويقول بعضهم: ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح. أنظر استعراضنا لكتابات الطبري في الملحق الوارد في القسم الأخير من عملنا.

(**) نلاحظ أن ابن منظور والفيروزأبادي يسجلان في مادة «يلمق/ اليلمق» الشيء ذاته، أي بالقول (فارسي معرب)، لكنهما، وعلى عكس ابن دريد، يحسمان الأمر. ومن الواضح أن ابن دريد لم يكن مقتنعاً بذلك الشرح، ويتضح شكه من خلال القول (ويقال إنه...). ومن المرجح أن الجملة الأخيرة التي تشرح معنى «اليلمق» عبر الفارسية هي إضافة من محرر فارسي.

بعضهم: ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان».

أي أنه يتفادى الحسم في هذه المسألة لأنه يُرجع النسب المسجل إلى «ما يقول أهل الأنساب».

ويعرف البكري (توفي سنة ١٠٩٣م) الموقع «أيرَم» في كتابه «معجم ما استعجم»[٥] بالقول: بفتح أوله وبالراء المهملة، من مصانع حِمير باليمن، قال علقمة بن ذي جدن:

هل لأناس مثل آثارهم ... بأيرم ذات البناء اليفع

أو مثل صِرواح وما دونها ... مما بنت بَلقيس أو ذو بَتَع[٦]

لكننا نجد أنه يشير إلى يَلْمَقَة على أنه موقع حيث يقول أنه (من مصانع الجن، التي بنتها الجن على عهد سليمان عليه السلام، وكذلك سلحين وبينون وغمدان[٧]، لم ير الناس مثلها، هدمتها الحبشة إذ غلبت على اليمن، قال الحميري:

هونك ليس يرد الدمع ما فاتا ... لا تهلكي جزعا في إثر من ماتا

أبَعد بينون لا عين ولا أثر ... وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

وقيل: إنما سمي هذا الموضع يلمقة، على وزن يَعمَلَة، باسم بلقيس بنت هَدَّاد بن شَرح بن شرحبيل بن الحارث الرائش، صاحبة سليمان، اسمها يَلمَقَة، على وزن يعملة، وقال الهَمْداني: وتفسيره: زُهرَة، لأن اسم الزهرة في لغة حمير: يَلمَقَة وألَمَق، واسم القمر: هَيْس)[*]. ونراه يسجل في قسم آخر من كتاب «معجم ما استعجم» أن أم بلقيس من الجن، يقال لها يلغمة بنت شيصبان.... وهذا الاسم يذكرنا بأحد «أسماء» بلقيس، أي «يلقمة»، مع وجوب عدم استبعاد احتمال التصحيف في نقل الاسم، وإن كنا نستبعد ذلك[**].

أما ابن منظور (توفي سنة ١٣١١م) صاحب «لسان العرب»[٨]، فيقول في باب «سبأ» التالي:

«وسبأ: اسم رجل يَجمَع عامة قبائل اليمن، يُصرف على إرادة الحي[٩]، ويترك على إرادة القبيلة... وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، يُصرف ولا يصرف، ويُمد ولا يُمد. وقيل: اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس... وقال الزَّجّاج: سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال. ومن لم يَصرف فلأنه اسم مدينة، ومن صرفه فلأنه اسم البلد، فيكون مُذكراً سُمي به مذكر. وفي الحديث ذكر سبأ، قال هو اسم مدينة بلقيس باليمن».

(*) هذا تصحيف لـ «هبيس». وقد عثر في النقوش العربية الجنوبية على إشارة إلى «هبس/ هوبس»، وهو الإله القمر.

(**) من المؤكد أن الهمداني، وعلى وعكس ما قاله، لم يكن يعرف لغة المسند. فقد ارتكب خطأ بالقول إن الحميريين يضعون فاصلاً بين كل كلمتين، بينما أثبتت اللقى الأثرية أنهم، كغيرهم من العرب اليمانيين، كانوا يفصلون كل كلمة. هذا لا ينفي أنه كان قادراً على قراءة بعض الأحرف (عددها ٢٩ حرفاً ساكناً) أو الكلمات، وليس أكثر من ذلك.

لكنه يقول في مجال الإشارة إلى مادة «هدد» التالي:

«هُدَدُ: اسم لملك من ملوك حمير وهو هُدد بن هَمَّال، ويروى أن سليمان بن داود، عليهما السلام، زوّجه بَلْقه وهي بِلقيس بنت بلبشرح... والهدَهَد أصوات الجن ولا واحد له».

ونراه يسجل في باب «بلق»، التالي:

«البَلُوقة مكان صلب بين الرمال كأنه مكنوس تزعم الأعراب أنه من مساكن الجن».

وسنعود إلى الفهم الأخير في قسم لاحق، ووجب تذكره الآن.

وقد شارك ابن حزم الأندلسي (توفي سنة ١٠٦٤م) في النقاش عن حمير عبر مؤلفه «جمهرة أنساب العرب»[١٠] حيث نقرأ: (ومن قبائل حمير: الأوزاع، وهم بنو مرثد بن زيد بن شَدَد بن زُرعة بن سبأ الأصغر ابن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير... ويقال إن شَدد بن زُرعة هذا كان زوج بلقيس).

ويعرّف بلقيس بأنها: (بلقيس بنت إيلي أشرح بن ذي جَدَد بن إيلي أشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي... وهم من التبابعة، وهم من بني حِمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وولد حِمير بن سبأ: الهميسع، ومالك، وزيد، وعريب، ووائل، ومسروح، وعميكرب، وأوس ومُرة.... وكان التبابعة وملوك حمير من ولد صيفي بن سبأ الأصغر... فمن ولد صيفي بن سبأ هذا: تُبَّع، وهو تِبَّان، وهو أيضاً أسعد أبو كِرب بن ملكيكرب، وهو تُبَّع بن زيد وهو تُبَّع)...

ولم يتخلف الهمداني (توفي سنة ٩٤٥م) عن المشاركة في النقاش حيث أبدى رأيه في كتاب «المشتبه»[١١] بالقول:

«الأشارح – إلى شَرَح يحضب بن الصَّوّار إلى شرح بن شرحبيل جد بِلقيس. ويقال شَرَح ذو شَرَح بن كَرِب بن شمَّر أبو تُبَّع الأخنق.... إلى شرح ابن بَرِيل الذي يختلف نُسّاب حمير في نسب بِلقيس إليه...».

لكنه في مجال الحديث عن أذواء هَمْدان يقول:

«وآل الخيار بن مالك ذو القرنين بن مالك بن الحارث بن الخيار... ذو بَتَع بن موهب إل صاحب بلقيس...».

وهو لا يذكر بلقيس في مؤلفه «صفة جزيرة العرب»[١٢] إلاّ مرة واحدة في قصيدة بالارتباط مع بناء حيث يسجل:

بلاد ملك ضل من يقيس	أرضاً بصنعاء لها تأسيس
ما لم يُعدّ الحرم الأنيس	أرض بها غُمدان والقليس
بناهما ذو النجدة الرئيس	تبّع مُلك وبنت بلقيس

فهو البناء الأقدم القدموس ... بقول صدق ما به تلبيس

إن صرحت شعواء دردبيس ... والعز فيها والندى والكيس

ويروى يحضب شرح وبنت بلقيس، غُمدان والقليس محفدا صنعاء، وقد ذكرنا أخبارهما في كتاب الإكليل.

وفي ذلك الكتاب، كتاب «الإكليل»[١٣]، يطلق الهمْداني على بلقيس اسم بلقمة والقمة، علماً بأن الاسم يرد في الكتب ١ و٢ و٨ و١٠ من المؤلف. ونراه يقول في مجال الحديث عن والد بلقيس أن اسمه:

«الهدهاد بن شرح بن شرحبيل بن الحارث بن الرايش، وهو اسم قد يخفف إلى هَدَاد وهدَّاد».

ويضيف:

«... قال بعض النسابة من حمير وعليه زعم اعتمادهم: أنها من ولد ذي سَحَر، وقد أثبتها في ذي سحر وفي هذا المكان. وقال الهمداني: ما يدل على هذا التاريخ في عصر سليمان إلاّ ثبات نسبها إلى الرايش لأن الناس اختلفوا في تزويجها، فقال أكثر الناس: زوجها ذا بتع ملك همدان وقال آخرون: زوجها بسدد بن زرعة وهو حمير الأصغر، وذو سحر من ولد سدد بن زرعة، وبيان ذلك قول تُبّع:

عمتي الخير حين يذكر بلقيـ ... ـس ومن نال مطلع الشمس خالي

يريد أن هو وإياها ولد الرايش، وأنها أرفع في النسب فجعلها عمته [ولو كانت من ولد جشم بن عبد شمس في أرفع درجته في النسب لصلح أن يقول عمته] كما قال ذو القرنين خاله، وهو أبعد نسباً. وجملة القول إن حمير لم تكن ترضى بولاية امرأة من غير ولد الصوار».

ويضيف محرر مؤلف الإكليل السيد محمد بن علي الأكوع الحوالي أن بلقيس من بني ملطاط لا من حمير الأصغر. وفي قسم آخر من الإكليل نراه يقول إن الهدهاد بن شرح أولد بلقيس وهي المقه وشمسا ابنتي الهدهاد، ويضيف قولاً منسوباً إلى تُبّع هو:

ولدتني من الملوك ملوكاً ... كل قيل متوج صنديد

ونساء متوجات كبلقيس ... وشمس ومن لميس جدودي

وقد سجل سبط بن الجوزي (توفي سنة ١٢٥٧م) في مؤلفه «كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» أن بلقيس (لقب لها واسمها بلقمه بنت الهدهاد بن شرحبيل).

وقام ابن سعيد (توفي سنة ١٢٨٦ أو ١٢٧٤م) بالإشارة إليها في مؤلفه «كتاب نشوة الطرب في تأريخ جاهلية العرب» على نحو (بلقيس بنت الهدهاد).

وسجل الفيروز أبادي (توفي سنة ١٤١٤م) في معجمه «القاموس المحيط»[١٤] تحت باب «الهمزة» التالي:

سبأ (بلدة بلقيس ولقب ابن يشجب بن يعرب واسمه عبد شمس يجمع قبائل اليمن عامة).

وقد أشار الواقدي (توفي سنة ٨٢٤م) في كتابه «حروب الردة»[١٥] إلى بلقيس في مجال الحديث عن المشاكل التي نشأت مع بني حنيفة والبحرين، ورغم أنه لم يحاول تقديم أي شرح للاسم، وهو ليس من صلب موضع مؤلفه على أية حال، إلاّ أن المحقق أورد نسبها، اعتماداً على مصادر بعض الإخباريين العرب، على النحو التالي:

(وهي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر بن سكسك، من حمير).

كما أورد أخباراً تعكس ما كان سائداً في ذلك العصر عنها، وسنعود إلى ذلك في فصل لاحق[*].

وسجل المسعودي (توفي سنة ٩٥٧م) في مؤلفه «مروج الذهب»[١٦] اسمها على نحو بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو الرائش.

أما ابن خلدون (توفي سنة ١٤٠٦م) فيسجل في مؤلفه «كتاب العِبر» ـ نقلاً عن المسعودي ـ أن اسم بلقيس (يَلْقَمَة بنت اليشرح بن الحرث بن قيس...)[١٧]. ولكننا نجد أنه يسجل ـ نقلاً عن أبي الحسن الجرجاني عن «آخرين» ـ القول:

«... حتى نشأت بلقيس بنت اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي فقتلته غيلة، ثم مَلَكت...)[١٨].

وفي مجال الحديث عن زوج بلقيس الأول، الذي يشير إليه «كتاب التيجان» باسم عمرو ذي الأذعار، نرى أن ابن خلدون يعّرفه ـ أيضاً نقلاً عن أبي الحسن الجرجاني، نقلاً عن «آخرين» ـ بأنه زهير بن عبد شمس أحد بني صيفي بن سبأ الأصغر، ويصفه بأنه:

(كان فاسقاً مجرماً يفتض أبكار حمير حتى نشأت بلقيس بنت اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث...)[١٩]. كما نجد أنه يعرّف بلقيس هنا ـ نقلاً عن ابن سعيد ـ بأنها «بلقيس بنت الهدهاد».

وقال ابن عبد ربه (توفي سنة ٩٤٠م) في مؤلفه «العقد الفريد»:

«ومن بني صيفي من سبأ بلقيس، وهي بلقمة بنت آل ذي شرح».

(*) (... وهي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر بن سكسك، من حمير، يمانية من أهل مأرب... وليت العهد من أبيها (في مأرب) وطمع بها عمرو بن أبرهة ذو الأذعار صاحب غمدان فزحف عليها فانهزمت إلى الأحقاف متخفية بزي أعرابي، فأدركها رجال ذي الأعقار فاستسلمت، وأصابت منه غرة في سكر فقتلته، ووليت أمر اليمن كله وانقادت لها أقيال حمير، فزحفت بالجيوش إلى بابل وفارس فخضع لها الناس، وعادت إلى اليمن فاتخذت مدينة (سبأ) قاعدة لها، تزوجها النبي سليمان بن داود وأقامت معه سبع سنين وأشهراً، وتوفيت فدفنها بتدمر، انكشف تابوتها في عصر الوليد بن عبد الملك وعليه كتابة تدل أنها ماتت لإحدى وعشرين سنة خلت من ملك سليمان، فأمر أن يبنى على التابوت بالصخر). وقد أورد المحقق هذه المعلومات اعتماداً على المؤلفات التالية: «كتاب التيجان» للحميري؛ «نهاية الإرب في فنون الأدب» للنويري؛ «شرح المقامات» للشريشي؛ «الدر المنثور»؛ و«الأعلام» للزركلي.

سنتوقف الآن عن هذا العرض قبل أن يجبر الملل القارىء على وقف المتابعة، لكننا رأينا ضرورة سرده حتى نوضح مدى تعقد واختلاط المسألة في ذهن العرب. فعند مقارنة ما كتبه الإخباريون، نجد اختلافاً بينهم في نسب بلقيس، وهو الأمر الذي لاحظه الهمداني والذي سجلناه أعلاه. ومن الممكن أن نجد في تعليقه... (وكان بحاثة قد لقي رجالاً وقرأ زُبُر حمير القديمة وكانت أسماء فيها ثقل فخففتها العرب وأبدلت فيها الحروف الذلقية وسمع بها الناس مخففة ومُبْدَلة، فإذا سمعوا منها الاسم الموفّر خال الجاهل أنه غير ذلك الاسم وهو هو)[٢٠] شرحاً لجزء من المشكلة التي لاحظها الطبري أيضاً[٢١]، إلاّ أن ذلك لا يحل المعضلة. ولنا اجتهاد آخر في الموضوع حيث نرى أن الاختلاف في نسب بلقيس أبعد من أن يردّ إلى تباين في نطق الأسماء، ونميل هنا للأخذ بجانب من رأي ابن حزم الأندلسي الذي قال في مجال التعليق على نسب التبابعة أنه:

«وفي أنسابهم اختلاف وتخليط، وتقديم وتأخير، ونقصان وزيادة. ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلاّ طرف يسير، لاضطراب رواتهم وبُعدِ العهد»[٢٢].

فبينما من الممكن أن نرجع بعض الاختلافات إلى خطأ في نقل الاسم عند كتابة المخطوطة، أي ما يعرف بالتصحيف، لكن هذا أيضاً لا يشرح كل المشكلة ونعتقد بأن المقصود شخصيات مختلفة، وسنعود إلى بحث هذه المسألة تفصيلياً في الفصل التالي.

كما واختلف الإخباريون العرب في مكان دفنها حيث نجد أن بعضهم، مثل ابن الأثير (توفي سنة ١٢٣٢م)، يقول بأن ذلك كان في تدمر، بينما يشدد الهمداني صاحب «الإكليل» على أنها دفنت بمأرب. ونلاحظ وجود مشكلة بخصوص تعريف والدها حيث سجل أحياناً بأنه «الهدهاد»، وأحياناً أخرى على صورة «هدد» ـ هذا رغم قول الهمداني بالخصوص، والذي يمكن وكما قلنا سابقاً أنه يشرح جزءاً من المعضلة، لكن ليس كلها.

إذن عرف الإخباريون العرب بلقيس ـ ملكة سبأ بعدة أسماء هي بلقمه، بلقمة، بلقمه، يلقمة، يلمقة، القمة، والمقه... إلخ. ولم نجد غير نشوان الحميري يعطي تفسيراً للاسم. برأينا أن قول العرب إن اسم الملكة أي من الأسماء المذكورة آنفاً يعني بأن اسمها ليس بلقيس، ونرى أنه صفة ليس إلاّ. فلو كان اسمها فعلاً بلقيس، لما نشأت الحاجة إلى إطلاق «أسماء» أخرى عليها. وهنا يكمن جوهر المشكل ـ كما نرى. فإذا بحثنا في «أسماء» ملكة سبأ، لوجدنا أنها لم تكن دارجة بين العرب. كما أنه لم يرد في أي من اللقى الأثرية إطلاقاً(*)، بما يجعلنا نرجح، أو حتى نحسم بأن الاسم يلقمه، يلمقه... الخ، ما هو إلاّ اسم الإله العربي الجنوبي المقه <ءلمقه>، أي

(*) يشير المرجع التالي ذكره أن عالم الآثار الإنكليزي سير هنري كرسويك (١٨١٠ ـ ١٨٩٥) قرأ الاسم بلقيس في نقوش مسمارية عثر عليها في شمال شرقي الخليج العربي. لكن أهل الاختصاص لم يتعاملوا بجدية مع هذا الرأي، ولم نعثر على أية إشارة أخرى للمسألة. H. Ewald: **Geschichte des Volkes Israel. S. 389**.

(القمر)، والذي كثيراً ما ورد في النقوش العربية الجنوبية، السبئية وغيرها. وقد رأينا أن الهمداني، وهو من اليمن وصاحب أهم مؤلفات عن ذلك الإقليم العربي، يسجل أن اسم الزهرة في لغة حمير: يَلمَقَة وألمَق. وهذا ما يشرح، برأينا، تباين تسجيله في كتابات الإخباريين العرب، أي يلمقه، يلمقة، بالمقه... الخ. فالصيغة الأخيرة، على سبيل المثال، ما هي إلاّ شكل من أشكال القول بأن صاحبته كانت متعبدة لذلك الإله.

ويلاحظ أن بعض الإخباريين العرب أشاروا إلى وجود أخت لبلقيس هي شمس، والذي يذكرنا فوراً بقول بعض الإخباريين العرب بأن بلقيس تعبدت للشمس. ولا يمكن هنا إهمال النقوش الأكادية الآنف ذكرها والتي تشير إلى ملكة عربية باسم «سمسي»، أي «شمس»، وهو اسم والدة بلقيس وفق إحدى الروايات التي سنستعرضها لاحقاً. هذا يقدم دعماً إضافياً لرأينا بأن المقصود هنا ليس اسم شخص معين، وإنما رمز أو إشارة إلى مرحلة معينة من تاريخ العرب الجنوبيين عندما كانوا يُحكمون من قبل نساء، وكذلك تعبدهم للقمر، وسنعود إلى هذه المسألة في الفصل التالي عند الحديث عن بلقيس ـ الميثولوجيا وبلقيس ـ القصة والتاريخ.

وهنا نعود للتذكير بأن اللقب «تُبَّع» لم يرد ـ حتى الآن ـ في النقوش العربية كاسم بمفرده، وإن سجل كقسم من اسم، ومن ذلك بصيغة (تبعكرب) حيث فهم أن الشخص المقصود كان قائداً لجيش ملك سبأ وذي ريدان[٢٣]. رغم كل هذه المشاكل، نقول إن ذاكرة العرب المتواترة شفوياً لم تخطىء بشكل كامل حيث عثر في اللقى الأثرية باليمن، على بعض الأسماء الواردة في كتابات الإخباريين العرب، ومن ذلك «مرثد» التي أشار إليها ابن حزم الأندلسي. كما نجد إشارة، في اللقى الأثرية أيضاً، إلى قبيلة تنوخ التي ورد ذكرها في كتابات الإخباريين، بما يؤكد الأرضية التاريخية لجوانب من الرواية. وقد أدرك بعض الإخباريين هذه الحقيقة، لكنهم عزوا التباين إلى ضعف الذاكرة بسبب طول الفترة الزمنية التي تفصل عن الحقيقة التاريخية. ونضيف هنا أن تلك الذاكرة الشعبية فذة حقاً حيث حفظت لنا، عبر ما يقارب خمسة عشر قرناً، معلومات عن بعض قبائل العرب المندثرة. لذا، يمكننا القول، أن العرب عرفت قديماً ملكات حكمن في جنوبي جزيرة العرب، وهو ما أثبتته النقوش الآشورية التي استعرضنا بعضها في قسم سابق من العمل.

برأينا أن سبب التباين في نسب بلقيس هو أن الإخباريين العرب تناقلوا أخباراً تعود إلى شخصيات مختلفة، حكمت في أوقات مختلفة، لكن لم يكن لديهم أية معلومات أخرى عنها... باستثناء انتمائها القبلي، أي أنها وجدت كأشخاص. وقد خبت هذه المسألة عن الذاكرة الشعبية، الشفوية التواتر، ولم يبق منها الكثير. كما أننا على قناعة بأن بعض الإخباريين خلطوا بين بلقيس ملكة سبأ موضوع المؤلف، وبين ملكات أخريات حكمن في المشرق العربي، وهذا

موضوع سنتعامل معه بشكل مسهب في الفصل الرابع. لذلك كله نقول إن جانباً من قصة بلقيس هذه، حقيقي، لكن التاريخ اختلط على الناقلين حيث أدخل العديد من العناصر إليه.

الآن نوجه انتباهنا صوب معنى بلقيس. لقد رأينا أن ابن نشوان الحميري كان الإخباري الوحيد الذي حاول شرح اشتقاق الاسم في كتابه «شمس العلوم» حيث قال إن:

«بلقيس اسمان جعلا اسماً واحداً مثل حضرموت وبعل بك وذلك أن بلقيس لما ملكت بعد أبيها الهدهاد قال بعض حمير لبعض ما سيرة هذه الملكة من سيرة أبيها، فقالوا بلقيس، أي بالقياس، فسُميت بلقيس».

برأينا أن محاولة ابن نشوان الحميري إعطاء تفسير للاسم ما هو إلاّ محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ربما بسبب حماسته لبني قومه[٢٤]. لكن ابن دريد صاحب أهم عمل في موضوع أصول الأسماء واشتقاقاتها، والذي عاش قبل ابن نشوان بقرون، أدرك بعد المسألة، لذا نراه يأمن الجانب السلمي بالقول:

«وهذه أسماء قد أُميتت الأفعال التي اشتقت منها... وقد عرفتك آنفاً أن هذه الأسماء الحميرية لا تقف لها على اشتقاق، لأنها لغة قد بعدت وقَدُمَ العهد بمن كان يعرفها».

هذا لم يرق لباقي الإخباريين حيث التزموا جانب الصمت تجاه الموضوع، لكنهم سجلوا بأن اسمها لم يكن بلقيس وإنما يلمقه، بالمقه... الخ.

لقد لاحظ العديد من المستشرقين تجنب العرب البحث في اشتقاق الاسم بلقيس بما فتح أمامهم أوسع المجالات لعرض آراء لا يخلو بعضها من التعسفية، وسنقوم تالياً باستعراضها ومناقشتها. قبل ذلك، علينا ونحن نتعامل مع هذه المسألة تذكّر حقيقة أن هذا الاسم لا يرد، في كتابات الإخباريين العرب، لا كإسم علم أو غير ذلك، باستثناء الارتباط مع قصة ملكتنا[*]، وسنعود الآن إلى اجتهادات المستشرقين بهذا الصدد.

١) رجح المستشرق و. مونتغومري وات[٢٥] أن الاسم مأخوذ من المفردة اليونانية Pallakis - بمعنى «عشيقة» ـ عبر لغة التوراة، أي الكنعانية التوراتية المسماة خطأً بـ«العبرية»[**] حيث سجل الاسم بصيغة «فلجش/ فلجس»[***]، ويحرك، وفق الرأي التقليدي السائد، على

(*) يذكر ابن خلدون في ص ٢٣٠ من الجزء الثاني من «كتاب العبر» قبيلة من قضاعة باسم بلقيس. وحيث إننا لم نعثر على هذا في أي من كتابات الإخباريين العرب التي اطلعنا عليها، نرجح أن ذلك خطأً مطبعي، وأن المقصود قبيلة «بلقين». ويدعم اجتهادنا هذا أن هذه القبيلة حاربت مع الروم في غزوة مؤتة، وهو الخبر الوارد في كتابات ابن خلدون.

(**) إن تسمية لغة التوراة بأنها (عبرية) غير صحيح علمياً، وقد أوفينا هذا الموضوع ما يستحقه من بحث في مؤلفنا «بنو إسرائيل ـ جغرافية الجذور»، ولذا قمنا بوضع الصفة عبرية بين الأقواس الاعتراضية.

(***) ترد المفردة في العهد القديم بصيغة «فلجش/ فلجس» و«فيلجش/ فيلجس»، وترجمت في النسخة العربية المعتمدة للعهد القديم بمعنى «جارية» ـ أنظر مثلاً سِفر التكوين ٢٢:٢٤؛ ٦:٢٥ وسِفر صموئيل الثاني ٧:٣، ٢١:١١، وغيرها.

نحو «palegish». أما المستشرق أولندورف المتخصص بالحضارة الحبشية، فقد اتفق مع هذا الرأي، لكن دون أن يحسم رأيه في المسألة[٢٦]. وشارك في هذا الرأي العالم العربي نبيه أمين فارس[٢٧]، وسنناقش هذا الرأي بالتفصيل بعد الانتهاء من عرض باقي الآراء والاجتهادات.

٢) سّجل المستشرق الألماني شتاينشنايدر رأيه[٢٨] في النصف الأول من القرن الماضي بأن الاسم بلقيس تحوير ناتج عن إدغام المفردتين، «ملكة» و«سبأ» ـ (م ل ك ت س ب ء)، أي بإسقاط حرفي الميم والباء، وقلب الهمزة إلى ياء والكاف إلى قاف، ثم حدوث قلب استبدال جديد للأحرف! وعلى الرغم من أن القلب والإبدال هما من صميم منهجية البحث في هذا العلم، إلاّ أننا لا نجد أي مبرر لحدوثه في هذه الحالة. كما أننا لم نجد أي شرح مقبول لإمكانية ورود حالة إسقاط حرفين ساكنين هما الميم والباء، من الاسم. ولو كان ذلك الاحتمال وارداً لما فات على الإخباريين وفقهاء اللغة العرب حيث نتوقع أن يكون أحدهم، على الأقل قد طرحه.

٣) طرح المستشرِق الفرنسي دو ساسي[٢٩] رأيه بأن بلقيس تصحيف للاسم Nikaulis (نِقَوليس/ نِكولِس) الذي يرد في مؤلفات المؤرخ الفلسطيني أو السوري يوسفوس فلافيوس، وقد شارك هذا الرأي المستشرق الفرنسي رينان[٣٠]. إن الأخذ بهذا الرأي يفترض، دون أي دليل، أن التسمية انتقلت إلى العرب كتابياً فقط، وعبر مصدر واحد بما أدى إلى حدوث اختلاط في الأمر عندما نقل الاسم، أي بحدوث عملية تصحيف حيث سجل حرف الباء نوناً. ونظراً لغياب أية براهين أو حتى مؤشرات تدعم هذا الاجتهاد، نقول إنه من الصحيح إهماله. كما وجب الأخذ بعين الاعتبار بأن النطق العربي الدقيق للاسم الإغريقي أو اليوناني يجب أن يكون على شكل «نيكاوليس/ نيقاوليس» بما يشجعنا على نبذ هذا الرأي.

٤) أبدى المؤرخ موفرز رأيه في كتابه المهم عن الفينيقيين[٣١] بأن الاسم بلقيس يُذّكّر باسم الملكة المصرية Nitokris التي أشار إليها هيرودوت[٣٢]، والذي حور في مرحلة لاحقة ليضحي بلتيس Baltis حيث وظف للإشارة إلى الملكة سميراميس[*] التي سنعود إلى التعامل معها في فصل لاحق. لكن الواقع أن الإخباريين العرب عرفوا هذه الملكة المصرية، وقد أشار إليها العديد من الإخباريين باسم (دلوكة). فابن عبد الحكم يشير إليها في مؤلفه «كتاب فتوح مصر»[٣٣] ويربط فترة حكمها بعد انتهاء حكم فرعون صاحب موسى التوراة المزعوم. ونراه يقول في هذا المجال التالي: «... بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها إلاّ العبيد والأجراء والنساء، فأعظم أشراف من بمصر من

(*) لقد اختلط الأمر على هيرودوت بهذا الخصوص حيث خلط بين اسم ملكة مصرية من الأسرة السادسة وبين زوجة نبوخذ نصر البابلي.

النساء أن يوليهن أحد، وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهم يقال لها دلوكة ابنة زبّاء(*)، وكان لها عقل ومعرفة وتجارب...». كما أشار الكاتب نفسه إليها بصفة (العجوز دلوكة)[٣٤].

وقد وجدنا في المؤلف المشار إليه في الحواشي[٣٥] دليلاً على أن العرب عرفوا بلتيس وسجلوا اسمها بصيغة (بلثي)، علماً بأن الكاتب يعيد النص المنشور بالعربية واللاتينية إلى كتاب «الفهرست» لابن النديم. وهناك نقرأ التالي: (نسخة ما قرأته بخط أبي سعيد بن إبراهيم النصراني من القربانات: يوم الأحد للشمس واسمها إيليوس، يوم الاثنين للقمر واسمه سين، يوم الثلاثاء للمريخ واسمه أريس، يوم الأربعاء لعطارد واسمه نبوق، يوم الخميس للمشتري واسمه بال، يوم الجمعة للزهرة واسمها بلثي، يوم السبت لزحل واسمه قرنس). كما يشير إليه مرة أخرى بالقول: (...كانون الأول في اليوم الرابع منه ينصبون قبة يسمونها الخِدر لبلثي، وهي الزهرة الإلهة برقيا ويسمونها الشحمية...)[٣٦]. هذا يوضح، برأينا، أن العرب كانوا يعرفون الكتابات الإغريقية والسريانية وغيرها عن الموضوع بما ينفي إمكانية أن الأمر اختلط عليهم في هذه المسألة.

٥) قال المستشرق الألماني ألفريد فون كرمر[٣٧] أن الاسم بلقيس ناتج عن خطأ في قراءة الاسم اليوناني القديم نيكاوليس = نقليس = بلقيس؟ المشار إليه أعلاه. وشارك في هذا الرأي المستشرق الفرنسي هالفي[٣٨] عبر العملية التالية: نكليس ـ بكليس ـ بلكيس ـ بلقيس!! هذا يفترض أن الاسم انتقل كتابياً وعبر مصدر واحد، وهو أمر يمكن إهماله.

٦) وضع العالم الفرنسي كاررا دي فو احتمالين لأصل الاسم أولهما المفردة اليونانية Pallaxis/ Pallkis، أو عبر عملية استبدال وقلب للاسم Nikaulis الذي أورده المؤرخ السوري يوسفوس فلافيوس. وشارك في هذا الرأي المستشرق الألماني يوزف هروفتز[٣٩]. وأيد هذا الرأي المستشرق الألماني برنهارد هللر[٤٠]. أما عالم التوراة الألماني كراوس فقد رأى[٤١] أن أصل الاسم مأخوذ من كتابات يوسفوس فلافيوس «نِكليس ـ Niklis»! وناتج عن تصحيف (نكليس ـ بلقيس).

٧) المستشرق الألماني غستاف روش سجل رأيه الخاص في المقالة المشار إليها أدناه والتي لا تزال أفضل بحث في الموضوع ـ بأن أصل الاسم هو المفردة اليونانية Pallaxis, Pallakis، لكنه وعلى عكس غيره من العلماء، دعم رأيه بالقول بأنه انتقل إلى العرب، وإلى اليمن تحديداً، عبر التجارة البحرية مع مصر، وهو أمر مثبت تاريخياً منذ السيطرة الرومانية على الإقليم[٤٢].

٨) كان للمستشرق الفرنسي درامي[٤٣] رأي مختلف تماماً وطرحه قرب نهاية القرن الماضي

(*) سنعود إلى هذا النعت القبيح حقاً في الفصل التالي.

وعبّر عن اعتقاده بأن الاسم بَلقيس أو بِلقيس دمج لكلمة «بل وكيس»، بمعنى «صاحبة الكنز/ صاحبة الكيس ـ حرفياً «العشيقة»»، ومن ثم عملية قلب لحرف الكاف إلى قاف. برأينا أنه من السهل إهمال هذا الرأي تماماً لأننا لا نجد أي رديف له لا في اللغة العربية ولا في اليونانية أو غيرها، ولو كان لهذا الرأي أية أرضية تاريخية أو لغوية، لرأينا أن الإخباريين العرب قد استعانوا بها.

وقامت مؤخراً باحثة نمساوية اسمها روزفيتا ستيغنر[٤٤] بكتابة رسالة دكتوراه عن الموضوع طرحت فيها آراء جديدة. ومن المقترحات التي قدمتها في البحث احتمال أن الاسم عربي، وهو صيغة مختصرة لـ«بنت القيس ـ بـ القيس». ومن ضمن ما رأته من دعم لفرضيتها أن العرب عرفوا إلهاً باسم «قيس»، واستشهدت بوجود العديد من أسماء القبائل التي تختزل الصيغة ومنها بنو الحارث وبنو القين حيث يدمج ليضحي بلحارث وبلقين(*)... الخ. ورغم أنه لا غبار على الصيغ الأخيرة، إلاّ أن افتراض سقوط حرفين ساكنين، أي (التاء والنون) من المفردة (بنت) أمر يصعب تقبله لعدم توفر أية شواهد له في الكتابات العربية. ونقطة اعتراضنا الأخرى على هذا الاجتهاد أن العرب عرفت تحريكين مختلفين للاسم بلقيس هما «بَلقيس» و«بِلقيس»، ولو كان الاسم هو نتاج دمج «بنت» والإله «قَيس»، لوجدنا صيغة واحدة للاسم على شكل «بِلقَيس». لكن غياب هذه الصيغة يجبرنا على إهمال هذا الاجتهاد. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن العرب لم تعرف مثل هذه الصيغة الدمجية في أسماء العلم، وهذه مسألة مهمة. لكن الكاتبة لم تلتزم باجتهاد واحد لأنها عرضت رأياً آخراً يضع احتمال أنه صيغة دمجية لـ«بنت» و«قسيس» ـ قس/ بت القسيس ـ بتلقيس ـ بلقيس! ووجدت دعماً لرأيها في حقيقة ورود المفردة «قسيس» في المصطلحات العربية الجنوبية، ونجران تحديداً بدءاً من النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد، وهو أمر ثابت من خلال اللقى الأثرية. وهنا لا يمكننا الموافقة على هذا الرأي أيضاً للسبب نفسه المرتبط باجتهادها الأول، أي عدم ورود حالة الإدغام بين (بنت) وأي اسم ملحق في العربية. كما أن وروده في هذه الفترة الحديثة نسبياً يحد من الفترة التي نشأ فيها الاسم. ويضاف إلى ذلك حقيقة أن العرب لم يشيروا إليه لو أنه كان وارداً.

ولم نعثر بكل أسف على أي مؤلف بالعربية عن المسألة بما يعكس مدى إهمالنا لهذا الموضوع المهم والذي يشكل، برأينا، أحد أهم ما كتب في تاريخ العرب الأول. والاستثناء الوحيد هو المقال المختصر للسيد عبد المجيد همو[٤٥]، حيث طرح الكاتب مجموعة من الآراء حول الاسم مؤكداً أنه ليس عربياً[٤٦]، ثم يعود ليضع احتمال أن أصل الاسم «بعل» و«قيس» حيث دمج في مرحلة لاحقة ليضحي بلقيس. ثم يرى أنه «أغرقة» لاسم عربي «البلقاء» ـ لكنه لم يعثر على أثر لمثل هذه التسمية في المراجع العربية القياسية والحديثة. وسجل الكاتب في مجال استعراض

(*) إن حرف النون لم يلغ هنا من الاسمين وإنما قلب إلى لام وأدغم مع اللام الأخرى.

الأسماء التي استخدمت للإشارة إليها، أن المؤرخ اليهودي ـ كذا[٤٧] يوسفوس فلافيوس أطلق عليها اسم نوفاليس ـ لكن دون أن يشير إلى النسخة التي استشارها لهذا الخصوص، لا في الحواشي ولا في سجل المراجع؛ ليستنتج أن أصل الاسم «نوفلة»، ويضيف «أن نوفل ونوفلة اسمان عربيان لا غبار عليهما؟» لكننا لم نعثر في ما توفر لنا من مراجع على أن العرب عرفت «نوفلة» كاسم علم مؤنث. لكن هذه المسألة فعلاً جانبية عندما نعرف أن يوسفوس فلافيوس لم يشر إلى ملكة سبأ بالاسم «نوفاليس» Nofalis كما سجل السيد همو، وإنما بصيغة نيكاوليس Nikaulis، والفارق بين الصيغتين كبير.

وقد طرح بعض العلماء الآنف ذكرهم الرأي بأن الاسم بلقيس استحدث بعد الإسلام بمرحلة طويلة. لكننا نرفض هذا الرأي ونعتقد أنه معروف منذ عصور قديمة، ومن دليل ذلك عدم قيام أي من الإخباريين العرب بطرح هذه المسألة. كما وجب التذكر بأن أمية بن أبي الصلت أشار إلى الاسم في شعره.

وقد عرّج شوقي عبد الحكيم[٤٨] على قصة بلقيس باختصار شديد، لكن دون أن يحلل مكونات الرواية أو يبحث في الاسم. والشيء نفسه تجنبه د. محمد عجينة[٤٩] الذي تعامل مع الرموز التي ترد أيضاً في قصة بلقيس، لكنه لم يفِ الرواية نفسها ما تستحقه. والأمر ذاته ينطبق على مؤلف د. أحمد إسماعيل النعيمي[٥٠]، رغم تقييمنا العالي للمؤلفات الثلاثة.

الآن، وبعد أن استعرضنا الاجتهادات المرتبطة بموضوع اسم ملكة سبأ هذه، نود العودة لمناقشة بعض الآراء المطروحة أعلاه آملين أن نصل إلى حل مقنع لهذه المعضلة المستحكمة.

نلاحظ، من خلال مراجعة كتابات الإخباريين العرب، أنهم جميعاً، باستثناء نشوان الحميري، سجلوا أن بلقيس لقب، أي أنهم قالوا، وإن بطريقة غير مباشرة، أن «بلقيس» لم يكن اسمها. ولو كان الحال فعلاً كذلك، لما نشأت الحاجة إلى إعطائها اسمين. وانطلاقاً من حقيقة أن كافة الإخباريين العرب عرفوا بلقيس بأنها هي المشار إليها في سورة النمل، نستغرب إصرارهم على إعطائها اسماً. كما أننا نجد من الغريب فعلاً أن أحداً منهم، على ما وصلنا من كتابات، لم يستنكر ذلك، أو حتى طرح المسألة. ونحن لا نفهم تجنبهم البحث في جوهر الموضوع وسبب تفادي القرآن إعطاء الملكة بلقيس اسماً، ولم يشر إليها إلاّ على أنها «امرأة». بل إننا نرى أن الإخباريين العرب قد سقطوا في فخ الحمية القبلية والعشيرية عبر صب الجهود على التعريف بانتمائها القبلي أو العشيري.... الخ، أي أنهم اهتموا بالتأكيد على أصولها، وبالتالي نسلها. لكن رغم هذه السلبية، إلاّ أن «حميتهم» تلك قدمت لنا معلومات تاريخية هامة، هذا فيما لو تمكنا من استثمارها بالشكل المطلوب والمتوقع منا في نهاية القرن العشرين.

نعود الآن إلى بعض الآراء المرتبطة بأصول الاسم، ونبدأ بتلك التي تصمم على أنه مأخوذ من «العبرية». في الوقت الذي نجد أنفسنا ـ انصياعاً منا لمنهجية البحث العلمي ـ ملزمين بطرق كافة

الأبواب والبحث في كافة الاحتمالات، لا بد من تسجيل اعتراضنا على هذا الاجتهاد لأسباب عديـدة. أولاً، إن معظم المستشرقين وعلماء التوراة الذين قدموا اجتهادهم هذا ينطلقون من فرضية ـ يعتبرونها حقيقة أو بديهية تاريخية غير قابلة للنقاش ـ أن الكثير من جوانب التراث العربي ـ الإسلامي المرتبط بروايات ترد في التوراة، مأخوذ من التراث الديني اليهودي. وشارك في هذا الرأي، وبكل أسف، العديد من البحاثة العرب، على مر العصور، حيث تعرف تلك الروايات بـ«الإسرائيليات»، وقد أعطيناها اسمها الصحيح، أي «اليهوديات». إننا لا نقبل هذا الحكم، التعسفي بكل تأكيد، ونشدد على رأينا بأن الروايات العربية بالخصوص مستقلة تماماً، دون أن يتنافى هذا مع حقيقة أن بعض الإخباريين العرب قاموا بإدخال العديد من العناصر الدينية اليهودية إلى التراث العربي ـ الإسلامي، وهو أمر يمكن كشفه بسهولة، وسنتعامل معه، فيما يتعلق بموضوع عملنا، في قسم لاحق من المؤلف.

إن القول بأن الاسم أو التسمية بلقيس مأخوذ من كنعانية التوراة، أي ما يسمى بـ «العبرية» «فلجش/ فيلجش»، يفترض، برأينا، العديد من المسائل وأولها أن التراث الديني اليهودي وظف هذه التسمية في الإشارة إلى ملكة سبأ. لكننا نعرف أن هذا لم يحدث إطلاقاً ولا في أي من الكتابات الدينية اليهودية، بمختلف اتجاهاتها، ولا حتى في تلك الكتابات التي تخصصت في الصراع الفكري مع الإسلام. ثانياً، أن القول بأن العرب أخذت الاسم بلقيس من التراث الديني اليهودي يتطلب إثبات أن الطوائف العربية اليهودية، أو تلك التي كانت منتشرة في أصقاع الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية كانت تتحدث بلغة التوراة. لكننا نعرف أن لغة التوراة، أي الكنعانية التوراتية، اندثرت كلغة محكية متداولة في القرن الثاني أو الثالث، هذا في أحسن الأحوال، حيث حلت مكانها الآرامية ثم العربية[٥١]. ونحن نعرف أن المفردة «فيلجش» التي ترد في العهد القديم وفي كتابات دينية «يهودية» أخرى، هي المفردة اليونانية Pallakis' Pallaxis، حيث عرفنا أنها تعني (عشيقة). فإذا كان الإخباريون العرب أخذوا التسمية هذه من التراث الديني اليهودي، وجب تسجيلها بصيغة «فلجس/ فيلجس»، علماً بأن التيار التقليدي في هذا العلم يقول بأن حرف الفاء (ف) ينطق بلغة التوراة بصورة (P)، وهو اجتهاد قائم على مقارنة النصوص التوراتية بنسخة السبعونية اليونانية[٥٢]. وقد قمنا في مؤلفينا المشار إليهما ضمن العمل باستعراض عشرات الأسماء التوراتية التي يرد فيها حرف الفاء، واكتشفنا أنه لا ينقلب إطلاقاً إلى حرف الباء العربي. معنى ذلك أنه في حالة أن التسمية العربية «بلقيس» مستعارة فعلاً من لغة التوراة، لوجب تسجيلها بصيغة «فلقس/ فيلقس»، وهو غير صحيح حيث إن الصيغة العربية هي وكما نعرف، «بلقيس». لهذا كله، ننبذ الرأي القائل بأن الصيغة أو التسمية العربية بلقيس مأخوذة من التراث الديني اليهودي. ورغم أن الأخير أشار إلى ملكة سبأ بصورة سلبية للغاية، إلاّ أنه لم يطلق عليها صفة أو مصطلح عشيقة أو خليلة، بل إنه عرفها بأنها هي الشيطان نفسه، أي < ليلت >، وبالعربية «ليلة»، أي شيطان أو غول.

ومن الأمور المحيرة فعلاً عدم قيام أي من المستشرقين بطرح الرأي بأن العرب أخذوا الاسم من اليونانية بشكل مباشر. فقد كان للعرب، جنوبيين وشماليين، علاقات قوية مع باقي أقاليم المشرق العربي، قروناً طويلة قبل الميلاد، وكتب عنها الإغريق بأوضح التعبيرات. فقد عثر في جزيرة ديلوس اليونانية على مذبح يعود وفق الرأي السائد إلى القرن الثالث قبل الميلاد، أنشأه تاجر معيني، على ما يبدو، تكريماً لآلهته. كما أن المكتبة العالمية مليئة بكتابات الإغريق عن العرب. فلو أن أصل الاسم بلقيس هو حقاً «بلكسيس/ بلكيس» اليوناني، لوجدنا أن بعض العرب، خصوصاً الذين اعترضوا على الاسم بلقيس، قد أشاروا إلى ذلك، وهذا ما لم نعثر عليه. كما أن العرب كانت تقلب حرف السين اليوناني إلى ثاء بالعربية، وهو ما لا يسري على الاسم بلقيس.

رغم ذلك، قد يبدو للوهلة الأولى أن المصطلح اليوناني بلكيس الأقرب إلى المعقول من المقترحات الأخرى. فرفض العديد من الإخباريين العرب للاسم «بلقيس»، قد يعطي الانطباع بأنهم فهموا معنى المفردة اليونانية، أي «خليلة»، ورأوا في ذلك تعريضاً بملكتهم، التي عرفوها بأنها هي المسجلة في القرآن، والذي كرّمها أيما تكريم. وقد رأينا أن البكري أشار إليها بصفة «صاحبة»، أي «خليلة»؟ سليمان. كما أن إحجام فقهاء اللغة العرب عن إعطاء اشتقاق قد يعطي الانطباع بأن أصله غير عربي. هذا كله يرجح أن أصل الاسم يوناني، ويعني «خليلة، عشيقة».

لكننا لا نقبل هذا الاجتهاد لأسباب عديدة لا علاقة لها بأية حمية قومية أو بمشاعر ملتهبة. إن عدم قبولنا لهذا الرأي يعتمد أساساً القدرة على التفكير بطريقة الإخباريين العرب نفسها، وهي من الأمور التي يصعب على المستشرقين إدراكها أو الوصول إليها. إن سبب اعتراضنا يرتكز على استبعاد إمكانية أن العرب أو بعضاً منهم، قد استعار اسماً «أعجمياً» لشخصية فذة عرفوها بأنها هي المذكورة في القرآن. وبالإضافة إلى ذلك، فمن غير المحتمل، أو حتى المعقول، أن خلفية هذه التسمية أو الاشتقاق قد غابت تماماً عن كافة الإخباريين العرب، وهم كانوا على معرفة ودراية بكتابات قدماء اليونان وروما وبيزنطة، علماً بأن الأخيرين عرفوا ملكة سبأ تحت اسم آخر هو سيبيلا، ولا علاقة بينه وبين الشكل العربي للاسم. وبرأينا أنه من غير الممكن أن لا نجد ولا إشارة واحدة، مباشرة أو ضمنية، إلى هذه المسألة في كتابات الإخباريين.

لقد تبين لنا أن بعض الإخباريين رفضوا هذا الاسم، لكنهم لم يوضحوا أسباب اعتراضاتهم بما يجعلنا نرجح بأن مرد ذلك أنهم كانوا يتحدثون عن شخصية أخرى، عُرِّفت أيضاً بأنها بلقيس ـ ملكة سبأ.

الآن، وقد استعرضنا كافة ما توفر لدينا من اجتهادات بخصوص أصول التسمية، دون أن نقتنع بما قدم من براهين دعماً لها، هل هناك حاجة إلى طرح المزيد من الآراء حول الموضوع؟ لقد لاحظنا أن الإخباريين العرب تفادوا أية محاولة لشرح أصول التسمية، والاستثناء الوحيد في هذا المجال هو ابن نشوان الحميري الذي حاول، كما نعتقد، الدفاع عن ذلك التراث في مواجهة

كتّاب آخرين سمحوا لأنفسهم الخوض في موضوع اعتبره، على ما نرى، من صميم أمور أهل حمير، وهذا ما دفعه لتقديم شرح لأصول التسمية، لم نقتنع به. برأينا أن العرب لم يعرفوا أصول التسمية بما يعني أنها عريقة في القدم، وهذا ما جعلهم يبتعدون عن محاولة العبث باللغة والتاريخ. وحيث إن القرآن لم يشر إلى الاسم، وإنما ربطها بالتعبد للشمس، فقد حاول بعضهم الربط بينها وبين معارفهم غير الدقيقة عن بعض جوانب من تراث سبأ الديني.

ونجد دعماً لرأينا في أن العرب لم تعرف الاسم بلقيس، كإسم علم، إلاّ بالارتباط مع ملكة سبأ. فلو كان الاسم سائداً في الإقليم لوجدنا إشارة إليه في الكتابات ذات العلاقة. كما نرى في غياب أي حديث منسوب للنبي العربي مرتبط بمسألة التسمية، دعماً إضافياً لاجتهادنا.

ولا شك أن التنقيبات الأثرية الجارية حالياً في اليمن، والآتية لا محالة في عسير وباقي مقاطعات جزيرة العرب، خصوصاً في منطقة الخليج العربي والأحساء، ستكشف عن آثار لملكات سبئيات وغير سبئيات حكمن في الإقليم، ونرجّح أنها ستضم الأسماء التي وردت في النقوش الآشورية. ولقد تشكل لدينا، خلال بحثنا رأي بخصوص أصل الإسم، لكننا قررنا عدم طرحه، وسنتركه برنته الجميلة والساحرة، وتبقى بلقيس رمز الجمال والحكمة والرخاء والازدهار.

هوامش الفصل الثاني

(١) نشوان الحميري: **شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم**. اعتنى بتصحيحها ونسخها عظيم الدين أحمد. لايدن ١٩١٦. ص ٩.

(٢) أنظر القصيدة في قسم آخر من المؤلف.

(٣) ابن دُريد: **الاشتقاق**. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. بيروت ـ دمشق ـ بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٥) عبد الله البكري الأندلسي: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تحقيق وضبط مصطفى السقا. بيروت ١٩٨٣[٣].

(٦) المحقق صحح الاسم الأخير إلى «تبع» وذلك و· طبعة برنستن من الإكليل.

(٧) أنظر التفاصيل عن هذه المواقع في الملحق.

(٨) ابن منظور: **لسان العرب**. تحقيق عبد الله علي الكثير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي ـ دار الكتاب العربي، دمشق. د. ت.

(٩) أنظر تقسيم الإخباريين للعرب في الملحق.

(١٠) ابن حزم الأندلسي: **جمهرة أنساب العرب**. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

(١١) Al-Hamdani: Sudarabische Muštabith; Verzeichnis Homonymer und Homographer Eigennamen. Aus dem Berliner Unikum des Iklil Herausgegeben von Oscar Löfgren. Uppsala 1953. Arabisch.

(١٢) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني: **صفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، سلسلة «نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب» ـ إشراف حمد الجاسر. الرياض ١٩٧٧.

(١٣) أنظر المؤلفات في سجل المراجع.

(١٤) الفيروزأبادي: **القاموس المحيط**. دار الجيل، بيروت د. ت.

(١٥) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد: **كتاب الردة** ـ رواية أحمد بن محمد بن أعثم الكوفي؛ تحقيق: د. يحيى الجبوري. دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(١٦) أبو الحسن المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد؟ ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

(١٧) ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـــ المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**. تصحيح علال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس وتعليق الأمير شكيب إرسلان. ٣ أجزاء، مصر ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. الجزء الأول، ص ٧٩.

(١٨) المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٨٧.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني: **الإكليل** ـ الجزء الأول. حققه وعلق حواشيه أوسكار لوفجرن. أوبسالا ١٩٥٤. ص ٥ ـ ٦.

(٢١) أنظر الملحق في نهاية العمل.

(٢٢) ابن حزم. ص ٤٣٩.

(٢٣) عثر على النقش الذي يعتقد بأنه يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، في مدينة مأرب، ويعرف باسم GL 481، ويشار إليه أيضاً بالرمز CIH 375 وJA 550. كما عثر على نقش آخر يحمل الاسم نفسه، أي «تبعكرب»، والذي يعرف فيه بأنه قين، والتي يرجح أن المقصود بها مساعد أو ما يوازي «وزير» حالياً. وكان قد وصف أيضاً بأنه قس للإلهة الشمس.

(٢٤) أنظر ملحمة «القصيدة الحميرية» في المرجع.

(٢٥) W. Montgomery Watt: **The Queen of Sheba in Islamic Traditions.** In: Solomon: & Sheba. London 1974, p. 100f

(٢٦) E. Ullendorf: **The Queen of Sheba in Ethiopian Tradition.** In: Solomon & Sheba. London 1974, p. 114.

(٢٧) Nabih Amin Faris: **The Antiquities of South Arabia,** being a Translation from the Arabic with Linguistic, Geographic, and Historic Notes of the 8th Book of Al-Hamdani's Al-Iklil, Princeton 1938, p. 21.

(٢٨) Frankel Steinschneider, **Moritz: Zeitschrift fur die Religiosen Interessen des Judentums,** Jg. 1845. S. 273.

(٢٩) De Sacy: **Chrestomatie Arabe** III 530, 2nd print.

(٣٠) E. Renan: **Histoire Generale et System Compare des Langue Semitique,** Ed. II, 208.

(٣١) F. C. Movers: **Die Phonizier.** Bonn 1841. Bd. III, S. 293

(٣٢) Herodot. II, 100.

(٣٣) أبو القاسم عبد الحكم بن أعين القرشي المصري: **كتاب فتوح مصر وأخبارها**. ليدن ١٩٢٠. ص ٢٦.

(٣٤) ابن الحكم، ص ٢٨. وقد بقي هذا الاسم حتى أيامنا هذه، وهو حي العجوزة في القاهرة.

(٣٥) Chwolsohn: **Die Ssabier und der Sabismus.** St. Petersburg 1856.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٢ و٣٣ على التوالي.

(٣٧) Alfred von Kremer: **Uber die sudarabische Sage,** Leipzig 1866, S. 119.

(٣٨) J. Halevy: **La Legend de la Reine de Saba.** In: Ecole Pratique des Hautes Etudes, Section des Science Historique et Philologique, Paris 1905, p. 5-24.

(٣٩) Josef Horovitz: **Koranische Untersuchungen.** Berlin 1926. S. 102.

(٤٠) Bernhard Heller: Grundzuge der Aggada des Falvius Josephus. In: **Monatsschrift fur Geschichte und Wissenschaft des Judentums.** Breslau 1936, S. 244.

(٤١) Samuel Krauß: Die Namen der Konigin von Saba. In: Festschrift Dr. J. Freimann. Berlin 1937. S. 121-124.

(٤٢) Gustav Rosch: Die Kongin von Saba als Konigin Bilqis. **In Jahrbucher fur Protestantische Theologie.** Leipzig 1880. S. 524, 567-8.

(٤٣) J. Deramey: La Reine de Saba. In: **Revue de l'histoire des Religions.** Ed. 2, 1894, p. 305.

(٤٤) Roswita Germana Stiegner: **Die Konigin von Saba in ihren namen** - Beitrag zur vergleichenden semitischen Sagenkunde und zur Erforschung des Entwicklungsganges der Sage. Dissertation der Universitat Graz. 1977. S. 136-145.

(٤٥) عبد المجيد همو: **بلقيس بين الحقيقة والخيال - دراسة تاريخية.** دار معد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٢.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٤٨) شوقي عبد الحكيم: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية.** دار العودة، بيروت ١٩٨٢.

(٤٩) د. محمد عجينة: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها.** دار الفارابي - العربية، بيروت وتونس ١٩٩٤.

(٥٠) د. أحمد إسماعيل النعيمي: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام.** سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥.

(٥١) إن هذه المسألة، أي مسألة اللغة المتداولة في المشرق العربي في الفترة الممتدة من القرن الثالث وحتى الفتوحات الإسلامية، تتطلب بحثاً خاصاً نأمل أن يقوم به غيرنا من البحاثة العرب.

(٥٢) نحن نوافق هنا على حدوث عملية قلب بين حرف الجيم الكنعاني التوراتي وبين حرف القاف العربي.

الفصل الثالث

بلقيس في التراث العربي والعربي ـ الإسلامي

الآن وقد تعرفنا إلى اثنين من أسس رواية بلقيس، ونعني بذلك الجغرافيا والأصول، ننتقل لتقصي كيفية تجلي ملكة سبأ، في التراث العربي والعربي ـ الإسلامي. وقد اخترنا أن نجمع هذين القسمين في فصل واحد نظراً لارتباطهما الوثيق بعضاً ببعض. وقبل أن نبدأ الحديث نود أن نذكّر بأننا نبحث الروايات والحكايات التي نرى أنها كانت متداولة في جزيرة العرب في العصور الأولى وحتى ظهور الإسلام. ونحن نرى أن تلك الحكايات عن بلقيس كانت تضم أسطورة وخرافة وقصة وتاريخاً. نقول هذا منعاً لأي التباس مقصود أو غير ذلك.

لكن حيث إن إخباريين عرباً ربطوا كل ما كان قائماً في جزيرة العرب من حكايات أو روايات عن بلقيس بما جاء في القرآن، وفي سورة النمل تحديداً، نجد أنه من غير الممكن تجنب العودة إليه، كلما اقتضت منهجية البحث ذلك. وهنا نود تذكير القارىء أن القرآن لا يقول عن ملكة سبأ سوى أنها امرأة كانت تتعبد للشمس، وملكت في سبأ على بلاد ثرية وقوية، وأنها بعد لقائها بسليمان، المعرف بأنه نبي، آمنت معه بالله ـ وهو أعظم تقدير لها. أما القصص العربي ـ الإسلامي، فيتجاوز ذلك بكثير، ويعتمد على روايات، سيان كانت شفوية أو مكتوبة، كانت سائدة بين العرب قبل وخلال عصر الرسول العربي. وقد أدخل في مرحلة محددة إلى هذه الروايات الكثير من التأويلات القابلة بكل تأكيد للبحث والتحليل، وكذلك روايات أخرى نطلق عليها اسم «اليهوديات»، بدلاً من «الإسرائيليات»، وسنعمل على استعراضها لاحقاً بما تستحقه من إسهاب. الآن وقد أوضحنا منطلقنا بوضوح الكلمة، ننتقل للتذكير بأهم ما توصلنا إليه من نتائج في الفصل السابق نظراً لارتباطها الوثيق بمادة هذا الفصل.

أولاً، لقد عرفت العرب أن نساء عربيات حكمن في جنوبي جزيرة العرب، لكنهم لم يكونوا

على ثقة من المعلومات الشخصية عنهن ولم يعرفوا أسماءهن، ولذا عملوا على ربطها بآلهة العرب الجنوبية المعبودة، وبالإله القمر تحديداً الذي عرف في السبئية باسم <ءلمقه>، رغم أن بعض الإخباريين أخطأ واعتقد أن المقصود كوكب الزهرة.

ثانياً، إن سبب الاختلاف في نسب بلقيس وكذلك في اسم والدها وزوجها والزمن الذي عاشت فيه يعود إلى خلط الرواة بين شخصيات مختلفة تشاركت في أنها كانت نسوة حكمت ـ في اليمن أو في سبأ.

ننتقل الآن إلى قصة بلقيس اعتماداً على الروايات كما وردت في كتابات الإخباريين العرب، والتي تتباين في بعض التفاصيل غير الجانبية، وتضم، كما قلنا، ميثولوجيا وأسطورة وقصة وتاريخاً، وسنعود لاحقاً لعرض مفهومنا لكل من هذه المصطلحات. وحتى نتمكن من فهم كل من هذه المكونات والعناصر بشكل واضح غير قابل للالتباس، نرى ضرورة فرز بعضها عن بعض مما يمكننا من تحليل كل منها ويساعدنا في فهم المغزى. كما نعتقد أن هذه المنهجية ستوضح أسباب الاختلافات، الحادة أحياناً، بين الإخباريين بخصوص نقطة أساسية في الرواية، ونعني بذلك أصولها، أي هل كانت بلقيس ـ ملكة سبأ، جنية أو إنسية. وقد سردنا في الملحق بعض القصص التي تناقلها الإخباريون دون أي تغيير حتى تمكن القارىء من العودة إليها لمراجعة آرائنا واستنتاجاتنا ومقارنتها بالنصوص.

لقد فكرنا طويلاً في أفضل شكل لعرض وجهة نظرنا وتوضيح مدى الخلط بين الروايات التي وصلتنا، ووجدنا أن أفضلها هو دمج بعضها ببعض في رواية واحدة وفق النص الأصلي حتى يتمكن القارىء من تشكيل صورة متكاملة، قدر الإمكان، عما كان يتناقله الإخباريون. وكنا قد فكرنا في عرض الاختلافات ضمن إطار جدول، لكننا قررنا التخلي عن هذا الشكل بسبب التعقيدات ومظهره الأكاديمي! عدا أن مثل هذا الجدول لن يفي بكافة المتطلبات. لذا فضلنا أسلوب دمج النصوص، وهو ما سنفعله تالياً، وسنعقب ذلك بفرز الأسطورة والميثولوجيا عما نراه تاريخاً أو قصة ذات أسس تاريخية.

تقول الرواية التي سنبدأها من الأحداث التي سبقت تولي بلقيس الملك على قومها:

«لما ولي عمرو ذو الأذعار ـ أمه العيوف بنت الرابع الجنية(*) الملك في حمير قهر الناس وذعرهم بالجور فلا يرفق لقريب ولا بعيد، وأسرف على العرب بالسلطان وشرد الناس ووسم من سخط عليه بالنار من أبناء الملوك، وبدل على الناس السيرة التي كانوا عليها يعرفون، ذعر الناس منه ذعراً شديداً، وبه سمي عمرو ذو الأذعار. وكان يزني ببنات الملوك من حمير، فيؤتى بهن أبكاراً وغير أبكار، فكن يشربن معه الخمر وكان ينادمهن ثم يصيب منهن حاجته. فلما فعل ذلك بحمير

(*) وقد أبى من هذا عامة الناس وزعموا أنه لا يظهر الجن للإنس، وأنه لا يتناسل جنسان مختلفان ولا ينسل أنسي من جنية ولا جني من أنسية وأن هذا باطل. وأتى بهذا الحديث علماء والله أعلم.

كرهوا أيامه وأبغضوا دولته. وكان شرحبيل، بن عمرو... بن حمير بن سبأ، نازلاً بمأرب في قصر بينون، ولم يكن بنى مثله ومثل قصر غمدان وسلحين باليمن. فولي الملك بمأرب شرحبيل بن عمرو، فجمع القبائل من قحطان وأجابته حمير للذي أراد الله من انقطاع دولة ذي الأذعار. وبلغ خبر شرحبيل بن عمرو إلى عمرو ذي الأذعار، فجمع جنوده وزحف إليه وزحف إليه شرحبيل بن عمرو فالتقوا بالعالية فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ثم افترقا ومات بينهما خلق كثير. ثم رجع عمرو ذو الأذعار إلى غمدان ورجع شرحبيل بن عمرو إلى بينون وأقام هناك في الملك سنة ثم مات. وولي ابنه الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو، وهو الهدهاد أبو بلقيس الملكة باليمن، وكان الهدهاد بن شرحبيل رجلاً شجاعاً حازماً. وقيل هو الهدهاد (هَدَاد أو هدَّاد) بن شرح بن شرحبيل بن الحارث بن الرايش. وقيل هو شرحبيل بن عمرو... بن يعفر بن سكسك. وقيل هو الهدهاد بن ذي شرح بن ذي جدن... بن يعرب بن قحطان. وقيل بل هو من ولد ذي سحر. وقيل هو من بني الملطاط.

ولما ولي الهدهاد بن شرحبيل زحف إليه عمرو ذو الأذعار، وبرز إليه الهدهاد والتقوا بموضع معروف باليمن، فتحاربوا أياماً. فلما فصل العسكران وبرز بعضهما إلى بعض، خرج الهدهاد على ناقة في زي أعرابي حتى وصل إلى عساكر عمرو ذي الأذعار، فطاف وتدبر عساكره، ثم سمع لغطهم وما يتوعدون به عمراً ذا الأذعار من الخذلان واسترق ما يريدون له، فزاده ذلك عزماً إلى لقاء عمرو. فانصرف الهدهاد يريد عساكره، فسار حتى بلغ إلى شرف العالية في يوم قائظ أجرهد في الصخور.

واختلفوا في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم، فقيل إنه خرج للصيد فنظر إلى شجاع أسود عظيم هارب وفي طلبه شجاع رقيق أبيض فأدركه فاقتتلا حتى لغبا(*)، ثم افترقا، ثم أقبل الشجاع الأبيض إلى الهدهاد فتشبث مع ذراع ناقته حتى بلغ رأسه إلى كتفها ففتح فمه كالمستغيث، فرد يده الهدهاد إلى سقائه. فصب الماء فيه حتى روي، ثم عطف في طلب الأسود فأدركه فاقتتلا طويلاً فلغبا فافترقا، وأقبل الشجاع الأبيض إلى الهدهاد كما فعل أولاً كالمستغيث فصب الهدهاد الماء في فيه حتى روي، ثم أقبل على الأسود وأخذه، فلم يزل الأبيض حتى قتل الأسود، ثم مضى على وجهه حتى غاب عنه. ومضى الهدهاد إلى شعب عظيم فاختفى فيه، فبينما هو مستتر بشجر أراك إذ سمع كلاماً فراعه فسل سيفه، فأقبل إليه نفر جان حسان الوجوه عليهم زي حسن فدنوا منه فقالوا: عم صباحاً يا هدهاد. لا بأس عليك، وجلسوا وجلس. فقالوا له: أتدري من نحن؟ قال: لا قالوا: نحن من الجن ولك عندنا يد عظيمة. قال: وما هي؟ قالوا له: هذا الفتى أخونا من أبناء ملوكنا هرب له غلام أسود فطلبه فأدركه بين يديك فكان ما رأيت وفعلت، فنظر الهدهاد إلى شاب أبيض أكحل في وجهه أثر خداش. قال له: أنت هو؟ قال: نعم، قالوا له: ما جزاؤك عندنا يا هدهاد إلاّ أخته نزوجها منك. وفي رواية أخرى أنه كان لهجاً بالصيد فربما اصطاد الجن على صورة الظباء، وأنه رأى أن يخلي عنهن، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك، واتخذه صديقاً فخطب ابنته فأنكحه على أن يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين إلى عدن، وهي رواحة بنت سكن. وقال كثير من الرواة أن أمها جنية ابنة ملك الجن، واسمها رواحة بنت السكر. وقيل اسم أمها بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني، وقيل أيضاً اسمها ريحانة بنت الشكر، وقيل هي من الجن، ويقال لها يلغمة بنت شيصبان. وإنما نكح أبوها إلى الجن لأنه قال: ليس في

(*) أي تعبا.

الناس لي كفوءة؛ فخطب إلى الجن فزوجوه إياها وقالوا له: لها عليك شرط لا تسألها عن شيء تفعله مما تستنكر منها، فإن سألتها فهو فراقها. قال: نعم، قالوا له: إرجع إلى قصرك بينون فإنها تأتيك ليلة كذا، إرجع فلا تقم لأن عمرو ذا الأذعار رجع إلى غمدان بعد انصرافك عنه. فرجع الهدهاد وفرق عساكره، ولحقه الخبر أن عمرو رجع. فجلس في الليلة التي أمروه أن يجلس فيها مرتقباً حتى أحس ثقلاً في القصر وهرب جميع من معه في القصر من ثقل الذي أحسوه ووحشة داخلت قلوبهم حتى أتوا بها إليه فأدخلوها عليه وأولدها ولداً ذكراً. فلما شبّ وصار ابن سنة، فبينما هو يناعيه إذ أقبلت كلبة من باب المجلس فأخذت برجل الطفل وجرته حتى ذهبت به، فغاب فنظر إلى رواحة فسكتت وسكت، ثم ولدت أنثى، فلما صارت بتلك السن، أتت الكلبة فجرّتها برجلها وهو ينظر فسكت وغابت عنه، ثم ولدت ذكراً، فلما بلغ سن أخيه وأخته، أتت الكلبة وفعلت كما فعلت أولاً. هنا سئم الهدهاد من ذلك وقال لزوجه: يا رواحة، قالت له: كيف؟ قال لها: أكف ما نال هؤلاء الأطفال؟ قالت له: فارقتك يا هدهاد، إعلم أنه لم يجر منهم أحد، بل هم محمولون وتلك درة تحملهم وتربيهم حتى يبلغوا خمس سنين فيأتوك أنقياء. فأما ابنك الأول فقد مات أحسن الله عزاءك فيه، وأما الآخر فإنه يأتيك وليس يعيش بعد أبي وهو يموت، وأما ابنتك فإنها تأتيك وتعيش لك. ثم ذهبت عنه فلم يرها بعدها ووجد في الفراش ابنه وبنته بلقيس، فمات الصبي وعاشت بلقيس. وقيل إن أخ بلقيس لم يمت.

فأقام الهدهاد في الملك عشرين سنة، فلما حضرته الوفاة أحضر جميع وجوه حمير وأبناء ملوكهم وأهل المشورة من بني قحطان فقال: يا بني قحطان، أما أنكم تعلمون فضل رأي بلقيس عليَّ فإنها لا تخطىء ما تشير به عليكم، كيف تجدون بركة رأيها؟ قالوا: نعم؛ قال: وإنها أعقل النساء والرجال، قالوا: نعم؛ قال: فإني أستخلفها عليكم، فقال له رجل منهم: أيها الملك، تدع أفاضل قومك وأهل ملتك وتستخلف علينا امرأة، وإن كانت بالمكان الذي هي منك ومنا؟ قال: يا معاشر حمير، إني رأيت الرجال وعجمت أهل الفضل وسبرتهم وشهدت من أدركت من ملوكها، فلا والذي أحلف به ما رأيت مثل بلقيس رأياً وعلماً وحلماً مع أن أمها من الجن، وإني أرجو أن تظهر لكم عامة أمور الجن مما تنتفعون به وعقبكم ما كانت الدنيا، فأقبلوا رأيي فإنها مع اختياري فيها مؤدبة لغيرها من أهل بيتها، وإني كنت سميت الملك لمالك بن عمرو بن يعفر بن حمير بن عمي، وهو غلام له حزم وعقل، فإذا بلغ فله الملك إما في حياتها وإما بعد موتها. قالوا: سمعنا وأطعنا أيها الملك أنظر لنا. فمات الهدهاد بن شرحبيل وولي الملك بلقيس، وهي، وفق رواية الطبري وما نقله بلمقة ابنة اليشرح، ويقول بعضهم: ابنة إيلي شرح، ويقول بعضهم: ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقيل هي بلقمة والمقة. وقيل إنها بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب ابن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ. وقيل هي بلقيس بنت هَدّاد ابن شَرح بن شرحبيل بن الحارث الرائش، صاحبة سليمان، اسمها يَلمَقة، على وزن يعملة. وقيل هي بَلْقَه وهي بِلقيس بنت بلبشرح. وقيل هي بلقيس بنت إيلي أشرح بن ذي جَدَن بن إيلي أشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي... وهم من التبابعة.

وقيل الأشارح ـ إلى شَرَح يحضب بن الصَوّار إلى شرح بن شرحبيل جد بِلقيس. ويقال شَرَح ذو شَرَح بن كَرِب بن شمَّر أبو تُبَّع الأخنق... إلى شرح ابن بَرِيل الذي يختلف نُسّاب حمير في نسب بِلقيس إليه.... وقيل وآل الخيار بن مالك ذي القرنين بن مالك بن الحارث بن الخيار... ذو

تبّع بن موهب إل صاحب بلقيس... وقيل إنها من ولد ذي سَحَر. وقيل هي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر بن سكسك، من حمير. وقيل هي يَلْقَمَة بنت اليشرح بن الحرث بن قيس. وقيل هي بلقمه بنت آل ذي شرح.

فلما وليت بلقيس الملك ازدرى قومها بمكانها لما كانت امرأة، وأنفوا من أن يلي أمرهم امرأة، وبلغ ذلك عمرو ذا الأذعار، فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس، فلم تكن لها طاقة فهربت مكتتمة بأخيها عمرو بن الهدهاد وهما في زي إعرابيين، حتى أتت جعفر بن قرط الأسدي وطلبت منه أن يجيرها فأجارها. ثم عملت على حيلة دبرتها حيث عرضت على خصمها عمرو ذي الأذعار الزواج بها، وهو ما تمّ فعلاً. وعندما دخلت عليه أمر بالخمر ينادمها كما كان ينادم بنات الملوك ويفعل بهن. فلما أخذت الخمر منه هم بها، فقالت: أيها الملك، سترى مني من المال أكثر مما رأيت من الحرص، وحاجتي فيك أعظم من حاجتك؛ وسامرته أحسن مسامرة. فألهاه ما سمع منها وما أعطته من نفسها من القرب وهي تعمل فيه بالخمر دأباً حتى علمت أن الخمر عملت فيه. فقدمت إليه وسلّت مديتها من قرونها ثم نحرته. وقيل إنها أمرت حرسها بقتله. فلما مات جرته فألقته في ركن مجلسه وألقت عليه بعض أمتعة المجلس ثم خرجت إلى الحرس في جوف الليل وقالت: يأمركم الملك بفلان أن تأتوا به فأتوا به وكان يتبعه ألوف من حمير، ثم أرسلت إلى ملوك حمير وأبناء الملوك المسموع منهم والمتبوعين. فلما اجتمعوا إليها في قصر غمدان خرجت عليهم فقالت لهم: إن الملك قد تزوجني على أن برئت إليه من ملكي في حياته، وأنتم تعلمون أنه لا يولد له، فلما علم مني الخضوع بحقه والاستسلام لإرادته والطاعة لأمره فوض إليّ بعده ورآني أهلاً له وأمرني أن آخذ عليكم بذلك عهداً. قالوا سمعاً وطاعة للملك فيما أراد. فأخذت عليهم أن لها الملك بعد عمرو. فلما توثقت منهم قالت لهم: هل تسمعون من الملك؟ فأدخلتهم المجلس فقالوا لها: أين الملك؟ قالت لهم: أنا ولي العهد بالملك من بعده، وها هو قد مات وعهدي لكم لازم. قالوا لها: أنت أولى بالملك إذ أرحتنا من هذا الرجس الجائر فوليت بلقيس ملكهم. وفي رواية أخرى أنها قامت بعد قتله بتعليق رأسه على باب المدينة.

ثم جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكة فاعتمرت ثم توجهت إلى أرض بابل فغلبت على من كان بها من الناس وبلغت أرض نهاوند وأذربيجان والصين ثم قفلت إلى اليمن.

ومن الأعمال العمرانية التي قامت بها بلقيس ورفعت مجدها إلى أبعد صيت ترميمها سد مأرب الذي كان الزمان قد أضره وخلخل أوصاله. وينسب إليها أيضاً قصر بلقيس الذي بمأرب، وكان سليمان ينزل عليها حين تزوجها فيه إذا جاءها. قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذته قصراً وعرشاً.

وروي أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر، فحمل إليها خمسمائة اسطوانة من رخام، طول كل اسطوانة خمسون ذراعاً، فأمرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء، وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة أذرع، ثم جعلت فيها سقفاً منظومة بألواح الرخام، وألحم بعضها إلى بعض بالرصاص حتى صارت كأنها لوح واحد. ثم بنت فوق ذلك قصراً مربعاً من آجر وجص، في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء، وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بألوان الجواهر المربعة، وجعلت فيه، أي في باب ذلك القصر مما يلي المدينة، درجاً من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر، وفي جوانبها حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم. وكان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضل مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت

أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من در أصفر، وصفائح السرير من ذهب، وعليه سبعون بيتاً، وعلى كل بيت باب مغلق. وكان طوله ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً في الهواء.

وكان لبلقيس حرس من الرجال وبطانة من النساء ولديها ثلاثمائة وستون امرأة من بنات أشراف حمير. فكانت تحبس الجارية حتى تبلغ فتحدثها حديث الرجال، فإذا رأتها قد تغير لونها ونكست رأسها عرفت أنها أرادت الرجال فسرحتها، وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظمة لها وأطالت النظر غير متغيرة اللون ولا مستحية من الحديث علمت أنها لا تريد فراقها وأن الرجال ليسوا من بالها. وأما بلقيس فكانت صائنة نفسها غير واقعة في المساوىء ولا غافلة عن المكارم، وكانت لا أرب لها في الرجال فظلت عذراء.

وكانت بلقيس صائنة لنفسها غير واقعة في المساوىء ولا غافلة عن المكارم، فكان ملكها قبل سليمان بسبع سنين. فلما أراد الله أن يهدي بلقيس وحمير، بعث نبيه بالآيات الباهرة التي بهرت عقولهم، فخرج سليمان مخرجاً لا يريد إليها فقضى أن يمر على بلدها وهو يريد غيرها. وكان إذا ركب غدا من تدمر، وكانت منزله، فيقيل باصطخر من أرض فارس، ثم يروح فيبيت بكابل، فغدوها ورواحها مثل هذا المسير إلى كل وجه أخذ إليه.

وأمر سليمان الريح فأقلّت عرشه وأمرها أن تنقل كراسي جلسائه، ثم جلس على عرشه وأجلس الأنس عن يمينه وشماله وأجلس الجن من ورائهم على مثل ذلك منهم قاعد وقائم. ثم قال للريح أقلينا وقال للطير أظلينا، فأقلته الريح وأظلته الطير ومن معه من الأنس والجن من الشمس. وسار سليمان في المشرق متوجها من تدمر ثم توجه من المغرب، فمر بموضع المدينة فأمر الريح فوقفته ثم أمر أصحابه بالهدو وقال إنها مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان من العرب اسمه أحمد وهو خاتم النبيين أكرم مخلوق عند الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم صار إلى مكة فقال هذا بيت الله الذي بناه إبراهيم أبي، وهو أول بيت وضع في الأرض، أمر الله به آدم يبنيه فبناه، فنزل سليمان فصلى فيه، ثم صار إلى مدينة مكة ومر بقبر إسماعيل صلى الله عليه وسلم فنزل إليه وألمّ به. وكان ملك مكة يومئذٍ البشر ابن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عبد المسيح... بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم ـ وكان البشر عاملاً لبلقيس على من كان بمكة وبالحجاز، وكان نبت بن قيذار بن إسماعيل النبي بمكة يومئذٍ وبنو عمه، فأتى البشر إلى سليمان مستجيراً مستسلماً، فأمره سليمان أن يبرأ من أمر مكة إلى نبت بن قيذار ابن إسماعيل وأقر البشر وجرهم على القيام بالبيت ـ كما فعل إسماعيل ـ ثم سار سليمان بن داود نحو أرض اليمن حتى نزل بنجران على القلمس بن عمرو ـ وهو أفعى نجران ـ وكان من بني عبد شمس بن وائل بن حمير ابن سبأ وهو عامل بلقيس على نجران والمشلل إلى البحرين وما والاهما من البلد. وكان القلمس أفعى نجران أحكم العرب في وقته وكان حكيماً بما يظهر للناس في وقته ـ وبما بطن عنهم ـ فلما رأى طوالع عسكر سليمان طلعت، تواضع وذل وقال تواضع وذل تحت عز وسلطنة أن هذا شأن سماوي. وأن القلمس أفعى نجران جمع أهل نجران وهي دار العلم، وقال يا أهل نجران، أنتم أهل العلم الأول، هل عندكم من هذا العلم؟ قالوا له ما لم يكن عندك يا سيدنا وأنت جهبذ العالم فيكون عندنا، قال لهم إني ألبس لهم مسحاً وعباءة وأسير إليهم بثلاث: بكهانة وطب وحكمة، فإن كان فيهم نبي لم يحتاجوا إلى طبي وحكمتي لأن فيهم طباً أبلغ من طبي ولا يسمعون من حكمتي لأن فيهم من حكمة الوحي أحيا من حكمتي ولا يلتفتون إلى كهانتي، لأن فيهم من علم الوحي أصدق من كهانتي؛ فلبس القلمس المسح ـ وكان أول من لبس المسح يعقوب النبي

تواضعاً لله ـ وحرم الشحوم على نفسه ـ ويعقوب هو إسرائيل. فسار الملك القلمس بن عمرو الحميري حتى دخل عساكر سليمان، فتعرضهم بالكهانة فلم يسألوه وعرض الحكمة فلم يلتفتوا إليه، وعرض الطب فلم يسمعوا منه، فتركهم ومضى إلى سليمان. فرأى الريح تقله والطير تظله، فرأى ملكاً عجيباً. فدنا من سليمان، فقال سليمان يا آصف ـ وكان آصف كاتب سليمان ـ سبحان قاصف الجبابرة ذاك عميد نجران المبتكر ادعه. فقال له آصف هلم الرجل. فلما وقف بين يدي سليمان سبح سليمان، فسبحت الجبال، فقال أفعى نجران: بطلت حكمتي، ثم نظر إلى البقل بين يدي سليمان فكلّ بقلة تقول له يا نبي الله اسمي كذا ذا لكذا، فقال أفعى نجران بطل طبي، ثم قال لسليمان إن هذا عميد نجران له من الأمر أمران بين ضلال وبيان، فآمن أفعى نجران وصدق بما أتى به سليمان. ورجع أفعى نجران إلى قومه فقالوا ما رأيت؟ قال يا قوم (الرائد لا يكذب أهله)، فأرسلها مثلاً، ولم يظهر لهم أنه أجاب سليمان إلى ما دعا إليه اتقاهم عن إيمانه.

ثم بعث إلى بلقيس يخبرها بخبر سليمان وكتمها إيمانه وكتب إليها، فقال لها إني رأيت قوماً لبسوا الذل تحت العز والفاقة تحت الغنى والصبر تحت القدرة، ينصرون بلا حرب ويقدرون بلا استطالة، فكتبت إليه بلقيس تفعل الملوك ذلك، يستميلون أهواء العالم حتى يقدروا، فإن قدروا عزوا فتزوا، ولكن لا تحاربهم ودعهم فليس كل الناس صائناً لنفسه، فإن سرقوا فليسوا بأهل دين. فخلى أفعى نجران بينهم وبين الزرع فلم يأكلوا منه سنبلة، فأرسل إلى بلقيس فأعلمها، فكتبت إليه أن أدفع إليهم الخف والظلف ففعل، فلم يأخذوا منه شيئاً، ورجعت إليه كما سارت، فأعلم بذلك بلقيس. فأرسلت إليه ادفع إليهم الخيل ذكوراً إناثاً، ففعل فلم يأخذوا شيئاً ورجعوا على حالهم. فبعثت إليه أن ابعث إليهم بجارية حسناء وأعطها شيئاً تطوف به على عساكرهم حتى تغمر بها، فأرسل أفعى نجران ابنته، ولم يكن في وقتها أجمل منها، فطافت في جميع عساكر سليمان، فكانوا يساومونها ولا يرفع إليها رأسه أحد حتى انتهت إلى سليمان فنظر إلى ما في يدها ولم ينظر إليها، فرجعت وأعلمت بذلك أباها. فكتب بها إلى بلقيس، فكتبت إليه: كف ومل إلى سلمه ولا تعرّض أجنادنا إلى أمر الله، فإن الله لا يغالَب.

ثم رفع سليمان حتى كان من مأرب مدينة سبأ على مسيرة ثلاثة أيام، أراد النبي سليمان النزول ـ وكان لا ينزل إلاّ على الماء ـ وكان الهدهد الذي يدله على الماء، فتفقد الهدهد لأنه دخلت عليه الشمس من موضعه. وكان الهدهد تقدم من ذلك الموضع فلقي هدهداً من أرض مأرب، فقال ذلك لهدهد سليمان: أخبرني ما هذا الذي أرى ما رأيت ملكاً أعجب من هذا الراكب الريح ومعه من الجنود ما أرى، لم أره ولم أسمع به؟ قال له هدهد سليمان هذا سليمان بن داود نبي الله، قال فمن أنت؟ قال أنا من أرض سبأ، قال له هدهد سليمان فمن ملكهم؟ قال: ملكتنا امرأة لم ير الناس مثلها في حسنها وفضل رأيها وحسن تدبيرها وكثرة جنودها والخير الذي أعطيته في بلدها وأمها من الجن، مع هذا هي من ولد حمير، فقال انطلق بنا إليها. فانطلقا حتى نظر إليها ورجع إلى سليمان وأخبره عن بلقيس وملكها وأنها تتعبد للشمس. وقيل إنها قالت لوزرائها بعدما صارت ملكة ما كان يعبد آبائي الماضون؛ قالوا كانوا يعبدون إله السماء، قالت وأين هو؟ قالوا هو في السماء وعلمه في الأرض. قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيئاً غير نور الشمس، فهي أولى ما ينبغي لنا عبادته. فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها، وكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا غربت.

فكتب سليمان كتاباً ودفعه إلى الهدهد، فأخذه الهدهد بمنقاره وانطلق حتى انتهى إليها، فكان

بحيال رأسها حتى حاذى تاجها وهي على عرش فألقى الكتاب فوقع في حجرها. وفي رواية أخرى أنه كانت لها كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد إلى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم، فاستطالت الشمس فقامت تنظرها، فرمى الصحيفة في وجهها فنظرت إليه ونظر الناس إلى طائر رمى الكتاب. ثم إنها بعثت إلى مقاول حمير(*)، وعرضت كتاب سليمان عليهم الذي يطالبهم فيه بالإسلام، فردوا غير متأثرين وقالوا: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد. لكن الشك خامرها وحذرتهم بالقول إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

لكنها قررت في نهاية الأمر التمهل وأن تمتحن سليمان أولاً، فاختارت أربعين رجلاً لم تدع في أبناء الملوك أجمل منهم ولا أعقل ولا أشد ثقة ولا أبعد غاية ولا أعلى صوتاً، فعنفهم صوتهم قبل أن يصلوا إلى سليمان. وأرسلت إليه بهدية تمتحنه بمائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد كما ولدوا في ليلة واحدة[1]، وأرسلت إليهم بحق مملوء ذهباً وفضة ودراً وياقوتاً وزبرجداً وزمرداً وختمت على الحق. وألبست الوصائف والوصفاء زياً واحداً ليظن من رآهم أنهم غلمان. وقيل إنها ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري لباس الغلمان. وأرسلت إليه بخيل عتاق ذكور وإناث وقالت لرسلها: مروه يخبركم بالفرق بين الذكور والإناث من هذه الخيل بعضها من بعض من غير أن يخبره أحد(؟) وفي رواية أخرى أنها قالت لرسلها أن يميز الخيل وأيها نتج قبل صاحبه وعن الولاء وعن القرابة بين ذلك. ثم قالت لهم إن عليه أن يخبركم بما في هذا الحق من غير أن يفكه. وجمعت بلقيس أشراف حمير فقالت: خذوا في أهبة الحرب، فجمعت الجيوش واستعدت للحرب وقالت لقومها: إن هو قبل الهدية ولم يرد الحرب ودعا إلى الله فهو نبي فاتبعوه، وإن هو لم يقبل الهدية ولم يعلمنا بما سألناه فهو ملك من ملوك الدنيا حاربناه فما لأحد بنا طاقة. فلما أتت الهدية إلى سليمان نسب لهم الخيل بعضها عن بعض! ثم إنه ميّز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله في اليد الأخرى ثم تضرب الوجه، والغلام يأخذه من الإناء بيديه ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصب الماء صباً وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدراً، فميز بينهم بذلك. وأخبرهم بما في الحق من عدد الياقوت والجوهر والزبرجد والزمرد ووزن العقيان واللجين فأتي بها، فحركها فجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما في الحقة، فقال إن فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب. فأثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة، فقال سليمان عليه السلام من لي بثقبها، فسأل الإنس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم، ذلك ثم سأل الشياطين، فقالوا له أرسل إلى الأرضة فأرسل إليها فلما أتت أخذت شعرة في فيها ومرت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر. فقال لها سليمان سلي حاجتك. قالت إن تصير رزقي في الشجر، قال لك ذلك. ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط، فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا نبي الله، فأخذت الدودة خيطاً في فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان ما حاجتك، فقالت إن تصير رزقي في الفواكه، قال لها لك ذلك، فأجابه الرسل وصدقوه إلى ما دعاهم إليه من طاعة الله.

(*) وكانت أول من استشار المقاول من حمير.

ثم دعا عفريتاً من الجن يأتي بعرشها، وكان عرشاً ذهباً صامتاً مرصعاً بالدر والياقوت عشرين في عشرين ذراعاً، وتاجها كالعنقل معلقاً إلى رهو المجلس بالسلاسل. فأمر سليمان الريح فأقلت آصف بأسرع من طرفة عين، فأتى إلى العرش وهو في قصر غمدان ودونه عشرة حجب بالمجالس في مجلس حرس، فأمر آصف الريح فأقلته، وأمسك آصف صدر العرش، فأتى به سليمان. وكان سليمان لا يحتجب عن آصف عند نسائه ـ فأتاه بالعرش. وأمر سليمان الجن والإنس فبنوا له مجالس لم ير مثلها، فجعل العرش في أقصى المجلس.

وعاد وفد بلقيس الذين أوفدت إلى سليمان فأعلموها بما رأوا بإيمانهم. فأمرت بالجهاز وسارت في مائة رجل وعشرين رجلاً من أشراف قومها ورؤسائها وأخيارها، ومع كل رجل من وجوه جنده وأفضال أصحابه وقادة خيله مائة رجل. فخرجت إلى سليمان في مائة ألف واثني عشر ألفاً وتركت جميع أجنادها بغمدان ومأرب. وقيل إن مكان إقامة سليمان كان في بيت المقدس، وقيل إنه كان على بعد ثلاثة أيام من مأرب. وقال لها قومها: ما في أمر هذا الرجل، أتريدين الدخول في طاعته أم تحاربينه أم تقولين إنه نبي؟ قالت لهم: سأعلمكم منه ما تعرفون أنبي هو أم ملك من هؤلاء الملوك. انظروا إليّ إذا أنا دخلت عليه، فإن هو أمرني بالجلوس فهو ملك من هذه الملوك لأن الملوك لا يجلس عندهم إلاّ بإذنهم وما أقل من يجلس عندهم إلاّ خاصتهم، وإن هو لم يأمرني ولم ينهني فهو نبي، ومع أني أسأله عن أشياء إن هو أخبرني عنها فهو نبي وأنا داخلة في أمره ولا طاقة لكم بمحاربته. قال فأمر سليمان الجن فجعلوا له عن يمينه وشماله حائطين مموهين بالذهب وبنوا من وراء ذلك داراً ومجلساً وجعلوا أرض الدار لبناً مموهاً بالذهب غير موضع لبنة واحدة، ثم أذن لها بالدخول، فلما رأت الحائطين ودخلت الدار ورأت أرضها وحيطانها من ذهب، تقاصر إليها ملكها ورأت شيئاً لا يشبه ما كانت فيه وسليمان في مجلسه في أقصى الدار ومعها لبنة من ذهب في يدها تريد إن أمرت بالجلوس أن تجلس عليها. فنظرت فإذا هي على باب مجلس سليمان من خارج بموضع لبنة من فرش الدار ليس فيها لبنة، فكرهت حين رأت ذلك أن تمضي بما في يدها فتتهم بها، فرمت باللبنة في الموضع الخالي وسليمان ينظر. فلما دخلت وسلمت عليه وحيته تحية الملوك وتواضعت له كما يتواضع للملوك، تمتحنه بذلك، قال لها سليمان: أهكذا عرشك؟ قالت له: كأنه هو، ثم قامت بين يديه، فلا يأمرها ولا ينهاها عن القيام، حتى إذا طال ذلك منها قال سليمان ورفع رأسه إليها: الأرض لله فمن شاء فليجلس ومن شاء فليقم. قالت: الآن علمت أنك نبي، قال: ومن أين ذلك؟ قالت: إنه لا يجلس عند الملوك إلاّ بإذنهم، وأما القيام فعندهم يقام وما أقل من يقعد عندهم إلاّ من كان من خاصتهم، لكأنك قلت مقامة أهل العلم بالله وقد أتيتك وأنا أريد أن أسألك عن ثلاث خصال، فإن أنت أخبرتني بهن دخلت في طاعتك وإن لم تفعل فعلت رأيي فيما بيني وبينك. قال سليمان: فسلي ولا قوة إلاّ بالله. قالت: أخبرني عن ماء روي ليس من أرض ولا سماء، وأخبرني عن تشبيه الولد أباه وأمه ومن أين يأتيه ذلك، وأخبرني عن لون الرب تبارك وتعالى ـ وسألته عن ذلك وهي جالسة مما يليه على كرسي ـ والإنس والجن عن يمينه وشماله. فقال سليمان للإنس: هل عندكم في هذا شيء؟ قالوا: يا نبي الله، لا علم لنا. قال للجن: هل عندكم في هذا شيء؟ قالوا: لا علم لنا يا نبي الله، ثم قال سليمان للجن: اركبوا هذه الخيل فاجروها، فإن تصبب عرقها فخذوه وجيئوني به. ففعلوا وآتوه بماء كثير من عرق الخيل فقال لها: هناك يا بلقيس ماء روي ليس من أرض ولا سماء، قالت: أجبت عن هذه فماذا تقول في الخصلتين؟ قال لها: أمّا شبه الولد، فإن النطفة إذا سبقت من الرجل كان الشبه له، وإن سبقت من المرأة كان الشبه لها. قالت: صدقت،

قالت: فالخصلة الثالثة؟ قال لها: تبارك وتعالى عن سؤالك وأنا راغب إلى ربي، فرغب سليمان إلى ربه في مجلسه فأوحى الله إليه - إني قد أنسيتها ذلك فاسألها عنه فسألها - فقالت: ما أدري ما سألتك عنه يا نبي الله فعرض عليها سليمان الإسلام. فقالت: أنظر في أمري هذا يومي هذا.

قالت الجن: كنا نصيب في سليمان رحمة النبوة، فيسأل عما نريد، فإذا هو تزوج بلقيس أتتنا فطنة الجن وحيل الإنس وكيد النساء فلم نصب راحة، فكيف إذا اجتمعت مع أعوانها من الجن والإنس أهل القسوة والتطاول على مَنْ دونهم لم نأمل على أنفسنا الهلكة يحجب عنا كل خير وينزل بنا كل سوء وشر. تعالوا فلنزهده فيها، فإنه قد ذكر أنه يريد أن يتزوجها. فقال لهم عفريت من الجن يقال له زوبعة: أنا أكفيكم سليمان. فأتاه فقال له: يا نبي الله، بلغني أنك تريد تزويج بلقيس وأمها من الجن، ولم تلد جنية من أنثى قط ولداً إلاّ كان رجلاه مثل حافر الحمار. قال سليمان: فكيف لي أن أنظر إلى ذلك منها وأعلم من غير أن تعلم ما أريد به منها؟ قال له زوبعة: أنا أكفيك ذلك. فصنع زوبعة لسليمان مجلساً من قوارير وجعل أرض المجلس لجة وسرح فيها السمك، ثم جعل فوق ذلك صرحاً ممرداً من قوارير، ثم قال له: أرسل إليها فلتدخل عليك فإنك ترى الذي تريد. فبعث إليها وهو على كرسيه ليس في البيت مجلس غيره، فلما رأت الماء والسمك تجول فيه ضربت ببصرها لتنظر مكاناً تجلس فيه فلم تجد، وحسبته لجة، فكشفت عن ساقيها لتخوض الماء، فلما رآها سليمان ونظر إلى ساقيها عليها شعر كثير أسود على بياض ساقيها، قال لها سليمان: لا تكشفي عن ساقيك إنه صرح ممرد من قوارير. فلما نظر سليمان إلى شعر ساقيها ورأى جسمها أحسن جسم، صرف وجهه عن ساقيها للشعر الذي رأى، فعلمت بلقيس أنه صرف بصره ووجهه للشعر الذي رأى، فقالت: يا نبي الله إن الرمانة لا يُدرى ما هي حتى تذاق. قال سليمان: ما لا يحلو عن العين لا يحلو على الفم.

وفي رواية أخرى أن سليمان أمر ببناء صرح من قوارير بهدف اختبار فهمها كما فعلت هي بالوصفاء والوصائف.

ثم تاوم سليمان أمره في بلقيس شهراً حتى أنزل الله عليه براءتها من ريب الجاهلية، فلما عزم سليمان على تزوجها، قال له رجل صالح من الجن،كان يحب ما وافق سليمان: يا نبي الله هل كرهت منها إلاّ الشعر؟ قال: بلى، قال: إني سأتركها لك مثل الفضة من غير عيب، قال له: إفعل. فصنع لها النورة وبعث إليها واتخذ لها الحمّام - قال بعض أهل العلم: كانت أول نورة عملها مخلوق وأول حمام صنع ذلك الجني. وصنع لها ذلك الجني صرحين ممردين وذروب الصناعات - وتزوجها سليمان فأعجب بها وبعقلها وبتدبيرها وبحسن رأيها، فولدت له داود ورحبعام، فأما داود فمات في حياة سليمان أبيه، وبقي رحبعام بعد سليمان وسرح بلقيس على ملكها ونزلت بمأرب، فكان يأتيها سليمان من الشام في كل شهر مرة فيقيم عندها سبعة ثم يسير في الأرض. وقيل إنه أقام باليمن وكان يقيم عندها ثلاثة أيام كل شهر. وقيل إن رحلة بلقيس إلى سليمان كانت تتم خلال ثلاثة أيام. وكان يعينها بالشياطين يعملون لها. فعامة صناعات أهل اليمن من قبل الشياطين. وافترقت عنهم في الناس شرقاً وغرباً.

كما وقيل إنه بعد إسلامها وفراغ سليمان من أمرها، أي من مضاجعته إياها، قال لها اختاري رجلاً من قومك أزوجكه، قالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان لي! قال: نعم، إنه لا يكون في الإسلام إلاّ ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرّمي ما أحلّ الله لك، فقالت: زوجني، إن كان لا بد ذا تُبّع ملك همدان، فزوّجها إياه، ثم

ردها إلى اليمن، وسلط زوجها ذا تُبع على اليمن. وقيل إنه زوجها هُدَدُ ملك من ملوك حمير وهو هُدد بن هَمّال. وقيل هو شَدد بن زُرعة. وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان وقال آخرون: زوجها بسدد بن زرعة وهو حمير الأصغر، وذو سحر من ولد سدد بن زرعة.

ونفى البعض أن يكون سليمان قد نكح بلقيس أو أنه تزوجها، واختُلف في اسم زوجها. وانقضى ملك ذي تُبّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليه السلام. وقيل إنها دفنت في مأرب، وقال آخرون إن مكان دفنها كان في تدمر، وقال الغير أنه غير معروف».

الآن وقد عرضنا الروايات العربية في نص واحد، يتبين بلا شك أن هناك مزجاً بين العديد من القصص والشخصيات التي ربط كل منها ببلقيس. وهنا نود لفت الانتباه إلى مجموعة من الحقائق المرتبطة بالروايات نعتبر أنها ذات أثر كبير في فهمها وهي كالتالي:

- هناك من يرفض أصول بلقيس الجنية رفضاً قاطعاً، بينما نجد من يتمسك بذلك. ونحن نعتقد أنه وجد في جزيرة العرب حكاية تناقلها العرب تقول بأن بلقيس ـ ملكة سبأ ـ كانت من الجن، وهذه هي بلقيس الأسطورة والميثولوجيا.
- هناك اختلاف في اسمها، وفي اسم أبيها وفي ما إذا تزوجت، وأيضاً في اسم الزوج، واسم أمها. سبب هذا المزج بين أسطورة بلقيس وقصة ملكة سبأ، وهذه بلقيس القصة والتاريخ.
- هناك ملكة سبأ التي التقت سليمان وأسلمت معه لله، وهذه بلقيس المسلمة.
- هناك من يربط بلقيس ببابل ونهاوند وأذربيجان والصين... الخ، وهناك من يتجاهل هذه المسألة، وهذه بلقيس الفاتحة.
- هناك من يربط بناء الأضرحة والقصور في غمدان وسلحين... الخ بسليمان وبلقيس، بينما يقول آخرون غير ذلك، وهذه بلقيس المعمرة، وهذا الجانب مرتبط بالنقطة السابقة.
- هناك اختلاف في الألغاز التي طرحتها بلقيس، وهذا مرتبط، إلى حد ما، بـ«اليهوديات».

إن المنهجية العلمية الوحيدة التي ستسمح لنا بفهم مغزى رواية بلقيس توجب تحليل مكوناتها اعتماداً على معارفنا الحالية ببعض مكونات التراث العربي الجنوبي، ومن منظور تحليلنا لرؤية وهدف ناقلي ومسجلي القصص. أي أن المطلوب استيعاب مغزى المعلومات الواردة في الروايات وعلاقتها ببعضها بعضاً وفق المفاهيم التحليلية النظرية، وكما قصدها الإخباريون والرواة. فعلى سبيل المثال، عندما نبحث أو نحلل خلفية القول بالأصول الجنية المزعومة لبلقيس، علينا أن نفهم مغزى هذه الإشارة ضمن إطار ما توفر لنا من معلومات عن الحياة العربية الجنوبية، وينطبق هذا الأمر أيضاً على البحث في سبب رفض إخباريين لهذا الأصل المزعوم. كما أننا ملزمون هنا بتقصي الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بهذا الزعم. أي أن هدفنا ليس البحث في أصول الفكرة نفسها، وإنما في دلالاتها. سوف لن نبحث هنا فيما لو أنهم عرفوا تلك الدلالات وسكتوا عنها،

أو أنهم كانوا على جهل بها. فبحثنا تاريخي ـ اجتماعي وليس نفسانياً، كما أن الكشف عن دوافعهم لن يغير من الأمر شيئاً. وفي حالة أننا حاولنا شرح الرواية من منظور يسلخها عن محيطها الأصلي الذي نشأت فيه، سنقع لا محالة في فخ عدم فهم الرسالة التي تحملها في طياتها، وفق تأويلات الإخباريين. لذا علينا أخذ كافة العناصر الداخلة فيها بشكل منفرد، ثم في وحدتها الداخلية بما يساعدنا في تقديم تحليل واضح للرسالة التي تنقلها إلى المستمعين، علماً بأننا ننظر إليها على أنها قصة كانت تجول في المجتمع، ولم تُدرَك، على ما وصلنا من كتابات عربية عن الموضوع، أبعادها التراثية العميقة، ربما لأنه لم يقم أحد بتحليلها بشكل صحيح ومنسجم، وهو ما سنحاول توضيحه تالياً.

إن التباينات الجوهرية التي قمنا بسردها أعلاه تقول لنا بضرورة فرز الأسطورة أو الميثولوجيا عن ملكة حكمت في سبأ وأطلق عليها اسم بلقيس، عن قصة أو قصص ملكة أو ملكات أخريات على سبأ، عرفن أيضاً بالاسم بلقيس، ثم دمجن في شخصية واحدة عرفت بأنها ملكة سبأ التي أسلمت وربطت بما جاء في سورة النمل. هذا يعني أنه علينا تناول مسألة بلقيس من منظورين مختلفين واستعراض كل منهما على حدة بما يساعد، بنظرنا، في فهم الرواية بكل أبعادها.

نعود الآن للقول بأن رواية بلقيس تحوي أربعة مكونات هي القصة والتاريخ والأسطورة والخرافة، أي الميثولوجيا، وهو ما سنحاول إثباته تالياً وفي الفصل اللاحق بما يسهل علينا فهم تلك الاختلافات والتناقضات والنتائج المرتبطة بها. لكن قبل الانتقال إلى هذه الجانب، نود أولاً توضيح مفهومنا للمصطلحات آنفة الذكر حتى نرسي قاعدة علمية واضحة لعملنا، وحتى يكون القارىء على بينة من أبعاد مقولاتنا واستنتاجاتنا. وهنا سنستعين بإبداعات من سبقنا في هذا المجال، ونستميح القارىء في إيراد استشهادات مطولة توضح المقصود.

سجل كمال الصليبي التالي: (هناك حقيقة التاريخ، وهناك حقيقة الأسطورة، وفي كلتيهما تصوير للواقع وإن اختلفت طبيعة هذا التصوير. التاريخ يعتمد الدقة في تحرّي الحقائق، ويربط بينها مستعيناً بالدليل والمنطق. والأسطورة تطلق العنان للخيال، فتأخذ مادة التاريخ وتنسج منها ما تنسج من أقاصيص دون المساس بجوهرها. حقيقة التاريخ حقيقة واقعية جافة. أما تلك التي للأسطورة فهي شعرية، تصور الواقع بالألغاز والرموز. التاريخ من عمل العلماء الأفراد، أما الأسطورة فهي من نتاج مخيلة الشعوب... الأسطورة تخدم الغرض نفسه الذي يخدمه التاريخ، فهي تمثل محاولة لتصوير الواقع عن طريق ربط الحاضر بماضيه. وهي بذلك تختلف اختلافاً أساسياً عن القصة العادية التي يختلقها القصّاص، بما فيها من شخصيات وأحداث، بقصد التسلية أو الاعتبار. فالأسطورة، على عكس القصة، لا تختلق أسماء أبطالها، بل تأخذها كما هي من مادتها التاريخية، وإن كانت هذه الأسماء في الأصل ليست لأفراد من البشر أو من

الآلهة، بل لأراض أو مجتمعات، وربما لحضارات أو مؤسسات من هذا النوع أو ذاك. والأهم من ذلك... هو أن الأسطورة، على عكس القصة، لا تخلق جغرافيتها. ولو فعلت ذلك لزالت عنها صفة الأسطورة، فتحوّلت إلى قصة عادية. فالأسطورة لا يمكن أن تخدم غرضها ـ وهو الغرض نفسه الذي يخدمه التاريخ ـ إلاّ إذا كانت جغرافيتها صحيحة، كما في التاريخ... والخرافة هي ما درجنا على تسميته بالميثولوجيا. والخرافات هي ضرب من الأساطير، مع فارق مهم في المضمون. فالأسطورة، كما قلنا، هي معالجة شعرية خيالية لمادة التاريخ. أما الميثولوجيا، فالمادة فيها ليست تاريخية بقدر ما هي فلسفية تأملية)[٢].

ولاحظ د. محمد عجينة أن الأساطير (... هي في نظر أصحابها الذين ابتدعوها عين الحقيقة. أما في نظر سواهم فلا تؤخذ مأخذ الجد بل هي عين الوهم والباطل والمُحال. وأما الميثولوجيا فتتميز عن الأسطورة بأنها ليست محل اعتقاد من أي كان، لا من الذي يقصها ويرويها ولا من الذي ينصت إليها، ولكن هل هذا الحد الفاصل بين الأسطورة والميثولوجيا حد قاطع؟ أليست بعض الميثولوجيا أساطير كف أصحابها عن الإيمان بها وبالتالي تكون بين الأسطورة والميثولوجيا علاقة نشوئية إذا ما نظرنا إليهما في مجرى الزمان وفي سياق التطور التاريخي؟ الطريف أن في استعمال العرب تطابقاً يكاد يكون تاماً بين الأسطورة والميثولوجيا باستثناء نوع مخصوص بعينه هو الميثولوجيا التي على ألسنة الحيوانات)[٣].

ننهي الآن هذه المقدمة وننتقل إلى القسم الأول، وهو بلقيس الأسطورة والميثولوجيا، وفق رؤيتنا، لنرى إن كانت هذه المنهجية تساعد على فهم مجمل الرواية وأسباب الاختلافات والتناقضات فيها.

١ ـ بلقيس الأسطورة والميثولوجيا

نبدأ تقصي أسطورة وميثولوجيا بلقيس بالقول مرة أخرى أن العرب عرفت روايات عديدة عن ملكات عربيات حكمن في اليمن، ولم يكن يعرف اسم أي منهن، وإن كانت هناك آثار معلومات عن بعضهن سترد في سياق العرض. ونحن على قناعة بأن العرب لم تكن، حتى الإسلام، تتناقل رواية بلقيس الأسطورة والميثولوجيا التالية بأي هدف، ولم يكن ينظر إليها سوى على أنها جزء من التراث الشعبي المتناقل جيلاً بعد جيل، وقرناً وبعد قرن. ولا شك أن المخيلة الشعبية كانت تقوم بدورها في وضع إضافات هنا وهناك بما يشرح، برأينا، سبب بعض التباينات بين الروايات الأسطورية الميثولوجية. كما أننا نعزو سبب بعض التباينات إلى اختلافات في المحيط الثقافي المرتبط بالرواة والرموز وبالآلهة... الخ.

وحتى نتمكن من توضيح وجهة نظرنا، سنقوم تالياً بفرز ما نرى أنه نص أسطوري وميثولوجي في الرواية المسردة أعلاه عن باقي المكونات، ثم نقوم بتحليلها اعتماداً على معارفنا اللغوية المرتبطة باللقى الأثرية في اليمن، وسنرى إن كانت هذه المنهجية ستدعم فهمنا وتقييمنا لمجمل الرواية.

برأينا أن رواية بلقيس ـ الأسطورة والميثولوجيا(*) التي سجلها نشوان الحميري(٤) عن لقاء أبي بلقيس بأمها(**) كانت على النحو التالي:

كان الهدهاد ملكاً عظيماً، ولم يكن له ذَكَر، ولا عقب غير بلقيس، أمها من الجن. وشمس أمها(***) من العرب. أما بلقيس فقد ملكت بعد أبيها، وأما شمس فكانت عند ياسر ينعم صاحب المسند بوادي الرمل. وكان سبب تزويج الهدهاد من الجن أنه خرج للصيد في جماعة من خدمه وخاصته. فرأى ذئباً يطرد غزالة، وقد ألجأها إلى مضيق ليس للغزالة عنه مخلص ولا محيص، فحمل الهدهاد على الذئب فطرده عن الغزالة، وبقي الهدهاد يتبع نظره إلى الغزالة، لينظر إلى أين تنتهي، فسار في إثرها، وانقطع عن أصحابه. فبيما هو كذلك، إذ رفع له مدينة عظيمة، فيها من كل ما دعي باسمه من النساء والنعم، والخيل، والإبل، والنخيل، والزرع، والفواكه. فوقف دونها متعجباً مما ظهر له منها. فبينما هو كذلك إذ أقبل عليه رجل من أهل تلك المدينة التي ظهرت له، فسلم عليه ورحب به وحياه، وقال له: أيها الملك، إني أراك متعجباً مما ظهر لك في يومك هذا، فقال له الهدهاد: إني لكما قلت، فما هذه المدينة؟ ومن ساكنها؟ فقال: هذه مأرب، سميت باسم بلد قومك. وهي مدينة عرم حي من الجن، وهم سكانها، وأنا اليلب بن صعب ملكهم وصاحب أمرهم. قال فبينما هم كذلك إذ مرت بهم امرأة لم ير الراءون أحسن منها وجهاً، ولا أكمل منها خلقاً، ولا أظهر منها صباحة، ولا أطيب منها رائحة، فافتتن بها الهدهاد. وعلم ملك الجن أنه قد هويها وشغف بها، فقال له: أيها الملك، إن كنت قد هويتها فهي ابنتي وأنا أزوجكها. فجزاه الهدهاد خيراً على كلامه، وقال له: من لي بذلك؟ فقال له الجني: إنما عرضت عليك من تزويجي إياها منك وجمعي بينكما على أسرّ الأحوال وأنا بها زعيم، فهل عرفتها؟ فقال له الهدهاد: ما رأيتها قبل يومي هذا، فقال له الجني: فإنها الغزالة التي خلصتها من الذئب، ولا نكافئك على فعلك الجميل أبداً بأحسن من حبائك بها على أن تعطيني ساحل البحر ما بين بيرين إلى عدن. قال: فإذا أردت ذلك فأقدم إلينا بخاصة أهل بيتك وملوك قومك ليشهدوا إملاكها، ويحضروا وليمتها، وميعادك الشهر الداخل. قال فانصرف الهدهاد على الميعاد، وغابت المدينة، وإذا أصحابه يدورون عليه. فقالوا له: أين كنت؟ ونحن في طلبك مذ فارقتنا، ولم نترك شيئاً من هذه الفلوات إلاّ قلبناه لك وطلبناك فيه، فقال لهم الهدهاد: إني لم أبعد، ولم أجب.

فخرج الهدهاد إلى الميعاد إلى أصهاره في خاصة قومه وخدمه، حتى وافاهم، فوجدوا قصراً بناه له الجن في فلاة من الأرض محفوفة بالنخيل والأعناب وأنواع الزرع وفنون الفواكه تخترق فيها المياه الجارية. فعجب القوم من ذلك عجباً شديداً، ورأوا ملكاً عظيماً، ونزلوا في القصر معه على فرش لم يروا مثلها قط، وقربت لهم موائد عليها من طيبات المأكول وألوانه التي لم يأكلوا قط أطيب منها طعماً، ولا أذكى رائحة، وسقوا من الشراب ما لم يشربوا قط ألذ ولا أهضم ولا أمرأ ولا أخف منه، فمكثوا معه ثلاثة أيام بلياليها في ذلك، وزفت إلى الهدهاد امرأته الحرورى ابنة اليلب بن صعب العرمي ملك الجن، وصار ذلك القصر دار مملكته، وأقامت معه زمناً. فولدت له بلقيس، فنشأت من أعقل امرأة سمع بها في ذلك الزمان، وأفضله رأياً وحلماً وتدبيراً وعلماً.

(*) قمنا بعمل بعض التغييرات السردية الطفيفة على نص نشوان الحميري بهدف تجنب قطع سلاسة الرواية.

(**) الجزء من الأسطورة الذي يتحدث عن اختفاء أمها وارد في «كتاب التيجان» وعند ابن الأثير أيضاً.

(***) أي أم أم بلقيس.

إن فهم المغزى التراثي لهذه الأسطورة/الميثولوجيا يستدعي أن نعرج أولاً وباختصار شديد، على جانب من الحياة الدينية التي كانت قائمة في بعض أقاليم اليمن في العصور الأولى اعتماداً على ما أمكن استنباطه من معلومات باحت بها اللقى الأثرية هناك. وسوف نقصر تعاملنا على المادة التي نرى أنها مرتبطة بشكل مباشر بموضوع بلقيس ـ الأسطورة والميثولوجيا، ثم نعقب ذلك بربط تحليل تلك المركبات مع التحليل اللغوي حتى نتمكن من فهم ومن ثم رسم صورة متكاملة ـ قدر الإمكان ـ عن مكونات، ومغزى كل العناصر الداخلة فيها، أي الهدهاد، الغزالة، الحرورى، اليلب (التالب؟)، والصعب.

تثبت اللقى الأثرية في اليمن أن العرب الجنوبيين عرفوا التعبد للكثير من الآلهة، يهمنا منها هنا الثالوث: القمر والشمس والزهرة. أما الأول فهو <ءلمقه> ـ أي القمر بعربيتنا الفصحى، والذي كان الاسم الرسمي لمملكة الآلهة في سبأ. وقد ارتبط هذا الإله أحياناً بمواقع محددة مثل نجران ومدر وناعط وجبل ألو وأوام وصرواح[٥]، حيث وجدت أماكن عبادة في المناطق المرتبطة به. وما زال هناك آثار معبد بيضاوي الشكل قائمة آثاره حتى يومنا هذا في منطقة أوام قرب مدينة مأرب التاريخية. كما وجد نقش يشير إلى المقه بصفته إلهاً، وكذلك ثور، الأرض البعلية، حيث اعتبر ذلك الحيوان رمزاً للخصوبة، وهو يذكرنا بالإله السوري <بعل هدد> الذي حمل الصفة نفسها.

كما تعبد العرب الجنوبيون للشمس <شمس> التي اكتسبت، وعلى عكس الأمر في مناطق أخرى من المشرق العربي، صفة التأنيث. ويبدو أن علاقة العرب الجنوبيين بهذه الإلهة كانت شخصية فحسب حيث ترد في النقوش مرفقة بشخص أو بمكان محدد.

أما الإله الثالث الذي ساد في جنوب جزيرة العرب والمرتبط بالرواية، فكان الزهرة التي عرفت هناك كإله ذكر تحت اسم <عثتر>. وقد تبوأ عثتر، أي الزهرة، المكانة الأولى في المعبد الوثني العربي الجنوبي، أي قبل القمر <ءلمقه> والشمس <شمس>. كما ارتبطت به العديد من المهام ومنها رعاية السلام، والحرب، والقوة، وكانت الأضاحي تُقدَّم له بهدف كسب رضائه حتى يستمر في رعاية الأراضي وسقايتها في فصلي الربيع والخريف. وهناك رأي بأن من مهامه الأخرى رعاية الأراضي المسقية اصطناعياً، أي عبر السدود والقنوات، لكن النقوش واللقى الأثرية التي عثر عليها حتى الآن لا تؤكد هذا الأمر بشكل حاسم. وقد عرف الإله عثتر بالعديد من الألقاب ومنها راعي السهول (الجوف)، والتلال المحيطة، وراعي المياه المنحدرة «الوديان؟». أما الحيوان المقدس المرتبط بعثتر، فقد كان الوعل[٦]، أي التيس الجبلي، والذي كان يعرف في بعض الأحيان بالعلاقة مع الظبي/ الظبية أو الغزال/ الغزالة، وورد اسمه أيضاً بالارتباط مع الإله عثتر. وما زالت بقايا تقديس الوعل قائمة في بعض مناطق اليمن وحضرموت حتى يومنا هذا حيث تقضي عادة متبعة من قبل بعضهم بوضع قرني وعل على أبواب المباني وشواهد المقابر. وكان الحيوان المقدس الآخر المرتبط بالتعبد للقمر عند بعض العرب الجنوبيين وخصوصاً في منطقة صرواح، هو الثعبان ـ ربما بسبب التواء جسده ليأخذ شكل القمر أو الهلال أنظر الرسم رقم (٦).

< شمس > الشمس؟

< ءلمقه > الجدي

< عثتر > رأس رمح

< عثتر > الظبي

< ءلمقه > الثعبان

آلهة العرب الجنوبيين الثلاثة

(نقش حجري من معن)

رسم رقم (٦)

ولا تعتمد هذه المعلومات عن الصيد التعبدي أو المقدس في جنوب جزيرة العرب على اللقى الأثرية فحسب، وإنما أيضاً على أخبار من خارج الإقليم. فقد سجل مؤرخ حملة الإسكندر المقدوني أريان التالي: (...كما وأبلغ الإسكندر [المقدوني - ز.م.] عن مدينتين في البحر قرب مصب نهر الفرات. ولم تبعد الأولى عن المصب حيث وقعت على بعد مائة وخمسين ستاداً من الشاطىء وكانت مغطاة بغابات كثيفة. كما وجد فيها معبد لأرتميس(*) تعبد له السكان بشكل يومي. كما ووجد فيها ماعز بري والشمواة[7] التي اعتبرت مقدسة بالنسبة لأرتميس بحيث أنه لم يسمح لأحد بصيدها، هذا باستثناء أولئك الراغبين في تقديمها كقرابين للإلهة. وكان هذا العذر الوحيد لصيدها الذي كان ممنوعاً. ووفق ما ذكره أرستيبيول، أمر الإسكندر بأن يطلق عليها اسم إكاروس[8]، وهو اسم جزيرة في بحر إيجة)[9]. ومن الجدير بالذكر أنه عثر في منطقة الخليج العربي، وفي جزيرة فيلكة تحديداً، على نقوش تظهر الغزال أو الظبي بما يقدم دليلاً أثرياً لا شك فيه عن صحة ما كتبه أريان.

الآن، وقد أوضحنا باختصار شديد دور تلك الآلهة في الهيكل الوثني العربي الجنوبي وعلاقاتها ببعضها البعض، وكذلك علاقتها مع بعض الحيوانات المقدسة، يمكننا الانتقال إلى تحليل العناصر المشاركة في تركيب هذه الميثولوجيا، والمشار إليها أعلاه، بما يمكننا، على ما نعتقد، من فهم الرواية وأبعادها.

إن العنصر الأول والأهم في الأسطورة هو اسم والد بلقيس، أي الهدهاد، علماً بأن بعض الإخباريين اعتبروا أنه لقب. ولا شك أن ذلك سهل على بعض الإخباريين والمؤولين دمج أسطورة وميثولوجيا بلقيس التي استعرضناها أعلاه، وبين ملكة سبأ التي عرفت بأنها هي المذكورة في سورة النمل حيث يلعب الهدهد دوراً في القصة القرآنية(**). ونعود الآن إلى ما سجلناه في فصل سابق عن الهدهد لنذكر بأن المعاجم العربية المتخصصة، ومنها «لسان العرب» لابن منظور، تقول في باب هُدَد (والهدَهَد أصوات الجن ولا واحد له). وحيث إن أسطورة بلقيس تربط بين والدها وبين الجن عبر القول بأن هدف تصيده كان البحث عن زوجة من الجن، فمما لا شك فيه أن هذا بالضبط ما أعطاه اللقب (الهدهاد)، وهو ليس الهدهد الطائر المعروف. وعندما حصل في مرحلة لاحقة خلط، ومن ثم مزج، بين بلقيس الأسطورة والميثولوجيا من جهة، وبين قصص ملكات حكمن في اليمن دمجن في شخصية واحدة عرفت بأنها هي الوارد ذكرها في القرآن، حدث اختلاط في الرواية حيث تمّ تعريف والدها باسم الهدهاد، وهو الأمر ذاته الذي حدث مع اسم ابنته. إذن، نقول هنا إنه لا علاقة بين الهدهاد ـ والد بلقيس وبين الهدهد الطائر. فالهدهاد

(*) لقد كان الكتاب الإغريق يعرفون آلهة الأقوام التي عرفوها بأنها هي آلهتهم، وهذا ما جعلهم يطلقون عليها أسماء آلهتهم. وسار الرومان على الخطى نفسها حيث عرفوا آلهة الإغريق بأسماء لاتينية.

(**) هنا نذكر قول الدميري عن الهدهد (طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة... ويقال له الهدهاد).

صفة أو لقب ألحق بوالد بلقيس بسبب ارتباط اسمه بالجن، بل إنه نفسه ينتمي إلى عالم الجن، وهذا بالضبط ما يجعل الرواية ميثولوجيا. ونجد دعماً لرأينا هذا في حقيقة أن اللقى الأثرية التي عثر عليها حتى الآن في اليمن لا تشير مطلقاً إلى الهدهد لا كطائر ولا كاسم علم.

أما العنصر الثاني في رواية بلقيس الأسطورة والميثولوجيا فهو الغزال، علماً بأن روايات أخرى تقول بأن أم بلقيس ظهرت لأبيها الهدهاد على هيئة ظبية. وهنا لا نستبعد أن الأمر اختلط على الرواة حيث نرى في ذلك طرافة وإثراء للرواية، وليس عاملاً تعقيدياً. وما يشرح هذا التناقض الظاهري، والثانوي، في قول الدميري صاحب «حياة الحيوان الكبرى» أن الغزالة (...الظبي الغزال، والأنثى ظبية... (التعبير) الظبي في المنام امرأة حسناء عربية، فمن رأى أنه يملك ظبية بصيد فإنه يملك جارية بمكر وخديعة أو يتزوج امرأة...). ويمكن فهم الالتباس الذي حدث بخصوص طبيعة أم بلقيس كما ظهرت لأبيها الهدهاد، بالعودة مرة أخرى إلى كتاب الدميري الذي يقول: (...قال ابن سيده: قال الكرخي: الظباء ذكور الغزلان، والأنثى الغزال، قال الإمام وهذا وهم، فإن الغزال ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه). هذا يوضح برأينا خلفية الالتباس بخصوص طبيعة أم بلقيس.

وقد احترنا في مسألة الإشارة إلى أم بلقيس باسم «الحرورى» حيث افتقدنا شرحاً لمعنى الاسم في المراجع ولنا رأي بأن المقصود هنا «الجنية» ذلك أن المعاجم العربية تقول بأن الحرة هي (الجان من الثعبان). وهنا نذكر أن الرواية الأخرى عن كيفية لقاء والد بلقيس بأمها حيث ظهر له أخوها على هيئة ثعبان.

الآن نود الانتقال خطوة إضافية وتقديم اجتهاد لنا بخصوص اسم والد أم بلقيس المسمى اليالب بن صعب، حيث نعتقد بحدوث تصحيف عند كتابة الاسم، ووجب أن يكون التلب أو التالب. وإذ صح تخميننا، نرى أننا عثرنا على إثراء جديد للميثولوجيا أو للأسطورة حيث عرف «التالب»، أي الظبي، في النقوش العربية الجنوبية بأنه (سيد الحيوانات). أما العرب فقالوا إن التالب هو الوعل، أي التيس الجبلي الذي يسكن شعب الجبال، والأنثى تالبة. وروى أن مأوى الوعول الجبال فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلاّ في الدهر مرة(*). وفي حالة عدم حدوث تصحيف، وهو أمر لا يمكن كشفه الآن بسهولة، يبقى الاسم اليالب (اليلب) وثيق العلاقة بالرواية الميثولوجية لأن المعاجم العربية تعرّف الأخير بأنه (درع من جلود الحيوانات).

وقد وردت إشارات في بعض النقوش اليمنية تلقب التالب بالظبي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقة أن صيد تلك الحيوانات كان عملاً قدسياً مرتبطاً بنمط من التعبد الوثني[١٠]، فإن هذا ما يشرح ربطها بآلهة محددة. ومن الجدير بالذكر أن «تالب» ـ سيد الحيوانات، قد ارتبط في بعض

(*) وقيل بالارتباط بها المثل (أن فلان كبارح الأروى)، أي الشخص الذي يرى منه الإحسان أحياناً.

مناطق اليمن بالإله القمر، أي المقه، وهو ما يشرح، برأينا، ربط الإخباريين العرب بلقيس بالمقه، وتعريفها بأنه اسمها.

لكنه عُثر على نقوش عربية جنوبية لا تصف «تالب/ تءلب» هذا بأنه سيد حيوان معين، وإنما تعطيه لقباً آخر مرتبطاً بالمروج، وفي نقوش غيرها هو سيد قطعان المواشي - قرب المدن، وأيضاً سيد المروج الخضراء. وهذا ربما ما يشرح أن والد أم بلقيس، وفق الرواية الثانية، كان ملكاً على مدينة مأرب، غير المرئية، التي ظهرت لوالد بلقيس، علماً بأن الراوي أسهب في وصف خيراتها. ونحن نرى في القول بأنها كانت مدينة غير مرئية ذاكرة شعبية وحنيناً إلى أيام كانت فيها مأرب بلاد الخير. أما اختفاؤها في الرواية فمرتبط على ما يبدو بانهيار السد وتدمير المنطقة وهجرانها من قبل السكان، وهذه حقيقة تاريخية معروفة ومثبتة أثرياً.

وتعرّف كتابات الإخباريين العرب الصعب بأنه طائر صغير، والجمع صعاب. ونقرأ أيضاً أن الحر هو اسم ولد الظبية والحية أيضاً. وباستشارة اللقى الأثرية في اليمن نجد أن الوعل، وكان يلقب بالغزال، كان من الحيوانات المقدسة في سبأ. كما ونلاحظ أن الإله العربي الجنوبي < ءلمقه > أطلق عليه في النقوش التي عثر عليها في صرواح اسم (سيد الجدي).

هذا جعلنا نرى أن هذه الميثولوجيا تشير إلى العلاقة بين تلك الآلهة من جهة، وبين الحيوانات المقدسة المرتبطة بها. ويبدو أن النص يشير إلى مرحلة تمّ فيها التخلي عن التعبد للشمس، كالإلهة الأولى، لصالح القمر، وهو ما يشرح مسألة أن أم بلقيس ظهرت للهدهاد على شكل غزالة أو ظبية. وبغض النظر عن الرسالة التي أراد الرواة نقلها، وهي مسألة ثانوية، نرى أن العرب الجنوبيين عرفوا جوانب من تاريخهم الأول وبعضاً من تراث أجدادهم، لكنهم لم يكونوا قادرين على التعبير عنه بسرد واضح، ربما بسبب التواتر الشفوي لذلك التاريخ وبُعده. وهذا بالضبط ما أطلق مخيلتهم الشعبية ليحافظوا على بعض جوانب ذلك التراث في هذه الميثولوجيا الرائعة[11].

ونلاحظ أن النص يقول بأن أم بلقيس، أي جدتها لأمها، كانت شمس التي كانت مع ياسر ينعم بوادي الرمل الذي تنسب إليه فتوحات عظيمة حيث قيل إنه وصل إلى آخر الأرض. وبكلمات أخرى، تقول الرواية الأسطورية الميثولوجية أن الأخير كان يتعبد للشمس، وهو برأينا سبب الإشارة إلى جدة بلقيس من أمها، وهو أمر غير معروف في نصوص أخرى. لذا نرى أن هذه الرواية تتحدث، برموز، عن عملية انتقال من التعبد للشمس إلى التعبد للقمر، وهو ما يعبر عنه قيام والد بلقيس بمحاولة صيد ظبية، أو غزالة التي عرفنا أنها كانت من حيوانات المقه، أي القمر، المقدسة. وعند الانتقال إلى التعبد للقمر، ظهرت المدينة مأرب الخضراء والثرية. وقد سجل نشوان الحميري في كتاب «شمس العلوم» أن الهدهاد، والد بلقيس، أوصى بالملك من بعده إلى ياسر ينعم - صاحب شمس - لكن بلقيس هي التي تسلمت السلطة بعد وفاة أبيها، بما يعني برأينا، أن التعبد للقمر هو الذي انتصر في نهاية الأمر. كما وقيل في النص ذاته أنه كان لبلقيس

أخت اسمها شمس، بما يوضح العلاقة الداخلية في التعبد للشمس وللقمر، وإننا إزاء نص أسطوري ميثولوجي ليس إلاّ. وتفيد كتابات الإخباريين العرب بأن ياسر ينعم هذا رد الملك إلى حمير بعد وفاة سليمان، أي أن المقصود أنه أعاد التعبد للشمس في قومه.

وهناك نص آخر يقول بأن بلقيس تمكنت من قتل عمرو ذي الأذعار أبو ياسر ينعم الذي وصف بأنه «الرجس الجائر»، أي الذي كان يتعبد للشمس، وهو أيضاً سرد بالرموز عن انتصار التعبد للقمر بدلاً من الشمس. لكن وجود نصوص أخرى تتحدث عن زواج بلقيس بملك همدان يعني، برأينا، توسع التعبد للقمر، وهو الأمر ذاته الذي يعبر عنه المطالبة بالمنطقة الواقعة بين يبرين وعدن، والمنسوبة إلى اليلب (التالب؟) بن الصعب والد بلقيس. أما الاختلافات في مسألة هوية زوج بلقيس ومصيرها فيعود، برأينا، إلى أنه كان لكل إقليم باليمن تاريخه القبلي الخاص وتعبده المختلف أحياناً عن نظيره عند جيرانه.

ومن الممكن أن نستنبط من هذه الأسطورة/الميثولوجيا، أي ميثولوجيا بلقيس وشمس وياسر ينعم، حنيناً إلى أيام الخصوبة والثراء، وهو ما يعبر عنه أن مدينة الجن التي ظهرت للهدهاد كان اسمها مأرب حيث أسهب في الحديث عن خيراتها. ومن غير المستبعد أبداً أن المقصود هنا عكس ما أوردناه آنفاً، أي أن سكن الهدهاد في تلك المدينة الخصبة هو رمز للانتقال من الجفاف إلى الخصوبة، أي إشارة رمزية إلى بناء، أو ضرورة بناء سد. وهنا نعتقد بأن هذا الشكل للأسطورة أو الميثولوجيا مرتبط بشكل وثيق بأحداث تاريخية باليمن، ونعني بذلك بناء سد مأرب. ومن الممكن أن يعثر على مواد أو دلالات أخرى للميثولوجيا، لكن النصوص ذات العلاقة بحاجة إلى تدقيق واف، وهذه مهمة نتركها لأجيال مقبلة قادرة على فهم واستيعاب نصوص تراثنا بشكل أفضل مما يتم الآن[*].

وترد هذه الأسطورة بشكل آخر أوردناه كاملاً في الملحق، وتقول بأن من ظهر للهدهاد كان أخا بلقيس وعلى هيئة ثعبان أو ثعبان كبير[١٢]. كما يطلق هذا النص على أم بلقيس أم رواحة بنت سكن[١٣]، ولا توجد أية إشارة إلى أبيها أو إلى يبرين... الخ. ونحن نرى في هذا النص إثراء آخر للأسطورة، ويبدو أنه مرتبط بمنطقة أخرى من اليمن، آخذين بعين الاعتبار أن الثعبان

(*) لقد لاحظ ابن حزم الأندلسي هذه المشكلة حيث سجل في باب التبابعة من مؤلفه **«جمهرة أنساب العرب»** التالي: (وفي أنسابهم اختلاف وتخليط، وتقديم وتأخير، ونقصان وزيادة. ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلاّ طرف يسير، لاضطراب رواتهم وبعد العهد). كما أن محرري كتاب ابن خلدون ينقلون عن ابن الوردي، نقلاً عن صاحب تواريخ الأمم، القول: (ليس في التواريخ أسقم من تاريخ ملوك حمير، لما يذكر فيه من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم، فإنهم يزعمون أن ملوكهم ستة وعشرون ملكاً، ملكوا في مدة ألفين وعشرين سنة ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة والفرس ثمانية، ثم صارت اليمن للإسلام). ورغم تعاطفنا الشديد مع أولئك الإخباريين وإدراكنا للصعوبات الجمة التي تواجه من يبحث ويحلل المادة، إلاّ أننا نعتقد أن المسألة تحتاج إلى قدر كبير من الصبر والتأني، وأنه يمكن استخراج معلومات تاريخية وأسطورية مهمة من قوائم التبابعة وغيرهم.

كان أحد الحيوانات المقدسة المرتبطة بالقمر، أي <علمه>. وحتى نفهم المقصود من هذا النص نعود مرة أخرى إلى كتابات العرب حيث نجد أن الدميري سجل في مؤلفه «حياة الحيوان الكبرى» أن أحد أشكال الجن عند العرب هو الثعبان. كما أن الفيروزأبادي قال في «القاموس المحيط» إن «الجن حية كحلاء العين لا تؤذي كثيراً». وهذا ما يشرح لماذا قال الرواة هنا أن أخا بلقيس ظهر على شكل ثعبان. ونحن على قناعة بأن هذه الميثولوجيا أيضاً مرتبطة بمسألة بناء السدود في اليمن. ومن دليل ذلك قيام الثعبان ـ أي الإله القمر <علمه> ـ بصفته إله الأرض العطشى أو البعلية، أو رمزها، بطلب الماء من والد بلقيس.

كما نرى علاقة قوية هنا بين اسم أم بلقيس، أي رواحة بنت سكن، وبين عالم الجن. ونحن نميل للقناعة بأن الاسم رواحة[١٤] مشتق من روح، أي ريح[*]، وهو شيء غير مرئي، علماً بأن العرب قالت بأن الجن هي أجسام هوائية. كما نقل لنا القزويني الاعتقاد السائد بين العرب بأن الجن خلقوا من لهب النار، وهو ما يذكرنا باسم النار عند العرب وفق صاحب «لسان العرب»، أي (سكن)، علماً بأن المعجم نفسه يقول بأن (السكن) هم الجن. أما الاسم الآخر لوالدة بلقيس وفق الرواية فهو ريحانة، وتعني بالعربية (الرزق). ويدعم اجتهادنا هذا القول بأنها (بنت الشكر[**]). وهناك شكل آخر للاسم وهو (السكر)، ومن غير المستبعد حدوث تصحيف. وفي حالة غير ذلك نقرأ أن (السكر) هو (السكون)، والقول (سكرت الريح) يعني (سكَنَتَ بعد هبوب).

ونجد علاقة بين التشهير ببلقيس الذي أقحم في النص على لسان الشياطين بأن ساقيها كرجلي الحمار، أو الدابة في روايات أخرى، من جهة، وبين ما قاله البعض عن الأصل الجني لبلقيس من جهة أخرى، في حقيقة أن العرب ربطوا بين الحمار وإبليس ـ الشيطان. فالجاحظ سجل في كتاب الحيوان ـ باب الجن، التالي: (الجني إبليس لذنوبه والأفعى هي الحية التي كلم إبليس آدم من جوفها ومن لا علم عنده. يروى أيضاً أن إبليس قد دخل جوف الحمار مرة، وذلك أن نوحاً لما دخل السفينة تمنّع الحمار بعسره ونكده وكان إبليس قد أخذ بذنبه، وقال آخرون بل كان في جوفه، فلما قال نوح للحمار أدخل يا ملعون ودخل الحمار دخل إبليس معه إذ كان في جوفه قال فلما رآه نوح في السفينة؟ قال يا ملعون من أدخلك السفينة قال أنت أمرتني قال ومتى أمرتك قال حين قلت أدخل يا ملعون ولم يكن ثم ملعون غيري...). ونجد رأياً مشابهاً لذلك عند القزويني الذي سجل في فصل «المتشيطنة» التالي: (...ومنها ما حكي أن الله تعالى لما سخر لسليمان نادى جبريل عم أيتها الجن والشياطين أجيبوا بإذن الله لنبيه سليمان بن داود، فخرجت الجن والشياطين من المغارات والجبال والآكام والأودية والفلوات والأحام... فوقفوا بين يدي

(*) قال ابن منظور وابن دريد أيضاً أن أصل الياء في الريح واو قلبت ياء لكسر ما قبله.

(**) يرد في المعاجم المتخصصة أن الشُّكر هو فرج المرأة، وقيل لحم الفرج.

سليمان فجعل ينظر إلى خلقتها وعجايب صورها وهم بيض وسود وصفر وشقر وبلق على صورة الخيل والبغال والسباع، ولها خراطيم وأذناب وحوافر وقرون...). وحيث إن بلقيس لم تكن، وفق الأسطورة، جنية «كاملة»، فقد ساعد هذا الاعتقاد في إقحام القول أو الزعم بأن ساقيها فقط كانتا كرجلي الحمار. لكن هناك أبعاداً أكبر من ذلك لذلك الزعم وسنعود إليه لاحقاً.

إن أسطورة وميثولوجيا بلقيس تلك تنقلنا إلى عالم قديم لم يكن الإنسان قد انفصل فيه بشكل كامل عن عالم الحيوان، لكننا نفضل تجنب الدخول في تفاصيل أكبر عن الموضوع حيث نعتقد بأننا ما زلنا بحاجة إلى المزيد من اللقى الأثرية التي تسمح لنا بالتعرف بشكل مفصل ومتكامل على هيكل التعبد الوثني العربي الجنوبي. رغم ذلك، نحن على قناعة بأن رواية بلقيس لا علاقة لها بالإشارة القرآنية إلى ملكة سبأ وسليمان النبي. فالأولى مجرد ميثولوجيا(*) حافظ من خلالها العرب اليمانيون، عبر المخيلة الشعبية، على بعض من جوانب الحياة الدينية والثقافية عند آبائهم. وهذا ما جعل العديد من الإخباريين يرفضون القول بأن بلقيس هو اسم تلك الملكة السبئية، بل إنهم عرفوها بالارتباط مع الإله الرسمي في سبأ، أي بالمقه، والمقصود بذلك المتعبدة أو المتوجهة إلى الإله المقه وهو القمر، والمرتبط بالحيوانات التي أشرنا إليها. وهذا أيضاً ما جعل أولئك الإخباريين يمتنعون عن ربطها بالرواية القرآنية، ليس فقط بسبب طبيعتها الجنية، وإنما أيضاً للاختلاف في طبيعة عبادة ملكة سبأ ـ الأسطورة عن المذكورة في القرآن والتي تعبدت للشمس.

سوف لن نحاول الغور أكثر في الموضوع أو في طبيعة رسالة الأسطورة/ الميثولوجيا حيث نعتقد بأننا قرأنا رسالتها الأساسية، ونكتفي بالقول إنها تعكس بعض جوانب حياة العرب الجنوبيين الدينية في العصور الأولى، وعلاقة البشر بالحيوان، وجوانب من تاريخ الإقليم وخصوصاً مسألة بناء السدود... الخ. وقد بقيت هذه الأسطورة حية عند بعض العرب، لكنهم لم يدركوا معناها العميق وأبعادها، وهو بالضبط ما جعل العديد من الإخباريين يرفضونها. ومن الأمور الجديرة بالملاحظة هنا أن الراوي لا يطلق على بلقيس أياً من الأسماء التي وردت في النصوص التي استعرضنا جزءاً منها في الفصل السابق. كما ونلاحظ أيضاً كيف أن الإخباريين العرب أعادوا بناء بعض الأصرحة اليمانية المرتبطة ببلقيس إلى الشياطين والجن تعبيراً عن دهشتهم لمستوى تلك الأبنية. ولا شك أن هذا القول نشأ أصلاً في مرحلة الانحطاط الحضاري، وهو ما يذكرنا بحديث الإغريق عن عجائب الدنيا السبعة.

إذن ننهي تقصي مسألة بلقيس الأسطورة/الميثولوجيا بالقول إن العرب اليمانيين عرفوا في

(*) عندما نتحدث عن أسطورة وميثولوجيا بلقيس، نرى أنه علينا أخذ هذا القول ضمن إطار كون الرواية تنقل رسالة معينة. وفي حالة عدم العثور على أية رسالة تنقلها الرواية، فإنها تضحي قصة خيالية ليس إلاّ. وقد تبين لنا أن أسطورة وميثولوجيا بلقيس تضم إشارات واضحة عن انحياز للتعبد إلى هذا أو ذاك من الآلهة، وفي المقام الأول، الفائدة التي يعود عليها ذلك التعبد. أما الأخير فهو بناء السدود والخضرة، أي الرخاء.

العصور الأولى العديد من الروايات الأسطورية والميثولوجية عن بعض جوانب الحياة الدينية والتاريخية في جنوبي جزيرة العرب. ومع مرور الزمن، وبسبب التناقل الشفوي للتاريخ وصيرورته جزءاً من التراث الشعبي، تحول إلى تراث أسطوري مما أدى إلى نسيان أصوله الأولى وخصوصا في مرحلة الانحطاط المادي التي عرفها جنوب جزيرة العرب إثر الوهن الذي أصاب الممالك هناك سواء نتيجة للحروب الداخلية، أو بسبب الغزو الحبشي والفارسي، أو عقب انهيار سد مأرب وما أعقبه من حلول الخراب العام في المركز الحضاري العربي الأول. لكن بعض الحقائق التاريخية وعلى رأسها دور بعض الحيوانات في التراث القديم بقيت، رغم ذلك، في الذاكرة الشعبية وأخذت مكانها على شكل حكايات، أجمل ما تناقل العرب منها كان أسطورة وميثولوجيا بلقيس. فالعلاقة بين الإنسان والحيوان لم تكن بعيدة أبداً عن العرب في العصور الأولى وحتى صدر الإسلام، والأسماء خير دليل على ذلك، وهي تعكس، برأينا، أصولاً أسطورية أو ميثولوجية عن علاقة عالمي الإنسان والآلهة والحيوان.

كما كان للعرب روايات أو قصص عن ملكات حقيقيات حكمن في سبأ اكتسبت إحداهن شهرة غير عادية بسبب مآثرها وارتبط اسمها بسليمان النبي، فكانت هي المثال للجمال والحكمة والسلطان.

وجاء القرآن لينقل خبراً عن ملكة حكمت في سبأ ربط عهدها بسليمان وذكرت فيه بشكل إيجابي، أي الإيمان معه بالله، فتمّ الخلط بينها من جهة وبين ملكة سبأ، بلقيس ـ الأسطورة/ الميثولوجيا وباقي القصص التي كانت متواترة في الإقليم، ليحدث إشكال كبير ويؤدي إلى صراع حول المقصود بما أدى إلى اختلاف كبير في التفاصيل، وهذا ما يقودنا إلى بلقيس القصة ـ التاريخ.

٢ ـ بلقيس القصة والتاريخ

ننتقل الآن إلى ما نرى أنه الرواية التي ترد في مختلف المراجع عن بلقيس ـ التاريخ، والتي دمجت بعضها ببعض بما يجعل عملية الفصل أمراً غاية في التعقيد والصعوبة، خصوصاً في غياب أية نقوش أثرية عن الموضوع. لكننا سنحاول هنا التعرف إلى بعض منها، دون أن نخوض في مسألة تحديد التاريخ لأن غياب اللقى الأثرية سيجعل أية استنتاجات مجرد تكهنات ليس إلاّ.

برأينا أن الروايات المختلفة التي أوردناها في مطلع هذا الفصل تورد قصصاً معقولة عن ملكة أو ملكات حكمن في اليمن أو سبأ واشتهرن بسبب ذلك وعرفن، بعد صهرهن في شخصية واحدة، عرفت بأنها هي المشار إليها في القرآن.

أما القصة الأولى التي نعتقد أننا وجدناها فهي مرتبطة ببلقيس التي يشير إليها ابن الأثير، وتشكل جزءاً من الرواية المتكاملة عنده. وتقول تلك الرواية إن أباها مات من غير وصية بالملك

لأحد، فأقام الناس ابن أخ له. ويبدو أن بلقيس لم تقبل بذلك وتآمرت عليه وقتلته ثم تولت الملك بعده.

وهناك قصة عن بلقيس أخرى دخلت تاريخ الإقليم، وهي التي فرت من منافسها الذي لم يكن محبوباً واستولى على السلطة بعد وفاة أبيها. وقد عادت بلقيس من جديد إلى قومها وتسلمت سدة الحكم من شخص وصف بأنه «الرجس الجائر»، وهو غير المشار إليه آنفاً في بلقيس ـ الأسطورة/ الميثولوجيا.

وهناك، برأينا، قصة أخرى عن بلقيس تولت السلطة بعد وفاة أبيها، ثم اضطرت إلى التخلي عنها لصالح أخيها المشار إليه بأنه عمرو. وهناك بلقيس رابعة يبدو أنها هي التي كان لها علاقة بقلمس نجران بن عمرو.

لكن تحديد هوية كل واحدة منهن، أمر في غاية التعقيد ويتطلب التدقيق في كافة كتابات الإخباريين عن المادة ومراجعتها بشكل علمي، وهو الأمر الذي افتقدناه في المراجع التي أشرنا إليها في نهاية العمل. إن اكتناز تلك المؤلفات بالأخطاء اللغوية والمطبعية أمر مؤسف حقاً لأنه أعاق بحثنا في هذه المادة، وقد يستيقظ البعض يوماً ما لينجز عملية مراجعة وتدقيق لائقة بتلك الأعمال التراثية الثمينة حقاً.

ومن الخطأ استبعاد أن بعضاً ممن أشير إليهن كن آلهة ليس إلاّ وأن الروايات عنهن تندرج تحت إطار الأسطورة والميثولوجيا(*). لكننا نقول بأننا على ثقة بأن بعض الروايات تحمل في ثناياها تاريخاً، وأنه يمكن تحديد فترات حكم بعضهن، لكن الأمر يحتاج إلى جهد كبير للغاية، وفي المقام الأول إلى مراجع مدققة من علماء ذوي قدرة وخبرة في مجالهم، ولن نمل من الإشارة إلى هذه النقيصة ـ المعيبة حقاً ـ في كتابات التراث المطبوعة قرب نهاية القرن العشرين.

وفي الوقت الذي نطرح رأينا هذا، نود التذكير بما سجلناه آنفاً من أن النقوش الآشورية تثبت أن العرب، أو بعضهم، حكم من قبل نساء، ويبدو أنه علينا انتظار المزيد من اللقى الأثرية حتى نتمكن من الوصول إلى حل معقول للمسألة. ومن الأمور المثيرة للانتباه أن أحد المؤرخين البيزنطيين يقول أن سميراميس والملك الآشوري قاما بتأسيس مستوطنات في «العربية السعيدة»، أي جنوبي جزيرة العرب. ونحن على قناعة بأن العلاقات بين آشور وبابل من جهة وبين العرب والعرب الجنوبيين تحديداً من جهة أخرى، كانت أقوى بكثير مما يعتقد حتى الآن، وأن التأثير الحضاري المتبادل ما زال ينتظر بحثاً جدياً. لذا وجب إعادة قراءة النصوص والحوليات الآشورية والبابلية التي حللت جميعاً ضمن إطار بلاد الشام وحيث أهمل جانب جغرافي آخر هو الحجاز

(*) ونجد دعماً لرأينا في حقيقة أن كتاب التيجان يشير إلى أن أم أحدى الشخصيات الرئيسية في إحدى الروايات، وهو عمرو ذو الأذعار كانت من الجن.

واليمن. وهناك نقطة أخيرة بخصوص بلقيس ـ القصة والتاريخ وجب أخذها بعين الاعتبار،وهي أن أحد مؤسسي الكنيسة أشار حوالى القرن الرابع إلى وجود ملكة تحكم في «العربية السعيدة»، أي في اليمن.

سوف لن نذهب أبعد من هذا إذ أن التوسع في الموضوع قد يزيد الأمور تعقيداً، ونضيع في بحثنا الذي قد نعود إليه يوماً ما في محاولة لتحديد تاريخية كل من هؤلاء الملكات اللاتي أدغمن في رواية واحدة بهدف وضعهن تحت حماية الإسلام، خصوصاً بعد أن تمّ ربط كل منهن بالرواية القرآنية.

٣ ـ بلقيس ملكة سبأ المسلمة

ننتقل الآن إلى «ملكة سبأ المسلمة» المسماة أحياناً بلقيس، والتي تمّ تعريفها بأنها هي المشار إليها في سورة النمل. وقبل مباشرة تقصينا نكرر القول بأننا لا نبحث في القصة القرآنية، وإنما في قصة ملكة سبأ التي زعم بعض الإخباريين والمؤولين أنها هي بلقيس ـ الجنية.

لقد لاحظنا وجود اختلاف، بل صراع، بين العديد من الإخباريين والمؤولين حول أصول ملكة سبأ واسمها ولقبها واسم والدها، وفي المقام الأول، حول طبيعتها، أي فيما إذا كانت جنية أو إنسية. وحيث إن بعض الإخباريين صمموا على أن ملكة سبأ المذكورة في القرآن هي بلقيس ـ الجنية، فلا بأس من التذكير ببعض الحقائق المهمة حتى نتمكن من تحليل روايات الإخباريين والمؤولين عنها بشكل صحيح، وهي كالتالي:

- القصة القرآنية لا تذكر اسم ملكة سبأ، وتشير إليها على أنها امرأة.
- القصة القرآنية لا تذكر اسم أي من والديها.
- القصة القرآنية لا تشير ولا بأي حال من الأحوال إلى ما زعم من أصولها الجنية.
- القصة القرآنية لا تقول أي شيء عن مظهرها الخارجي.
- القصة القرآنية لا تقول أي شيء عن ألغاز ما.
- القصة القرآنية لا تربط لا سليمان ولا مكان لقائه معْ ملكة سبأ بأي موقع جغرافي محدد.
- القصة القرآنية لا تربط بين ملكة سبأ من جهة، وبين أية مبان أو أصرحة من جهة أخرى.
- القصة القرآنية لا تربط ملكة سبأ بأية بقع جغرافية غير سبأ.
- القصة القرآنية تنقل، على لسان الهدهد بأنها أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، ودون نفي ذلك.
- القصة القرآنية تنقل على لسان قوم ملكة سبأ قولهم بأنهم ذوو بأس وقوة، ودون نفي ذلك.

ـ القصة القرآنية تقول بأنها أرسلت إلى سليمان بهدية غير محددة.

ـ القصة القرآنية تقول بأنها كانت تتعبد للشمس ثم إنها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

لكن عند العودة إلى كتابات الإخباريين العرب والمؤولين التي عرضنا جزءاً منها في الملحق، لا نجد أي دعم من الرواية القرآنية لروايتهم، وهذا برأينا أحد أسباب الاختلافات العميقة بين الإخباريين وقصصهم. ونحن على قناعة بأن بعض الرواة العرب أخذوا أجزاء من رواية بلقيس الأسطورة والميثولوجيا والقصة ـ التاريخ، وركبوها، بعد دمج أقسام عناصرها ببعضها بعضاً، على قصة عن ملكة ما حكمت في سبأ كانت مثالاً عند العرب للحكمة والثراء، وارتبط تاريخها بسليمان ـ رمز الثروة والقوة النبوية، ثم ربطوا القصة الجديدة التي أنتجتها مخيلتهم بالقصة القرآنية الواردة في سورة النمل. وهنا من الضروري ملاحظة أن الإخباريين والمؤولين قالوا بأن اسم بلقيس هو المقه الذي عّرفه البعض خطأً بأنه الزهرة، والذي نعرف أنه كان إلهاً ذكراً عرف باسم عثتر. وبذلك فإنهم تجاهلوا أن القصة القرآنية عن ملكة سبأ تقول بصريح العبارة أنها كانت تتعبد للشمس.

إننا على قناعة بأن الإخباريين لم يدمجوا الروايات عن جهل أو بدون قصد. ونعني بذلك أنه كان لهم هدف محدد يتجلى بشكل واضح في التعليقات الاجتماعية ضد المرأة والتعليقات السياسية ـ الاجتماعية الأخرى التي تخترق تلك المؤلفات. إن الاختلافات الجوهرية بين روايات بعض الإخباريين العرب، ونأخذ هنا الثعالبي ممثلاً لهم، وبين القصة القرآنية تؤكد، برأينا، أن المزج لم يكن عرضياً، وإنما مقصوداً. فعلى سبيل المثال، نحن لا نفهم إطلاقاً الإصرار العجيب لبعض الإخباريين على الزعم بأصولها الجنية، وهو أمر غير وارد في القصة القرآنية بتاتاً. ثم ما معنى أن أصول بلقيس جنية؟ لقد تفادى الإخباريون والمؤولون شرح هذا بكلمات واضحة، لكن كتاباتهم المعادية للمرأة تحوي ما يكفي من المؤشرات على قصدهم، وهو القول بأن العالم الذي تمثله تلك المرأة قد انتهى، فهو عالم لا يمت إلى الإنس. وهو أيضاً ما جعل بعضهم يقول بأن سليمان نكحها! ثم زوجها وجردها من السلطة وعين زوجها ملكا بدلاً عنها.

وقد ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك حيث ربط موقفه الشخصي من المرأة بأحاديث نبوية مزعومة، ومنها القائل (لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة)[١٥]، وهو استكمال للموقف السلبي لكتابات الإخباريين العرب تجاه ملكة سبأ وما مثلته من نظام اجتماعي ـ سياسي[*]. ومن الجدير بالذكر أن باحثة مغربية قامت بالتنقيب في أصل هذا الحديث الذي يرد عند البخاري بصيغة (لم يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة)، ولكن بالارتباط هذه المرة بالإمبراطورية الفارسية، واكتشفت أن

(*) لقد استخدم هذا الحديث المزعوم لإجبار شجرة الدر على التنازل عن السلطة، على ما تورده كتابات الإخباريين العرب.

راويه هو أبو بكرة الذي أمر عمر بن الخطاب بجلده بسبب شهادة كاذبة تتعلق بالزنى، وذلك وفق رواية ابن الأثير(١٦).

كما يتضح مجدداً المزج التعسفي والهدف التأويلي الذي ينتقص من قدر المرأة من خلال التعليقات والإضافات في العديد من الروايات، ومن ذلك القول بأن الإسلام يلزم المرأة المسلمة بالزواج. ويعود ذلك الموقف للتجلي من خلال التعليق (قالت الجن: كنا نصيب في سليمان رحمة النبوة، فيسأل عما نريد، فإذا تزوج بلقيس أتتنا فطنة الجن وحيَل الإنس وكيد النساء). وهذا المزج التعسفي هو الذي أدخل التعليق بأن بلقيس كانت تكلم أقيال سبأ من وراء حجاب. وهو أيضاً الذي فرض الحجاب على زوجات سليمان وحريمه! وهذا المزج التعسفي والهدف التأويلي هو الذي أدخل التعليق على لسان ملكة سبأ (... إن الرمانة لا يدرى ما هي حتى تذاق) حيث يبدو وكأن سبب وجود، بل خلق المرأة أصلاً، هو إرضاء غريزة الرجل الجنسية، وهو أمر تقوله التوراة بصريح العبارة(١٧). والأمر ذاته ينطبق على مسألة النورة حيث ربط بداية استخدامها بخضوع بلقيس ـ الأنثى للمذاق الجنسي لسليمان ـ الذكر، لكننا سنعود إلى هذه المسألة. ويظهر الهدف التأويلي مجدداً من خلال قول البعض بأن قومها كانوا يعبدون إله السماء وأنها هي التي أجبرتهم على التعبد للشمس. وهو أيضاً الذي أدخل التعليق على لسان أقيال حمير لوالدها (... أيها الملك تدع أفاضل قومك وأهل ملتك وتستخلف علينا امرأة...).

أما إقحام القول بأن ساقيْ بلقيس كانتا مشعرتين فهي مسألة تستحق فعلاً التوقف عندها والبحث في جذورها.

إننا نرى أن هذا القول يعني أن أصول بلقيس شيطانية، وهو ما توضح آنفاً من خلال استعراض كتابات الدميري والقزويني، وما يرد في كتابات قديمة أخرى. لكن حيث إن القرآن يقول بأن ملكة سبأ أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وهو أعظم تكريم، اضطر اولئك الرواة إلى نفي الصفة الشيطانية عنها، أي عن بلقيس ـ مثال المرأة، وألحقوا القول بالشياطين أنفسهم، لكنهم لم يتمكنوا من إخفاء مقصدهم التأويلي ـ الاجتماعي السلبي تجاه المرأة حيث نراهم يزعمون بأن ساقها كانت مشعرة.

لقد اتخذ المؤولون والرواة القول القرآني ﴿إنه صرح ممرد من قوارير﴾ بدافع التشديد على مسألة شعر ساقي بلقيس، أي أنها امرأة «مسترجلة» وشيطان. لكن من الواضح أن هذا التأويل لم يقبل دون معارضة حيث رفض بعضهم هذا الفهم، أي القول بأن هدف النظر إلى ساقها كان للتأكد من أنها ليست كحافر دابة، وعزى سببه إلى اعتقاد بلقيس أن الهدف إغراقها في الماء أو اللجة. كما رأينا أن آخرين فسروا القول بأن هدف سليمان كان اختبار فهمها، رداً على امتحانها له. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نرى أن الرواة أدخلوا العديد من العناصر التراثية حيث قالوا إن سليمان طلب معونة الجن لإزالة الشعر عن ساقيها، ثم حوروا ذلك ليقولوا إن هدفه كان

مضاجعتها. أي أنهم أدخلوا ما كان متوفراً من معلومات في محيطهم الحضاري عن النورة، ثم زعموا بأن سليمان كان أول من استخدمها وعمل الحَمّام؛ وهنا نذكر قول القزويني (إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني وجعلتني رجيماً، فاجعل لي بيتاً، قال الحمّام).

لكن واقع الأمر أن مسألة إزالة الشعر مرتبطة بميثولوجيا قديمة كانت قائمة في جزيرة العرب، ونعتقد أن الرواة والمؤولين كانوا على علم بها. إن تلك الميثولوجيا تربط بين الشمس من جهة وبين الشعر من جهة، دون أن نعرف حتى الآن خلفية ذلك الاعتقاد. لكن لدينا العديد من الشواهد القديمة عن الموضوع، ومنها الرواية الواردة في سِفر القضاة من العهد القديم عن شمشون ودليلة. وتقول تلك الميثولوجيا أن سبب قوة شمشون كان شعره، وأنه فقد قدراته العضلية الخارقة عندما قامت عشيقته دليلة بقصه، علماً بأن الاسم شمشون هو أسلوب تصغيري لشمس. ويكون المقصود من ميثولوجيا شمشون ودليلة أن الشمس تفقد سلطانها مع قص الشعر(*). وبهذا يكون المؤولون والرواة قد أخذوا تلك الميثولوجيا القديمة التي كانت سائدة في محيطهم الحضاري، والتي ترمز إلى علاقة لا تنفصم بين الشمس ـ الآلهة، وبين الشعر، أي القوة والسلطان، ووظفوها في تأويلهم بهدف فرض حكم اجتماعي يعني حرفياً أنه على المرأة أن تخضع مظهرها الخارجي لمزاج الرجل. ثم قاموا بإدخال مسألة النورة وربطوا ذلك كله بسليمان ـ المعرف في القرآن بأنه نبي، وقالوا إنه طالب بذلك بهدف نكاحها!

لكن استخدام النورة لإزالة الشعر عن الجسد أو عن ساق بلقيس لم يكن هدفه، عند المؤولين، تحسين مظهر المرأة ليناسب الذوق الجنسي الذكوري فحسب، وإنما أيضاً القول بأن سليمان ـ الرجل، أنهى سلطة المرأة عبر تجريدها من الشعر، أي من مصدر السلطة؛ هذا هو جوهر مسألة النورة، ولا علاقة له بالقصة القرآنية، وسنعود إلى هذه المسألة في القسم الأخير من الفصل الخامس عندما نتعرض لمادة «اليهوديات».

ننتقل الآن إلى جانب الجنس في أسطورة بلقيس، وهو مرتبط بالجانب التراثي. فبمراجعة كتابات الإخباريين عن الحيوانات المرتبطة بالرواية الميثولوجية، وقد قدمنا عرضاً مسهباً لها في الملحق، نجد أن لهذا الجانب دوراً غير ثانوي. ففي مجال الحديث عن الحمار، وهو مرتبط بما قيل عن ساقي بلقيس، نقرأ قول الدميري (وربما دلت رؤيته على الولد من الزنى. ومن رأى حماراً أنزل من السماء فدسَّ ذكره في دبره نال مالاً عظيماً يستغني به، لا سيما إذا كان الرائي ملكاً والحمار أسود أو أدهم، والله أعلم.... ولبن الحمارة إذا ضمد به الذكر أنعظ). كما نجد هذا الجانب في الحيوانات الأخرى الوارد ذكرها في الرواية. فالهدهد، أيضاً وفق الدميري، نقلاً عن الجاحظ، (وفّاء حفوظ ودود وذلك أنه إذا غابت أنثاه لم يأكل ولم يشرب ولم يشتغل بطلب طعم ولا غيره، ولا يقطع الصياح حتى تعود إليه، فإن حدث حادث أعدمه إياها، لم يسفد بعدها

(*) بما يعني أن أجداد بني يسرئيل، أو قسماً منهم، كان يعبد الشمس.

أنثى أبداً، ولم يزل صائحاً عليها ما عاش، ولم يشبع بعدها أبداً بطعم بل ينال منه ما يمسك رمقه إلى أن يشرف على الموت، فعند ذلك ينال منه يسيراً.... (الخواص)... ولحمه إذا بُخِّر به معقود عن الباه أو مسحور، أبرأه...).

كما نجد إشارات جنسية واضحة تحاول اختراق أو استيعاب عالم النساء في القول بأن بلقيس كانت تحيط نفسها بالوصيفات. فكتاب التيجان يقول بهذا الخصوص (...وكان معها ثلاثمائة وستون امرأة من بنات أشراف حمير. وكانت تحبس الجارية حتى تبلغ، ثم تحدثها حديث الرجال فإذا رأتها قد تغير لونها ونكست رأسها عرفت أنها أرادت الرجال فسرحتها إلى أهلها ووصلتها وزوجتها وأحسنت إليها ولا تزوجها إلاّ من أشراف قومها. وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظمة لها أطالت النظر غير متغيرة اللون ولا مستحية من الحديث علمت أنها لا تريد فراقها...). ومن الواضح هنا أن بعض الرواة، وهم رجال متعصبون لذكوريتهم، يقولون بأن بلقيس كانت تقيم علاقات جنسية مع النساء، وهو قول نجده يتكرر في كافة الروايات العالمية القديمة عن ممالك حكمتها النساء. لقد كانت بلقيس تقيم علاقات جنسية مع النساء، وفق الرواة الذكوريين، لأنها استلمت ما يرون أنه منصب يجب أن يقتصر على الرجال. ويبدو أن هذا العنصر كان معروفاً قبل الإسلام، لكننا نجد إضافة لاحقة في حديثها المزعوم مع سليمان الذي ألزمها بالزواج، حيث نقرأ أنه أجاب على اعتراضها (ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال؟) بالقول: (...نعم، إنه لا يكون في الإسلام إلاّ ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لكِ).

كما نجد عناصر جنسية أخرى في القصة بالقول بأن سليمان نكح بلقيس، دون أن يتزوجها، رغم أن بعض الإخباريين ينفون ذلك بقوة. فنشوان الحميري كان على علم بذلك الموقف السلبي تجاه بلقيس، لذا نجده يؤلف قصيدة لينفي عنها ذلك التشنيع ويقول:

زارت سليمان النبي بتدمر   من مأرب ديناً بلا استنكاح

وهناك إشارة جنسية أخرى مرتبطة هذه المرة بالتشديد بأن هناك شعراً كثيراً أسود على بياض ساقيها، رغم أن ابن نباتة يقول بأن شعر ساقيها كان خفيفاً. ورغم أن مسألة الشعر على ساقي بلقيس مرتبطة بشكل وثيق بالتهمة الموجهة إليها، أي كونها من الشياطين، إلاّ أن الإشارة الجنسية لا تغيب عن بالنا، خصوصاً أن ذلك مرتبط بالنورة، أي بالمرهم المزيل للشعر. فالراوي أو الرواة، عبروا عن مذاقهم الشخصي بخصوص مظهر الأنثى «المثالي»، ولذا نجد أنهم ربطوا الاستعمال الأول للنورة ببلقيس. وهنا لا يمكننا إلاّ التعبير عن تعجبنا من هذا الموقف المعادي لبلقيس من قبل الإخباريين العرب الذين يشددون على أنها هي المشار إليها في سورة النمل. فنحن لم نجد في الرواية القرآنية أية إشارة إلى مسألة وجود شعر على ساقي بلقيس. على العكس من ذلك، نرى أن القرآن يشدد على أنها آمنت مع سليمان لله رب العالمين، أي تكريمها وحمايتها. كما يتجلى الجانب الجنسي بشكل واضح في الحوار المنسوب إليها رداً على تعليق سليمان، أي (... فلما نظر سليمان إلى شعر ساقيها ورأى جسمها أحسن جسم، صرف وجهه عن ساقيها للشعر الذي

رأى، فعلمت بلقيس أنه صرف بصره ووجهه للشعر الذي رأى فقالت: يا نبي الله إن الرمانة لا يدرى ما هي حتى تذاق. قال سليمان: ما لا يحلو على العين لا يحلو على الفم). برأينا أن الكاتب هنا أدخل ذوقه الشخصي حيال ما رآه من مظهر مثالي للمرأة التي حولها إلى مجرد أنثى لإشباع الشهوات الجنسية للرجل ـ الذكر ليس إلاّ. كما أن الراوي لم يكتف بهذا التحقير لبلقيس، بل إننا نرى أنه نسب مذاقه الشخصي إلى سليمان الذي هو نبي، وأساء بذلك، من حيث لا يدري، إليه من حيث إنه جعله مجرد شهوة جنسية متدفقة ليس إلاّ.

لكن مداخلات الإخباريين وإضافات بعض رجال الدين على النصوص لم تقتصر على الجوانب السابقة فحسب، وإنما شملت الجانب السياسي والموقف من تصرفات الطغاة أيضاً. أي أن كتاباتهم ذات العلاقة تعتبر وثيقة تاريخية مهمة تعرض لأحوال البشر، والتي تمكنوا من إدخالها على النص، ربما اعتماداً على تأكيد قول القرآن (وكذلك يفعلون) على قول ملكة سبأ (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة). وتتضح التعليقات السياسية بشكل جلي في القول على لسان بلقيس بالطبع: (إنه لا يجلس عند الملوك إلاّ بإذنهم، وأما القيام فعندهم يقام، وما أقل من يقعد عندهم إلاّ من كان من خاصتهم). وكذلك التعليق التالي الآخذ شكل حوار بين أفعى نجران وبلقيس: (إني رأيت قوماً لبسوا الذل تحت العز والفاقة تحت الغنى والصبر تحت القدرة ينصرون بلا حرب ويقدرون بلا استطالة)، فكتبت إليه بلقيس (تفعل الملوك ذلك، يستميلون أهواء العالم حتى يقدروا، فإن قدروا عّزوا فبزّوا).

كما نعثر على إدانات أخرى للحكام ومنها قول الهدهد أيضاً ـ رداً على تهديد سليمان بالتعذيب والقتل: (يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله) والتعليق (فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه). ونجد ذلك أيضاً في القول، على لسان الهدهد لِلعقاب: (فناشده الله وقال: أسألك بحق الذي قواك وأقدرك عليَّ ألا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء).

وتطرق بعض الإخباريين إلى مسألة البذخ المراهق والجنوني للحكام حيث نجد أن الثعلبي يسترسل في وصف عرش بلقيس بالقول (كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من در أصفر، وصفائح السرير من ذهب، وعليه سبعون بيتاً، وعلى كل بيت باب مغلق. وكان طوله ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً في الهواء) وهو تعليق أو تفسير لقول القرآن ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ ـ أي (مما تحتاج إليه في الملك من الآلة والعدة)! فالقصد لم يكن عرش بلقيس بالتأكيد وإنما ثروة حكام الزمان.

ونجد إدانات أخرى لممارسات السلطان عند الحديث عن أسلوب التعذيب الذي توعده سليمان للهدهد بسبب تغيبه ـ دون إذن. وتضم هذه القصة عرضاً محزناً حقاً للممارسات السائدة ضد الرعية حيث ينقل لنا ـ الهدهد! بعض تلك الأساليب على النحو التالي: (وأما قوله

لأعذّبنّه فتعذيبه بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه. وقيل كان عذاب سليمان عليه السلام للطير أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض، وهو أظهر الأقاويل. وقيل إنه يطلى بالقطران ويشمس، وقيل إنه يلقى للنمل تأكله، وقيل إيداعه القفص.. وقيل حبسه مع غير جنسه). وهناك إشارات أخرى منها القول بأن أحد أصناف العذاب (...التفريق بينه وبين إلفه، وقيل إلزامه صحبة الأضداد؛ وعن بعضهم أنه قال أضيق السجون صحبة الأضداد). وقد يرى البعض أن قصد هذا الاسهاب من قبل الإخباريين هو الابتعاد عن مسألة رئيسية أخرى. ونقول إن هذه هي إحدى أهم جوانب القصة. فالهدف لم يكن التسلية، ليس بالمقام الأول على الأقل، وإنما مواعظ وأحكام وعبرة.

وهنا يكمن برأينا إحد أهم جوانب هذه الكتابات لأنها تنقل لنا صورة عن بعض معالم الحياة الاجتماعية والسياسية في تلك العصور، وأيضاً لأنها تبلغنا بموقع الناس العاديين منها حيث إننا على قناعة بأن هذه القصص كانت تتداول أو تُقرأ للجماهير. ويمكننا تخيل كيف كان الرواة يتحدثون عن البذخ والظلم وطغيان السلطان وسط حلقات المسحوقين والمظلومين والفقراء، ويمكننا تخيل سماع صرخات أو همهمات الموافقة والثناء والإطراء على كلمات إدانة الطغاة التي لم يكن المراد منها الحديث عن التاريخ، وإنما عن الحاضر. فهذه التعليقات المدخلة في هذه وغيرها من الروايات هي التي تمكننا من التمييز بين الكتابات التي كانت تؤلف تنفيذاً لرغبة الحكام ـ ومكانها خزانات الحكام ومزابل التاريخ، وبين الكتب التي كانت توظف هذا الأسلوب لعرض حال البشر وآرائهم، وهو ما يجعلها مهمة وثمينة حقة عند قراءة التاريخ... والحاضر.

نعود الآن لنلفت النظر مجدداً إلى أن الشخصية الرئيسة في الرواية هي بلقيس، وليس سليمان. فالحديث يدور حول حكمتها وإنجازاتها وثروتها وقوة مملكتها، بما يثبت، كما نرى، أن أصلها جاء من جزيرة العرب وليس منقولاً من العهد القديم كما يقول بعض المستشرقين الذين تعاملوا مع الموضوع. وهذا لا ينفي بالطبع أن بعض الإخباريين العرب نهلوا من «اليهوديات» ما ناسب آراءهم الاجتماعية وأدخلوها على الرواية، وهو الأمر الذي سيتضح في فصل مقبل.

نقول إن العرب عرفت قديماً قصصاً وأساطير وميثولوجيا عن ملكات حكمن في سبأ، واكتسبت إحداهن شهرة واسعة بسبب حكمتها وقوة ومنعة حكمها وثروة بلادها، بما سهل في أن تتفوق شخصيتها على ملكات أخريات حكمن في اليمن، خصوصاً لأنها ربطت بعهد سليمان النبي، ولتضحي هي المثل. وعندما جاء الإسلام كرم تلك الملكة أعظم تكريم عبر القول بأنها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، فضاعف من أهميتها ومكانتها بدرجة لا تقاس. وفي مرحلة لاحقة من تطور المجتمع الإسلامي حديث التشكل، طرح العديد من الأسئلة الاجتماعية والسياسية التي لم تكن واردة أو ملحة في بداياته، ومن ذلك مسألة دور المرأة في المجتمع، وقام بعض المؤولين بأخذ بعض جوانب أسطورة وميثولوجيا بلقيس التي كانت سائدة بين العرب والتي

كان يتم تناقلها كجزء من تراث شعبي، وركبوها على قصص ملكات أخريات وأعقبوا ذلك بالجمع بينها وبين ملكة سبأ ـ المثال وعّرفوها بأنها هي المرأة المذكورة في سورة النمل. والمسألة لبعض الرواة كانت أبعد من مجرد عرض قصة أو رواية، وإنما اتخاذ موقف تأويلي تجاه مسائل اجتماعية ومنه دور المرأة الذي أرادوه لها في المجتمع الإسلامي. وهذا أيضاً ما يشرح، برأينا، سبب اندلاع صراع بين إخباريين عرب حول مسألة ما إذا كان أصلها جنياً أو إنسياً. أي أن تشديد بعض الإخباريين على أصول جنية مزعومة لملكة سبأ ـ بلقيس، لم يتم اعتباطاً لإضافة متعة وإثارة للرواية، وإنما بهدف واضح مرتبط بشكل وثيق بالمفاهيم الاجتماعية التي ثبتت في المجتمع الإسلامي حديث التكون.

فبلقيس وقصتها تمثل، برأينا، إشارة إلى مجتمع تسنمت فيه المرأة أعلى المواقع القيادية، ليس وراثياً، ولكن عن جدارة واستحقاق، والذي يشار إليه في القول بأنها خلصت شعبها من «الرجس الجائر». لكن هذا لم يرق للبعض الذي تمسك بإعادة أصولها للجن، أي بأصول شيطانية، وهو الموقف التوراتي نفسه المعادي للمرأة، والذي سنقوم باستعراض بعض جوانبه في فصل لاحق. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نرى في تمسك البعض بأن أصولها جنية هو القول بأن بلقيس ـ النظام الاجتماعي، لا تمت إلى عالم الإنس، وهو ما يشرح زعم البعض بأن سليمان أجبرها على الزواج، وأرفق ذلك بتجريدها من السلطة وتعيين زوجها ملكاً على اليمن. وهو أيضاً ما يشرح باقي التعليقات المتأخرة التي سردناها أعلاه، والتي تعكس اجتهاد البعض ليس إلاّ.

طبعاً، لم يكن بمقدور الرأي المنحاز ضد المرأة، أي القائل بأصولها الشيطانية غير الإنسية، التعبير عن ذلك بصراحة. والسبب أن الرواة ربطوا بلقيس ـ الميثولوجيا بملكة سبأ المسلمة الوارد ذكرها في القرآن. فأي تصوير مخالف لذلك كان سيعني معارضة القدوس. لذا نراهم جميعاً يقولون بأن رجليها كانتا مشعرتين، أي كانت امرأة «مسترجلة». إن أصحاب هذا الرأي هم الذين أدخلوا الأحاديث عن النورة والحمام... الخ، أي القول بأنه لا مكان للمرأة في السلطة وبأن موقعها الطبيعي هو المنزل وفراش الرجل، وليس أكثر من ذلك.

لكن رغم كافة التشويهات التي أدخلها البعض على بلقيس وأصولها الجنية المزعومة وساقها المشعرة، تراجعت هذه الجوانب إلى المصاف الثاني، ودخلت بلقيس تاريخ العرب والمسلمين كمثال على المرأة الحكيمة الجميلة وأضحت مثالاً للمرأة العربية المسلمة «الكاملة» عند الكثيرين ومنهم المتصوفة. فقد كتب ابن العربي (١١٦٤ ـ ١٢٤٠) قصيدة بعنوان: «أسقفة من بلاد الروم» يقول فيها:

١ ـ مَا رَحَلوا يوْمَ بانوا البُزّل العِيسا	إلاّ وقد حملوا فيها الطَوَاويسا
٢ ـ من كل فاتكةِ الألحاظِ مَالِكَةٍ	تخالُها فوق عرشِ الدُّرِّ بِلقيسا
٣ ـ إذا تمشّت على صرحِ الزجاجِ ترى	شمساً على فَلَكٍ في حِجرِ إدريسا

٤ ـ تُحيي، إذا قتلَت باللحظِ، مَنطِقَها، كـأنـهـا عـنـدمـا تُحيـي بـهِ عـيـسـى
٥ ـ تَـوراتُـهـا لـوحُ سـاقـيـهـا سـنـاً، وأنـا أتـلـو وأدرُسُـهـا كـأنـنـي مُـوسـى
٦ ـ أُسـقُـفَّـة مـن بـنـاتِ الرّومِ عـاطِـلـة تَـرى عـلـيـهـا مـن الأنـوار نـامـوسـا
٧ ـ وحشيّة ما بها أُنس قد اتَّخَذَتْ في بيتِ خَلوتِها للذّكر نَاوُوسا
٨ ـ قـد أعـجَزَتْ كـل عـلاّمٍ بِـمِـلّـتِـنا واوُديّـاً، وحِـبـراً ثـمَ قِـسّـيـسـا
٩ ـ إن أَوْمأَتْ تطلبُ الإنجيلَ تحسبُهَا أقِـسّـة، أوْ بـطـاريـقـاً شـمـامِـيـسـا
١٠ ـ ناديتُ، إذ رَحَلَت للبَين ناقتها: يا حاديَ العيسِ لا تحدو بها العيسا
١١ ـ عَبّيتُ أجيادَ صبري يومَ بينِهِمُ علـى الطَريـق كـراديـسـاً كـراديـسـا
١٢ ـ سـألـتُ إذ بـلـغَـتْ تَـراقِـيـهَـا ذاكَ الـجَـمـالَ وذاكَ الـلـطـفَ تَـنـفـيـسـا
١٣ ـ فأسلَمَتْ، ووقَانَا اللهُ شِرّتَها، وزَحـزَح الـمَـلِـكُ المنصـورُ إبـلـيـسـا

وفي مجال التعليق على كيفية توظيف ابن عربي للألفاظ، سجل د. زكي نجيب محفوظ[١٨] أنَّ المعنى الرمزي لبلقيس في ديوان «ترجمان الأشواق» هو (الحكمة الإلهية التي تجمع بين العلم والعمل... وفيها رمز أسطوري يشير إلى ولادة بلقيس من لقاء بين الجن والإنس، ففيها من الجن! علمه اللطيف، ومن الإنسان عمله الكثيف، أي أنها رمز لاجتماع الروح والجسد في الإنسان).

كما دخلت بلقيس التاريخ والتراث العربي ـ الإسلامي بهذه الصفة، أي مثال للمرأة المسلمة، وشكلت بعض مكونات الرواية موضوعاً للكتابات الصوفية، خصوصاً عند جلال الدين الرومي. وفي مؤلفه «المثنوي والمعنوي» نجده يقول تعقيباً على مسألة قدرة الهدهد على رؤية الماء من تحت سطح الأرض التالي[١٩]:

قصة الهدهد وسليمان في بيان أنه حين يقع القضاء تغلق العيون المبصرة[٢٠]

١٢٠٢ ـ حين طرب مخيم سليمان، مثلت أمامه الطيور طائعة.

١٢٠٣ ـ لقد وجدته متكلماً بلسانها، عارفاً بأسرارها، فهرع كل منها للمثول أمامه بروحه.

١٢٠٤ ـ وكل هذه الطيور تركت صفيرها، وأصبحت أفصح من أخيك[٢١] في حضرة سليمان.

١٢٠٥ ـ إن التشارك في اللسان قربى ورباط، والمرء مع من لا يفهمونه مثل السجين!

١٢٠٦ ـ وكم من هندي وتركي يتكلمان بلسان واحد، وكم من تركيين في لغتهما متباعدان!

١٢٠٧ ـ فلسان الوفاق الروحي مختلف عن [لسان القول]، وتشابه القلوب خير من تشابه الألسن!

١٢٠٨ ـ ففي القلب يقوم آلاف التراجمة [بنقل أحاسيسه] بدون نطق ولا إيماء ولا سجل.

١٢٠٩ - فجملة الطير - بكل ما وعدته من أسرار عن الفضائل والمعرفة والعمل.

١٢١٠ - عرضت نفسها على سليمان، وكل منها مدح نفسه في معرض القول.

١٢١١ - ولم يكن ذلك عن كبر ولا اعتداد بالنفس، ولكن كلاً منهما أراد أن يتقدم على غيره عنده[٢٢].

١٢١٢ - فمن واجب العبد أن يظهر طرفاً من فضائله لسيده.

١٢١٣ - فإن وجد العار في أن يشتريه السيد، تظاهر بالمرض أو الشلل أو الصمم أو العرج.

١٢١٤ - وجاء دور الهدهد، وحرفته، وبيان صنعته، وتفكيره.

١٢١٥ - فقال: (أيها الملك، إنني سأذكر فضيلة واحدة، فضيلة صغيرة، ولكن الخير في الإيجاز).

١٢١٦ - فقال سليمان: (تكلم لنرى ما هذه الفضيلة).

١٢١٧ - فقال الهدهد: (عندما أكون في أوج الارتفاع، أنظر من ذلك الأوج بعين اليقين، فأرى الماء في قاع الثرى.

١٢١٨ - أين مكانه وما عمقه وما لونه، ومن أين يتفجر، أمِنَ التراب أم من الحجر؟

١٢١٩ - فخذ معك في السفر ذلك العارف يا سليمان، لاختيار موقع معسكرك).

١٢٢٠ - فقال سليمان: (ما أحسنك من رفيق، في القفار التي تخلو من الماء العميق)!

كيف طعن الغراب في دعوى الهدهد

١٢٢١ - وعندما سمع الغراب [كلام الهدهد]، جاء حاسداً، وقال لسليمان: (ما هذا الكلام المعوج القبيح؟).

١٢٢٢ - إنه ليس من الأدب التفاخر أمام الملوك، وخاصة إذا كان ذلك من جزاف القول الكذب المحال.

١٢٢٣ - فلو كان للهدهد هذا النظر على الدوام، فكيف لا يبصر الفخ تحت قبضة من التراب؟

١٢٢٤ - وكيف كان يقع في الشرك؟ وكيف كان يصير يائساً في القفص؟

١٢٢٥ - فقال سليمان: (أيها الهدهد! أصحيح أنه قد أصابك [كل] هذا الدوار من أول قدح؟

١٢٢٦ - فيا من شربت اللبن المخض، كيف تتظاهر بالسكر، وتلقي أمامي بجزاف القول وتكذب؟).

كيف رد الهدهد على طعن الغراب

١٢٢٧ - فقال الهدهد: (لا تستمع - بحق الله - إلى قول العدو عني، أنا المسكين المعدم!).

١٢٢٨ - فإن لم يصح هذا الذي أدعيه، فإني أضع رأسي أمامك! فلتقطع عنقي هذا.

١٢٢٩ ـ إن الغراب المنكر لحكم القضاء كافر، ولو كانت له آلاف العقول!).

١٢٣٠ ـ فإن كانت فيك كاف واحدة من [كلمة] «الكافرين» فإنك كالفرج محل للنتن والشهوة[٢٣].

١٢٣١ ـ (إنني أبصر الفخ من الهواء، إذا لم يحجب القضاء عين عقلي).

١٢٣٢ ـ وحينما يأتي القضاء ينام العلم، ويغدو القمر أسود، ويحجب الشمس.

١٢٣٣ ـ فمتى كانت مثل هذه التعبئة[٢٤] نادرة من القضاء؟ إعلم أن من القضاء أن ينكر المرء القضاء!

كما وتناول الشاعر جلال الدين الرومي قصة بلقيس حيث نقرأ التالي:

كيف شع تعظيم كتاب سليمان ـ عليه السلام ـ من صورة الهدهد الحقيرة إلى قلب بلقيس

١٦٠١ ـ مائة رحمة على بلقيس، تلك التي وهبها الله عقل مائة رجل!

١٦٠٢ ـ لقد حمل الهدهد إليها كتباً، عليه خاتم سليمان، وبه بضع كلمات ذات بيان.

١٦٠٣ ـ فقرأت تلك النكات ذات الشمول، ولم تنظر باحتقار إلى الرسول.

١٦٠٤ ـ لقد رأت عينها هدهداً، أما روحها فقد أبصرته عنقاء! ورأت حسها مثل الزبد وأما قلبها فرآه مثل البحر!

١٦٠٥ ـ إن العقل ـ من جراء هذه الطلاسم ذات اللونين ـ في حرب مع الحس كحرب محمد مع أمثال أبي جهل.

١٦٠٦ ـ فعند الكفار أن أحمد ليس سوى بشر، ما داموا لم يشهدوا منه معجزة شق القمر.

١٦٠٧ ـ فعينك التي لا تتجاوز شهود الحس جديرة بأن تملأ بالتراب. إن عين الحس عدو للعقل والدين!

١٦٠٨ ـ ولقد وصف الله عين الحس بأنها عشواء، ونعتها بأنها عابدة للصنم، عدو لنا.

١٦٠٩ ـ ذلك لأنها أبصرت الزبد ولم تبصر البحر، وكذلك لأنها شهدت الحال ولم تشهد الغد.

١٦١٠ ـ إن سيد الغد والحال أمامها، لكنها لا ترى من الكنز مثقال شعيرتين!

١٦١١ ـ فلو أن ذرة حملت رسالة من تلك الشمس، لغدت شمس الدنيا خادمة لتلك الذرة!

١٦١٢ ـ والقطرة التي جاءت سفيراً من بحر الوحدة، تكون البحار السبعة من أسرارها.

١٦١٣ ـ ولو أن سفيره كان حفنة من تراب، لخفضت الأفلاك رؤوسها أمام ترابه!

١٦١٤ ـ فتراب آدم حين غدا سفيراً للحق، خفضت رؤوسها له ملائكة الحق.

١٦١٥ ـ ولأي شيء كان انشقاق السماء؟ إن ذلك لأن ترابيا قد فتح عيناً!

١٦١٦ ـ إن التراب يرسب تحت الماء لكثافته. لكن تأمل ذلك التراب الذي تجاوز العرش مسرعاً!

١٦١٧ ـ فاعلم إذن إن لطافة الماء ليست من الماء، وأنها ليست سوى عطاء المبدع الوهاب.

١٦١٨ ـ فلو أنه جعل الهواء والنار سفليين، ولو أنه جعل الشوك يتفوق على الورد.

١٦١٩ ـ فهو الحاكم وهو الله يفعل ما يشاء. وهو الذي يبعث الدواء من عين البلاء!

١٦٢٠ ـ فلو أنه جعل الهواء والنار سفليين، وجعلهما ظلمة وكدراً وثقلاً.

١٦٢١ ـ ولو أنه جعل الثرى والماء علويين، وجعل طريق الأفق ممهداً تطويه الأقدام.

١٦٢٢ ـ فقد أصبح من اليقين أن الذي يعز من يشاء هو الذي قال لكائن ترابي: (أنشر جناحيك).

١٦٢٣ ـ وهو الذي قال للنار: اذهبي، وكوني إبليس، واهبطي بتلبيسك إلى حضيض الأرض السابعة.

١٦٢٤ ـ يا آدم، أيها الترابي! اصعد فوق السها، وأنت يا إبليس أيها الناري! أهبط إلى حضيض الثرى!

١٦٢٥ ـ إنني لست الطبائع الأربع[٢٥] ولا العلة الأولى، وإنما أنا الباقي والمتصرف على الدوام.

١٦٢٦ ـ وفعلي مستقيم وليس بذي علة. كما أن تقديري لا علة فيه، أيها السقيم.

١٦٢٧ ـ وإني لأبدل عادتي حين أشاء، وأقر هذا الغبار الثائر حين أريد.

١٦٢٨ ـ وأقول للبحر: (هيا، كن مليئاً بالنار). وأقول للنار: (اذهبي وكوني بستان ورود).

١٦٢٩ ـ وأقول للجبل: (كن خفيفاً كالصوف). وأقول للفلك: (كن ممزقاً متداعياً أمام العين).

١٦٣٠ ـ وأقول: (أيتها الشمس، كوني مقترنة بالقمر)، وأجعلهما معاً كقطعتين من السحاب الأسود.

١٦٣١ ـ ونحن الذين نجفف عين الشمس، ونجعل بالقدرة عين الدم مسكاً.

١٦٣٢ ـ والشمس والقمر يغدوان كثورين أسودين، يثقل الله عنقيهما بالأعباء.

كما وتذكر مصادر أخرى[٢٦] شعراً آخر لجلال الدين الرومي عن بلقيس حيث تقول الأبيات (٥٧٤ ـ ٥٧٦) على لسانها بأنها نبذت العطايا التي قدمت لها وبأن الهدية الحقيقية ليست الذهب، وإنما التوجه للخالق. لذا، فإن جلال الدين الرومي يرى أن الهدية التي قدمتها بلقيس لسليمان لم تكن ذهباً، وإنما قلبها الصافي، أي التعبد للإله الواحد. ويضيف القول بأنه طالبها بالتخلي عن ملكها لأن من يسجد لله الواحد، سيكسب مائة مملكة في السماء. كما ويشير شاعر الصوفية إلى بلقيس مرة أخرى، على ما يبدو، بالقول إن التعبد للخالق هو أحلى من مائتي مملكة[٢٧]. ويقول مرة أخرى لبلقيس، على لسان سليمان، أنه سيكون بإمكانها الاحتفاظ بملكها

في حالة كسبه لنفسها[٢٨]، وهي إشارة روحية واضحة تماماً. فتخليها عن الملك، بنظر جلال الدين الرومي، ليس هدفاً أرضياً، وإنما روحي. إن نبذ المُلك والتزهد هو أقرب الطرق إلى الخالق. وهنا نرى أن جلال الدين الرومي، وعلى عكس المؤولين، لم يقل بأن سليمان نكحها وخلعها عن السلطة وعين زوجها ملكاً، وإنما يشير إلى قيامها هي بترك الملك والمال كما يفعل كل من يريد التقرب من الخالق حيث يتضح لها أن كافة القصور والجنان، بالمقارنة مع حبها الإلهي، ليست أكثر من كومة زبالة[٢٩]. ويناجي بلقيس في مقطع آخر ويدعوها إلى رؤية مملكتها الجديدة قرب الخالق[٣٠]. وبهذا نرى أن بلقيس ـ الشخص لم تحظ باهتمام جلال الدين حيث إنها مثلت، بالنسبة له، المرء الذي تخلى عن الماديات الأرضية وسما بروحه إلى الخالق.

أما شاعر الغزل الإيراني حافظ، فقد نظم أبياتاً غزلية ببلقيس يقول فيها:

هذه السمراء بحلاوة العالم كله
شامتها السمراء
وعيناها الساحرتان
وشفتاها الضاحكتان
وقلبها المرح!
ورغم أنهم كلهم كانوا ملوكاً
وكان ذلك بتمام الوضوح
فإنها كانت في زمانها سليمان في اكتماله.
هي ذات المحيا البهي
كمال الخلق في عصمتها
هي بكل كمالها وصفائها في هذا العالم والعالم الآخر ـ
ولكن الشامة السوداء
على الجلد الأسمر
هي سر الأسرار،
القد أفقد آدم فؤاده.
يا رفاقي، إن حبيبتي تود الرحيل.
يا إلهي،
ماذا أفعل بقلبي المجروح
وهي بلسمه؟

سأتكلم مع من وأقول

إن الحبيبة هي قاتلتي،

وإنها ...

أخذت الهواء الذي يحييني[31]؟

ننهي الآن تقصينا في هذا الجانب من شخصية بلقيس في التراث العربي الإسلامي بالقول إنه رغم كل ما أشاعه المؤولون والإخباريون عن أصولها الجنية أو الشيطانية المزعومة، فقد بقيت، في وعي الجماهير، على كونها شخصية فذة، وأضحت مثالاً للمرأة المسلمة من ناحية الجمال والحكمة والثروة.

هوامش الفصل الثالث

(١) يضيف نشوان الحميري هنا (لهم ذوائب وقصاص والزي واحد، وختمت على سراويلهم).

(٢) **خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل**. دار الساقي، لندن ١٩٨٨. ص ٢١ - ٢٢، ٢٥.

(٣) **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**. دار الفارابي، بيروت ١٩٩٤. ص ١٩. أنظر أيضاً د. أحمد إسماعيل النعيمي: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، دار سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥.

(٤) نشوان بن سعيد الحميري: **ملوك حمير وأقيال اليمن** ـ قصيدة نشوان بن سعيد الحميري وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة. حققها وعلق عليها السيد علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي. المطبعة السلفية ومكتبتها. القاهرة ١٣٧٨، ص ٧٤ - ٧٧.

(٥) في النقوش (بن نجرن، بعل مدر، بعل نعط، ذ عرن علو، بعل عوم، بعل عوعل صرروح) على التوالي. أما الموقع أوام فما زال قائماً حتى الآن قرب مدينة مأرب ويعرف باسم «حرم بلقيس». كما عرف الأخير بأنه «سيد الوعول»، علماً بأن الوعل، كما الثور، يعتبر من الحيوانات المرتبطة بالإله القمر.

(٦) في النقوش اليمنية (علقه بعل عوعلن).

(٧) هو حيوان مجتر من الظباء.

(٨) Ikarus.

(٩) الترجمة عن النص الألماني عائدة لنا من مؤلف

Arrian: Der Alexanderzug, **Indischer Geschichte. Grieschich und Deutsch von G. Wirth und O. Hinüber.** Berlin, 1985. Buch 7:20.

(١٠) لقد عثر على العديد من النقوش التي تشير إلى الصيد التعبدي في جنوبي جزيرة العرب.

(١١) لكن يبدو أن تقديس الظبي والغزال، إلى جانب حيوانات أخرى، ما يهمنا منها تلك المرتبطة بالروايات عن بلقيس، كان متبعاً في أقاليم أخرى من جزيرة العرب بما يؤكد، برأينا، أنه وجد في العصور الأولى وحدة ثقافية أبعد مما يعتقد، وهو جانب أهمله كافة الكتاب. ونقول، للأمانة العلمية، إن ما نبهنا لهذا الأمر كتاب الزميل محمد عجينة «موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها» حيث تناول هذه المسألة ببعض الإسهاب. والأمر المهم أن العرب الشماليين عرفوا تقديس الظبي/ الغزال، بالطبع، وقيل في ذلك المثل: «آمن من حمّام مكة ومن غزلان مكة»، بما يثبت انتشار قدسيته عند أقوام جزيرة العرب وارتباطه بالآلهة الوثنية، وليس بسبب وجوده في حرم الكعبة، رغم أنه من الصعب وضع حد فاصل بين طرفي الممارسة. لكن المهم أن قدسية الظبي والغزال كانت قائمة حيث تقول المراجع بأن عبد المطلب استخرج غزالين من

ذهب من بئر زمزم عندما أعاد احتفارها. كما أن خبر وجود غزال مذهب داخل الكعبة يثبت أن تلك القدسية لم تكن مقصورة على جنوب جزيرة العرب. كما عرف العرب الحجازيون تقليداً بتحريم صيد الظباء ـ إلاّ لتقديمه للآلهة؟ وهو ما يذكرنا به ما كتبه أريان المسجل آنفاً. وقد عرف العرب «الشماليون» التعبد أو قدسية حيوانات أخرى مرتبطة بأسطورة أو ميثولوجيا بلقيس. سوف لن نسترسل في هذه المسألة ونعيد القارىء إلى المؤلف المذكور أعلاه، خصوصاً الأقسام التالية: ج١: الفصل الثالث ـ أساطير الكواكب، والفصل الرابع ـ أساطير الحيوان؛ ج٢: بلقيس ملكة سبأ ص ١٤١ ـ ١٤٨.

(١٢) أي شجاع.

(١٣) برأينا أن باقي الرواية هو ما ورد في النص السابق، ولذا لم نقم بعرضه.

(١٤) يرد في باب «روح» عند ابن منظور بأن بني رواحة بطن.

(١٥) أنظر الثعلبي: **كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس أو عرائس المجالس**. القاهرة ١٣٠٦هـ. أما نص الحديث فهو: (وروى بن ميمونة بإسناده عن الحسن بن علين عن أبي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة).

(١٦) فاطمة المرنيسي: **الحريم السياسي ـ النبي والنساء**. ترجمة عبد الهادي بكاش. دار الحصاد، دمشق؟ ص ٦٧ ـ ٧٩.

(١٧) أنظر الفصل المخصص لبلقيس في التراث الديني اليهودي.

(١٨) محيي الدين بن عربي ـ في الذكرى المئوية الثامنة لوفاته: إشراف وتقديم د. إبراهيم بيومي مدكور. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٩. ص ٩٧.

(١٩) جلال الدين الرومي: **المثنوي**. ترجمة وشرح ودراسة د. محمد عبد السلام كفافي. بيروت ١٩٦٧، باب «قصة الهدهد وسليمان في بيان أنه حين يقع تُغلق العيون المبصرة»، و«كيف رد الهدهد على طعن الغراب»، و«كيف شع تعظيم كتاب سليمان ـ عليه السلام ـ من صورة الهدهد الحقيرة إلى قلب بلقيس». أما المقاطع الواردة ضمن الأطر المدببة، أي []، فهي من إضافة المترجم. وتشير الأرقام إلى الأبيات في النص المترجم.

(٢٠) يقول المترجم (وقد أصبح الهدهد رمزاً للعارف في الشعر الصوفي. ويتجلى ذلك في الدور الذي أسنده إليه الشاعر فريد الدين العطار في منظومته الصوفية «منطق الطير» حيث جعله قائد الطير في بحثها عن العنقاء؛ أنظر قصة بلقيس عند الثعلبي في الملحق.

(٢١) أي من الشاعر.

(٢٢) حرفياً: (ولكن لكي يفسح لها الطريق قبل [غيرها]) ـ المترجم.

(٢٣) يقول المترجم (في البيت جناس بين كلمتي «كافران»، أي «الكفار» «كاف ران»).

(٢٤) قد تكون كلمة «تعبئة» هنا تحريفاً لكلمة «تعمية» ـ المترجم.

(٢٥) أي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ـ المترجم.

(٢٦) لم نعثر على المقاطع ذات العلاقة في النسخة العربية التي بحوزتنا والمشار إليها أعلاه، لكنها مثبتة في النسخة الإنكليزية التالي ذكرها، والأعداد تشير إلى أرقام الأسطر. وقد آثرنا عدم القيام بمحاولة ترجمتها وعملنا على إعطاء المعنى المقصود. أما النسخة فهي:

Jalal-ad-din-Rumi: **The Mathnawi.** Translated by: R. A. Nicholson. 8 volumes. London 1924-40.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٦٦٤ ـ ٦٦٦.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٧٩٩.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٨٦٣ ـ ٨٦٥.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ١٠٤٢ ـ ١٠٤٣.

(٣١) الترجمة عائدة لنا اعتماداً على النص الألماني التالي:

Rolf Beyer: Die Königen von Saba-Engel und Daemon, Der Mythos einer Frau. Bergisch Gladbach, 1992. S. 93f.

الفصل الرابع

بلقيس الفاتحة

سنخصص هذا الفصل لتقصي وشرح قول بعض الإخباريين العرب بأن بلقيس (توجهت إلى أرض بابل فغلبت على من كان بها من الناس وبلغت أرض نهاوند وأذربيجان). كما وسنبحث في ربطها بمدن أخرى مثل بعلبك حيث قيل إن تلك المدينة كانت مهر سليمان لها، وكذلك بمدينة تدمر حيث روى البعض بأنها دفنت بها، وبإنطاكية حيث قيل إن ابنها من نكاحها لسليمان دفن بها... الخ.

إن المشكلة التي واجهتنا في بحث هذا الموضوع هي فهم ما قصده الإخباريون العرب؛ فهل كان رواة قصة بلقيس ـ ملكة سبأ على علم بفتح يماني لتلك البلاد، أم أنهم اختلقوا هذه القصص بهدف المبالغة في أهمية بلادهم وقومهم؟ أي أن كتاباتهم في هذا المجال هي مجرد تلفيق! لكن إذا كان ذلك «الفتح» صحيحاً، فلماذا تجاهل بعض أو معظم الإخباريين هذا الجانب «الإيجابي» في قصة بلقيس علماً بأن الحوليات ذات العلاقة لا تشير إلى مثل هذه الأحداث؟

لقد تقصينا كثيراً ولم نعثر على أي أثر، مباشراً كان أم غير مباشر، في الحوليات يدعم ذلك الزعم، بما أقنعنا بأن من منهجية البحث الواجب إتباعها في بحثنا عن خلفية هذه المسألة أن نتجنب النظر إلى الإشارات الواردة في تلك النصوص بحرفية الكلمة، ووجب بدلاً من ذلك تقصيها تاريخياً، خصوصاً ضمن إطار الظروف التي سادت في الأصقاع ذات العلاقة التي أضحت جزءاً من الامبراطورية العربية ـ الإسلامية الناشئة. هذا يعني البحث عن الشخصيات النسائية الفذة، تاريخية كانت أم أسطورية، التي لعبت سِيَرها عند شعوب أو أقوام تلك الأقاليم دوراً كبيراً وحظيت باحترامهم، وكذلك في الأوابد الدينية التي ربطت بشخصيات نسائية أو آلهة. وقد تبين لنا أن هذه المنهجية تشرح الكثير من تلك الأقوال وتسهل من فهم المقصود وحل الإشكال. وحتى نمكن القارىء من فهم مقصدنا واستنتاجاتنا بشكل واضح، نود أن نستعرض

بإيجاز بعض الروايات المرتبطة بشخصيات نسائية فذة كان لها تأثير في المناطق المشار إليها أعلاه، وفي مقدمتها ما كان يُتداول من قصص عن الزباء وزنوبيا وسميراميس، وسنبدأ بقصة الزباء.

١ ـ بلقيس ـ الزَبّاء/ زنوبيا

إن المراجعة الدقيقة لكتابات أو روايات الإخباريين العرب عن الزَبّاء(*) التي سنستعرض تالياً إحداها، ستوضح، كما نأمل، صحة رؤيتنا واجتهادنا بهذا الخصوص. فهذه النصوص تبين أن الأمر اختلط على بعض الإخباريين حيث مزجوا أو دمجوا روايات عن شخصيات مختلفة[1]. فعلى سبيل المثال، قال نشوان الحميري في الأبيات ١٠٨ ـ ١١١ من «القصيدة الحميرية» المسجلة بأكملها في الملحق، التالي:

١٠٨ ـ والقيل أبرهة بن صَبّاح قضى	أيضاً وأبرهة أبو الوَضّاح
١٠٩ ـ والصعب ذو القرنين أدركه الردى	قصداً ولم يُضرب له بقداح
١١٠ ـ وسطا على الصيفي هاتك عرشه	وعلى أخيه جذيمة الوضاح
١١١ ـ وجذيمة الوضاح غير جذيمة الـ	ـزبّاء من علم ومن إصحاح

إن تمييزه في البيت ١١١ بين شخصين باسم جذيمة يوضح، برأينا، علمه بأن الأمر اختلط على بعض الرواة، وهو ما دفعه للتشديد على ضرورة التمييز.

كما لفت إخباريون آخرون الانتباه لهذا الخلط حيث نقرأ عند ابن خلدون التالي:

«قال السهيلي: ويقال إن الزباء الملكة كانت من ذرية السَّمَيدَع بن هوبَر من بني قطورا أهل مكة، وهو السميدع بن مرثد بن لاي بن قطور بن كركي بن عملاق، وهي بنت عمر بن أذينة بن الظرب بن حسان، وبين حسان هذا والسميدع آباء كثيرة ليست بصحيحة لبعد زمن الزباء عن زمن السميدع».

وهنا يعلق مصحح ومراجع الكتاب بالقول:

«تختلف المصادر العربية في تسمية الزباء هل هي نائلة أو بارعة (فارعة؟) أو ميسون، ويختلفون

(*) هناك العديد من الآراء حول المعنى الدقيق للاسم/ الصفة (الزباء). فابن نباتة يقول إن الأزبّ الكثير الشعر، وأنه كان لها شعر (إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها فسميت الزبّا). ورغم نية ابن نباتة الحسنة، فإننا لا نوافق على هذا الرأي ونرجح بأنه تشهيري ويفضحه الدميري في باب (العقاب) حيث يقول: (وكانت الزبّاء قد ربت شعر عانتها حولاً فلما دخل عليها جذيمة تكشفت له وقالت أبتاعُ عروس ترى، فقال بل متاع أمَة بظراء...)، وهذا يذكرنا فوراً بساقي بلقيس المشعرتين! أما نشوان الحميري فسجل في ص ١٧٢ من كتاب «ملوك حمير» التالي (...ثم قدموا به إلى الزباء، فكشفت عن شعر عانتها وقد طال طولاً عظيماً لترك التعهد لنفسها، وعظم الحزن على أبيها، فلما كشفته، قالت: أتراني ذات بعل يا جذيمة؟)... ومن الواضح هنا أن المقصود القول بأن الزباء كانت تقصر علاقاتها الجنسية على بنات جنسها، أي وصفها بأنها امرأة «مسترجلة».

كذلك في اسم والدها... وينقل صاحب أقرب الموارد أنها هند بنت الريان الغساني(*) ملك الجزيرة... وتلتبس الزباء على الباحثين في أوروبا! بسبأ أو بلقيس المذكورة في القرآن الكريم... [كذا]، وذلك لتشابه اللفظتين عند الإفرنج. والحقيقة أنهما شخصيتان متغايرتان، فبلقيس هي من تبابعة اليمن والزباء من نسل العمالقة بالشام. والزباء هذه هي زنوبيا ملكة بلميرا أو تدمر...»[٢].

وقد لاحظ هذا الأمر بعض الكتاب العرب المعاصرين ومنهم عمر رضا كحالة[٣] الذي قال:

«سجل الطبري اسمها نائلة... وابن الكلبي فارعة... والذهبي ميسون... وفي مجمع الأمثال ياجرى... وفي رواية المفضل الضبي أنها من الروم وأمها من العمالقة.... وقال بعض البحاثة أنها زنوبيا... ومما ينسب إليها مدينتا الزباء وغزان الواقعتان على شاطىء نهر الفرات».

نعتقد أن هذه الاقتباسات كافية لتوضيح صحة رأينا بخصوص مجمل المسألة بما ينقلنا إلى سرد رواية عن الزباء حتى نمكن القارىء من التعرف إلى تلك الشخصية، وفق كتابات الإخباريين، لكننا سوف لن نحاول التعرف على شخصها لأن ذلك يخرج عن إطار عملنا. وسننتقل بعدها إلى مقارنة محتوياتها بما يرد عن بلقيس. وقد اخترنا لذلك رواية ابن نباتة الواردة في مؤلفه «سرح العيون» حيث يقول:

«... وأما الزباء فهي ابنة مليح بن البرا(**) كان أبوها مسلطاً على الحُضر... وقتله جذيمة الأبرش وطرد الزبّاء إلى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان كبيرة الهمة. قال ابن الكلبي: وما رؤي في نساء زمانها أحسن منها وكان اسمها فارغة(***). وبلغ من همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما أنفاقاً تحت الأرض وتحصنت. وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء بتول، وهادنت جذيمة مدة ثم خطبها فاستدعته وقتلته كما تقدم في ترجمته. وأما مقتلها فإن قُصيرًا لما فارق جذيمة وعاد إلى بلاده تحيل على قتلها فجدع أنفه وضرب جسده ورحل إليها زاعماً أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة صنع به ذلك، وأنه لجأ إليها هارباً منه واستجار بها. ولم يزل يتلطف بها بطريق التجارة وكسب الأموال إلى أن وثقت به وعلم خفايا قصرها وأنفاقه. ثم وضع رجالاً من قوم عمرو في غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الإبل على أنها قافلة متجر إلى أن دخل مدينتها فخلّوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل أن تصل إلى نفقها في حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح عليه السلام»[٤].

نتبين من هذا النص القصير تشابهاً مذهلاً بين بعض تفاصيل قصة بلقيس ـ ملكة سبأ، وبين قصة الزباء، والذي لا يمكن أن نعتبره مجرد صدفة. والنقاط المهمة بالنسبة لموضوع مؤلفنا هي التالية:

(*) عرف العرب (هندات) عديدة كسبن موقعاً خاصاً في التاريخ، ومنهن هند الهنود زوجة حجر بن عمرو آكل المرار في كندة، وهند زوجة أو ابنة امرئ القيس الكندي، وهند بنت حارث بن عمرو بن حجر آكل المرار في الحيرة، وهناك هند بنت النعمان الثالث التي قيل إنها تزوجت الشاعر عدي بن زيد في الحيرة... الخ.

(**) في مقامات الحريري، هي ملكة اليمامة من بنات العمالقة، واسمها ليلى.

(***) وفي نسخ أخرى (فارعة).

- الزباء وبلقيس استلمتا الملك بعد قتلهما للغريم واستخدمتا الحيلة نفسها.
- الزباء وبلقيس كانتا مثالا للجمال والحكمة.
- الزباء وبلقيس اعتزلتا الرجال.
- الزباء وبلقيس كان لهما وصيفات.
- كل منهما تعرف بلقب أو صفة وليس باسمها الأصلي.
- هناك خلاف على الاسم الحقيقي لكل من الملكتين.
- هناك أكثر من زباء وأكثر من بلقيس.

لقد نشأت هذه التشابهات، كما نرى، بسبب الخلط والمزج بين روايات عديدة عن شخصيات مختلفة، وهو الأمر الذي لاحظه بعض من تعامل مع المسألة، وأشرنا إليه في مطلع الفصل. فما أشيع عنهن من أخبار قدم مادة كافية ساعدت على ذلك الدمج والمزج، لكن هذا يشرح جانباً واحداً، وسنعود لهذه المسألة لاحقاً.

وبمراجعة اللقى الأثرية، نرى أن الاسم الدقيق لملكة تدمر التي عرفت في المصادر الرومانية باسم زنوبيا، كان بت زباي (بنت زباي؟) بما سهل على ما يبدو تعريفها بأنها هي الزباء نائلة أو ميسون أو فارعة أو هند... الخ. لكننا نلاحظ أن بعض الإخباريين العرب مزجوا بين العديد من الشخصيات الأخرى في القصة. فقول ابن نباتة بأن الزباء ابنة مليح بن البرا (بنت على الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما أنفاقاً تحت الأرض)، يوضح أن الأمر اختلط عليه هو أيضاً. لقد خلط ابن نباتة بين الملكة موضوع كتاباته وبين ملكة أخرى فذة عرفها المشرق العربي هي سميراميس التي سنعود إليها في قسم لاحق. وهكذا، إن التشابه في الأخبار المحيطة بتلك الشخصيات، صحيحة كانت أم مختلقة، قد ساعد على دمجهن في شخصية واحدة هي بلقيس التي كانت، وما تزال، مثال المرأة الكاملة.

وهذا أيضاً ما يشرح برأينا القول بأن بلقيس دفنت في تدمر التي كانت مقر أو مدينة زنوبيا - ملكة تدمر(٥). ومن غير المستبعد أن ربط بلقيس بمدينة إنطاكية مرتبط بمعارك ملكة تدمر ضد الرومان في تلك المدينة والتي يقال إنها عانت فيها خسائر فادحة. وقد لاحظ العديد من الإخباريين هذه المسألة حيث سجل نشوان بن سعيد الحميري في كتاب «شمس العلوم» عن تدمر التالي: «تدمر مدينة بالشام مبنية بعظام الصخر فيها بناء عجيب، سميت بتدمر الملكة العمليقية بنت حسان بن أذينة لأنها أول من بناها. ثم سكنها سليمان بن داود عليه السلام بعد ذلك فبنت له فيها الجن بناء عظيماً فنسب اليهود والعرب بناءها إلى الجن لما استعظموه. قال النابغة:

وخَيِّس الجن أني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصُفَّاح والعَمَدِ»

ومن الجدير بالذكر أن البكري صاحب «معجم ما استعجم» سجل أن تدمر (مدينة بالبرية،

على طريق الشام، بنتها الجن لسليمان... قال الهمداني: كانت الزباء الملكة تصيّف بتدمر وتتربع بالتخار، قال وسميت بتدمر بنت حسان بن أذينة، وهي بنتها وسمتها باسمها، وفيها قبرها، وإنما سكنها سليمان بعدها. وذكر ابن الكلبي، عن الشرقي... كنت مع مروان بن محمد، فهدم ناحية من تدمر، فإذا بُجرن من رخام طويل، فاجتمع قوم، فقلبوا عنه الطبق وظن مروان أن فيه كنزاً، فإذا فيه امرأة على قفاها، قد ألبست سبعين حلة، جربانها واحد، ولها غدائر سابغة، قد ردت على صدرها، وفي بعضها صفيحة ذهب مكتوب فيها «أنا تدمر بنت حسان بن أذينة الملك، خرب الله بيت من خرب بيتي»).

أما صاحب «ملوك حمير» فيقول عن المسألة ذاتها:

«عن هشام الكلبي... قال: كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر؛ فإذا في أساس حائط من حيطانها جرن من رخام طويل، فاجتمع قوم، فقلبوا الطبق، فظن مروان أن فيه كنزاً، وإذا فيه امرأة على قفاها، عليها سبعون؟ حلة منسوجة بالذهب، جربانها واحد، وإذا لها غدائر في رأسها إلى قدمها، فذرعت قدمها، فإذا هو ذراع، وإذا صحيفة من ذهب في بعض غدائرها فيها مكتوب: أنا تدمر بنت حسان الملك بن أذينة بن السميدع، من ولد عمليق بن الصوار بن عبد شمس، خرب الله بيت من يخرب بيتي...».

لكن هناك رواية أخرى تقول بأن قبر بلقيس كشف في أيام الخليفة الأموي الوليد، وكان طوله ستين ذراعاً وأنه كان مكتوباً عليه أنه قبر بلقيس التي أسلمت في العام العشرين من حكمها وأنها تزوجت سليمان في يوم عاشوراء! وتوفيت في الثاني من ربيع من العام ٢٧ لحكمه. كما وقيل إن جثتها لم تكن قد تغيرت، ثم أمر الخليفة بدفنها...

وهكذا، فإن الأمر لم يختلط على بعض الرواة العرب فقط بخصوص ملكات يمانيات عديدات دمجن في شخص واحد باسم بلقيس، بل إن الأمر تعدى ذلك ليتم المزج بين الأخيرة وبين ملكات عربيات أخريات حكمن في شمالي الجزيرة وبلاد الشام. وهذا بالضبط ما يشرح، كما نرى، تجنب بعض الإخباريين العرب ربط بلقيس بتدمر أو بغيرها.

ومن غير المستبعد أن عملية الدمج هذه تمت بوعي وليس نتيجة جهل الرواة والإخباريين، وكان الهدف من ذلك إضفاء «الحماية» أو الشرعية الإسلامية على أوابد حظيت بتبجيل من قبل أقوام الأراضي التي فتحها العرب. وهكذا، فلم تكن بلقيس مجرد امرأة دخلت تاريخ العرب بسبب جمالها وحكمتها وسلطانها، بل إنها أضحت مثالاً للمرأة العربية أينما كانت، بما يعكس مدى عمق تأثير تلك الملكة العربية اليمانية في الوعي العام عند العرب، وأعطت حمايتها لباقي الملكات اللائي حكمن في الأراضي التي فتحها العرب.

٢ ـ بلقيس ـ سميراميس

لقد رأينا كيف أن الصفات التي أحاطت بالعديد من الشخصيات النسائية العربية الفذة تركت أثراً كبيراً في الوعي الشعبي، أدى إلى دمجهن بعضهن البعض في شخصية واحدة

أضحت المثل الذي يلهب الخيال. لكن هذا شيء والتاريخ الحقيقي الفعلي شيء آخر، وهو ما يقودنا إلى الشخصية الأخرى في تقصينا التاريخ التراثي، ونقصد بذلك سميراميس(*) البابلية.

بمراجعة الكتابات القديمة عن الموضوع، وخصوصاً عرض ديودور الصقلي (توفي بعد عام ٣٦ق.م.) نقلاً عن المؤرخ الإغريقي كتسياس (٥٠٠ ـ ٤٠٠ق.م.) الذي كان أيضاً طبيباً للامبراطور الفارسي، والذي عرضنا أهم نقاط ما كتبه في الملحق، نجد أن شخصية سميراميس هذه قد مزجت أيضاً بشخصية نسائية أخرى. قبل ذلك، نذكر أن تلك الشخصية التاريخية البابلية، واسمها الدقيق، وفق ما ورد في اللقى الأثرية، هو <سمورءمءت>، كانت زوجة للملك الآشوري سمسي هدد (٨٤٠ ـ ٨١٠ق.م.) واستلمت الملك في آشور بعده قبل أن تضطر إلى التخلي عنه لابنه ءدد (هدد) نيراري. وتفيد اللقى الأثرية أنها قادت العديد من الفتوحات العسكرية، ومنها ضد الماديين (٨١٠ق.م.)، وضد جوزان (٨٠٩ق.م.)، وضد المانيين قرب بحيرة أورال في أرمينيا (٨٠٨ ـ ٨٠٧ق.م.)، وأخيراً ضد أرفاد (٨٠٦ق.م.)(٦). كما وتوضح اللقى الأثرية أن سميراميس كانت قد أعادت إدخال الإله البابلي (نبو)(**) في آشور بما أقنع البحاثة بأنها بابلية الأصل وليست آشورية.

لقد سجلنا هذه المعلومات المستنبطة من اللقى الأثرية حتى نوضح أن الحقائق التاريخية التي نعرفها الآن بفضل الاكتشافات الأثرية، تختلف بشكل كبير عن الروايات الأسطورية التي كانت تتناقل في العصور القديمة، والتي كانت معروفة لبعض الإخباريين العرب، على ما نعتقد.

وحتى نتمكن من تسهيل المقارنة بين بعض ما ورد في الروايات العربية عن بلقيس، وبين ما قرأناه عن تلك الملكة البابلية التي حكمت في آشور سنسرد باختصار، بعض الأساطير والميثولوجيا التي أحاطت بها وفق ما سجله ديودور الصقلي، والتي لا تعود بالتأكيد إلى أصول آشورية وإنما وجب البحث عنها في الميثولوجيا الإغريقية. وقد قمنا بعرض أهم مقاطع الرواية، وفق كتابات ذلك المؤرخ الإغريقي في الملحق لفائدة المقارنة الكاملة.

تقول أسطورة وميثولوجيا سميراميس أنها ولدت لإلهة البحر السورية دكرتو العسقلانية التي تركتها بعد الولادة. وبعد ذلك تكفلت حمامات بالعناية بها وتربيتها وتغذيتها بطريقة أسطورية حتى اكتشفها بعض الرعاة الذين قاموا بنقلها إلى قرب البلاط الملكي في آشور حيث تزوجها أحد كبار الموظفين الآشوريين الذي كان يزور الإقليم بعد أن أدهشه حسنها وذكاؤها، واصطحبها معه إلى العاصمة الآشورية نينوى. وكانت المملكة الآشورية تواجه في ذلك الوقت بعض الصعوبات العسكرية في حربها ضد جيرانها في إقليم بختيريا بإيران. وهنا تدخلت

(*) لقد عرفت بهذه الصيغة في الكتابات الإغريقية، وسنلتزم بها.

(**) نتذكر هنا قول بعض الإخباريين العرب أن بلقيس هي التي أعادت إدخال التعبد للشمس بعد أن كان قومها يعبدون الله!

سميراميس لإنقاذ الموقف وارتدت لباساً محايداً لا يكشف جنسها وقادت هجوماً على قلعة المدينة المستعصية ممتطية حصاناً. وهذا ما لفت إليها انتباه الملك الآشوري الذي تحقق له الزواج منها. وبعد فترة قصيرة توفي الملك بما أفسح المجال أمام سميراميس لاستلام السلطة في آشور بعد أن بنت قبراً ضخماً للزوج المتوفى. وقامت بعد ذلك بتأسيس العديد من المباني والمدن وعلى رأسها مدينة بابل على ضفتي نهر الفرات وربطت قطاعي المدينة بجسر يمتد على عرض النهر. وتبعت ذلك ببناء قصرين كل واحد منهما في قطاع المدينة الشرقي والغربي. وقامت بعد ذلك بتحويل مجرى نهر الفرات، وربطت قطاعي المدينة بنفق تحتأرضي أعقبه إعادة مجرى النهر ليمر بالقصرين لسقاية الحدائق. كما وتعزو إليها تأسيس العديد من المدن الأخرى وبناء العديد من الأصرحة وقنوات المياه والحدائق في بلاد فارس وغيرها. كما وتعزو الأسطورة إليها العديد من الفتوحات أو الغزوات العسكرية التي أوصلتها إلى مصر والحبشة وإقليم بختيريا والهند والتي انتهت بكارثة، بما أقنعها بالتخلي عن العرش لصالح ابنها. وتوفيت بعد ذلك ولا يعرف مكان دفنها، ولكن الشعب يقدسها على شكل حمامة بعد أن عاشت ٦٢ عاماً حكمت منها ٤٢ سنة. إلى هنا ينتهي تلخيصنا لرواية ديودور الصقلي عن سميراميس.

سوف لن نقوم بتفنيد هذه الرواية ـ الميثولوجيا التي تتناقض بشكل كبير مع المعلومات المستمدة من اللقى الأثرية لأن هدفنا محدود وهو تقصي القول بأن بلقيس كانت قد فتحت بابل ونهاوند. وكل ما سنقوم به إجراء مقارنة بين بعض جوانب الأسطورة في رواية سميراميس مع رديفها عند بلقيس والزباء/ زنوبيا. وهنا أيضاً نلاحظ جوانب تطابق مذهلة بين الأسطورتين، وهي كالتالي:

- ولدت سميراميس من أم تنتمي إلى عالم آخر ـ هنا الإلهة العسقلانية دكريتو، وأم بلقيس الأسطورة/ الميثولوجيا جنية.
- تتكفل الحمامات برعاية سميراميس، وإحدى الروايات عن بلقيس الأسطورة/ الميثولوجيا تقول بأن ذئبة أخذتها واعتنت بتربيتها.
- كانت سميراميس على جانب كبير من الحسن والذكاء، وكذلك كانت بلقيس والزباء/ زنوبيا.
- يربط بسميراميس العديد من المباني، وكذلك الحال بالنسبة إلى بلقيس والزباء/ زنوبيا.
- قامت سميراميس ببناء ما يعرف بحدائق بابل المعلقة(*)، ويربط ببلقيس ملكة سبأ جنتين(**)

(*) واقع الأمر أن حدائق بابل المعلقة بنيت في عهد نبوخذ نصر البابلي (٦٠٥ ـ ٥٦٢ق.م.) هدية لزوجته.

(**) يورد الجزء الثاني من الإكليل الأبيات التالية التي تربط بلقيس بالجنتين وبتحويل مجرى نهر، أي واد:

١ ـ أولدتني من الملوك ملوك كل قيل متوج صنديد

٢ ـ ولنساء متوجات كبلقيس وشمس أكرم بها من جدود

- أنظر رسم رقم (٣). قارن هنا بين مسألة النفق الذي قيل إن الزباء بنته بين قصريها وحدائقها وبين النفق الذي قيل إن سميراميس بنته تحت نهر الفرات.
- قامت سميراميس بتحويل مجرى نهر الفرات لمنع الفيضانات، وفي إحدى الروايات أن بلقيس هي التي قامت بترميم سد مأرب(*).
- قامت سميراميس بعمل لباس محايد للذكور والنساء، وفي رواية أخرى أنها فرضته على كافة السكان، وهناك لغز قيل إن بلقيس طرحته على سليمان مرتبط بلباس موحد للوصيفات والوصائف - أنظر الفصل الثامن المتعلق بالألغاز.
- اسم زوج سميراميس سمسي هدد واسم والد بلقيس هدهاد/ هدد.
- الاسم الأول لزوج سميراميس سمسي، وبلقيس كانت تتعبد للشمس، وقيل كان لها أخت اسمها شمس.

لا شك أن أوجه التشابه بين بعض جوانب قصص أو بالأحرى أسطورة سميراميس وفق رواية ديودور الصقلي، وبين قصص بلقيس والزباء/ زنوبيا هي التي أدت، كما نرى، إلى مزج أو دمج الشخصيات الثلاث في شخصية واحدة، علماً بأننا نشدد على أن الرواية العربية عن بلقيس ليست منقولة، ولا بحال من الأحوال عن النصوص الإغريقية، بل إنها أسطورة عربية قحة كما يقال. وحيث إن بلقيس كانت للعرب مثال المرأة الكاملة، فقد كان من الطبيعي أن تصهر في شخصها ملكات عظيمات أخريات، وهو ما يقدم، برأينا، شرحاً لقول بعض العرب بأن بلقيس أنجزت العديد من الفتوحات في بابل ونهاوند وما إلى ذلك من الأقاليم التي نعرف أنها خضعت لقوات سميراميس وتركت فيها آثارها.

ومن الطريف حقاً تذكر رواية نشوان الحميري في كتاب «ملوك حمير» عن النضيرة حيث نجد تشابهاً كبيراً بين قصة بطلتها وبين ما ورد في روايات سبق ذكرها، خصوصاً في مجال التشهير بالمرأة. يقول نشوان الحميري أنها:

«كانت ابنة الملك الضيزن بن معاوية، من بني العبيد... وأمه جهيلة، وعرف بالضيزن بن جهيلة وكان ملكاً بالحضر(**). وكان الضيزن قد ملك الجزيرة، وكثيراً من الشام، وكان معه قبائل قضاعة، وكان كثير الغارات على الفرس، فنهض إليه سابور، الملك ذو الأكتاف بن أزدشير بن بابك ملك الفرس بجموع الأعاجم والفرس، فحصروه ثلاث سنين، فلم يقدروا عليه، حتى

---

٣ - ملكتهم بلقيس ثمانين عاماً	بأولي قوة وبأس شديد
٤ - ولها جنتان تسقيهما عينا	ن فارا بسدها المسدود
٥ - لا تبالي إن ما أتى سيل غيث	جاءها الماء من مكان بعيد

(*) أنظر السطرين ٤ و٥ من القصيدة في الملاحظة السابقة. كما ينقل ابن خلدون بأن البعض عزا بناء سد مأرب إليها.

(**) تقع المنطقة، وفق ابن الكلبي، في جبال تكريت بين دجلة والفرات، أي قرب مركز مملكة سميراميس.

اطلعت عليه ذات يوم النضيرة ابنة الضيزن من الحصن، فرأت سابور، وكان جميلاً[٧]؛ فهويته (أي عشقته) وأرسلت إليه، أنها تدله على عورة الحصن بشرط أن ينكحها، ويؤثرها على نسائه. فعقد لها بذلك، وكان لأهل الحصن نفق تحت الأرض، وهو طريق إلى نهر لهم بسور الحصن يسمى الثرثار، فدلته النضيرة على ذلك الطريق، فدخلت منه جنود سابور، فقتلوا أهل الحصن، وقتلوا الضيزن. ثم إن سابور بات بالنضيرة معرّساً، فباتت ساهرة لم تنم، فلما أصبح قال لها سابور مم سهرك هذه الليلة؟ فقالت: كم خشونة فراشك هذا، فقال لها: إنه فراش من حرير محشو بزغب النعام، ولم تنم الملوك على ألين منه ولا أوطأ، فنظر إلى ورقة آس خضراء بين عكنتين من عكن بطنها، فتناولها فسال الدم من موضع الورقة، فقال لها: بمَ كان أبواك يغذيانك؟ فقالت: بالمخ والزبد وصفو الخمر والشهد. فقال: إن كانت هذه حالتك معهما، وفعلت بهما ما فعلت؛ فلن تصلحي أبداً لأحد بعدهما؛ وأمر فعقدت ذوائبها بين فرسين، وأمر بالفرسين أن يركضا فقطعاها إرباً...»[*].

ألا تذكرنا هذه القصة أو الرواية بسميراميس التي قادت هجوماً ضد قلعة العدو؟ ألا يذكرنا الحديث عن شبقها الجنسي المزعوم باسم الزَّبَّاء؟

كما ونعثر على أثر لأسطورة سميراميس في تراث شعوب أخرى ومنهم الفرس حيث يرى العديد من أهل الاختصاص أن رواية (خسرو وشيرين) مرتبطة بشكل وثيق بقصة سميراميس ونينوى. كما خلفت هذه الأسطورة أثرها في العديد من المواقع في إيران التي ما زالت تحمل اسم سميراميس بشكل من الأشكال. كما ويوجد أثر لتلك الملكة البابلية في أرمينيا وأقاليم أخرى لا داعي للتعرض لها لأنه سيبعدنا عن الموضوع.

إننا على علم بأن الإغريق قاموا بتعريف آلهة الشعوب الأخرى بأنها آلهتهم هم، وأعطوها أسماء إغريقية، والأمر ذاته ينطبق على الرومان الذين «رومنوا» الآلهة والأساطير الإغريقة، وهكذا. لذلك نقول أن انتشار أسطورة ما وتبنيها، ومن ثم «أقلمتها» من قبل الشعوب لم يقتصر على العرب فحسب، وإنما هي عملية نراها تتكرر في أقاليم العالم.

لكن هناك برأينا سبباً آخر مهماً ساعد العرب في تعريفهم لسميراميس والزباء/ زنوبيا وغيرهما بأنهن بلقيس. ونقصد بذلك الطبيعة السمحة للفتوحات الإسلامية، والتي لم تكن أسطورية قط، رغم بعض الاستثناءات. ونعني بذلك أنه عندما قام العرب بفتح أو بالسيطرة على الأقاليم المجاورة وجدوا هناك مقامات وأوابد تحظى باحترام شعوب الأقاليم التي لم تكن مسلمة. وبدلاً من تدميرها وإجبار تلك الأقوام على التخلي عن تراثها الشعبي الطويل، قام العرب بتبني تلك المقامات، لكنهم ربطوها بشخصية من تاريخهم بما يساعد في تقبل ذلك من قبل الجماهير المسلمة. وهذا بالضبط ما حصل مع العديد من الأوابد التي كانت محط احترام وتبجيل أقوام الأقاليم المفتوحة. وهذا ما يشرح، برأينا، القول بأن بلقيس توجهت إلى بابل وأخضعتها ومن ثم

(*) نعتقد أن المقصود بهذا القول عدم معرفة مكان دفنها، وهو ما ينطبق على بلقيس والزباء وسميراميس.

إلى نهاوند، وكذلك ربطها بتدمر وبعلبك وغيرها من المواقع والأوابد الأخرى التي تشير إليها كتابات الإخباريين والمؤلفات التاريخية. فموقف عمر بن الخطاب من رفضه الصلاة في كنيسة القيامة بالقدس دليل قوي على تاريخ عريق من التسامح واحترام تراث شعوب الأقاليم التي فتحها العرب المسلمون، نحن في أمسّ الحاجة إليه في هذا العصر. ونرى ذلك التسامح على سبيل المثال بعدم قيام العرب بتغيير اسم أي من المدن في الأقاليم المفتوحة، وكل ما عملوه هو تعريب نطق تلك الأسماء، ومنها طرابلس، وهي تعريب للاسم اللاتيني Tripolis، ونابلس التي هي تعريب لفظي أيضاً للاسم الروماني Neapolis، وهكذا. وهناك من المستشرقين من يرفض ذلك ويشير إلى قيام العرب بتغيير اسم المدينة إيلياء إلى القدس، لكننا نقول بأن الأخير ليس اسماً جغرافياً وإنما صفة للمدينة.

٣ ـ بلقيس في كل مكان

ننهي بحثنا عن شخصية بلقيس ـ الفاتحة بالبحث عن جذور ربط مناطق أخرى في المشرق العربي بملكة سبأ بما يدعم وجهة نظرنا بأسباب حدوث ذلك، ونبدأ تقصينا في بلاد الشام حيث سجل ياقوت الحموي في «معجم البلدان»[٨] تحت باب (دمشق) أنه يوجد تحت قبة النسر بالجامع الأموي (عمودان مجزعان زعموا أنهما من عرش بلقيس). ويرى أهل الاختصاص بتاريخ الإقليم العتيق أن تلك الأعمدة كانت أسساً لمعبد إلهة سورية قديمة. ثم جاء الفتح العربي ـ الإسلامي لبلاد الشام وتمّ تبني أو رعاية تلك الأوابد من قبل الإسلام، أو قطاعات منه وألحقت بالتراث العربي القديم ـ كلما أمكن ذلك.

والأمر ذاته ينطبق على مسلة يبلغ ارتفاعها أربعة عشر متراً واقعة في العاصمة التركية أنقرة، والتي تعرف باسم <بلكيز مينارتشي>، أي «منارة بلقيس». ويرى المتخصصون بتاريخ الإقليم أنها أقيمت من قبل القيصر الروماني جوليان.

والأمر ذاته ينطبق على القرية «بلكيس» الواقعة شرقي مدينة أنطاليا التركية حيث تحوي مواقع أثرية قديمة لم يحدد زمنها بشكل دقيق.

وهناك تمثال للإله السوري باخوس وسط مسرح روماني بالقرية يسمى «بل كيز» بمعنى (فتاة الغسل)[٩]، وربما أنه لعب على الألفاظ والمقصود به بلقيس. كما ويوجد في جنوبي تركيا قرب الحدود السورية موقع باسم «تل بلقيس»، والذي كان موقعاً مقدساً في العصور القديمة السابقة للإسلام.

كما يوجد في إيران في المنطقة الواقعة بين مدينتي تبريز وهمدان جنوب شرقي بحيرة أرميا جبل وعر يبلغ ارتفاعه حوالى ثلاثة آلاف متر، وتقع على قمته خربة تعرف باسم «تختي بلقيس»

وبالعربية (عرش بلقيس) يقال أن بلقيس كانت تستخدمه كمنتجع صحي، وبالقرب منها يقع (عرش سليمان)، وبالفارسية «تختي سليمان». وهناك أسطورة طريفة مرتبطة بالموقع تقول التالي:

رغم أن الملك سليمان تمكن من الزواج ببلقيس، إلاّ أنه لم ينل حبها حيث لم تسمح له بمضاجعتها. ولذا قام بإرسال سرب من الطيور وأمرها بالبحث عن أبرد منطقة على وجه الأرض. وفي اليوم التالي عادت كافة الطيور دون أن تتمكن من تنفيذ المهمة التي أوكلت إليها، هذا باستثناء واحد رجع إلى سليمان في المساء ليبلغ مستمعيه بأنه وجد مكاناً بارداً لدرجة أن جناحيه تجمدا على سطح الأرض، وهو ما يبدو سبب تأخره.

وبعد أن سمع الملك سليمان بذلك، رحل إلى ذلك المكان وأقام معسكره هناك، في أكثر مناطق الأرض برودة. وقد أجبرت البرودة الملكة بلقيس على البحث عن الدفء في خيمة سليمان حيث تم له قضاء مراده الجنسي. وفي اليوم التالي قام سليمان بعمل حمام ملكي ذي مياه حارة لبلقيس حيث قامت بالاستحمام به[١٠].

ويرجح المتخصصون بتاريخ الإقليم أن «الحمام الملكي» هو المكان المعروف باسم «تختي سليمان» حيث وجدت فيه آثار معبد للنار مرتبط بتاريخ وديانة إيران العتيقة، علماً بأن الموقع عبارة عن بحيرة تقع وسط جوفة بركانية ـ أنظر الرسم. وتقول الأساطير الإيرانية القديمة بوجوب قيام عذراء مرة كل ألف عام بالاستحمام في البحيرة حيث ستحمل إبان وجودها فيها بصبي يستلم لاحقاً موقع كاهن النار.

ومن غير المستبعد أن قصة بلقيس اختلطت أو أدمجت مع كليوباترا ملكة مصر الشهيرة حيث يروى أن الأخيرة انتحرت بسم ثعبان كانت تحتفظ به. وهذا وجب أخذه بعين الاعتبار في ضوء حقيقة أن السبئيين حاربوا إلى جانب ملكة مصر ضد الغزاة والرومان.

كما نقرأ في كتابات الإخباريين العرب أن بلقيس توجهت إلى الصين. وقد بحثنا في هذه المسألة وتبين لنا أن أحد علماء التراث والأدب الصيني أشار إلى قيام أحد أباطرة الصين بزيارة الإقليم، بل وأنه سجل مقدم ملكة سبأ إليه أنظر الملحق.

ننهي الآن هذا التقصي بالقول إنه علينا في بحثنا التاريخي أن لا نأخذ قول بعض الإخباريين العرب بأن بلقيس فتحت العديد من الأمصار خارج جنوبي جزيرة العرب بحرفية الكلمة، ثم نجعل من تلك الكتابات، المهمة أحياناً، مادة للسخرية تمهيداً لرفضها وإلغائها. إن المنهجية العلمية تقتضي بأن نتحلى بأعلى درجات الصبر، والحلم، ونبحث فيما كتبوه، ونقارنه بما توفر من معلومات تاريخية وأثرية لا يرقى إليها الشك، ثم نربط كافة المعلومات التي حصلنا عليها بعضها ببعض بما يساعدنا في تشكيل رؤية واضحة لتلك الكتابات. عندئذ فقط يحق لنا أن ننبذ ما لم يثبت صحته من معلومات. وعندما نتمكن من إنجاز تلك المهمة، يمكننا القول بأننا تمكنا من الرقي إلى مستوى أن نكون ورثة ذلك العطاء الكبير.

هوامش الفصل الرابع

(١) أنظر ابن نباتة: **كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون.** بولاق ١٣٢١هـ، ص ٢٥ ـ ٥٤ حيث يكتب عن الزباء تحت عنوان (بلقيس غايرت الزباء عليك).

(٢) **تاريخ ابن خلدون في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر.** تصحيح علال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس وتعليق الأمير شكيب إرسلان. مصر ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦. باب «الخبر عن ملوك الحيرة وآل المنذر».

(٣) عمر رضا كحالة: **أعلام النساء.** مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧. باب «الزباء بنت عمرو».

(٤) سجل نشوان الحميري في «ملوك حمير» أنها انتحرت بشرب سم كان في خاتمها، وإليها ينسب القول المعروف (بيدي لا بيد عمرو) فهل هناك علاقة تراثية أو روائية مع كليوباترا التي انتحرت بالسم؟

(٥) من غير المستبعد أن هذه المعلومة تدخل ضمن «اليهوديات» في التراث العربي ـ الإسلامي، وسنقوم بالتعرض لها بشكل مسهب في الفصل الخاص بها.

(٦) هناك لقى أثرية تربط تلك الفتوحات بالابن هدد نيراري، لكن هذا إدعاء غير صحيح على ما يبدو لأن النقوش الأخرى تقول بأنه استلم السلطة في آشور خمس سنوات بعد وفاة والده.

(٧) قارن هذا بما يرد عن ميعوث شلومو لبلقيس في القسم المتعلق بالتراث الديني ـ اليهودي.

(٨) ياقوت الحموي: **معجم البلدان.** دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩.

(٩) أنظر الفصل حول رواية بلقيس في التراث الحبشي ـ المسيحي حيث يتم الربط بينها وبين العسل.

(١٠) قمنا بترجمة نص الحكاية هذه عن النص في المؤلف التالي:

Rolf Beyer Die Königin von Saba. Engel und Dämon - Der Mythos einer Frau. Bergisch Gladbach 1992. S. 106f.

الفصل الخامس

بلقيس ـ ملكة سبأ
في التراث الديني اليهودي

لقد تعاملنا في الفصول السابقة، قدر ما سمحت لنا المراجع المكتوبة والمعلومات المستقاة من اللقى الأثرية مع مسألة بلقيس، من النواحي التاريخية والجغرافية والتراثية العربية ـ الإسلامية. وسنعمل في هذا الفصل على تعميق تقصينا عن كيفية تجلي بلقيس ـ ملكة سبأ في التراث الديني اليهودي وفق العهد القديم والتلمود وباقي كتب اليهودية من الأبوكريفا والسحر والأساطير.

قبل أن نبدأ بحثنا سنعرض ما وصلنا إليه من نتائج في الفصل السابق فنقول أنه اتضح لنا أن العرب اليمانيين عرفوا أكثر من بلقيس واحدة، ونقصد بذلك أكثر من ملكة واحدة حكمت في سبأ باليمن. وقد تميزت إحداهن عن باقي الملكات بعظمة ملكها وثراء قومها وحكمتها وجمالها، وربطت مع مجيء الإسلام بسليمان بن داود. ولم يشكل ذلك أية مشكلة لدى الأقوام ذوي العلاقة المباشرة ـ حتى ذلك الحين حيث كرمها بالقول إنها أسلمت مع سليمان ـ النبي لله رب العالمين. لقد أدى هذا التكريم العظيم لتلك الملكة إلى ظهور اختلافات وخلافات، حادة أحياناً، بين اليمانيين حيث قام كل طرف بتعريف ملكت(ه) بأنها هي المذكورة في سورة النمل، وهو ما يفسر اختلاف الإخباريين حول نسبها واسمها وعهدها... الخ. ونحن على قناعة بأن القصص عن ملكات حكمن في اليمن هي قديمة للغاية، وتناقلها العرب شفوياً، كجزء من التراث الشعبي بما أفسح المجال أمام إدخال عناصر أسطورية وميثولوجية وتاريخية وقصصية إليها، وهو أيضاً ما يفسر، بنظرنا، الاختلافات حول تاريخية وإنجازات بلقيس ـ الرمز. ونحن لا نرى أن كافة العناصر الجديدة التي أدخلت على القصص، أي ما أسميناه ببلقيس المسلمة وبلقيس الفاتحة وبلقيس ـ الزباء/ زنوبيا وبلقيس/ سميراميس، جاءت بعد الإسلام، بل سابقة لذلك المنعطف التاريخي الذي شهده العرب.

في الوقت نفسه، من المهم هنا التذكير بحقيقة لاحظناها في كافة ما استعرضناه في الفصول السابقة من روايات، أن بلقيس هي الرمز وهي المحور، أما سليمان فلا يلعب سوى دور ثانوي، وهذا ما يميز الرواية العربية من باقي القصص.

١ ـ بلقيس ـ ملكة سبأ في التوراة

نبدأ البحث في كيفية تجلي بلقيس ـ ملكة سبأ في التراث الديني اليهودي بالعهد القديم حيث نجد نّصين مختصرين أولهما الوارد في سِفر الملوك الأول ١:١٠ ـ ١٣، والمكرر، مع بعض التباينات النصية واللغوية الجانبية، في سِفر أخبار الأيام الثاني ١:٩ ـ ١٢. أما النص الذي سيشكل أساس تحليلاتنا فهو الوارد في سِفر الملوك الأول، والذي يقول التالي:

> ١:١٠) وسمعت ملكة سبأ بسليمان المقرب من يهوه[1] فجاءت إليه تمتحنه بأسئلة صعبة ٢:١٠) فدخلت أورشليم في موكب عظيم ومعها جِمَال محملة أطياباً وذهباً كثيراً وحجارة كريمة، والتقت سليمان وسألته ما كان في خاطرها ٣:١٠) فأجاب على جميع أسئلتها، ولم يترك أصعبها دون جواب ٤:١٠) ورأت ملكة سبأ حكمة سليمان، والقصر الذي بناه ٥:١٠) وطعام موائده، ومجلس حاشيته، ونظام خدامه وهندامهم، وسقاته، ومحرقاته التي كان يقدمها في هيكل يهوه، فأصابها الذهول ٦:١٠) وقالت للملك: «كان صحيحاً ما سمعته في بلادي عن حكمتك ٧:١٠) لكني لم أصدقه حتى جئت وشاهدت بعيني، فإذا بي لم أسمع بنصفه. فحكمتك وغناك يفوقان ما سمعته ٨:١٠) هنيئاً لرجالك، وهنيئاً لخدامك هؤلاء القائمين بين يديك يسمعون حكمتك ٩:١٠) تبارك يهوه إلهك الذي رضي عليك وأجلسك على عرش يسرئيل. فهو لحبه الأبدي ليسرئيل أقامك ملكاً بالحق والعدل» ١٠:١٠) وأهدت الملك عشرين قنطار ذهب[2] وأطياباً كثيرة وحجارة كريمة. وكان مقدار الأطياب التي وهبتها للملك سليمان أكثر مما ورد عليه حتى ذلك الحين ١١:١٠) وحملت سفن حيرام التي قدمت من أوفير ذهباً وخشب صندل كثير وحجارة كريمة ١٢:١٠) فعمل سليمان من خشب الصندل درابزيناً للهيكل وللقصر وقيثارات ورباباً للمغنين، ولم يرد قبلاً مثل ذلك الخشب إلى يسرئيل ولا شوهد مثله إلى هذا اليوم ١٣:١٠) وأعطى الملك سليمان ملكة سبأ كل ما طلبته، فوق ما أعطاها من العطايا السخية، وانصرفت إلى بلادها هي وحاشيتها.

أول ما يلاحظه المرء في هذه الرواية القصيرة والمقتضبة، أن المحور هو سليمان التوراة، أو شْلُمُو، وليس ملكة سبأ. فهدف الراوي والمحقق ليس إظهار عظمة تلك المملكة العربية الجنوبية والتركيز على حاكمتها وملكتها، وإنما القول بأن سبأ لم تكن شيئاً بالمقارنة مع مملكة شلومو. وهذا أحد أهم الفوارق، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، بين الرواية العربية والعربية ـ الإسلامية من جهة، وبين الرواية التوراتية وباقي القصص الديني من جهة أخرى. وبينما لا يوجد لدينا شك في أن هذا النص التوراتي يعود إلى مرحلة تاريخية مبكرة، إلاّ أننا، وعلى عكس بعض من سبقنا من أهل الاختصاص الأوروبيين الذين تعاملوا مع الموضوع، لا نرى فيه إثباتاً تاريخياً غير قابل للنقاش. فمنهجية البحث العلمي في مثل هذه الكتابات التاريخية المعقدة تلزم الباحث انتظار

اللقى الأثرية قبل إطلاق أحكام قاطعة النهائية. وفي غياب مثل هذا الدليل، وجب إعلام القارىء بأن الآراء المطروحة هي مجرد تكهنات أو احتمالات، وليس أكثر من ذلك. كما أن استخدام هذا النص كمرجع علمي يستدعي أولاً وقبل كل شيء مناقشة بنيته نقدياً ضمن إطار «علم نقد التوراة»، وهو ما سنعود إليه لاحقاً.

لقد استخدم بعض علماء التوراة والمؤرخين الأوروبيين هذا وغيره من النصوص التوراتية لكتابة مؤلفات ومقالات لا حصر لها عما أسموه عظمة ملك شلومو وحكمته وثراءه... الخ، واعتمدوا في أحكامهم على خيال واسع وتجنبوا الإشارة إلى أية وثيقة تاريخية مستقلة أو لقى أثرية، وهي كما نعلم غير موجودة. إن هذا الأسلوب المستهجن حقاً قد جعل معظم تلك الكتابات أقرب إلى رغبة داخلية منها إلى الحقيقة، وهكذا حال كافة كتاباتهم حول مجمل المادة.

لكنْ هناك كتب متخصصة تبحث في الموضوع بعلمية واتزان، وتشكل في الوقت نفسه أساس البحث في هذا الفرع العلمي. إن تلك المؤلفات تبتعد عن هذه اللامنهجية السائدة في الكتب الموجهة للقراء غير المتخصصين الذين لا يعلمون بوجودها أصلاً لأنها معقدة وتتطلب من القارىء بالإضافة إلى الإلمام الواسع بالتاريخ واللغات القديمة معرفة منهجية البحث العلمي. وحتى نعطي القارىء فرصة التحقق من صحة أطروحاتنا واستنتاجاتنا، رأينا أن نعرض تحليل أحد أهم علماء التوراة الألمان[٣] كما يرد في أحد آخر مؤلفاته بدلاً من أن نطرح رأينا. وسننتقل بعدها للتعامل مع النصوص الأخرى ذات العلاقة بموضوع بحثنا. أما مختصر تعليقه على نص سِفر الملوك الأول ١٠:١٣، فهو التالي، والترجمة لنا:

«لا شك أن قصة زيارة ملكة سبأ لشلومو بأورشليم ترتكز على حكاية شعبية كانت منتشرة، لكن مادتها غير معهودة إطلاقاً بحيث إنه من غير الممكن للمرء أن ينظر إليها كمرجع تاريخي. لذا فمن الضروري السؤال عن الشروط التاريخية وظروف تلك الزيارة. ومن الواضح أن المقصود هنا باللقب «ملكة»، إحدى الحاكمات، وليست زوجة أحد الحكام. وهناك العديد من الدلائل على وجود ملكات عربيات قبل الإسلام... ومن ذلك ما ورد.في نقوش تغلاتبلصر الثالث... ومن الصعب التأكد في الوقت الحالي من المقصود بسبأ في تلك النقوش، ذلك أن التاريخ المبكر لجزيرة العرب ما زال غير واضح بشكل يسمح لنا بإعطاء أحكام قاطعة. فالسبئيون يظهرون في العديد من النقوش العائدة إلى تغلاتبلصر الثالث، وذلك ضمن أسماء العديد من القبائل العربية التي كانت مستقرة، على ما يبدو، في الواحات الشمالية. وهذا جعل البعض يعتقد أن موطن «ملكة سبأ» وقع في تلك المنطقة التي لا تبعد كثيراً عن أورشليم، وهذا على عكس جنوب جزيرة العرب. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هناك حقيقة أنه وجدت مملكة سبأ في جنوب جزيرة العرب، أي اليمن، والتي تركت لنا الكثير من النقوش الأثرية عنها. وعلى ما يبدو فإن راوي النص التوراتي الوارد في سِفر الملوك الأول ١٠:١ ـ ١٣، قد قصد تلك المملكة. وهناك إمكانية أخرى وهي أن الراوي كان يقصد بالاسم «سبأ» مكاناً آخر غير ذلك المرتبط بزيارة «ملكة سبأ» لشلومو. وما دام تاريخ العرب المبكر غير معروف بشكل دقيق، فمن غير الممكن إعطاء إجابة دقيقة عن المقصود بسبأ المرتبطة بزيارة «ملكة سبأ». أما النصوص الأخرى التي يرد فيها الاسم سبأ

في العهد القديم فلا تساعد كثيراً على حسم المقصود، باستثناء ذلك المقطع اليَهْوِي[٤] الذي يرد فيه الاسم ضمن «قائمة الشعوب» المسجلة في سِفر التكوين ١٠:٢٨ حيث يتأكد أن المقصود هنا جنوب جزيرة العرب. لذا، فإن راوي نص الإصحاح العاشر من سِفر الملوك الأول اعتبر أن سبأ كانت بلاداً بعيدة قصية، وقصد بذلك القول إن سمعة شلومو قد انتشرت إلى أقاصي الأقاليم ـ ١٠:١أ. ولم يكن هدف التعليق التثنوي التحدث عن سمعة شلومو، وإنما الإشارة إلى شهرة الهيكل الذي بناه لأجل «اسم يهوه» بما استدعى قيام ملكة سبأ بالحضور لزيارة المكان من مكان ناء جداً[٥]. وتهدف الرواية التالية، أي ١٠:١ب، إلى إظهار حكمة شلومو وثروته، ويتم ذلك بطريقة ذكية من خلال الحديث عما رأته ملكة سبأ وسمعته. وقد قامت ملكة سبأ باختبار حكمة شلومو عبر طرح مجموعة من الألغاز عليه ـ ١٠:١ب، وهو أسلوب ولعبة روحية اجتماعية معروفة في المشرق ـ قارن الألغاز التي طرحت على شمشون المشار إليها في سِفر القضاة ١٤:١٢ ـ ١٤. وبالإضافة إلى طرح الألغاز، فقد كان من الطبيعي أن تقوم ملكة سبأ بإحضار بعض الهدايا معها. وهنا يقول النص حرفياً إنها جاءت ومعها (حيل ثقيل)[٦]، لكنه من الصعب الفهم بأن المقصود هنا «قوة عسكرية». ومن غير المستبعد أن كاتب النص استخدم هذه المفردة بهدف التأكيد على ما تحملته من عناء ومصاريف في الرحلة. وعندما وصلت ملكة سبأ إلى أورشليم والتقت بشلومو، طرحت عليه مجموعة من الألغاز التي كانت قد جهزتها مقدماً ـ ١٠:٢ب. ويبدو أن شلومو لم يواجه أية مشكلة في الإجابة عليها جميعاً، ولم يلق أية صعوبات على الإطلاق ـ ١٠:٣. وبعد اعتراف ملكة سبأ بحكمة شلومو، ألقت نظرة على «البيت»، والذي يشير، بلا شك، إلى قصره ـ ١٠:٤. كما رأت ما كان يدور في داخله. أما الجملة ١٠:٥أ فتتحدث عن وليمة ملكية حضرتها بلا شك. ولا يحوي النص إشارة إلى أن تلك الوليمة كانت استثنائية، بل هناك محاولة لإعطاء الانطباع بأن ذلك كان من الأمور اليومية عند الملك. أما المفردة <عبديم>[٧] فتشير بلا شك إلى الأشخاص المقربين من الملك حيث كانت لهم أماكن ثابتة على الوليمة، وكان الخدم يعرفون أماكن وقوفهم ويرتدون ملابس لائقة بالحضرة الملكية. كما قدم في تلك الوليمة شيء ما، غير عادي، من نوعية ممتازة. ويتم الانتقال من هذا النص إلى الحديث عن المحرقات، أو الضحايا، التي قدمت في «بيت يهوه»، حيث سمح للملكة مشاهدة هذه العملية. وقد تبين للتقليد «المؤرخ»[٨] أن حضور ملكة سبأ [الكافرة ـ ز.م.] طقس تقديم المحرقات أمر مستهجن مما جعله يغير المفردة التوراتية <علتي>، بمعنى «محرقة» إلى <عليتي> بمعنى «الغرفة العليا» وجعل شلومو يصعد إليها[٩]، والتي لا علاقة لها بـ«بيت يهوه»[١٠]... وعندما رأت الملكة كل هذا، أصابها الذهول، حرفياً «لم يبق روح فيها»؛ والمقصود بالمفردة <روح> هنا، النفس [بما يجعل الترجمة العربية التقليدية معقولة ـ ز.م]. وعندما عادت الملكة إلى وعيها، لم يبق أمامها سوى الاعتراف بشهرة شلومو التي ذاعت في كل العالم ووصلت إليها بالطبع، مما جعل أن ما رأته بأم عينها في أورشليم لم يكن سوى نصف ما سمعت به ١٠:٦ ـ ٧. وقد باشرت أولاً بالثناء على حكمة شلومو (١٠:٦) التي اختبرتها بالألغاز. ويتم في الجملة اللاحقة، أي ١٠:٧، الإشارة للثروة التي تبينت من خلال الحديث عن الوليمة بالإضافة إلى الحكمة غير المعقولة التي شاعت، والتي تمّ التأكد منها حضورياً. ولذا لا يبقى أمام الملكة سوى التأكيد على مدى حظ أولئك الذين يقيمون قربه ليستمتعوا بحكمته بشكل دائم ـ ١٠:٨. ويلاحظ أن النص الأصلي يوظف المفردة <عبديم>، أي الرجال المقربين منها. ومن المعقول أن المقصود هنا الحاشية الوارد ذكرها في المقطع ١٠:٥. وفي حالة أن النص كان يشير إلى «نساء» شلومو، وليس إلى الرجال، فقد قامت ملكة سبأ بعمل ملاحظة لا يمكن أن تصدر إلا عن امرأة. أما تعظيم يهوه الوارد في المقطع ١٠:٩ فهو إضافة من التقليد التثنوي الذي لم ير في القصة هدفاً غير التأكيد على حكمة شلومو، وافتقد فيها

الإشارة إلى إله التوراة يهوه. وتأتي كلمات تمجيد يهوه بعد الحديث عن حكمة شلومو، لكن التقليد التثنوي لم يعثر على مكان أفضل في النص لوضع تعليقه. ولا يمكن اعتبار تعليق ملكة سبأ وتعظيمها لـ«إله شلومو» الذي (يحب يسرئيل وأجلسه على عرش يسرئيل)، على أنه إيمان من طرفها بيهوه، وإنما لفتة مؤدبة من قبل الزائر تجاه إله مضيفه. وبعد كافة تلك الأحداث والخطابات، تقدم الملكة أخيراً الهدايا التي أحضرتها معها ـ ١٠:١٠، والتي أشير إليها في الجملة ٢:١٠. ويتم تحديد كمية الهدايا الآن ويقول النص بأنها كانت كثيرة للغاية. وتتم الإشارة أولاً إلى كمية هائلة من الذهب، أي ١٢٠ وزنة[١١]، هذا بالإضافة إلى كمية غير محددة من الأطياب، لكن المقطع التالي، أي ١٠:١٠ب يشير إلى أنها كانت شيئاً استثنائياً. كما ويشار إلى أحجار كريمة، ولكن دون تأكيد خاص. وقام شلومو بدوره بتقديم هدايا لها، لكننا لا نعرف أي شيء عنها، فالمحرر كان مهتماً بالتأكيد على هدايا ملكة سبأ لأنها تظهر شهرته واعتباره. وقد كان سبب هدايا شلومو، وفق المقطع ١٣:١٠ب، مزدوجاً. فمن ناحية، كان للملكة رغبات طرحتها على شلومو الذي استجاب لها. وقام الأخير «بالطبع» بتقديم هدايا للملكة ذات قيمة لائقة بمكانته وموقعه. وبعد أن تمّ كل ذلك، صار بإمكان الملكة الانسحاب والعودة ـ ١٣:١٠ب.

إن الإشارة إلى «رغبات» ملكة سبأ التي استجاب إليها شلومو تعني أن الراوي أراد القول إن هدف زيارة ملكة سبأ إلى أورشليم لم يكن فقط اختبار حكمة شلومو ومشاهدة ملكه، وأن هداياها ومديحها قد ساعدها في هدفها الأساسي. وعندما يسأل المرء عن خلفية تاريخية للرواية بمجملها، فعليه التفكير الملي في هذه المسألة الأخيرة بدلاً من مسألة حكمة شلومو وشهرته، وربط ذلك بإقامة علاقات اقتصادية، وذلك وفق التعابير العصرية.

وقد قام أحد الأطراف في مرحلة لاحقة بتوظيف الحديث عن هدايا ملكة سبأ لإدخال مقطع عن خشب <ءلجميم> [في الترجمة العربية (خشب صندل) ـ ز.م.] وإن بطريقة خرقاء، ذلك أن الحديث كان يتم عن وجود بضائع مستوردة ثمينة في أورشليم؛ كما وجب ملاحظة عدم وجود أية علاقة لهذا المقطع بمسألة زيارة ملكة سبأ، ذلك أنه يقطع الحديث بين المقطعين ١٠:١٠ و١٣:١٠. أما محتواه فهو القول بأنه وجد في أورشليم خشب <ءلجميم> ويحاول شرح كيفية وصوله إليه. وهذا هو سبب إدخال حديث عن سفن أوفير في الرواية، والموجودة في الإصحاح السابق، أي الملوك الأول ٢٦:٩ ـ ٢٨. كما لا يفهم هنا لماذا قيل إن السفن التي أحضرت الذهب من أوفير كانت تعود إلى الملك حيرام بينما يشدد نص سفر الملوك الأول ٢٦:٩ ـ ٢٨ على أنها كانت سفن شلومو يديرها بحارة من عند حيرام. لذا، فإنه لا يمكن النصح بالنظر إلى هذا المقطع على أنه ذو خلفية تاريخية. كما لا يقول النص إن كانت السفن قد أحضرت خشب <ءلجميم> من بلاد أوفير أو من مرفأ آخر. وبالإضافة إلى خشب <ءلجميم>، يشير النص ١١:١٠ب، وإن بطريقة عابرة، إلى حجارة كريمة. ووفق المعارف المتوفرة، فمن غير الممكن تحديد المقصود بنوعية الخشب <ءلجميم>. ويضاف إلى ذلك حقيقة أن هذه المفردة ليست توراتية، وإنما ترد في النقوش الأوغاريتية بصيغة <ءلمج> حيث يبدو أن المقصود نوعاً من الخشب، هذا رغم أنه من الصحيح البحث في أصول المفردة في الأكادية <ءلمّكو> التي تعني نوعاً من الخشب يستخدم في البناء والتجهيز. لكنه ليس بإمكاننا الحسم في المسألة حيث إن النصوص لا تفيد بالنوع، رغم أننا نرى أن المقصود هنا نوع من الخشب الثمين الذي أدخل إلى الإقليم من قبل أجانب. كما أن قيام المحرر بربط خشب <ءلجميم> أي <ءلمَكّو> الأكادية بسفن أوفير، فهو أمر غير مناسب على الإطلاق ذلك أنه عثر في ماري [بالقطر السوري ـ ز.م.] على نقوش تقول بأن ذلك النوع من الخشب كان ينمو في مكان ما بجبال سوريا ـ [بما يلغي الحاجة لاستخدام السفن ـ ز.م.]. وقد استخدم شلومو خشب <ءلجميم> هذا، والذي لا يشار إلى كميته، في تصنيع العديد من الأدوات ـ ١٢:١٠أ. ويتم أخيراً الحديث عن استخدامها في تصنيع قيثارات وربابات. لكن النص لا يقول إن

كانت هذه الآلات الموسيقية تستخدم من قبل المغنين لأغراض التسلية في القصر أو للطقوس الدينية. كما أنه من الصعب معرفة كيفية استخدام خشب <ءلجميم> في «بيت يهوه» وفي قصر الملك، ذلك أن المفردة التكنيكية المستخدمة، أي <مصعد>[١٢]، لا ترد إلا هنا، ولا يوجد أي شرح معقول لاستخدامها هنا. ومن غير الممكن أنها كانت تعني قسما من أي من البيتين لأن النص الوارد في الإصحاح ٧:٦ من السفر نفسه، والذي يقدم تقريرا عن بناء البيتين، لا يشير إلى هذا الخشب على الإطلاق. أما الترجمة المعتمدة القائلة بأن المفردة <مصعد> تعني «درابزين» فهي «شرح» من قبل شخص في حيرة من أمره».

ننهي الآن نقل مختصر تحليل ذلك العالم الكبير الذي لم نجر عليه أي تغيير سوى في الأسلوب ليناسب القارىء العربي والنص التوراتي المترجم. لقد قمنا بعرض وجهة نظر أحد أشهر علماء التوراة العالميين حتى نعلم القارىء العربي بأننا لا نقف وحدنا في نقدنا للنصوص، وأيضاً لنمكنه من الإطلاع على وجهات نظر أخرى مرتبطة بالمادة، خصوصاً أن «علم نقد التوراة» ما زال غير معروف في العالم العربي.

وبالإضافة إلى تلك الملاحظات المأخوذ بها في «علم نقد التوراة»، نضيف هنا حقيقة مهمة أخرى، وهي أن كافة النصوص التي وجدت في المشرق العربي لا تتحدث مطلقاً عن قيام ملك بزيارة ملك آخر حيث كان يكتفي بإرسال مندوبين، حتى عندما كانت تعقد اتفاقات زواج ملكية أو سلام أو ما إلى ذلك.

لذا نقول إن كافة الأسباب المسجلة أعلاه، مفردة ومجتمعة، تجعلنا نحسم؟ بأنه من غير الممكن استخدام نص سِفر الملوك الأول المسجل أعلاه كمرجع تاريخي. أما المقطع الوارد في سِفر أخبار الأيام الثاني ٩:١ ـ ١٢ فلا يختلف كثيراً عن النص السابق، بل إنه يعتمد عليه بشكل كبير، لذا لا نجد أي داعٍ للتعامل معه.

٢ ـ بلقيس ـ ملكة سبأ الغول

عندما نبحث عن كيفية تجلي بلقيس، ملكة سبأ في مكتب التراث اليهودي وأسباب ذلك، علينا أن نبدأ بالتلمود[١٣] لأنه يلي التوراة مباشرة من ناحية القدسية، في تلك الديانة. ونظراً لتعدد إشارات التوراة إلى سبأ وثروات تلك المملكة العربية اليمانية، فمن الطبيعي أن نتوقع العثور فيه على حديث مسهب عن الموضوع. لكن كل ما نجده في ذلك العمل الضخم هو أقل من لا شيء! ونقصد بذلك أن التلمود لا يشير إلاّ عابراً للمسألة في <بابا بتره ١٥ب>[١٤] تحديداً حيث ينفي تماماً تاريخية ملكة سبأ! فذلك النص يقول حرفياً (إن من يقول إن ملكة سبأ <ملكت سبء> امرأة فهو مخطئ تماماً، ما هي <ملكت>؛ <مَلُكَت> سبأ ـ [أي مملكة/ ملكوت ـ ز.م.]). لقد أدهش هذا التعليق علماء التوراة الذين بحثوا في المادة وأخذوا يبحثون عن الأسباب التي جعلت «فقهاء» اليهودية ينفون مسألة تاريخية وردت في كتابهم المقدس. وقد جرت محاولات تأويلية من قبل بعض أهل الاختصاص لربط هذا النص بسِفر أيوب ١٥:١،

الذي أشرنا إليه في مطلع المؤلف، لكننا نشارك الرأي السائد بأن هذا التعليق مرتبط بسِفر الملوك الأول ١٠:١ ـ ١٣. والسبب الأهم هو أن سِفر أيوب لا يتحدث لا عن مملكة ولا عن ملكة سبأ، وهنا تكمن مشكلة.

بالعودة إلى النص التلمودي آنف الذكر، نقول إنه من الصحيح لغوياً قراءة المفردة < مَلَكَت > على شكل < مَلْكُت >، حيث ان لغة التوراة غير محركة، ولكن من غير الممكن قبول تأويل «فقهاء» اليهودية لأن سياق النص الذي أوردناه أعلاه يشير بصريح العبارة، حتى في ترجمته العربية، إلى ملكة وليس إلى مملكة. لقد اجتهد العديد من علماء التوراة في البحث عن أسباب هذا الموقف الذي ينفي مسألة وردت بشكل واضح في التوراة التي تحظى بالمرتبة الأولى من ناحية القدسية من قبل مختلف الاتجاهات اليهودية، وتشكلت بهذا الخصوص اجتهادات عديدة.

لقد رأى بعض علماء التوراة أنه في حالة أن النص التلمودي هو فعلاً؟ تعليق على سِفر الملوك الأول فمن الضروري البحث في السبب الذي دعا «فقيهاً» يهودياً لإلغاء شخصية توراتية[*] بكلمة واحدة[١٥]. وهو يرى أن سبب ذلك الحكم التعسفي يعود إلى خلافات شخصية بين حاخامات كانوا يتصارعون للسيطرة على مناصب قيادة الجالية الفلسطينية اليهودية. ومن ذلك القول بأن سبب موقف الحاخام يوناثان، الذي طرح ذلك الاجتهاد، تجدد بروز الزعم الذي كان سائداً حينئذٍ بأن الحاخام الأكبر يهودا، أي الغريم والمنافس، ينحدر من سلالة شلومو. وقد وجد العديد من معاصري ذلك الحاخام الأكبر الذين كانوا مسيطرين على الجالية الفلسطينية اليهودية قرب نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث، والذين كان لهم مصلحة في توظيف مسألة زيارة سبأ وما قيل عن علاقاتها بشلومو، للتشهير بسمعة ذلك الحاخام وادعاءاته المتعجرفة. لكن هناك من يرفض هذا الرأي اعتماداً على حقيقة أن التوراة نفسها تحوي ما يكفي من المواد الفضائحية عن شلومو بما يجعل هذه الرواية الأسطورية ذات قيمة مشكوك فيها لمعارضي الحاخام الأكبر. وقد ناقش بعض المتخصصين هذا الرأي، ويرفضونه على أساس أنه يتجاهل حقيقة وجود فرق كبير بين مواد مكتوبة وبين شائعات سيئة عن أهم «فقيه» ورئيس جالية في عهده.

كما طرح أحد العلماء رأياً يرى أن تلك المقولة موجهة ضد ادعاء الحبشة بأنها هي يسرئيل الحقيقية، والذي يعتمد على قول بمضاجعة شلومو لملكة الحبشة، وهو ما يرد في ملحمة «كبرا نجشت»، أي «مجد الملوك»[١٦]. لكن معظم العلماء يرفضونه انطلاقاً من حقيقة أن تلك الملحمة لم تكن معروفة في تلك الأيام، عدا حقيقة أن الحبشة لم تكن قد اعتنقت المسيحية بعد[١٧].

وقد عثر على تعليق «فقهي» آخر مرتبط بالمسألة في الكتاب «مدراش الأكبر لسِفر

(*) هذا التصريح العائد لأحد المستشرقين يوضح تماماً الأهداف الحقيقية للكثير من الأعمال الاستشراقية حيث لم يستحِ الكاتب من مصادرة الملكة اليمانية من التاريخ العربي واعتبارها مجرد شخصية توراتية.

التكوين»[١٨] اليمني، ويعود إلى القرون الوسطى، ويبدو أنه مرتبط بقول الحاخام يوناثان آنف الذكر الذي حول «ملكة سبأ» إلى مملكة أو ملكوت سبأ. ويقول ذلك النص الذي يعلق على سِفر التكوين ٢٥:٦ القائل: (لكن أبراهام أعطى هدايا لأبنائه من سراياه بينما كان ما يزال على قيد الحياة، ثم أرسلهم بعيداً)... بالقول: ومن ضمن أولئك الذين أبعدوا كان يقطان، والد سبأ[١٩]. ويستمر المدراش في تعليقه بالقول بأنه حكم عليهم البقاء منفصلين حتى ظهور المسيح. وقد ساد اعتقاد «فقهي» يهودي بأن شلومو هو المسيح المنتظر، وعبّر عن ذلك في التوراة، وإن بأسلوب غير مباشر[٢٠]، وهو ما دفع، طبعاً وفق رأي كتبة المدراش، أبناء إبراهيم من سراياه للتجمع عند شلومو وتقديم ولائهم له. وهنا يستمر النص المدراشي في القول إن الزيارة المشار إليها في سِفر أخبار الأيام الثاني ١:٩، والتي هي نفسها الواردة في سِفر الملوك الأول ١:١٠ تمت من قبل الملكة. وهو يقدم بذلك دعماً لرأي الحاخام يوناثان بالقول (من يقول بأن سبأ كانت ملكة فهو مخطئ). ثم ينتقل لنصح القراء بقراءة النص على صورة <ملكوت>، أي «مملكة سبأ»، بدلاً من «ملكة سبأ»، ويضيف أن «كل مملكة سبأ أتت لخدمة يسرئيل في أيام شلومو». لكن عندما يتبين في وقت لاحق أن شلومو لم يكن المسيح المنتظر، تصبح زيارة سبأ، أو ملكة سبأ، ليست ذات مغزى. ويضيف المدراش القول «وسيعودون في أيام المسيح، عجل «يهوه» فيها وفي أيامنا لأنه مسجل في الكتب (.... والذين من سبأ يجيئون كلهم حاملين الذهب والبخور ومبشرين بأمجاد يهوه)» - سِفر إشعيا ٦:٦٠.

ننهي هذا العرض المختصر الذي أوردناه فقط لتوضيح مدى تعقد هذه الدراسات، ومدى تفرع الاجتهادات. الآن وقد توضح أن أهم كتب اليهودية المقدسة، بعد التوراة، ألغت مسألة واضحة تماماً في العهد القديم - بفضل اجتهادات «فقهاء» ومؤولي الديانة اليهودية، ننتقل إلى عرض الكيفية التي تتجلى فيها بلقيس - ملكة سبأ في ذلك التراث الديني. أي أننا لن نقوم بعرض كل كتابات اليهودية عن الموضوع، وإنما البحث في طبيعة هذه الملكة في ذلك التراث. وسنقوم بعدها بتحليل أسس وأسباب موقف اليهودية من بلقيس - ملكة سبأ.

يرد أكثر العروض إسهاباً عن موضوع ملكة سبأ في الترجوم الآرامي المسمى «ترجوم ثاني للفيفة أستر»[٢١] الذي يعتبر من الأبوكريفا، أي من الكتب غير المعترف دينياً بقانونيتها، والذي يختلف أهل الاختصاص، ولأسباب معقدة لا داعي للخوض فيها، حول فترة نشوئه. فهناك من يعيد فترة كتابته أو تأليفه إلى القرنين الثالث والرابع، بينما يرى آخرون أنه لم يكتب قبل القرن الحادي عشر. ونذكر هنا بأن الترجوم، أي النسخة الآرامية من العهد القديم، ليس ترجمة حرفية للنصوص لأنه يتضمن تعليقات وإضافات غير معروفة في النسخ الأخرى من كتب اليهودية المقدسة التي تعتبر المرجع الديني الأول أو الوحيد. وهناك رأي عام بأن الترجوم وما يحويه من تعليقات وشروح وإسهابات هو تسجيل لما كان يقرأ في تلك الأيام في أماكن التعبد اليهودية. ورغم أن محتويات نسخ الترجوم لا تعتبر مقدسة، لا في اليهودية ولا في المسيحية، إلاّ أن

أهميتها، بالنسبة إلى بحثنا، تكمن في أنها تعكس المعتقدات والقصص والأساطير... الخ التي كانت سائدة في مختلف الاتجاهات اليهودية. لذا، فإنه من الصحيح العودة إلى هذه النسخ في أبحاثنا التاريخية، وهو ما يفعله غيرنا ممن بحث في الموضوع.

سوف لن ندخل في متاهات محاولة التعرف على زمن نشوء السِفر، رغم أننا نرجح أنه أحدث مما يعتقد، ونباشر عرضنا بتقديم مختصر لرواية سِفر أستر[٢٢] كما ترد في التوراة المعتمدة[٢٣]، بما يمكن القارىء من فهم محتوياته وكيفية انتقال كاتب «ترجوم ثانٍ للفيفة أستر» من تلك الشخصية الميثولوجية إلى شلومو وملكة سبأ. لكننا ننصح القارىء بالعودة إلى مؤلفنا الثاني[٢٤]، وكذلك إلى الفصل الأول من عملنا الأول عن جغرافية التوراة حتى يتعرف على تفاصيل هذه المسألة[٢٥].

يستمد السِفر اسمه من شخصيته الرئيسية المسماة أستر، والتي يطلق عليها أيضاً اسم هدسة ـ <ءستر/ هدسه> ـ بالسامك. ولا ينقل العهد القديم أية معلومة عن هذه الشخصية سوى أنها كانت عذراء وجميلة من يهوذيي السبي؟ هذا رغم تذكر كاتبيه بأن عمها مردكاي[٢٦] ابن يائير بن شمعي بن قيس كان رجلاً يمنياً ـ من سبط بنيامين؟ يمني؟ ويشدد السِفر على نجاح أستر في كسب ود امبراطور فارس الذي تسميه التوراة أحشويروش[٢٧]، وصعودها في بلاطه لتضحي زوجته المحظية وتنقذ أبناء ملتها من تآمر الوزير الفارسي هامان عليهم. وينقل السِفر أنه بعيد تمكنها بمساعدة من عمها مردكاي من إحباط تلك المؤامرة لتصفية اليهوذيين في الأمبراطورية الفارسية، استحصلت إذناً بتصفية كافة أعداء يهوذا هناك. وبمناسبة هذا النصر؟ تمّ تثبيت عيد الفوريم[٢٨] كأحد الطقوس الجديدة في الديانة النامية التي تعرف الآن باسم اليهودية. ورغم أن العهد القديم يسجل أن هذا اليوم (أي ١٤/١٥ آذار/ مارس) يحتفل به لتذكر إنقاذ اليهوذيين من تآمر أعدائهم داخل الامبراطورية الفارسية، إلاّ أن علماء التوراة لا يقبلون بذلك ويعيدون أصوله لعيد الربيع في فارس. كما أنهم على قناعة بأن هذا السِفر الذي لا يحوي أية إشارة الى إله التوراة، سجل في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد بهدف وضع أرضية شرعية للاحتفال بعيد الفوريم ـ صيغة الجمع من <فور>. كما وأنهم يجمعون على أن أستر هذه هي شخصية غير تاريخية. ومن الجدير بالذكر أن اسم عم أستر هذه، أي مردكاي، يُذّكرنا فوراً بالإله البابلي مردوك. وبالإضافة لذلك، فإن الاسم (أستر) هو شكل من كلمة <ستري> الفارسية، والتي تعني (عذراء)(*). هذا عدا عن حقيقة ان اسم الوزير (هامان) هو الاسم العيلامي (هومان). في كافة الأحوال، من الواضح تماماً أن مضمون السِفر مختلق ويفتقد لأية أسس تاريخية.

الآن وقد أوضحنا أرضية أسطورة أستر، ننتقل إلى المقاطع من رواية «ترجوم ثاني للفيفة

(*) وهنا رأي بأن الاسم (أستر)، هو نفسه (الإلهة عشتار).

أستر»، ذات العلاقة، أي التي تتحدث عن لقاء بلقيس ـ ملكة سبأ وشلومو، اعتماداً على النسخة المشار إليها في الهامش[٢٩]، علماً بأننا قمنا باستشارة النص الآرامي للتعرف على المعنى الدقيق لبعض المفردات. ومن الجدير بالذكر أنه يوجد العديد من النسخ التي تتباين عن بعضها البعض في تفاصيل صغيرة ليست ذات أهمية لبحثنا[٣٠]. كما وسنثري النص، كلما استدعت الحاجة، ببعض التعليقات اللغوية التي وردت في المرجع المشار إليه في الحاشية[*].

ترجوم ثانٍ للفيفة أستر ـ السِفر الرابع:

«في تلك الأيام عندما جلس الملك أحشويروش على عرشه، مجد مملكته التي تأسست له في قلعة سوسة، ولم يكن هذا العرش له أو لوالده وإنما عرش الملك شلومو الذي صممه حيرام ملك صور بمهارة كبيرة. وهو شلومو الملك العظيم الذي عينه القدوس المبارك ليحكم من أقصى العالم إلى أدناه. وقد اختاره الرب قبل أن يولد، وأحبه عندما كان ما يزال في بطن أمه. وكشف له الخفايا وأوضح له الأسرار العميقة. وأعطاه المعرفة والحكمة وكذلك فهم القلب... وهابه كل الملوك [و] الأمم و[المتحدثون بكافة] اللغات وأطاعته؛ الشياطين والأرواح والوحوش[٣١] و[كافة صنوف] الأرواح الأخرى خضعت لسيطرته. وأحضرت له العفاريت مختلف أصناف السمك من البحر وأحضرت طيور السماوات مع القطعان والوحوش إلى المسلخ، وأحضر بعض منها لخدمة شلومو. وكان غنياً وقوياً، وامتلك الكثير، كميات كبيرة من الفضة والذهب. وشرح الأمثال [و] حل الألغاز وعرف أسرار الطبيعة المطلقة. وصار غرماؤه وأعداؤه أصدقاء له، وأطاعته كافة الممالك. وأتوا جميعاً للحضور بين يديه وتاقوا لسماع كلمات معرفته... وكان كاملاً وأميناً وينأى عن المساوىء. وكان يعي خفايا السماوات وذا معرفة. وكانت مملكته أقوى من كافة الممالك الأخرى، وزاد عمله عن ذلك لكل شعب مأهول[؟]. وعند سماع صيته وكلمات علمه، أتوا جميعاً للاستفهام عن أحواله. وأحبه كل الملوك، وارتعد كافة الحكام في حضرته، وقدموا له أبناءهم وبناتهم ليركضوا أمامه[؟]. وتاقوا ليجلسوا في حضرته وتاقوا ليسمعوا الحكمة [من] فيه. وعندما كان يبدأ في الكلام كان الأثرياء والمقربون منه يركعون أمامه، وكان القادة يكرهون قلاعهم، وكانوا يكرهون أوطانهم وبلادهم، ويأتون للاستماع إلى حكمته والكلمات التي تنطلق من فيه، وكيف كان يمجد رب الملوك... وأعطيت له المفاتيح الكبيرة التي تمكن المرء من فتح كافة بوابات الحكمة والقلوب. وكان يفهم، بمجرد السمع، منطق الطير والمواشي [و] الوحوش والأيل والخراف. وكانت الأسود والنمور تفر منه... وعندما كان أعداء يسرئيل يستحقون الدمار... حصن نبوخذنصر ملك بابل الوغد نفسه وانتفض ضدهم ودمر أرض يسرئيل ونهب مدينة أورشليم وأحرق الهيكل بالنار وسبى بني يسرئيل وأحضرهم إلى ربلة التي تقع في أرض حمت، وأخذ معه عرش الملك شلومو... وعندما استلمت سلالة داود السلطة، حكمت العالم كله. وعقب داود شلومو الذي اختاره القدوس، جل جلاله، ليحكم على الوحوش و[على] طيور السماوات والأرض، وكذلك [على] الشياطين و[على] الأرواح [و] على البوم الصياح. وكان يتكلم لغة كل منها، وكانوا يفهمون كلامه، وكان يتكلم مع الشجر[٤].

(*) لقد عملنا في ترجمتنا للمقطع على المحافظة على الصيغة نفسها وأسلوب النص الأصلي.

وعندما كان قلب الملك شلومو مبتهجاً بسبب النبيذ، استدعى كل ملوك المشرق والمغرب الذين كانوا قريبين منه، [قرب] أرض يسرئيل، واستضافهم في قصر مملكته الملكي. وحين كان قلب الملك شلومو مبتهجاً مرة أخرى بسبب النبيذ، أمر بإحضار كل الوحوش وطيور السماء والزواحف. أمر [كذلك] بأن تحضر إليه القيثارات والصنوج والأجراس والعود التي كان أبوه داود يعزف عليها. وحين كان قلب شلومو مبتهجاً مرة أخرى بسبب النبيذ، أمر بأن تحضر الوحوش وطيور السماء وزواحف الأرض وكذلك الشياطين والأرواح والبوم الصياح لترقص أمامه حتى يظهر عظمته لكل ضيوفه من الملوك وبحضرته. وقام كتبة البلاط باستدعاء كل منهم باسمه، وقد حضروا جميعاً دون استخدام أي وثاق أو قوة، أو بتوجيه من أحد.

وفي تلك الأثناء لم يكن الديك البري(*) موجوداً مع طيور السماء، ولا يمكن العثور عليه. ولذا أمر الملك بإحضاره، وقرر، في لحظة غضب، قتله. واستجاب الديك البري للملك شلومو وقال له: «أعرني أذنك واستمع إلى كلماتي يا سيدي، يا ملك كل العالم. لقد مرت ثلاثة أشهر منذ أن استشرت نفسي واتخذت قراراً؛ إنني لن آكل أي طعام ولن أشرب أي ماء قبل أن أقوم بالطيران متفقداً العالم متسائلاً: ألا توجد بلاد أو أرض لم يخضع حاكمها لسيدي، الملك! وقد لاحظت حينذاك بلاداً في الشرق(*) اسمها مدينة قيطور(**)، وترابها ثمين للغاية، وذهبها وفضتها ملقيان في الشوارع كالقمامة. وشجراتها قائمة منذ الخلق(6)، وتسقى من جنة عدن. وهناك تجمعات كبيرة من الناس [يرتدون] تيجاناً على رؤوسهم، وهم موجودون [هناك] منذ [زمن] جنة عدن. ولا علم لهم بالحروب، ولا دراية بشد الأقواس(***). لكنني رأيت هناك أيضاً امرأة متسلطة على الجميع وتعرف باسم ملكة سبأ. فإذا سر سيدي الملك، فسأجمع قواي وأنطلق نحو مدينة قيطور، إلى بلاد سبأ. وسأقوم بربط ملوكها بأغلال حديدية(****)وأحضرهم لسيدي الملك.

وقد سرّ ذلك الخطاب الملك واستدعى كتبة الملك، وكتبوا رسالة وربطوها على جناح الديك البري. وانطلق الديك البري محلقاً في السماء وأطلق صرخته واستمر في الطيران، وتبعته الطيور.

ووصلوا إلى مدينة قيطور في بلاد سبأ، وكان الوقت صباحاً، وكانت الملكة قد خرجت لكي تتعبد للشمس. وفي ذلك الوقت حجبت الطيور شعاع الشمس، فرفعت يدها ومزقت ثيابها وكانت مذهولة. وهنا هبط الديك البري تجاهها، ولاحظت رسالة مربوطة على جناحه. وقامت بفك الرسالة وقرأتها؛ فماذا كان مكتوباً فيها؟ ـ مني، الملك شلومو، سلام عليكِ وعلى أقيالك(7). لعلمك، لقد عينني القدوس المبارك ملكاً على دواب الحقول وعلى طيور السماء

(*) إن القول بأن سبأ تقع (إلى الشرق) يدل على أن موقع المتحدث، أي الراوي، كان إلى الغرب منها ـ في اليمن.

(**) يقول أهل الاختصاص أن المقصود بالمفردة الأصلية <قيطورت> التي ترد في العهد القديم بمعنى «دخان» ـ أنظر سِفر التكوين ١٩:٢٨ ـ هو البخور، من المفردة <قطورت>. وعلى هذا يكون المقصود هنا «بلاد البخور»، أي اليمن.

(***) هنا نذكر قول المؤرخ الإغريقي سترابو في مؤلفه (الجغرافيا ١٦:٤,١٩) ويحد أراضي هؤلاء الشعوب بلاد السبئيين شديدة الخصوبة؛ وهم قبيلة كبيرة وتنتج اللبان والبخور والقرفة. ويمكن العثور على البلسم على شواطئهم، وكذلك على كل الأعشاب العطرة، والتي تفقد أريجها بسرعة. وهناك أيضاً نخيل ذو رائحة حلوة وكذلك أعشاب. كما يوجد هناك أفاع ذات لون أحمر داكن، وهي بطول شبر، لكنها تزحف بسرعة الأرنب البري، وذات لسعة قاتلة. وبسبب توافر الفواكه، فإن السكان كسولون، ويقودون حياة متمهلة ورتيبة...

(****) قارن هذا القول بسِفر مزامير ١٤٩:٨ القائل: (يُقيّدون ملوكهم بالقيود وأمراءهم بسلاسل من حديد).

والشياطين والأرواح والعفاريت(*)، وقد حضر إلى عندي ملوك المشرق والمغرب ليقدموا احترامهم إليَّ[8]. وإذا رغبت الآن في الحضور إلى عندي لتحيتي، سأظهر لك احتراماً يفوق كل ما أبديته تجاه الملوك الجالسين في حضرتي، لكن إذا لم ترغبي في الحضور لتحيتي، سأرسل ضدك ملوكاً وفيالق. وإذا سألتِ: «من هم الملوك والفيالق [التابعة] للملك شلومو»؟ «إنها وحوش البراري؛ وطيور السماء هي الفرسان، والأرواح والشياطين وليلت(**) هي جيوشي، هي الفيالق [التي] ستخنقك في فراشك وفي بيوتكم، وستقوم الوحوش الضارية بقتلكم في البراري، و[س-]تنهش طيور السماء لحومكم». وعندما قرأت ملكة سبأ كلمات الكتاب عادت وأمسكت بثيابها ومزقتها واستدعت كبار قومها والأقيال وقالت لهم: «ألا تعرفون ماذا كتب لي الملك شلومو»؟ فردوا عليها قائلين: «لا علم لنا بملك شلومو، ولا نقيم وزناً لمملكته». لكنها لم تثق ولم تستمع إلى كلماتهم وأرسلت كتباً إلى كل سفن البحر وحملتها بأخشاب ثمينة وبأحجار كريمة ولآليء. وأرسلت إليه ستة آلاف صبي وصبية. وكلهم كانوا قد ولدوا في العام نفسه وفي الشهر نفسه وفي اليوم نفسه وفي الساعة نفسها، وكلهم ذوو مظهر واحد ويلبسون لباساً أرجوانياً[9]. وأرسلت معهم كتاباً موجهاً إلى الملك شلومو: «من مدينة قيطور إلى أرض يسرئيل رحلة سبع سنوات، ولكن حيث أن حضوري لزيارتك [هو تلبية لـ] رغبتك ومطلبك، فسآتي خلال فترة ثلاث سنوات». وقرب انتهاء السنوات الثلاث حضرت ملكة سبأ إلى شلومو. وعندما سمع بوصولها، أرسل لاستقبالها بنياهو ابن يهوياديا والذي كان جماله مثل شفق الصباح الذي ينبثق فجراً، ومثل كوكب المساء والنجم الذي يظل يتلألأ بعد خبو النجوم الأخرى، ومثل الزنبق الذي ينمو قرب جداول الماء[10].

وعندما شاهدت ملكة سبأ بنياهو، ابن يهودياهو، ارتجلت عن ركبها[11]. وهنا قال لها بنياهو: «لماذا ترجلت عن ركبك»؟ فأجابته قائلة: «ألست أنت الملك شلومو»؟ فأجابها بالقول: «أنا لست الملك شلومو، ولكن أحد الخدم القائمين بين يديه»[12]. وهنا التفتت إليه وقالت لكبارها: «وحتى [لو] لم تشاهدوا الليث، فقد رأيتم ربعه، ورغم أنكم لم تروا الملك شلومو، فقد شاهدتم جمال الشاب الذي يقف في حضرته». وقام بنياهو ابن يهوياديا باصطحابها إلى الملك، وعندما سمع الملك بوصولها إليه ذهب وجلس في بيت زجاجي[13]. وعندما رأت ملكة سبأ الملك، اعتقدت في داخلها[14] أنه كان جالساً في وسط ماء، فرفعت لباسها حتى تتمكن من العبور، وهنا شاهد شعراً على قدميها. وهنا خاطبها قائلاً: «إن جمالك جمال امرأة، ولكن شعرك شعر رجل. الآن، إن الشعر زينة للرجل ولكنه خزي للمرأة». وهنا انتصبت الملكة وقالت: «يا سيدي الملك، سأطرح عليك ثلاثة ألغاز، فإذا تمكنت من حلها، سأتحقق من أنك رجل حكيم، ولكن إذا لم تتمكن من ذلك، [فإنك] مثل باقي البشر». ثم قامت وتكلمت: «بئر خشبي، دلو معدني، يملأ أحجاراً يسقي ماء ـ فما هو»؟ فأجابها: أنبوب الكحل. ثم سألته: «عفر من الأرض يخرج ومأكله عفر، من الأرض يسفك كالمياه ومبيض لبيت» [فما هو]؟ فأجابها: «النفط». ثم أعادت السؤال وقالت: «كالعاصفة يندفع على القمة، ويصيح صيحة عالية ومريرة، رأسه مثل البوص[15]، مجد للأحرار وعار للمساكين، عز للميتين وخزي للأحياء، بهجة للطيور وكرب للسمك، فما هو»؟ فأجابها: «الكتان».

(*) حرفياً (أرواح الليل).

(**) إلهة شيطان سنتعامل معها لاحقاً في هذا الفصل.

وهنا وقفت وقالت: «إنني لم أصدق ما سمعت حتى جئت وشاهدت بعيني، فإذا بي لم أسمع بنصفه. فحكمتك وغناك يفوقان ما سمعته، هنيئاً لرجالك، وهنيئاً لخدامك هؤلاء القائمين بين يديك»[١٦]. وقام بعد ذلك باصطحابها إلى قصره، وعندما رأت بهاءه وفخامته قالت: «تبارك يهوه السيد الذي اصطفاك وأجلسك على عرش المملكة لإقامة عدل وقضاء». وقدمت للملك بعد ذلك الكثير من الذهب والفضة، وأعطاها الملك كل ما رغبت به».

إن أي تحليل علمي منسجم ومتناه لهذا النص يجب أن يتم ضمن إطار نظرية شمولية، أي عدم أخذ عناصر ومكونات الرواية بشكل منفصل عن بعضها البعض، وإنما التعامل معها في علاقاتها الداخلية وضمن إطار النص وسياقه. هذه المنهجية فقط ستوضح إن كان هذا المقطع يحوي رواية متكاملة، أم أنه يضم عناصر مقحمة عليه بشكل قسري، أي دون أية خلفية سببية أو نصية. ونقصد بذلك أن بعض العناصر ترد فيه بشكل منفصل عن الحدث نفسه بسبب غياب أية استنتاجات مرتبطة به. فإذا أخذنا مسألة قيام شلومو ببناء قصر زجاجي على سبيل المثال، فإن السِفر لا يشير أبداً إلى سبب قيامه بهذا العمل. ولكن عندما ننظر إلى تلك المسألة في الرواية العربية ـ الإسلامية، نجد أن الرواة ربطوا عملية البناء، نصياً ومنطقياً، بالشائعات عن أصولها الشيطانية، والتي هي مربوطة بحادث سابق هو رغبة سليمان في مضاجعة بلقيس أو الزواج منها. أي أن مسألة البناء أو القصر الزجاجي في القصة العربية هي جزء لا يتجزأ من رواية متكاملة، وهذا ما نفتقده في النص الترجومي. ونظراً لغياب السياق المنطقي في رواية «ترجوم ثانٍ للقيفة أستر» الذي استدعى بناء ذلك القصر الزجاجي، نرى أن رواته سمعوا بهذه المسألة من محيطهم الحضاري والثقافي العربي وأدخلوها، اعتباطاً، في قصتهم.

وعند النظر إلى المكون الثاني، أي القول بأن ساق بلقيس ـ ملكة سبأ مشعرة، والذي وجب النظر إليه كجزء لا يتجزأ من مسألة بناء القصر الزجاجي، فإنه يرد في الترجوم بشكل مقتطع تماماً لأنه لا يشير، لا ضمناً ولا صراحة إلى سبب ذلك التشوه الجسدي. وعلى العكس من ذلك، فإن القصة العربية ـ الإسلامية عن الموضوع تربط ذلك بأوضح الكلمات برغبة سليمان في مضاجعة بلقيس ـ ملكة سبأ. أي أن رغبة سليمان الجنسية المزعومة والمذكورة في مقطع لاحق من الرواية تشكل أرضية الإشارة إلى عنصري القصر الزجاجي والساق المشعرة. أو لنقل إن بناء الصرح الزجاجي ورؤية ساق بلقيس المشعرة هو تتويج للرغبة الجنسية الأولى التي ترد في الرواية العربية إلحاقاً لإسهاب الرواة العرب في الحديث عن جمال وأبهة وعظمة ملكة سبأ. وعلى عكس ذلك، نجد أن هذا النص الترجومي لا يتحدث عن جمال ملكة سبأ، بل إنه يتغزل بجمال الرجل ـ هنا ممثلاً بشخص مبعوث شلومو، لذلك فإننا على قناعة بأن المقطع الترجومي الذي يشير إلى ساق بلقيس المشعرة مقحم أيضاً في النص.

كما نلاحظ أيضاً أن النص الترجومي لا يشير إلى الكيفية التي تمّ بها لشلومو التخلص من ذلك الشعر. وهنا أيضاً نجد أن الرواية العربية متناهية في منطقها وفي ربط الأحداث بعضها

بيعض حيث تربط إزالة الشعر بالنورة ـ بدلاً من الموسى في بعض الروايات ـ وبالحَمَّام أيضاً. إن الرواية الأخيرة، أي العربية ـ الإسلامية متناسقة في عناصرها وأحداثها إلى أبعد حد لأنها تربط كل ذلك بالقصر الزجاجي وأيضاً بجمال بلقيس والاستعمال البشري الأول لمزيل الشعر وللحَمَّام والرغبة الجنسية... الخ، بسليمان.

ومن الممكن فهم قول ترجوم أستر بأن شعر ساق ملكة سبأ هو تلميح أو إشارة غير مباشرة، إلى أصولها الشيطانية، لكننا لا نرجح ذلك لأنها لا ترد ضمن سياق متسق، أي ضمن رواية كاملة. ومن براهين ذلك أن الترجوم لا يقول بأن شلومو قام أو حتى رغب في إزالة الشعر عن ساقها، ولا تتعدى ردة فعله أكثر من كونها ملاحظة ذكورية تفتقد إلى اللياقة. ونرجح أن رواة وكتبة السفر الترجومي كانوا قد سمعوا من محيطهم العربي ـ الإسلامي بشائعة عن الساق المشعرة، فأدخلوها في النص دون دراية أبعادها الكاملة بما جعلهم يربطونه بذوق شلومو الذكوري. ولم يجد المصدر الترجومي حرجاً في ذلك لعلمه بأن أسفاراً ترجومية أخرى تشير إلى ملكة سبأ بشكل تحقيري. لهذا فإنه من الصحيح القول بأن هدف راوي أو رواة القصة التوراتية والترجومية كان التركيز على شلومو وخضوع الممالك العظيمة، وعلى رأسها سبأ بالطبع، له ولسلطانه، أي أنه لم يخرج عن الإطار العام للرواية التوراتية إلاّ في مسائل ثانوية هي التالية:

- الترجوم يذكر الألغاز؛ والتوراة تقول إنها طرحت ألغازاً، غير معروفة للراوي والكاتب على ما يبدو.
- الترجوم لا يقول إن ملكة سبأ عادت إلى بلادها؛ والتوراة تقول ذلك.

ننتقل الآن إلى مصدر آرامي آخر هو «ترجوم أيوب» الذي تعرض، وإن بشكل سريع، لملكة سبأ، لكنه ينتقل خطوة نوعية من ناحية أنه يحولها إلى شيطان أو غول. ورغم أن تلك إشارة عابرة، فقد شكلت أساس الموقف الديني اليهودي المعادي للملكة اليمانية ـ الرمز. وقبل عرض المقطع الترجومي الذي يتحدث عن ملكة سبأ، نود العودة إلى إشارتنا في الفصل الأول لسبأ في سِفر أيوب الذي ينقل العلم في الإصحاح ١:١٤ ـ ١٥ بأنه:

«... حدث يوماً أن بني أيوب وبناته كانوا يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر، فأقبل رسول إلى أيوب وقال: كانت البقر تحرث والحمير ترعى بجانبها، فانقض عليها سبأ[٤٥] وأخذوها وقتلوا الرعاة ونجوت أنا وحدي لأخبرك».

لكن النسخة الآرامية من العهد القديم، أي الترجوم[٤٦]، تنقل النص نفسه على نحو:

«وفي اليوم الذي يبدأ به الأسبوع حدث يوماً أن بني أيوب وبناته كانوا يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر، فأقبل رسول إلى أيوب وقال: كانت البقر تحرث والحمير ترعى بجانبها، فانقضت عليها فجأة ليلت ملكة سمرجد[٤٧] وأخذوها...».

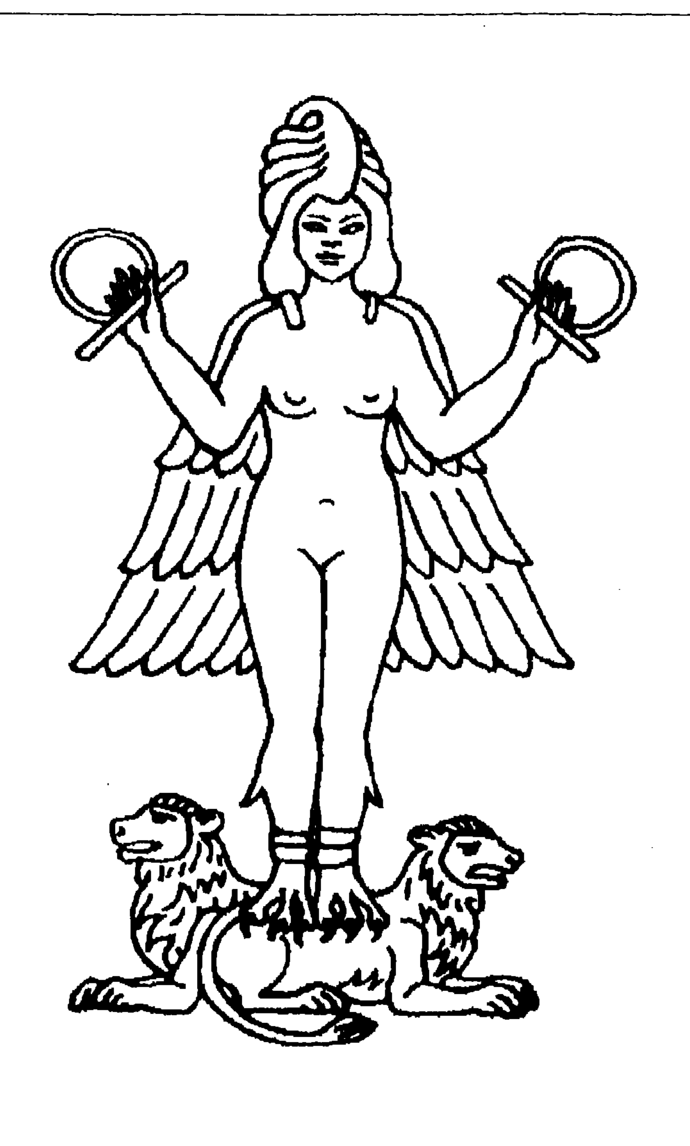
لقد قدم الترجوم الثاني للفيفة أستر، ودون قصد على الأغلب، خطوة باتجاه تحويل ملكة سبأ إلى شيطان أو غول، أي عبر الإشارة إلى شعر ساقها، هذا بعد أن قام التلمود البابلي بنفي وجودها أصلاً. أما ترجوم أيوب فقد حولها فعلاً إلى شيطان حيث أطلق عليه اسم <ليلت>، وهي البابلية <ليلتو> إلهة العواصف ـ أنظر الرسم رقم (٧). وهناك اتفاق بين أهل الاختصاص على أن كتبة ورواة... الخ، العهد القديم قد استعاروا، ضمن العديد من الأمور، هذه الإلهة من حضارات المشرق العربي العريقة، ومن بابل تحديداً، وأدخلوها في كتابهم. ورغم أن الإلهة <ليلتو> تعتبر في التراث البابلي الشيطان الذي يستثير شهوات البشر لتمنعهم في نهاية الأمر من ممارسة الجنس، فقد أضحت بلقيس ـ ملكة سبأ في التراث الديني اليهودي <ليلت> إلهة الليل أو الظلمات. وقد ساعد الاسم، الذي يعني (ليل)، في لغة التوراة وفي العربية أيضاً، على هذا التحوير في طبيعتها، علماً بأن العهد القديم يحوي إشارة واضحة إليها حيث يقول سِفر إشعيا ١٤:٣٤ في مجال الحديث عن يوم ثأر إله التوراة يهوه (...هناك تستقر ليلت، وتجد لنفسها مقاماً)(*).

ويمكن معرفة صفات <ليلت> الشيطانية من الكتابات الدينية اليهودية حيث نجد إشارات عديدة إليها. فالتلمود البابلي يصفها في الأقسام <عروبين ١٠٠ب> و<نديم ٢٤ب> بأنها مخلوق مجنح ذو وجه بشري وكثيف الشعر(**). لذا فإن من يبيت وحيداً في البيت يصيبه مسٌّ منها[٤٨]. كما نجد إشارة أخرى إليها في القسم <سنهدرين ١٠٩أ> الذي يفيد العلم بأن قسماً من السبي اليهوذي تحول في بابل إلى قرود وأرواح «شريرة» وشياطين وليلت، أي غيلان. كما وتورد كتابات السحر والسناء اليهودية القول بأنها كانت تمارس قتل الأطفال، ولم تتوقف عن ذلك إلاّ بعد أن عقدت اتفاقاً مع الملائكة الثلاثة الذين أرسلهم إله التوراة يهوه، وتعهدت بموجبه أن لا تقترب من الصغار الذين يحملون قلادة عليها أسماؤهم[٤٩]. رغم ذلك، فقد دخلت ليلت هذه «الفقه» اليهودي كممثلة للشر بحد ذاته، وهذا ينطبق على تعريفها بأنها هي بلقيس ـ ملكة سبأ.

وهناك إشارة أخرى لملكة سبأ ـ الغول أو الشيطان في كتاب «ألفباء سيراسيدس»[٥٠] الذي يعود بتاريخه إلى القرون الوسطى الأوروبية، وهو كتيب يحوي مجموعة من الأمثال (٢٢ آرامي و٢٢ بالعبرية) ويعزى تأليفه إلى يشوع بن سيراخ[٥١]. ويحوي هذا الكتيب رواية عن لقاء بينه، أي بين ابن سيراخ، وبين نبوخذنصر البابلي الذي دعاه للتأكد مما يشاع عن حكمته. وتقول الرواية إن ابن سيراخ أرسل إلى نبوخذنصر قبل اللقاء أرنباً حليق الرأس فدهش لأنه كان متأكداً من عدم استخدام موسى أو أية أداة حادة أخرى. ولم يتمكن الملك البابلي من اكتشاف الأمر مما

(*) في الترجمة العربية المعتمدة (الغول) بدلاً من (ليلت)، ونرى أن هذا الفهم صحيح.

(**) ألا تذكرنا هذه الصفة بالاسم الرباء!



الإلهة ليلو البابلية

رسم رقم (٧)

جعله يعرض عليه تولي ملك يسرئيل، وذلك اعترافاً منه بحكمته. لكن ابن سيراخ الحكيم رفض العرض لأنه لم يكن من نسل داود. وهنا طلب إليه نبوخذنصر البقاء في المملكة لأنه يود استشارته حول مجموعة من المسائل التي أثارت حيرته، وفي مقدمتها مسألة الأرنب الحليق الرأس. عندها رد يشوع بن سيراخ بأنه استخدم النورة التي استعملتها أمه(٥٢) ملكة سبأ عند حضورها لتقديم هدايا لشلومو والاستماع إلى حكمته حيث أعجب بها وود أن يضاجعها، لكنه اكتشف أن جسمها كله كان مغطى بالشعر بما جعل شلومو يبتدع النورة لإزالة الشعر. وهنا يظهر أن نبوخذنصر البابلي، وهو أكثر الشخصيات كراهية في اليهودية، هو ابن ملكة سبأ من نكاحها لشلومو!!

كما ترد الطبيعة الشيطانية لملكة سبأ في الأقسام <فرشت بلك ١٩٤,٣ب> و<هشمتوت هزحر> من كتاب «السناء»(٥٣) التي تتحدث عن الصندل ومعنى طقس سحبه من الشخص الذي يرفض الزواج من زوجة أخيه التي لم تخلف أولاداً. السبب، وفق رأي كتاب «السناء»، أن أقدام الشيطان مختلفة بما يعنى أنه ليس بحاجة إلى صندل. وعلى هذا تم فهم مقطع سِفر الملوك الأول ١٠:١ (فجاءت إليه تمتحنه بأسئلة صعبة) بأن أحد الأسئلة أو الامتحان بالأحرى، هو أن يصنع لملكة سبأ صندلاً. لكن شلومو كان على علم بطبيعتها. لذا يتم تأويل المقطع ١٠:٣، أي (فأجاب على جميع أسئلتها) ليعني (عمل لها ما كان على خاطرها). أي أن شلومو كان على علم بطبيعة ملكة سبأ الشيطانية وعرف بالتالي بأنها ليست بحاجة إلى صندل.

ونجد تكراراً لوصف ملكة سبأ بأنها ساحرة في سِفر «وصية شلومو»(٥٤)، علماً بأن أهل الاختصاص لا يتفقون على تاريخ نشوء هذا السِفر الذي يعتبر من الأبوكريفا، ولكن يحدد تاريخه في الفترة الواقعة بين القرنين الأول والرابع. كما يسود اعتقاد عام بأنه ينتمي إلى التراث المسيحي في مصر، ذلك أنه يشير إلى المسيح.

وقد استمرت الإشارة إلى كون ملكة سبأ ساحرة حتى عصور حديثة نوعاً ما حيث ترد إشارة إلى تعويذة كانت سائدة بين الألمان اليهود عن كيفية استحضارها. وتقول تلك التعويذة أنه إذا أراد المرء مشاهدة ملكة سبأ، فعليه تحصيل نصف قدر؟ من الذهب من الصيدلية؟ وكمية من خل النبيذ وبعض النبيذ الأحمر. وعليه بعد ذلك عجنها جميعاً وتلطيخ نفسه بها ويقول: (يا ملكة سبأ، ادخلي... ادخلي خلال نصف ساعة دون إيقاع أذى أو سوء. إني استحضرك، أنتِ وملكئيل باسم تفتفيل. آمين. صلوا). وقد سجل في نهاية هذه الوصفة السحرية الملاحظة «جُرِّب وأثبت صحته»(٥٥)!

ننتقل الآن إلى مسألة تعريف ملكة سبأ بأنها سمرجد حيث يتبين من مراجعة السِفر بلغته الأصلية، أي بالآرامية، أنه يحوي الكثير من المفردات «الأجنبية» حيث أحصى صاحب إحدى الترجمات خمسين مفردة يونانية ولاتينية، هذا عدا عن اثنتي عشرة كلمة فارسية. وقد سجل

أحد المتخصصين بالمادة رأيه بهذا الخصوص بقوله[٥٦] أن مرد هذا الفهم، أي وضع الاسم «سمرجد» ربما يكمن في أن هذه المفردة اليونانية الموظفة هي ترجمة للمفردة «العبرية» الأصلية <سهبء> التي تعني جوهرة[٥٧]، والتي يمكن بسهولة أن تنطق <سبء>، أي (سبأ)، آخذين بعين الاعتبار إسهاب المؤرخين والعهد القديم في الحديث عن ثروات تلك المملكة العربية الجنوبية.

وفي الوقت الذي نجدد فيه قناعتنا بأنه من غير الممكن إعطاء إجابات نهائية على كافة الأسئلة المطروحة، رغم عدم اعتراضنا على أي إثراء جدي لأي موضع أو مادة ما تزال غامضة، وهي كثيرة، نقول إن «القصيدة الحميرية» تشير إلى أن أحد أجداد بلقيس وصل إلى سمرقند. وفي ما لو أن هذا الفهم صحيح، نعتقد أن المقصود بسمرجد هنا المدينة سمرقند، وتزداد بذلك قناعتنا بالأصول العربية للميثولوجيا. كما نود الإشارة إلى أن التراث الديني اليهودي يعتبر سمرقند، مثل تدمر، مدينة الشياطين. ومن غير المستبعد أن المقصود هنا الحجر الكريم «السمرجد» الذي دخل في كتب السحر، آخذين بعين الاعتبار ما أشرنا إليه سابقاً عن وصف ملكة سبأ في بعض كتب اليهودية بأنها ساحرة.

نود الالتفات من جديد للبحث في أصول الرواية العربية عن بلقيس ـ ملكة سبأ ـ حيث يسود رأي بأنها جزء من «اليهوديات» التي أدخلت على التراث العربي الإسلامي. لقد أوضحنا أعلاه أن بعض جوانب التشابه بين الرواية العربية والعربية ـ الإسلامية من جهة، وبين رواية «ترجوم ثان للفيفة أستر» مرده نقل الأخير عن الطرف الأول. وأثبتنا ذلك عبر توضيح أن بعض عناصر الرواية الترجومية، المكررة في كتب دينية يهودية أخرى، ترد في النصوص ذات العلاقة، وعلى عكس الرواية العربية، بطريقة مقتطعة وخارج أي سياق منطقي لرواية السِفر نفسه.

كما ونرى أن تحليل منطق الرواية يدعم صحة اجتهادنا. ونقصد بذلك أن كافة المصادر التوراتية، بما في ذلك التوراة، وعلى عكس المصادر العربية والعربية ـ الإسلامية، لا تعطي أية تفاصيل عن ملكة سبأ. لكننا نجد أن الإخباريين العرب أسهبوا في الحديث عن بلقيس وكتبوا تفصيلياً عن أصولها وملكها وقصرها وعرشها وطبيعة حكمها وميولها الشخصية وكيفية توليها الحكم... الخ، ولا نجد ذلك في أي من الروايات الدينية اليهودية. لذا فمن الطبيعي ـ عندما نقرأ التعليقات الدينية اليهودية، ضد أو على ملكة سبأ ـ أن نسأل عن الدور الذي لعبته تلك الملكة اليمانية في التوراة أو في التراث الديني اليهودي؟ وما هي الدوافع التي جعلت ذلك التراث الديني يقف ضدها؟ فالتوراة، وهي المرجع الأساسي الأول للديانة اليهودية، لا تشير إليها بشكل سلبي على الإطلاق. على العكس من ذلك، نرى أنها تذكرها، وإن ضمناً، بطريقة إيجابية حيث تقول بأنها ذهبت إلى شلومو الذي سر بلقائها وتاجر معها. كما ومن الطبيعي أن نسأل لماذا اهتم ذلك التراث بالتشهير بها؟ أي السؤال عن الدور الذي لعبته في الروايات التوراتية، وغير التوراتية، لكي تحاكم بهذه الطريقة، أو حتى تحاكم إطلاقاً؟

وبمراجعة التوراة وكافة كتب التراث الديني اليهودي، فإننا لا نعثر على أية إشارة إلى أي نشاط لها، باستثناء ذلك الحديث عن اللقاء العابر مع شلومو(*). لذا نعتقد أن الروايات التوراتية وغير التوراتية ما هي إلاّ ردة فعل على قصص كانت تتردد في محيط كتبتها الثقافي، أي العربي والعربي الإسلامي. إن تأثير الأخير على العديد من الروايات «اليهودية» عن بلقيس يتجلى أيضاً من خلال حقيقة أن مناحيم صيوني الذي كان أحد أهم حاخامات الألمان اليهود اعتباراً، وعاش في مدينة كولونيا في القرن الرابع عشر، احتفظ بكتالوج يضم مراجع عربية تتضمن أسماء ملوك الجن، ومن ضمنهم «بلقيس ملكة سبأ التي أرسل سليمان في طلبها وحضرت له في طرفة عين(٥٨).

لهذا كله نحن على قناعة بأن الرواية العربية عن بلقيس وسليمان، باستثناء مكون واحد سنعود إليه لاحقاً، هي الأصل وليست مأخوذة من التراث الديني اليهودي، أي أنه من غير الصحيح النظر إليها على أنها من «اليهوديات». وبكلمات أخرى، إن الرواية العربية والعربية ـ الإسلامية، كما ترد في كتابات الإخباريين ليست مأخوذة من اليهودية، رغم أنها مزجت أحياناً بعنصر «فقهي» منه.

كما ويزداد توضح التأثير العربي القوي في صياغة القصة كما ترد في التراث الديني اليهودي من الرواية المسماة «قصة ملكة سبأ»، والتي نقلها اليمني ـ اليهودي سعدية بن يوسف عام ١٧٠٢(٥٩). ولا تختلف الرواية في هذا المرجع عن رديفها في ترجوم أستر إلاّ في بعض التفاصيل وأهمها هو أن قصر شلومو بني من الرخام وكان محاطاً في أحد جوانبه بحديقة ينبع منها جدول ماء يصب على أرض القصر، مما يجعل المرء يعتقد أن القصر كله يقع في وسط الماء. وتقول هذه الرواية بصريح العبارة إن ملكة سبأ أتت إلى شلومو الذي ضاجعها وأنجبت منه نبوخذنصر.

وتستطرد رواية سعدية وتقول إن هدف شلومو من ترك الماء ينساب في قصره(٦٠) هو أنه كان يريد مضاجعتها، هذا رغم أنه كان على دراية بأن ساقيها مشعرتان، بما يجعل من ذلك التصرف غير ذي معنى وغير ضروري على الإطلاق. كما ونرى هنا أن شلومو استشار مساعديه حول كيفية التخلص من الشعر، فوصفوا له النورة.

(*) في الحقيقة أننا لا نجد في أي من كتب التراث الديني اليهودي أية كتابات منفصلة عن إطار البحث الديني. فكافة ما يرد في ذلك التراث من قصص وأساطير مأخوذة من العهد القديم وكتبت بهدف تقديم شروح أو تفسيرات دينية، وليس أكثر من ذلك. أي أننا نرى غياباً تاماً لأية كتابات أدبية دنيوية. ونحن لم نتعجب من ذلك لأننا لم نؤمن يوماً بأن اليهودية أكثر من جامعة دينية، وهذا ما جعلنا نصف تراث الأخيرة بأنه ديني. هذه حقيقة إضافية نقدمها لأصحاب الهوس العرقي والقومي. ولكن عند البحث في مكونات وعناصر التراث الأدبي العربي، نجد أنه مليء بهذه الكتابات «الدنيوية» بما يوضح أن طبيعة المجتمع أو المجتمعات العربية في العصور القديمة كانت ذات جوهر وخصائص قومية.

ويضيف ابن يوسف أن أم ملكة سبأ كانت جنية، وأن ابنتها تزوجت ملك سبأ وأنها حكمت البلاد بعد وفاته. أما والد ملكة سبأ فقد كان أحد الأمراء التابعين لملك سبأ الذي سقط ضحية للعبة الأخير الذي كان يتسلى بطرح ألغاز على رجال حاشيته ويصادر أموالهم عندما لا يتمكنون من حلها. وقد كان هذا الأمير أحد الذين فقدوا ثروتهم بسبب عدم قدرته على الإجابة على الألغاز الأخيرة التي طرحت عليه وعُرض عليه امتحان أخير يقود إلى العفو عنه فيما لو نجح فيه، والموت في حالة فشله. وكان عليه، وفق اللغز، أن يقطع رحلة ثلاثة أشهر في غضون ثلاثين يوماً، حيث وضع رجال الملك ثعبانين أحدهما أسود والآخر أبيض كانا يتصارعان. وقد قام الأمير بإسعاف الثعبان الأبيض واستمر في رحلته حيث وصل إلى المكان المحدد. وفي طريق عودته، ظهر له شاب نبيل دعاه إلى قصره وكشف له أنه هو الثعبان الأبيض، أي أنه جني. وقد رغب الشاب ـ الجني في رد الجميل للأمير على مساعدته له، ومن ضمن عروضه تزويجه بأخته. وعندما عاد الأمير إلى سبأ، استقبل بكل حفاوة واحترام من قبل الملك، وتمكن، بمساعدة زوجه التي كانت على قدر كبير من الجمال والذكاء، من إنقاذ شعبه، ذلك أنها قامت بالإجابة على كافة ألغاز الملك. وقد خلفت له زوجه ابنة، تفوق أمها جمالاً وحكمة. وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، تزوجها ملك سبأ ووضع، فيما بعد، التاج على رأسها وعيّنها ملكة حتى عندما كان لا يزال حياً. وعندما توفيت والدتها، أصبحت الابنة ملكة الجن، ثم ملكة سبأ بعد وفاة زوجها.

كما وتتضمن تلك الرواية فصلاً عن حروب شلومو، ويعقبها الفصل الأخير عن لقائه ملكة سبأ وإنجابها نبوخذنصر منه.

ومن الواضح أن هذه الرواية هي خرافة أو ميثولوجيا عربية جنوبية تشبه تلك التي أوردناها في فصل سابق عند الحديث عن الميثولوجيا العربية، وحفظها لنا ذلك «الفقيه» اليمني اليهودي. لكننا نرى أنه قام بإدخال مفاهيم دينية يهودية عليها حتى تناسب رواياته ومفاهيمه، وهذا ما جعلنا نضعها في هذا الفصل.

ننهي الآن تقصينا لكيفية تجلي بلقيس ـ ملكة سبأ في التراث الديني اليهودي بالقول بأنها مثلت الشيطان نفسه. وقد ذهبت بعض الكتابات اليهودية أبعد من ذلك حيث جعلت نبوخذنصر نتاج نكاحها لشلومو، علماً بأن ذلك الملك البابلي هو تشخيص للشر بعينه عند الطوائف اليهودية لأنه هو الذي قضى على مملكة يهوذا.

ننتقل الآن إلى البحث في أسس أو دوافع ذلك الموقف «الفقهي» اليهودي من ملكة بلقيس ونذكر بأن الكتابات الدينية اليهودية لا تورد أية أخبار عن بلقيس ـ ملكة سبأ، باستثناء إشارة عابرة في التوراة، وبالارتباط مع شلومو. وقد تبين لنا من تحليل المقطع بأن الهدف من الإشارة إليها الحديث عن شهرته ومملكته وبيت يهوه الذي قيل إنه بني تحت رعايته. ولم نعثر في أي من

الكتابات الدينية اليهودية الأخرى على أية إشارة إلى دور لعبته ملكة سبأ في ذلك التراث، مما أقنعنا بأن مواقف ذلك التراث الديني ما هو إلاّ ردة فعل على الموقع الذي تسنمته في المحيط الثقافي العربي. وقد اتخذ ذلك التراث الديني موقفاً معادياً للغاية تجاه بلقيس ـ ملكة سبأ، لكننا لم نعثر، لا في التوراة ولا في التلمود ولا في أية كتابات «فقهية» أخرى على أي مبرر لذلك. وهذا عزز قناعتنا بأن ذلك الموقف الديني اليهودي هو ردة فعل على سمعتها الإيجابية في تراث الشعوب التي عاش أولئك «الفقهاء» بينها.

الآن وقد بيّنّا ذلك ننتقل إلى بحث دوافع موقف التراث الديني اليهودي السلبي، بل المعادي تماماً، لبلقيس معتمدين على البراهين والاستنتاجات المسجلة أعلاه.

لقد أوضحنا في قسم سابق من الفصل أن بعض العلماء الأوروبيين ربطوا موقف التراث الديني اليهودي السلبي، بل المعادي تماماً، لبلقيس بالخلافات التي كانت قائمة بين حاخامات اليهود وبالتفسيرات حول المسيح وقدومه... الخ. لكننا نعتقد أن أساس دافع هذا الموقف هو موقف اليهودية من المرأة نفسها، أي أنه لم يكن موجهاً ضد بلقيس ـ الشخص وإنما ضد بلقيس ـ الرمز. ونجد تأكيداً لرأينا هذا في حقيقة أن القسم <عروبين ١٨ب>من التلمود يقول إن آدم خلف، في سنوات النفي، أرواح وشياطين وليلت، أي الغول. وقد أوضحنا في مؤلفنا الثاني عن جغرافية التوراة إن سِفر التكوين يورد روايتين مختلفتين عن خلق المرأة الأولى، حيث يقول بأنها خلقت من تراب وأيضاً أنها خلقت من ضلع آدم. فسِفر التكوين ١:٢٧ يقول: (فخلق ألوهيم[٦١] الإنسان على صورته، على صورة ألوهيم خلق البشر، ذكراً وأنثى خلقهم)، بينما يتمسك سِفر التكوين ٢:٢٢ بأن خلق إله التوراة يهوه للمرأة كان من ضلع الرجل. وتعود الغول (ليلت) هنا كالمرأة الأولى، للظهور مجدداً حيث تقول الكتابات اليهودية بأنها ضاجعت آدم، لكنه لم يتمكن من العيش معها، هذا عدا أنها تركته في قاع البحر. وهكذا تضحي ليلت ـ المرأة الأولى، وبالتالي بلقيس ـ ملكة سبأ مثال المرأة، رمزاً للشيطان حيث إنها رفضت دعوات إله التوراة لها بالعودة إلى رجلها، والتي أرسل من أجلها ثلاثة ملائكة. وهنا، وأمام تمرد ليلت ـ المرأة الأولى، اضطر إله التوراة إلى خلق قرين مطيع للرجل الأول ـ آدم، وهو ما جعله ينجز ذلك من ضلعه ـ أي إشارة رمزية واضحة لضرورة خضوع المرأة للرجل.

إن فهمنا هذا لا علاقة له بتأويل شخصي لأن التوراة تحوي مواقف معادية للمرأة، وبأكثر التعبيرات صراحة. فسِفر التكوين ٣:١٦ يعلمنا بأن إله التوراة يهوه أبلغ المرأة الأولى قراره التالي:

(أزيد تعبك حين تحبلين.

وبالأوجاع البنين تلدين.

إلى زوجك يكون اشتياقك،

وهو عليك يسود(*).

أي أن موقف التراث الديني اليهودي المعادي لملكة سبأ لم يكن موجهاً ضد شخصها ـ التاريخي ـ وإنما ضد بلقيس التي أضحت مثال المجتمع الذي تساوت فيه المرأة مع الرجل وتسنمت فيه أعلى الدرجات السياسية والاجتماعية. إنه موقف ضد بلقيس ـ مثال المرأة الحكيمة وذات السلطان. إنه موقف ضد المرأة بحد ذاتها، وليس موقفاً رمزياً ضد العرب لأن التلمود والتراث الديني اليهودي مليء بتهجمات واضحة الكلمات ضدهم.

نقول إن التراث الديني اليهودي عرف من محيطه الحضاري العربي أن بلقيس ـ ملكة سبأ كانت ممثلة للمرأة الرمز، وصارت بسبب ذلك، أي بسبب كونها أنثى، مثلاً للشيطان، للغول والساحرة. لقد اتخذ بعض مؤولي اليهودية موقفاً معادياً من بلقيس ـ ملكة سبأ لأنها مثلت في تراث الشعوب التي عاشت الطوائف اليهودية بين ظهرانيها، مجتمعاً حكمته المرأة، مجتمعاً كانت فيه المرأة مثالاً للحكمة والجمال ومتساوية مع الرجل، إن لم تكن متفوقة عليه، وهذا ما يتعارض مع الموقف الأساسي للتوراة منها.

ننتقل الآن إلى القسم الأخير في هذا الفصل للبحث في جوانب أخرى مما أطلقنا عليه اسم «اليهوديات»، نظراً لأهمية هذه المسألة في عملية تقييم بعض جوانب التراث العربي والعربي ـ الإسلامي وبعض التأويلات المنبثقة عن الرواية.

قلنا إنه عندما نقارن بين هذه التأويلات اليهودية لقصص بلقيس ـ ملكة سبأ من جهة، وبين المفاهيم التي أدخلها الإخباريون العرب في رواياتهم، لا يمكننا تجاهل التشابه، الذي يصل أحياناً إلى درجة التطابق المذهل، بين قصص الطرفين. فهل من الصحيح أخذ هذا التشابه بين الروايات كإثبات على أن العرب نقلوا عن كتابات حاخامات اليهود هذه القصص؟ لقد تبين لنا في قسم سابق من هذا الفصل أن الحاخامات نقلوا عن الرواة العرب الكثير من جوانب رواية بلقيس وأدخلوها في تراثهم الديني بشكل اعتباطي أحياناً، بعد إدخال التعديلات عليها لتوافق طبيعة

(*) هناك، برأينا، مشكلة بخصوص فهم المقطع الأخير (وهو عليك يسود)، حيث أن النص الأصلي يقول <وهوء يشمل بك>. ويلاحظ هنا أن الأداة الأخيرة هي <بِكِ>، والتي لا يمكن أن تعني (عليكِ)، وهو ما يرد في الترجمة العربية المتمدة. أما اجتهادنا بخصوص المعنى الأصلي فهو أن بالمقصود بالفعل <يمشل> وأصله <مشل> هو (العقاب) حيث أن المعاجم العربية المقارنة تقول إن ذلك هو معنى المفردة العربية (مثل)، وهي المفردة نفسها في الكنعانية التوراتية < مشل>. ويكون المقصود هنا (وهو بك يُعاقِب).

كما تورد المعاجم العربية معنى آخر للمفردة العربية (مِثال) وهو (الفراش). ويبدو لنا أن المعنى الأخير أقرب للمقصود لأن المقطع التوراتي يتحدث عن الحبل والولادة واشتياق المرأة لرجلها حيث فهمنا ذلك بالمعنى الجنسي. بذلك يكون المقصود (وهو يفترش بك)، أي القول بضرورة خضوع المرأة جنسياً للرجل.

وجوهر تعاليمهم الدينية بالخصوص. هذا وغيره يؤكد، برأينا، أن المؤولين والإخباريين العرب كانوا يديرون حوارات مع حاخامات اليهودية ويعطونهم، ويأخذون منهم أيضاً، والمكتبات تحوي مراجع تعطي أمثلة عديدة[٦٢]. إن القول بأن المؤولين والإخباريين العرب، كانوا يصلون إلى استنتاجاتهم واجتهاداتهم الاجتماعية دوماً بشكل منعزل عن محيطهم ما هو إلاّ إدعاء ليس إلاّ[*].

وإذا أخذنا مسألة اسم آصف بن برخيا الذي زُعم أنه كاتب سليمان، نجد أنه غير عربي، هذا رغم أن الاسم سليمان يختلف في تهجئته ورسمه عن الاسم التوراتي <شلمه>. هذا، وغيره الكثير يثبت أن بعض الإخباريين كانوا على علم بكتابات اليهودية، وكان يجب عليهم أن يشيروا إلى مصادرهم الأصلية بدلاً من إقحامها في تأويلاتهم من باب القول بأنها تعود إلى «أهل العلم» والمطلعين على الكتب. وهنا نسأل: أي كتب هذه التي كان «أهل العلم» مطلعين عليها؟ ونجيب قائلين: هذه الكتب هي كتب الأبوكريفا والسحر والأساطير الحاخامية، ولا يوجد غيرها. كما أننا على ثقة بأن بعض الإخباريين كانوا على علم بروايات أخرى، ومنها الحبشية المسيحية والعربية ـ المسيحية عن بلقيس. فالإشارة في كتاب التيجان لوهب بن منبه إلى أن اسم أحد أبناء بلقيس من سليمان كان داود لا يرد إلاّ في تلك القصص. والأمر ذاته ينطبق على مسألة ترك الماء ينسال في صحن بيت سليمان[٦٣].

لكن مسألة الاسم وبعض التفاصيل الأخرى ثانوية للغاية، خصوصاً إذا ما قورنت بمادة أساسية نرى أن الرواة استخدموها في تأويلاتهم الاجتماعية، فيما يخص موضوع بحثنا، ونعني بذلك الطبيعة أو الأصول الشيطانية لبلقيس ـ المرأة الرمز. لقد تحرينا القسم الرئيسي من القصص التي كانت متداولة بين العرب فلم نجد فيها أي تفسير للقول بأن قدميها أو ساقيها كانتا مشعرتين، هذا عدا الادعاء بأن قدميها كانتا كحافر الحمار ـ وهي خطوة إضافية على طريق الشيطنة وتلي الزعم الأول.

وقد يرى البعض أن الإخباريين لم يقولوا بأن بلقيس شيطان أو غول، وأن كل ما فعلوه هو

(*) وهناك العديد من القصص المشابهة في حضارات شعوب أخرى كان العرب على اتصال بهم، بما يؤيد وجهة نظرنا أن الرواة العرب كانوا يؤثرون ويتأثرون بمحيطهم الحضاري؛ يعطونه ويأخذون منه. ونورد هنا مثلاً واحداً عن أسطورة عند أقوام كان العرب الجنوبيون على صلة بهم، أو بالعكس، ونقصد بذلك الهند، تحمل في طياتها بعض ما ورد في قصص أو روايات الإخباريين العرب عن بلقيس، وخصوصاً في مسألة خداع النظر. فقصة مهبراتا الهندية تقول أن بطل القصة الملك مايا، خرج من قصر بناه لحبيبته يودهيستيهر، للتجول حيث رأى أرضاً زجاجية. وحيث انه اعتقد بأن ذلك ماء، رفع طرف ملابسه لمنعها من البلل عند مروره فيها. وحصل معه مرة أخرى أنه مر ببحيرة واعتقد أنها أرضية زجاجية فاستمر في مشيه لكنه وقع فيها بملابسه. أنظر:

G.A.G.: Duryodhana and the Queen of Sheba. In: **The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland**, July 1913. London.

وضع تلك التهمة على لسان الشياطين، وأنهم برأوها من تلك التهمة. نقول إن ذلك صحيح لأنه لم يكن بمقدورهم قول ذلك بصريح العبارة لأنهم عرفوها بأنها هي المشار إليها في القرآن الذي كرمها. لكن تبرئتهم لها لم تكن كاملة حيث التفوا على المسألة بالزعم بأن ساقها مشعرة، وبالإصرار على أنها جنية الأصول. وقد يرى آخرون أن الأصول الجنية المزعومة لبلقيس هي التي تقف وراء مسألة «إشعار» الساق، لكن هذا غير صحيح لأن كتابات الإخباريين لا تشير أبداً إلى أن قدماء العرب اعتبروا الجن من المخلوقات المتشيطنة ـ أنظر الملحق عن «مخلوقات قصة بلقيس». هذا كله أقنعنا بأن الإخباريين والمؤولين العرب أخذوا الصفة الشيطانية عن ملكة سبأ ـ الرمز والمثال عن اليهودية الحاخامية أو الربانية، وألحقوها ببلقيس ـ الشخص والتاريخ والرمز. وبعد أن أنهوا تأويلهم هذا، ألحقوا الرواية بتعاليمهم الاجتماعية المعادية للمرأة. أي أن بعض الإخباريين والمؤولين العرب لم يتخذوا موقفاً معادياً من بلقيس كشخص، وإنما من بلقيس المثال، مثال المجتمع الذي تساوت فيه المرأة بالرجل وتسلمت فيه أعلى المواقع القيادية، ليس وراثياً، ولكن عن استحقاق. وقد أسهبنا في بحث هذه المسألة في الفصل السابق ولا داعي للتكرار الآن.

لقد أخذ بعض المؤولين والإخباريين العرب هذا الزعم، أو مجمل الموقف من بلقيس ـ الرمز والمثال، عن كتابات السناء والأساطير والسحر التي كتبها حاخامات اليهودية وأدخلوها في كتبهم. لكن هذا لم يتم عبر «مؤامرة» وفق ما يدعيه البعض، ذلك أننا ننبذ التفسير التآمري للتاريخ، ولكن عبر وجود أرضية مشتركة وحدت ما بين مواقف الطرفين، ونعني بذلك الموقف السلبي من المرأة. فخلفية اليهودية المعادية للمرأة موجودة بشكل واضح وبصريح العبارة في التوراة، أما خلفية أو أرضية المؤولين العرب ـ المسلمين فقد كانت طبيعة المجتمع المادية، وتحديداً التجارية، التي أنجبت هذا الفهم المشترك بين الطرفين.

ومن الأمور المثيرة حقاً أن كتابات حاخامات وسحرة اليهودية تربط الموقف المعادي للمرأة بشلومو، وهو موقف بعض المؤولين والإخباريين الذين يربطون موقفهم بسليمان. وقد يتساءل البعض عن سبب إلحاق كل هذه المقولات والآراء بشخص الملك شلومو، المعرف تقليدياً بأنه سليمان ـ النبي. نقول إنه كان على شخص ما تحمل كل هذه الآراء. وحيث إن شلومو كان مثال الحكمة والمجد والسلطة، فإنه من الطبيعي أن يكون هو الذي أدار يسرئيل بحكمة؛ وهو الذي أنشأ إدارة للمملكة؛ وهو الذي بنى مدناً؛ وهو الذي بنى الهيكل؛ وهو الذي كان ينطق بالأمثال والحكم؛ وهو الذي أخضع جيران يسرئيل؛ وهو أول من استعمل النورة و«هذّب» مظهر الأنثى لتناسب ذوق الذكر؛ وهو الذي فض بكورية المرأة وجرّدها من السلطة لصالح زوجها، أي قضى على المجتمع الذي تحكمه امرأة؛ وهو الذي فرض زواجها... الخ. لقد كان على شخص ما تحمل كل الآراء والتخريجات والتأويلات والتشريعات... الخ، ولم توجد شخصية أفضل منه.

ونجد أفضل تعبير عن قيام حاخامات اليهودية بتحميل شلومو تأويلاتهم الخاصة لمقاطع من

العهد القديم في كيفية تعاملهم مع بعض الأمثال التوراتية. فعلى سبيل المثال اعتمد مؤولو اليهودية على مقولة سِفر جامعة ٧:٢٨ (بين ألف رجل وجدت واحداً صالحاً، ولم أجد امرأة صالحة بين ألف) لينسبوها إلى شلومو، رغم أن العهد القديم لا يقول ذلك، لا صراحة ولا ضمناً، لأن الموقف من المرأة أتى أصلاً من إله التوراة، وقد أشرنا إليه إعلاه. إلاّ أن التقاليد اليهودية تتمسك بإلحاقه بشلومو وتربطه بالخرافة التالية[٦٤].

(رغم أن آراء وتوكيدات شلومو كانت تنبع من حكمة عميقة، إلاّ أنها بدت غريبة للبشر العاديين. وفي تلك الحالات، لم يأنف الملك الحكيم من تقديم براهين تثبت صحة آرائه. فعلى سبيل المثال، عارضه العالمون والجهلة أيضاً من قوله (بين ألف رجل وجدت واحداً صالحاً، ولم أجد امرأة صالحة بين ألف). وهنا لم يتردد شلومو في التعهد بإثبات أنه على حق. وهنا أصدر أوامره لحاشيته بالبحث عن زوجين عرف عنهما الاستقامة والعفة. واستدعي الزوج للمثول أمام شلومو الذي أخبره بأنه قرر تعيينه في منصب رفيع. ولم يطالبه بشيء سوى أن يقتل زوجه ليفسح المجال لنفسه الزواج من ابنة الملك، والتي تناسب موقعه الجديد. وعاد الرجل الكسير القلب إلى بيته. ولكن يأسه ازداد حدة عندما رأى زوجته الشقراء وطفلهما الصغير. ورغم أنه كان مصمماً على تنفيذ رغبة الملك، إلاّ أنه لم يمتلك الشجاعة لقتل زوجته وهي مستيقظة. لذا انتظر حتى استغرقت في النوم، لكن منظر الطفل النائم في حضنها أثار عواطفه ومحبته الزوجية وجعله يعيد سيفه إلى غمده قائلاً: «وحتى لو قدم لي الملك كل مملكته، فإنني لست على استعداد لقتل زوجتي». ثم عاد الرجل إلى شلومو وأبلغه بقراره النهائي بالخصوص. وقام شلومو بعد شهر باستدعاء الزوجة وأبلغها بأنه على استعداد لتلبية كافة رغباتها فيما لو قامت بالتخلص من زوجها. وفي حالة عملها ذلك فإنه سيعاملها على أنها المرأة الأولى في حريمه. وقدم لها شلومو سيفاً رصاصياً، لكنه مطلي بطلاء براق بما جعله يبدو وكأنه من الحديد. وعادت المرأة إلى بيتها وهي مصممة على استخدام السيف للهدف الذي صنع من أجله. ولم يُكشَف عن خيانتها برفة جفن. وقامت في الليل وأخرجت السيف وهي مصممة على قتل زوجها. لكن السيف الرصاصي لم يضر الزوج، وإن أيقظه من نومه حيث اضطرت الزوجة لكشف نيتها الخبيثة. واستدعي الزوجان في اليوم التالي أمام الملك الذي أقنع بتلك الحادثة مستشاريه بصحة قناعاته بخصوص المرأة وبأنه من غير الممكن الاعتماد عليها).

كما توجد أسطورة يهودية أخرى تقول بأن أم شلومو قررت قتله بعد قوله أن روح المرأة لا يزيد وزنها عن قبضة عيدان خشبية، ولم تكن سنه قد تجاوزت حينذاك ثلاث سنوات.

والأمر ذاته ينطبق على بعض الإخباريين والمؤولين العرب المسلمين الذين حملوا سليمان ـ النبي، مثال السلطان والحكمة، آراءهم وتشريعاتهم الاجتماعية. لكننا نشدد على أن المؤولين والإخباريين العرب لم ينسخوا موقف حاخامات اليهودية من المرأة وأدخلوه اعتباطاً في كتاباتهم، وإنما رأوا في بعض جوانب «اليهوديات» التي رواها من وصفوا بأنهم «أهل علم وإطلاع على الكتب» أرضية مشروعة، «للبرهنة» على صحة موقفهم السلبي من المرأة التي مثلتها بلقيس. ثم قاموا بعد ذلك بإدخال أحاديث معادية للمرأة ابتدعوها ونسبوها إلى النبي العربي متجاهلين تماماً

موقف القرآن واضح الكلمات من بلقيس. وهذا ينطبق أيضاً على قناعتنا بأن الإخباريين والرواة أخذوا الجانب «الشيطاني» من بلقيس ـ ملكة سبأ من التراث الديني اليهودي وأدخلوه في رواياتهم. أليس من المثير للدهشة أن نرى أن المؤولين والإخباريين العرب قد تفادوا مناقشة هذه المسألة في كتاباتهم ضد الديانة اليهودية، رغم أنهم كانوا يدحضون آراءهم بشكل مستمر.

كما وجب الانتباه إلى أن المؤولين والإخباريين العرب أدخلوا مفاهيم اجتماعية عن المرأة أيضاً، بالارتباط مع سليمان وبلقيس، لدرجة أن القصص المسجلة في الفصل السابق وفي الملحق اخترقت بكم كبير من التعليقات الاجتماعية والتشريعية التي أشرنا إليها في الفصل السابق. ومن غير الممكن أن يكون الأمر مجرد صدفة عندما نقرأ حديثاً منسوباً للنبي يقول (لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة) ارتبط بقصة بلقيس، وبالتالي بسليمان. كما نجد أن المؤولين والإخباريين العرب أدخلوا على الرواية عن بلقيس ـ ملكة سبأ وسليمان تعليقات ليس لها أدنى علاقة بالقصة القرآنية، وهذا أيضاً ليس محض صدفة. وهكذا وجب أن يمسي سليمان في التراث العربي ـ الإسلامي ناطقاً بكل آراء المؤولين التي سردناها، وكان على بلقيس ـ مثال الحكمة والثروة والسلطان ـ أن تتحمل كل هذا وتضحي المثل على خضوع المرأة للرجل.

ننهي تعاملنا مع مسألة «اليهوديات» بالقول إن جزيرة العرب كانت تعرف روايات مختلفة عن ملكات ضمت قصصاً وتاريخاً وأساطير ميثولوجية، دمجت جميعاً في رواية واحدة. ويلاحظ أن الرواية الأصل، أي الأسطورة والميثولوجيا التي استعرضناها بالتفصيل في فصل سابق، لا تشير ولا بأي شكل من الأشكال إلى وجود شعر على ساقي بلقيس، أو أنها كانت كخفي حمار. وكل ما تنقله أن أصولها كانت جنية، وهي بالتأكيد ليست الغول أو السقيبة أو الشيطان. فالأخيرة ذات طبيعة شريرة بينما تعتبر الأولى ذات طبيعة طيبة[٦٥] أو غير ضارة على الأقل! لذا فإننا لا نرى أية علاقة بين مسألة تشعّر ساقي بلقيس، أي شيطنتها، في قصص الرواة، وبين طبيعتها الجنية وفق الأسطورة والميثولوجيا التي كانت تشير برموز إلى جانب من الحياة الدينية في اليمن في العصور الأولى. وهذا بالضبط ما أقنعنا بأن هذه الصفة تحديداً مأخوذة من كتابات الأساطير والسحر العائدة لحاخامات اليهودية التي تشهر ببلقيس ملكة سبأ ـ مثال المرأة، أيما تشهير، وتحولها إلى الشيطان نفسه.

إن الزعم بأن الروايات أو الأساطير العربية المرتبطة بموضوع المؤلف ما هي إلاّ نسخ لكتابات اليهودية غير صحيح وغير مقبول. فمرددو هذا القول ينفون عن العرب وسع الخيال الفردي والاجتماعي ويجعلونهم مجرد نقلة رديئين لتراث آخرين. برأينا أن الروايات العربية عن بلقيس وسليمان هي نتاج مخيلة عربية استندت الى تاريخ عريق في قدمه في النقل الشفوي، لكنها تأثرت بمحيطها بلا شك، ومنه التراث الديني اليهودي. إن قصص ألف ليلة وليلة لدليل حي وجميل على مدى وسع المخيلة العربية والعربية ـ الإسلامية وقدرتها على الإبداع، هذا رغم أنف

الادعاء القائل بأن الحضارة القائمة على أسس التوحيد، أي الإسلامية، غير قادرة على ابتداع الميثولوجيا والأساطير. لكن هناك كتابات أخرى مليئة «باليهوديات»، ويمكن كشفها بسهولة، تقع خارج نطاق هذا العمل.

لكن هل يمكن القول إن قصة بلقيس ـ ملكة سبأ وما ربط بها في الإسلام، استناداً الى تفسيرات وتأويلات حاخامات اليهودية وكتب السحر والأساطير التي نقلها «أهل العلم بالكتب» أو من عرف بـ«أهل الكتب» هي التي شكلت المنطلق الأساسي لموقف المؤولين والإخباريين العرب ـ المسلمين السلبي من المرأة؟ برأينا أن هذه الروايات وما ألحق بها من تأويلات وتشريعات لم تكن منطلق ذلك الموقف وليست أساسه الوحيد. ورغم أن التراث العربي والعربي ـ الإسلامي يتخذ موقفاً غاية في الإيجابية من بلقيس ـ الملكة الشخص والتاريخ، إلاّ أن التأويلات لم تكن تقصدها هي وإنما كانت موجهة ضد بلقيس ـ الرمز؛ رمز المجتمع الذي تساوت فيه المرأة مع الرجل، إن لم تكن تتفوق عليه. وانتصر في نهاية الأمر هذا المفهوم والتشريع الاجتماعي، لكن دون ربطه بشخص بلقيس التي كانت وما زالت تمثل في ذهن الإنسان العادي مثال الجمال والحكمة والسلطان والثروة.

هوامش الفصل الخامس

(١) في الترجمة العربية التقليدية، دوماً، «الرب». وهناك العديد من المشاكل اللغوية الأخرى الواردة في النص آثرنا عرض آراء علماء توراة معتبرين بخصوصها بدلاً من رأينا، الذي لا يختلف كثيراً عنها على أية حال، بما يمكن القارىء من الإطلاع عليها خصوصاً أنها لا ترد إلاّ في كتب موجهة لأهل الاختصاص.

(٢) في النص الأصلي (مائة وعشرين وزنة ذهب).

(٣) Martin Noth: **Biblischer Kommentar,** Band IX/1 - Könige. Neukirchen 1968.

(٤) راجع حول مسألة التقاليد التي يتشكل منها العهد القديم مؤلفنا «بنو إسرئيل ـ جغرافية الجذور».

(٥) أنظر فهم التراث العربي ـ المسيحي للمقصود بالتعبير «ناء جداً» في الفصل المخصص لذلك.

(٦) في الترجمة التقليدية (موكب عظيم)، أما النص الأصلي فيوظف المفردة <حيل>، بمعنى قوة، وهو ما قاد إلى ترجمتها على ذلك الشكل.

(٧) في النص المترجم «حاشيته».

(٨) أي «Chronist».

(٩) أنظر النص الوارد في سِفر أخبار الأيام الثاني ٩:٤ الذي يتحدث عن المسألة نفسها.

(١٠) ألغى المترجم العربي هذا المقطع من النص العربي.

(١١) في النص العربي المترجم ٢٠ قنطاراً، وفي النص الأصلي تستخدم الوحدة الوزنية <ككر> والتي تساوي، وفق الرأي السائد، ٣٥ إلى ٤٠ كيلوغرام.

(١٢) في الترجمة العربية (درابزين).

(١٣) التلمود عبارة عن مؤلف ضخم يحوي اجتهادات وتفسيرات «فقهاء» اليهودية حول مسائل دينية. أنظر تفاصيل ذلك في ملحق مؤلفنا (بنو إسرائيل ـ جغرافية الجذور). دار الأهالي: دمشق ١٩٩٤.

(١٤) يعود هذا النص إلى الحاخام صموئيل نحماني من القرن الثالث للميلاد عن الحاخام يوناثان من القرن الثاني للميلاد.

(١٥) Lou Siberman: The Queen of Sheba in Judaic Tradition. In. **Solomon Sheba.** Phaidon Press Ltd. London 1974, p. 67-70.

(١٦) أنظر هذه الملحمة في الفصل الخاص ببلقيس في التراث الحبشي.

(١٧) S. Krauss: Die Namen der Kőnigin von Saba. In: **«Festschrift Freimann»**. Berlin 1937

(١٨) الاسم الأصلي <مدرش هجدول عل برءشيت>.

(١٩) سِفر التكوين ٣:٢٥.

(٢٠) سِفر الملوك الأول ٥:٥.

(٢١) <ترجوم شني عل مجلت ءستر>.

(٢٢) بحرف السامك - ز. م.

(٢٣) BIBLIA HEBRAICA Stuttgartensia. Stuttgart 1984.

(٢٤) م.س.ذ.

(٢٥) **جغرافية التوراة - مصر وبنو إسرائيل في عسير.** رياض الريّس للنشر. لندن ١٩٩٤.

(٢٦) وينطق (مردخاي).

(٢٧) ٤٨٥ - ٤٦٥ق.م.

(٢٨) من الجدير بالذكر أن كلمة <فور>، هي المفردة الأكادية الآشورية «فو - رو»، بمعنى (وعاء)، لكنها وظفت في العهد القديم بمعنى (قرعة) - أنظر مثلاً سِفر أستر ٧:٣ و٢٤:٩.

(٢٩) D. Paulus Cassel (Grsg.): Zweites Tagum zum Esther, im **Vokalisierten Urtext mit Sachlichen und Sprachlichen Erlaüterungen.** Leipzig und Berlin 1885.

(٣٠) Célin Mangan, O.P. (Translation and Comments): The Targum of Job. In· **The Aramaic Bible,** vol. 15. Edinburgh 1991.

(٣١) في النص الأصلي <عل هبهمه>، أي (على البهائم).

(٣٢) أنظر سِفر الملوك الأول ١٣:٥.

(٣٣) هناك مشكلة في التعرف على المقصود فعلاً بالطير - في النص الأصلي <تر نجلء برء>. وقد قام معظم أهل الاختصاص بترجمة الاسم إلى «هدهد»، لكن دون إعطاء أي تفسير مقنع يشرح سبب اختيارهم لهذا الطير حيث إن النصوص التي عادوا إليها لا تحوي أي وصف له بما أقنعنا بأنهم توصلوا إلى استنتاجاتهم بالعودة إلى النص العربي، وهو الأمر الذي لم يشيروا إليه. ومن الجدير بالذكر أن الاسم الآرامي <تر نجلء> يرد في الكثير من النقوش «الفقهية» والأسطورية اليهودية بمعنى ديك. أنظر مثلاً:

Dalman, D. Gustaf H: **Aramäisch-Neuhebräisches Handwörterbuch zu Targum,** Talmud und Midrasch. Göttingen 1938.

(٣٤) في النص الأصلي <من بر ءشيت>، أي <منذ البداية> - قارن ذلك في العربية (برأس).

(٣٥) أو «نبلائك».

(٣٦) في النص الأصلي <ءتين وش علون بشلمي>، بمعنى (وأتوا وسألوا [عن] سلامتي)؟

(٣٧) في النص الأصلي <لبوشء عرجونء>.

(٣٨) من الأمور الجديرة حقاً الأخذ بعين الاعتبار أن هذا السِفر يمجد جمال الرجل وليس المرأة، وهو موقف منسجم تماماً مع قول سِفر حزقيال ١٢:٢٨: «يا ابن البشر، أنشد رثاء على ملك صور وقل له: كنتَ عنوان الجمال وغاية الحكمة والجلال».

(٣٩) في النص الأصلي <ءتركينت من ركوبتء>.

(٤٠) أنظر سِفر الملوك الأول ٨:١٠.

(٤١) في النص الأصلي <بيت زوجيتء>. وفي نسخة أخرى قرأت (في الحمام).

(٤٢) حرفياً (في قلبها).

(٤٣) أو التيفا، أي عشب البرك.

(٤٤) قارن سِفر الملوك الأول ١٠:٧ - ٨.

(٤٥) في النص العربي المترجم <بني سبأ>، لكن النص الكنعاني الأصلي لا يشير إلى <بني>، وإنما إلى <سبأ>.

(٤٦) النص وفق المرجع التالي:

Cèlin Mangan, O.P. (Translation and Comments): The Targum of Job. In: The **Aramaic Bible,** vol. 15. Edinburgh 1991.

(٤٧) في النص الأصلي <زمرجد>.

(٤٨) القسم <شبت ١٥١ب>.

(٤٩) أنظر:

Artikel LILIT: In: Encyclopaedia Judaica; Das Judentum in **Geschichte und Gegenwart,** Berlin 1934.

(٥٠) Alphabetum Siracidis.

(٥١) يوجد سِفر باسمه يعرف بـ«حكم يشوع بن سيراخ»، لكنه يعتبر في الديانة اليهودية من الأبوكريفا.

(٥٢) أي أم نبوخذنصر!

(٥٣) الاسم الأصلي <هزحر>.

(٥٤) Conybeare, F. C.: The Testament of Solomon. Translanted from the Codex of the Paris Library. In: **The Jewish Quarterly Review,** X (1898). p. 39.

(٥٥) Lou Silberman, pp. 83f. **quoting Acholem,** G.: Zur Kabbala und ihrer Symbolik. Baden-Baden 1960.

(٥٦) Lou Silberman: The Queen of Sheba in Judaic Tradition. In: **Solomon & Sheba.** Phaidon Press Ltd. London 1974.

(٥٧) الموظفة لوصف جوهرة في قلادة رئيس الكهنة المشار إليها في سِفر الخروج ٢٨:١٥ - ٢٠.

(٥٨) لم نتمكن من الإطلاع على هذا المرجع، ويبدو أنه فقد.

(٥٩) نشرت في المرجع التالي:

Aviad, Y.: Ma'ase Malkath Sheba. In: **Sefer Asaf.** Jerusalem 1953.

(٦٠) إننا نعثر على ذلك في الرواية العربية - المسيحية بما يعطي دليلاً آخر وقوياً على مدى تمازج الروايات التي نشأت في المشرق العربي.

(٦١) في الترجمة العربية المعتمدة «الله».

(٦٢) أنظر على سبيل المثال المؤلف التالي ذكره، والذي يحوي مجموعة من الأمثال، منها مأخوذ من التراث العربي، وغيره. كما من المعروف أن «علماء» اليهودية، كباقي أبناء ملتهم في المشرق والمغرب العربيين، كانوا عرباً أو تعربوا. وكانت لغتهم الأم هي العربية، وكانوا يسجلون نتاجاتهم الروحية، بما في ذلك شروح التوراة أيضاً، بالعربية. كما وتفيد المراجع بأنهم كانوا يقومون بترجمة بعض المؤلفات العربية، ومنها مقامات الحريري على سبيل المثال، إلى لغتهم، ربما ليسهل نقلها إلى أبناء ملتهم الأوروبيين. أما المؤلف فهو.

Dukes, L.: **Rabbinische Blumenlese.** Leipzig 1844, pp. 13, 14, 48, 54, 84, 92, 100, 112f, 134 150, 152ff, 166, 169, 174, 186... and others.

(٦٣) أنظر الملحق والفصلين الذين يتعاملان مع المسألة.

(٦٤) Louis Ginzberg: **The Legends of the Jews.** philadelphia 1946. pp. 135f.

(٦٥) أنظر عرضنا لمفاهيم العرب عن الجن في الملحق.

الفصل السادس

بلقيس ـ ملكة الجنوب
في التراث العربي ـ المسيحي

ننتقل الآن إلى الرواية العربية ـ المسيحية عن ملكة سبأ، ونبدأ تقصينا بعرض القصة وفق مخطوطة محفوظة حالياً في باريس كان أحد العلماء الألمان قد عثر عليها في مصر في نهاية القرن الماضي. وحيث إننا لم نجد أية إشارة لها فيما اطلعنا عليه من مراجع، افترضنا أنها غير معروفة للقارىء العربي. وقد ارتأينا أن نسجل الأجزاء ذات العلاقة نظراً لأهمية هذه الوثيقة الدينية في إدراك الكيفية التي تجلت فيها بلقيس ـ ملكة سبأ في التراث العربي المسيحي حيث تعرف فيه وفي العهد الجديد باسم «ملكة الجنوب» أو «ملكة التيمن». وسنعقب ذلك بعرض مختصر للرواية بتحليلنا لها بما يساعدنا في نقل صورة بلقيس في ذلك التراث الديني. وتحوي المخطوطة العديد من الأخطاء اللغوية قام ناشرها بتصحيح بعض منها. وقد آثرنا، حفاظاً منا على أمانة النقل العلمي، تسجيل النص كما هو دون أي تعديل من جانبنا. وحيث اننا لم نجد أية صعوبة في التعرف الفوري والدقيق على قصد الكاتب، تركنا النص دون أي تغيير يذكر حتى نمكن القارىء من استيعاب الروح والذهنية التي كتبت بها. ولم نتمكن، بكل أسف، من التأكد فيما لو توفرت نسخة عربية كاملة لهذه الملحمة التي يرى بعض أهل الاختصاص بأنها جزء من الملحمة الحبشية ـ المسيحية «كبرا نجست»(*) التي سنتعامل معها بالتفصيل في الفصل التالي، وقد يفيدنا الزملاء الباحثون من هذه الناحية أو يقومون بنشرها، فيما لو توفرت.

(*) واقع الأمر أن هذه الرواية ليست نقلاً حرفياً للملحمة الحبشية، وإنما رواية مسيحية تتشارك في العديد من تفاصيلها مع تلك الملحمة، ووجب، بالتالي، اعتبارها رواية مسيحية عربية، علماً بأن كاتب الملحمة الحبشية ـ المسيحية هو عربي.

شرح سبب انتقال مملكة داود من ولده سليمان ملك إسرايل إلى البلاد النجاشية التي هي الحبشة[١]

* كان لما أراد الرب سبحانه أن يبني سليمان بيت الرب بيروشليم بعد وفاة أبيه داوود بن اسي الذي كان ملكاً على بني إسرايل. فحين ابتدى سليمان ببناء بيت الرب سبحانه بإرادته الصالحة، أمر سليمان الملك أن تقطع الحجارة، فعجزت الصناع في قطاع الحجارة [إذ] تقطعت آلة القطع منهم، فضجوا إلى سليمان الملك أن يفكر بحكمته فيما يسهل عليهم ذلك. وأن سليمان طلب إلى الله معطي الحكمة أن يلهمه لذلك، وأنه دعا الصيادين وأمرهم أن يأتوه بفرخ رخ. وأنهم أحضروا إليه فرخ رخ كحسب أمره. وأنه للوقت أمر بعمل قدر نحاس وسعها يغطي الفرخ المذكور ويكون فيه ثلاثة أرجل عالين على الأرض مقدار ذراع. وأمر بأن يحط فرخ الرخ المذكور بوسط البيت ويقلب عليه القدر النحاسي. فصارت أجنحة الرخ تبين من تحت القدر المذكور لارتفاعه عن الأرض. فلما كان حضور الرخ إلى الجبال المرتفعة إلى مكانه، فلم يجد فرخه فقلق وحام على وجه الأرض في طلب فرخه. وأنه أشرف على يروشليم فنظر إلى فرخه تحت القدر المذكور ولم يجد حيلة لأخذه. وأنه ارتفع بالطيران إلى نحو فردوس الله شرقي عدن، فوجد تحت الفردوس قطعة خشب ملقاة مهيا له حملها. وإنه لشدة تلهفه على ولده حملها ولم يزل سائراً بها إلى يروشليم، فألقاها على القدر النحاسي. فبقوة الله ظهرت الآية فيها وانشقت نصفين فانكشف له ولده فحمله وطار به إلى مكانه. وأن سليمان وجميع بني اسرايل لما رأوا ذلك أعلنوا التمجيد لضابط الكل المعطي الطير الغير ناطق الفهم لما لم تقدر عليه القوة البشرية. وأن سليمان الملك أمر للوقت قطّاعي الحجر أن يأخذوا تلك الخشبة الطاهرة المباركة ويصيروا يقيسوا ما يريدوه من قطع الحجر ويعلموه ويضعوا عليه الخشبة المذكورة. فصار الحجر ينقطع منهم بقوة الله ضابط الكل على ما يريدون من قطع الحجر، وسهل عليهم ذلك. فتحقق سليمان أن ضابط الكل راض ببناء البيت المقدس. ولما أن كملت عمارة البيت، صارت الخشبة مقيمة داخل الصحن بالإسطوان. ومن حين انتهى بنيان البيت بطل الفعل من الخشبة المذكورة ولم يتهانوا بها *فلما أراد الله سبحانه انتقال مملكة داود وسليمان ابنه إلى بلاد الحبشة المباركة، حرك الملكة أن تأتي إلى يروشليم لتسمع من حكمة سليمان كما قال الإنجيل المقدس ملكة التيمن تقوم في الحكم وتحاكم هذا الجيل لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع من سليمان. فإن مملكة الحبشة كانت قديماً مملكتها لأولاد الملوك البنات، وكانت هذه الملكة حين كانت أمها حامل بها نظرت عنزة سمينة شهية المنظر، فتطلعت إليها بشهوة وقالت ما أحسنها وما أحسن أرجلها، فتوحمت على شهوتها. فلما أن كملت خلقة الابنة المذكورة في بطن أمها، صارت رجلها الواحدة رجل إنسان ورجلها الأخرى رجل العنز، فجل خالق كل شيء بقدرته سبحانه وتعالى. وأن حين ولدتها أمها ولدتها هذه الخلقة الغريبة(؟). ولما ربّتها والدتها ونشأت في القامة، لم ترضَ بزواج رجل لأجل خلقة رجلها، ولم تزال [كذلك] إلى أن تملكت وهي بكر. فلما خطر ببالها الحضور إلى سليمان لتسمع من حكمته كما تقدم القول، وكان ذلك سابقاً في علم الله سبحانه لحفظ مملكة داود بالحق إلى انقضاء العالم كقول داود بروح القدس عن الله أقسم الرب لداود بالحق، ولن يخلفه، أن من ثمرة صُلبك أجلس على كرسيك إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلمها لهم بنوهم إلى الأبد يجلسون على كرسيك، وغير ذلك شهادات كثر في المزامير وغيرها دالة على ذلك. وهذا أيضاً مما يدل على انتزاع الملك من بني إسرايل حين خالفوا [العهد] ولم يُذعنوا للحق ولم يامنوا بالمنتظر، نزع الله

منهم النبوة والكهنوت والمملكة. فلما وصلت الملكة المذكورة إلى يروشليم وسمع بها سليمان الملك وتحقق من المترددين أن رجلها الواحدة رجل عنز، دبّر بحكمته حيلة لينظر إلى رجلها، فنصب كرسيه بصدر صحن البيت وأمر بفتح مجاري المياه لكي يمتلىء صحن البيت ماء. ففعل ذلك وكانت الخشبة المذكورة أولا الذي أحضرها النسر من تحت الفردوس بالصحن، فتغطت بالماء ولم يعلم بها أحد لما في سابق علم الله. وأن الملكة حين وصلت إلى باب البيت وهي راكبة ووجدت الماء، قصدت الدخول إلى الملك سليمان وهي على مركوبها، فعرفوها أن هذا بيت الله ما يدخله أحد قط راكب. وأنهم أنزلوها من على مركوبها وأمسكها الأستادين الذي بخدمتها. وأنها مدت يدها وشالت طرف ثوبها وشمرت أرجل لباسها لتخوض في الماء، فتأمل سليمان رجلها من غير سؤال لها. وأنها خاضت في الماء بالصحن وأن رجلها لمست الخشبة المذكورة. ولما لمست رجلها المعنزة الخلقة الخشبة ظهرت قوة الله فاستوت رجل العنزة وصارت رجلاً أدمية مثل أختها. وأنها للوقت تحققت القوة التي أدركتها، فلحقها خوف عظيم ورعدة وابتهجت، ولم تزل ماشية في الماء إلى أن وصلت إلى عند الملك سليمان، فتلقاها بفرح وقام عن كرسيه وأكرمها وأجلسها معه. وأنها عرفته أنها ما أتت من أقاصي الأرض إلاّ لتسجد في يروشليم وتسمع من حكمته. ثم سألته قايلة إني حين كنت جايية إلى شريف(؟) مملكتك وأنا سايرة برجلي في الماء، وكانت رجلي الواحدة رجل عنز، فمست رجلي المذكورة شيئاً يابساً في الماء، فاستوت للوقت مثل أختها، ولحقني خوف عظيم ورعدة وابتهاج بما نالني من رحمة الله ضابط الكل. وأرته رجليها الاثنتين، فسبح بحمد الله ومجده صانع العجائب وحده، وشهد لها أنه ما عمل الماء إلاّ حتى شمرت ونظر رجلها وهي رجل عنز. وللوقت أمر أن يعود الماء إلى مكانه، فانكشف صحن البيت وبانت قطعة الخشب التي مستها برجلها وأن سليمان أظهر لها أمرها. وللوقت لما تحققت الأمر أمرت بإكرامها وطوقتها بطوق فضة. وإن سليمان لما رآها فعلت هذا طوقها أيضاً بطوق فضة وأمر أن تكون في الهيكل، هيكل الرب، مكرمة. فصار كل من[٢] يتملك بعد سليمان ومن يأتي للسجود في هيكل الله ويسمع هذا الخبر، يطوق الخشبة المذكورة بطوق فضة. وكمل من أيام سليمان إلى مجيء المسيح على الخشبة المذكورة ثلاثين طوق فضة. فلما أراد الرب سبحان كمال تدبيره، ودنا خلاص آدم وذريته من يد العدو اللعين خزاه الله، وافق يهودا ورؤساء الكهنة وشعب اليهود الماكر على اسمه المسيح ليحكموا عليه بالقتل، شارطه رؤساء الكهنة أن يعطوه الثلاثين فضة المذكورة، وأرسلوا كي يحضروا الخشبة ليلاً إلى حيث[٣] رؤساء الكهنة ونزعوا عنها الفضة المذكورة وسلموها ليهودا. فأخذها وأسلمهم السيد المسيح كما ذكر الإنجيل. ولما كان صباح يوم الجمعة الذي حكموا على السيد المسيح فيه بالصلب، أخذوا الخشبة المذكورة وأمروا النجار فعمل منها صليباً وصلبوا عليه المخلص. وهذا دليل حق كما ذكر لسان الذهب(؟) أن أبينا آدم إنما طغى بأكله من ثمرة الشجرة بالفردوس وعري من مجده وطرد منه وملك الشيطان عليه وعلى جنسه. لذلك كان خلاصه بتدبير الرب بإتيان هذه الخشبة من جانب الفردوس وصارت مكرمة عند الملوك إلى أن أتى ملك الملوك وصُلب عليها وخلص آدم وذريته من يد اللعين ـ بالخشبة كما أطغاه(؟) ثمرة الخشبة. ولهذا قال داود النبي في المزمور قولوا في الشعوب إن الله ملك على خشبة. وصارت هذه الخشبة مكرمة مشرفة برفع جسد سيدنا عليها إلى أن وضعوها على الميت فقام وصار مثالها عوناً للملوك ومقوياً لسائر المؤمنين إلى أباد الدهور. وأما الثلاثون الفضة المذكورة فطرحها بعد ذلك يهودا للملاعين اليهود. وبعد ذلك خنق نفسه وأبعدها من الحياة بصحبة الفضة فأخذها اليهود وأشتروا بها حقل الفخار مقبرة الغرباء إلى الآن. هذا ما كان

من أمر الخشبة، فلنعود إلى إكمال ما ابتدينا به من انتقال مملكة داود إلى البلاد النجاشية. وأن سليمان أكرم الملكة وأنزلها وحشمها وعسكرها إلى جانب قصره، وصارت كل يوم تحضر إليه لتسمع من حكمته. وكان سليمان شغوفاً بحب النساء، فلما كثر ترددها إليه اشتهاها وراودها على نفسها، فلم تطاوعه على مدة وقالت له أحضر إليك بنت بكر أعود زايلة البكورية، يصير بذلك نقص في مملكتي. فقال لها أنا ما آخذك إلاّ إمرأة لي، وأنا ملك وأنت ملكة. فلم تجيبه إلى ذلك. فقال لها عاهديني أني ما آخذ أمراً إلاّ بإرادتك، والشرط بيننا أنك إذا أتيتني إلى عندي ليلاً وأنا على سرير مرقدي تكوني زوجتي بناموس الملوك. وأنها عاهدته على ذلك مطمئنة في نفسها أنها تحفظ بكوريتها منه وذلك بتدبير الله سبحانه وتعالى. وأنه أعقلها بحكمته عدة أيام ولم يعد يراودها عن نفسها، فحسن الأمر عندها أنه تركها عن خاطره. ولما كان بعد ذلك أنه دعا الطباخين وأمرهم أن يطبخوا الطعام لجميع ما في القصر له، ولها أطعمة حارة، وأعطاهم أفاوي عطرية زكية بسبب ذلك. وأن الطباخين عملوا ما أمرهم به، فصارت كيفما أكلت من تلك الأطعمة الحارة النارية، تدعو بالماء البارد وتشرب منه كثيراً ليلاً ونهاراً، ولم يجدِ ذلك. ولما كان في الليلة الثالثة رسم خفية لكل من في القصر، داخل وخارج، أن لا يترك أحد عند الملكة المذكورة ماء للشرب جمله كافية(؟)، ومن تظاهر بها أو أسقا أحداً من عنده، قتل بغير مشورة. وقال لهم أي من طلب منه ماء للشرب في الليل يقولوا له ما تجد ماء إلاّ عند سرير الملك. فلما كان الليل انطلق في قلب الملكة نار عظيمة بسبب المآكيل الحارة وطلبت ماء لتشرب، فلم تجد. فقلقت وبلغت الموت فزعقت على الأستادين، فلم يجدوا ماء يسقوها. ولكثرة ما أصابها من العطش خرجت تطوف في القصر على من عنده ماء لتشرب، فصار كل من تسأله يقول لها وحق مملكتك ما تجدي ماء لتبردي به التهاب عطشك إلاّ بجانب سرير الملك. فعادت إلى مرقدها، فلم تستطع الجلد وبلغت إلى أن تفارق روحها جسدها وغابت عن الوجود، فأسرعت ودخلت إلى سليمان لتشرب ماء من عنده، وكان هو يقظاناً وكأنه نايم. وأنها شربت شرباً كثيراً وأروت ظمأها ورجعت إليها روحها وعلمت أن تجددت حياتها بعد الموت. ولما قصدت العودة إلى مرقدها نهض مسرعاً وأمسكها وقال لها صرت لي امرأة كناموس الملوك، وذكرها بالعهد الذي بينه وبينها. فأجابته إلى مقصده اختياراً منها كسابق العهد. وأنها بعد ذلك حملت منه فقالت له أنا متوجهة إلى بلادي ومملكتي، فماذا أفعل بولدك إذا أراد الله بحياته. فقال لها إذا أراد الرب وولدت ذكراً، فحين يأخذ حدود الشباب أرسليه إلى عندي أصيِّره ملكاً، ويكون ملكك له، وإن ولدتِ ابنة اتركيها عندك. فقالت له إذا أرسلت لك ولدك من أين تتحقق بأنه ولدك. فأعطاها خاتمه وقال لها احتفظي بهذا وعاهدي أنك لا تخرجي عن هذا الشرط بالعهد الحق الصادق الذي بيننا والله ضابط الكل إله إبراهيم ويعقوب إله أبي داود شاهد بيني وبينك. وإذا أرسلتي لي ولدي أعطيه خاتمي يحضره صحبته فأتحقق أنه ولدي وأملكه وأرسله إليك. فقبلت منه العهد الصادق وتوادعا وسافرت بعساكرها إلى بلادها وأكملت أيامها وولدت ولداً ذكراً. وأنها فرحت فرحاً كثيراً وأسمته باسم جده داود، وأنها ربته أحسن تربية. ولما كمل له من العمر حد الشباب وتمكن من نفسه، وكان حكيماً لبيباً مثل والده. فلما كان ذات يوم سأل والدته وقال لها يا والدتي من هو والدي لعل يكون مات وأنا صغير؟ فأجابته قايلة يا ولدي الحبيب أبوك يعيش وهو سليمان بن داود نبي الله وملك إسراييل ومملكته بيروشليم، وها خاتم مملكة والدك عندي وديعة لك لتصير به ملكاً على البلاد الحبشية، وهذه هي إرادة الله، وما صار لي من الآن مملكة لكن لك وأنت ملك ابن ملك، فحسن ذلك عنده وشكرها. وأنها قالت له: يا ولدي

الحبيب، جهز حالك بالهدايا والعساكر وتوجه إلى يروشيليم لتسجد بها وتنظر والدك ومملكته وحكمته العظيمة ويصيرك ملكاً كالعهد الذي بيني وبينه، وضابط الكل الشاهد بيننا. وللوقت ألبسته خاتم أبيه في يده اليمين وبإرادة الله سبحنه تجهز وسار بالعساكر والتحف الملوكية ووصل بعد مدة إلى يروشليم. ولما علم سليمان بقدوم ملك عليه أمر العساكر أن تتلقاه. ولما وصل إلى باب قصر أبيه سليمان لم يتحقق سليمان أنه ولده، فإن الصبي حين وصوله رأى مركوب أبيه واقفاً مسروجاً ملجوماً. وللوقت صعد وركبه وساق به وسل سيفه بيده. فما بلغ ذلك سليمان، صعب عليه الأمر وكتمه. ولما التقيا ببعضهما أظهر سليمان ما عنده من أمر ركوبه مركوبه وسلّ السيف بيده، وأنه قال له صاحب هذا الخاتم ملكني مملكته حين كنت في بطن أمي، وهذه هي إرادة الله. ولما نظر سليمان إلى الخاتم وتحقق فيه ابتهج بالفرح وقام عن كرسيه وعانقه وصرخ قايلاً مرحباً بولدي الحبيب ابن داود. وللوقت ألبسه تاج أبيه داود وأجلسه على كرسي داود أبيه وصرخت الأبواق وزعقت الشاويسية أن هذا داود بن سليمان بن داود ملك إسراييل. وشاع الأمر وبلغ أسباط بني إسراييل جميعهم أن هذا ابن سليمان ابن ملكة التيمن أتى إلى والده سليمان وأنه ملكه مملكة أبيه داود وألبسه تاجه وأجلسه على كرسيه. وكان في بيت الرب الذي بناه سليمان وقدسه تابوت عهد الله داخله اللوحين الحجارة المكتوبة باصبع الله وعصاة هارون، وقسط المن مصفح بالذهب مستور بالديباج. وكان آية ظاهرة لكل شعب إسراييل إذا صلت الكهنة وقدمت الطلب إلى ضابط الكل وركعوا، يرتفع تابوت عهد الله عن الأرض فيتحققوا أن طلباتهم قبلت، وإذا ركعوا [ولم] يرتفع التابوت يتحققوا أنه حصل منهم إثم أو من الشعب فيديموا الطلب إلى الرب ويبحثوا عمن جنا ويقاضى بالعدل يرتفع التابوت يعلموا أن الله رد غضبه عنهم. فلما صار الملك ابن سليمان المذكور يدخل إلى بيت الرب للصلاة ينظر الأمر المذهل للعقول من ارتفاع تابوت عهد الله، حسن ذلك عنده واختار حمل تابوت عهد الله معه إلى بلاده وواجه والده سليمان ملك إسراييل وقال له أنا أحمل تابوت عهد الله إلى بلادي. فقال له والده يا ولدي الحبيب، ما تنهض على ذلك فإن هذا ما ينهض على حمله إلاّ الكهنة، وكل من لمسه غير الكهنة هلك نفسه عاجلاً، وأن بني إسراييل ما هم محفوظين من الأعداء إلاّ بتابوت عهد الله، وهذا ما يتفق. فقال له أنا ما أطلب منك ذهباً ولا فضة فإن بلادي يجمع الذهب من أرضها، ما أطلب منك غير تابوت عهد الله ليحفظني في طريقي ويكون عوناً في بلادي لمملكتي وعساكري. فقال له والده يا ولدي، إن كان في إرادة الله ضابط الكل بانتقاله معك فهو يسهل ذلك لك، ولكن إذا أخذت التابوت لا تعلمني، وإذا سرت به لا تودعني، فإن الكهنة ومشايخ إيوان إسراييل لا بد أن يحلفونني باسم الله على هذا الأمر، فإذا أقسمت باسم الله أحلف حق. وإن الصبي أحضر إلى عنده في خفية صناعاً وعمل تابوت خشب على صفة التابوت ومقداره وطوله وعرضه، ثم قتل الصناع ليلاً، ثم أحضر صناعاً أيضاً وصفحوه بالذهب كهيئة التابوت وفعل بالصناع أيضاً مثل الأول، ثم غشاه بالديباج. ولما تهيأ للسفر لم يدرِ والده الملك سليمان، لكنه استدعاه بأربعة من الكهنة الثقات وأظهر لهم أنه يسألهم الدعاء قبل سفره وأسعفهم بمال ليصلوا عليه ووظفهم لأن يترددوا إليه. ولما كان ليلة السفر حضروا عنده ليودعوه فأدخلهم مخدعه ليصلوا عليه. ولما استقروا داخلاً عنده قيدهم بالحديد ليلاً وأمر العساكر بالركوب من غير صراخ أبواق، ثم أخذ معه جماعة من خواصه وبأيديهم السلاح، وأخذ الكهنة مثلما مقيدين بالحديد ليلاً يهربوا منه ودخل إلى بيت الله وأمر الكهنة الذي معه بحمل تابوت عهد الله وترك التابوت المتشبه به مكانه وخرج معه حامليه الكهنة ليلاً ولم يودع والده ولا عرفه بسفره. وكان

ذلك بتدبير من الله سبحانه وتعالى لحفظ تابوت عهده المقدس حين تكون المملكة الداودية باقية إلى نهاية العالم كما أوعد داود بذلك أنه يجلس على كرسيه من ثمرة صلبه. وسار الصبي ابن سليمان محفوفاً بالمعونة الإلهية. ولما كان الصباح، دخل بني إسرايل إلى بيت الله والكهنة كالعادة للصلاة، وحين ركع الكهنة وقدموا الطلب إلى ضابط الكل لم يرتفع التابوت ولا تحرك من مكانه، فقالوا إنهم أخطأوا وأقاموا مداومين الصوم والصلاة ثلاثة أيام وبحثوا في الشعب عمن جنى إثماً فلم يجدوا. وبعد ذلك تقدم الكهنة إلى التابوت، فيا لها من دهوة ورجفة ووجيعة حين لم يجدوا تابوت عهد الله وقدسه، ووجدوا التابوت الموضوع قاع فارغ زور، فتحققوا أن ابن الملك سليمان أخذه. ففتشوا في عدد الكهنة في قبايل إسرايل، فلم يجدوا الكهنة الذين أخذهم صحبته، فصح عندهم ذلك لعدم وجود الكهنة. وأن الكهنة ومشايخ إسرايل دخلوا على سليمان الملك وهم باكين حزانى نايحين على تابوت عهد الله وعدمه من هيكله المقدس، قالوا لسليمان أنت أمرت ابنك بأخذ التابوت، فبكى وناح وأظهر الحزن الشديد وأقسم لهم أنه لم يأذنه بذلك ولا ودعه ولا علم بسفره في أي وقت كان. فأجابوه قايلين: يعيش الملك إن كان هذا ما كان أربك ولا بإذنك، فجهز معنا عساكر لنلحق به ونأخذ تابوت عهد الله المقدس منه ونعيده إلى بيته الطاهر. فأعطاهم عساكر ومالاً وزاداً وخرجوا في طلبه وأقاموا سايرين مدة أربعين يوماً. فوجدوا في وجوههم تجاراً راجعين فسألوهم عن التابوت هل رأوه، فأجابوهم أن نحن رأينا ملكاً عظيماً وعساكره كثيرة وصندوق عهد الله معهم وهم ذاهبين كالسحاب الجاري من عصف الرياح العظيمة من مدة كثيرة، وذكروا لنا أهل البلاد الذين خلفنا أن مسيرهم في كل يوم تقدير أربعين يوماً. فرجعوا خايبين مذلولين باكين نادمين حيث لم ينفعهم الندم. وأن الصبي حين وصل إلى بلاده سالماً تلقته والدته ونزلت له عن المملكة وأقام ملكاً على كرسي داود أبيه وصارت مملكة الحبشة لكرسي داود إلى الأبد وتابوت عهد الله عندهم. هذا ما كان من أمر تابوت الرب وسبب نقلته إلى بلاد النجاشي، ولم يزل ذلك إلى ميلاد ربنا يسوع المسيح من الطاهرة مريم. وأكمل تدبيره على الأرض وخلص آدم وذريته. وبعد صعوده إلى السموات بشرت التلاميذ باسمه في الأرض كلها. وكان من خبر الخصي وكيل قنداقس وسبب حضور ليروشليم السجود بها. وعند عودته أرسل روح القدس له فيلبس الرسول وأم الخصي واعتمد وتوجه إلى بلاده وبشر فيها بالمسيح، فآمنوا الجميع على يديه. وبعد ذلك توجه إليهم بإرمناس أحد السبع وعمدهم وكرّس لهم كهنة وشمامسة ورسم أن يكون أبيهم من كرسي مرقس الإنجيلي. وثُبتت الأمانة الأرثذكسية بالبلاد الحبشية والمملكة ثابتة فيها لداود إلى آخر الدهور والمجد والسبح والعظمة والوقار والسجود للثالوث المقدس إلى أباد الدهور كلها، آمين.

هذا ما وجد في تواريخ أبا البيع القبطية القدما فسبحان معطي الفهم والعقل لخلايقه وعلينا رحمته إلى الأبد، آمين.

نبدأ تحليل هذه القصة بالقول بأن التراث المسيحي العام يطلق صفة «ملكة الجنوب» أو «ملكة التيمن» على بلقيس ـ ملكة سبأ، ولذا رأينا أن نسهل الأمور على القارىء بأن نشير إليها بصيغة بلقيس ـ ملكة الجنوب.

إن أرضية كيفية تجلي بلقيس في التراث العربي ـ المسيحي[٤] هو قول إنجيل متى ١٢:٤٢ على لسان يسوع المسيح (...وملكة الجنوب ستقوم يوم الحساب مع هذا الجيل وتحكم عليه لأنها

جاءت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان، وهنا الآن أعظم من سليمان)(٥). قد جعل من بلقيس ـ ملكة سبأ، امرأة ذات موقع فريد في المسيحية بكافة اتجاهاتها، وفي الكنيسة القبطية وتفرعاتها في أفريقيا بشكل خاص. ورغم أن العهد الجديد يربط ملكة سبأ بالحبشة حيث يطلق عليها اسم «ملكة الجنوب»، إلاّ أن هذا تأويل مسيحي لأن المقصود هنا ملكة سبأ، وهذا رأي أهل الاختصاص الذي سنعود إليه عند التعامل مع رواية بلقيس في التراث الحبشي ـ المسيحي.

لقد أعاد التراث العربي ـ المسيحي تأويل رواية ملكة سبأ لتضحي «ملكة الجنوب» أو «ملكة التيمن»، خلال فترة طويلة وعبر عملية معقدة. وربما ما ساعد في ذلك ورود إشارة واضحة، وحيدة، إلى الحبشة في العهد القديم(*). كما أن تحول الحبشة المبكر إلى المسيحية وتوفر معلومات عن ملكات حاكمات هناك، ومنها ما يرد في سِفر أعمال ٨:٢٧ عن كنداكة ملكة الحبشة، والتي فهم أنها هي ملكة سبأ، قد أسهم بشكل كبير في تثبيت هذا التأويل الجغرافي الخاطيء.

وبمراجعة الرواية المسردة أعلاه، يتبين جوهرها الديني الورع حقاً. فهي لا تتحدث عن وسيط بين بلقيس ـ ملكة الجنوب وبين شلومو، فالسماع به والذهاب إليه وانتهال الحكمة منه تمّ وفق إرادة فوقية، أي إلهية. والهدف هو نزع الحماية الربانية، أي الشرعية، عن يسرئيل، أي اليهودية، وتسليمها للمسيحية(**).

وبمقارنة هذه الرواية العربية ـ المسيحية برديفها العربي والعربي ـ الإسلامي، نجد أنها تتشابه في العديد من المسائل، رغم اختلاف الشكل. فهذه الوثيقة تشير إلى أن إحدى رجلي بلقيس ـ ملكة الجنوب كانت مثل رجل العنز، وليس ككعب حمار كما يرد في النصوص العربية ـ الإسلامية. أي أن هذا النص ينفي ضمناً أية أصول «جنية» أو «شيطانية» لبلقيس ـ ملكة الجنوب لأنه يعزو سبب تشوه ساقها إلى توحم أمها عندما كانت حاملاً بها. كما تربط هذه الرواية بين قطعة خشبية أحضرها طائر من جنة عدن واستخدمت في بناء هيكل شلومو، وبين شفاء بلقيس ـ ملكة الجنوب من التشوه الذي أصاب قدمها. وهنا يشير النص إلى أن تلك الخشبة هي التي عمل منها الصليب الذي صلب عليه يسوع المسيح. ولا تختلف هذه الرواية عن «كبرا نجست» من حيث الإشارة إلى الكيفية التي تمّ بها لسليمان نكاح بلقيس ـ ملكة الجنوب، لكن تعرض أن تصرفه ذلك أدى إلى إلحاق أشد العقاب ببني يسرئيل لأنه كان سبباً لانتقال المُلك المقدس من

(*) سفر أعمال ٨:٢٧ الذي يقول (فقام فيلبس ومضى. وفي الطريق صادف رجلاً من الحبشة، وزيراً من خصيان كنداكة ملكة الحبش، وخازن جميع أموالها. وهو جاء إلى أورشليم للعادة).

(**) وهذا هو جوهر المسيحية الرسولية أصلاً التي اعتمدت لفترة طويلة على العهد القديم ولم يكن لها كتبها الخاصة بها. والسبب أن مجيء المسيح المنتظر مرتبط، في التوراة، باليوم الأخير. ولكن عندما طال الانتظار، كان لا بد من تسجيل التعاليم الجديدة اليونانية الفلسفة، والمعتمدة على فكر ونصوص «سامية»، وهذا أدى إلى ولادة العهد الجديد. وعلى هذا، فإن المسيحية لا تعتبر العهد الجديد، أي ما يعرف في التراث العربي ـ الإسلامي باسم بالإنجيل، بأنه كلمة رب يسرئيل المنزلة على المسيح لأنه يضم مجموعة من الأخبار التي تناقلها الحوار وآباء الكنيسة على لسان يسوع المسيح.

يروشليم إلى الحبشة. كما يلاحظ أن هذه الوثيقة لا تعطي سليمان التوراة وما قيل عن حكمته وسلطته... الخ مساحة كبيرة. فالغزل بسليمان الذي نجده في الروايات الأخرى يختصر هنا قدر الإمكان. وهدف ذهاب بلقيس ـ ملكة الجنوب إلى شلومو هو البحث عن الحكمة وليس أي شيء آخر، وهو تصرف يكافأ في نهاية الأمر بانتقال المُلك إلى الحبشة.

كما ويلاحظ أن هذه الرواية لا تشير إلى أية أحاجي، مما يؤكد أنها رواية مستقلة، إلى حد ما، عن القصص العربي ـ الإسلامي، رغم أن الأساس واحد وهو بلقيس ـ ملكة سبأ. لكننا نعثر على عناصر عربية ـ إسلامية ودينية يهودية فيها، ومن ذلك القول بأنه كان يعرف منطق الطير والإشارة إلى مسألة الكشف عن الساقين، وإن كان سبب ذلك ليس أرضية القصر البلورية، وإنما ماء، وهو ما يذكرنا برواية ابن سعديه المشار إليها في الفصل السابق.

والمهم بالنسبة لنا أن هذه الرواية تكرم ملكة سبأ أيما تكريم. فهي لا تشير سلبياً إليها بأي شكل، وهذا موقف المسيحية منها عموماً. رغم ذلك نجدها توظف الرواية «للتبشير» بانتهاء حكم المرأة حيث تقول بتنازل بلقيس ـ ملكة الجنوب عن الحكم لابنها، رغم أن هذا التأويل لم يكن بهدف اجتماعي محض لأنه يندرج ضمن التأويل الديني الذي يعطي الحكم في يسرئيل للابن البكر. في كافة الأحوال، لقد حورت الرواية الأصلية وأولت دينياً بما جعلها ملحمة دينية خالصة.

وهناك وثيقة عربية مسيحية أخرى أوردناها في الملحق تشير إلى تفاصيل غير معروفة لا في الرواية العربية ـ المسيحية ولا في الرواية الحبشية. لكن تلك الوثيقة المسجلة أصلاً بالقبطية، وهي لغة الكنيسة في مصر، مقتطعة بشكل كبير. أما الأمر المثير فيها، فهو أنها تتحدث عن أعمدة علوم موجودة في وطن ملكة سبأ.

ننهي بحثنا في هذا القسم بالقول إن بلقيس ـ ملكة سبأ دخلت التراث العربي ـ المسيحي كامرأة مثال الخلق والتعفف، وهي التي ستعود يوم الساعة لمحاسبة العصاة.

هوامش الفصل السادس

(١) النص منقول عن المرجع التالي:

Carl Bezold: Kebra Nazast Die Herrlichkeit der Könige. **Abhandlungen der Philosophisch-Philologischen Klasse der Königlich Bayrischen Akademie der Wissenschaften.** Band 23. München 1909.

(٢) في النص الأصلي دوماً «كلمن».

(٣) في النص الأصلي «حين».

(٤) نقصر بحثنا هنا على ما يرد في الكنيسة القبطية المصرية حيث لم تتوفر لنا أية معلومة عن وجود حكايات مشابهة أو مستقلة في الكنائس العربية الأخرى.

(٥) هذا المقطع مكرر حرفياً في الإصحاح ٣١:١١ من إنجيل لوقا.

الفصل السابع

بلقيس ـ ملكة التيمن
في التراث الحبشي ـ المسيحي

يتعامل هذا الفصل مع كيفية تجلي بلقيس في الأسطورة والميثولوجيا الحبشية التي تعرف باسم «كبرا نجست»(*)، أي «مجد الملوك»، والتي تنقل لنا صورة مختلفة عن رديفها في التراث العربي، والعربي ـ الإسلامي، والقصص الديني اليهودي. لكن قبل أن نستعرض محتويات الرواية الحبشية، نود التذكير بما توصلنا إليه حتى الآن.

لقد رأينا أن العرب عرفت ملكة سبأ ضمن إطار أسطورة وميثولوجيا. وقد تبين من خلال استعراض الروايات الأخرى، التي تختلف عن الأصل وكيفية تسنم بلقيس قيادة قومها، أنه كان للعرب اليمانيين علم بملكات حكمن في اليمن، ودمج بعد الإسلام وإشارته التكريمية لملكة سبأ التي ربط عهدها بسليمان ـ النبي جانب من تاريخهن وسيرهن ببلقيس الميثولوجيا، في شخصية واحدة عُرّفت بالاسم بلقيس. لقد تسابقت بعض أقوام العرب لتعريف كل من ملكاتهم بأنها هي المشار إليها في القرآن، وأدى ذلك إلى حدوث دمج واختلاط في المقصود بما قاد إلى بلبلة غير بسيطة، وجعل بعض الإخباريين يشككون في صحة المراجع والأخبار عن تاريخ الإقليم.

أما التراث الديني اليهودي، فقد انطلق من الرواية التوراتية الجد مقتضبة عن لقاء بين الملك شلومو، المعرف تقليدياً بأنه هو سليمان ـ النبي المذكور في القرآن، وبين ملكة سبأ، واستعان ببعض ما ورد عنها في محيطه الحضاري لحبك رواية جديدة مضيفاً إليها العديد من التأويلات الدينية التي حولت الملكة اليمانية إلى شيطان أو غول. وقد أوضحنا أن مصدر هذا التأويل هو ردة فعل ذلك التراث الديني تجاه المرأة التي مثلته بلقيس ـ رمز الحكمة والجمال والقوة، أي رمز لمجتمع

(*) أنظر «النجاشي» بالعربية.

تسنمت قيادته المرأة. وقد كان موقف اليهودية ذلك منسجماً إلى أقصى الحدود مع التعاليم التوراتية تجاه المرأة.

وتبين لنا أن التراث العربي ـ المسيحي «القبطي» قد أعاد تأويل الرواية لتتناسب مع منطلقاته ومفاهيمه الدينية. ورغم أنه كرم ملكة سبأ بشكل كبير، إلاّ أن روايته لم تخلُ من التعليقات عن المرأة، منسجماً تماماً مع موقف العهد القديم تجاه المسألة.

نبدأ الآن موضوع هذا الفصل باستعراض تاريخ الحبشة القديم وبأكبر قدر ممكن من الإيجاز، حتى نسهل على القارىء فهم الظروف التي أدت إلى نشوء الملحمة الدينية «كبرا نجست».

لقد اعتبر آخر أباطرة الحبشة هيلاسيلاسي نفسه الحاكم الخامس والعشرين بعد المائتين انحداراً من نكاح[1] الملك شلومو لبلقيس ـ ملكة الجنوب[*] المسماة (مَكِدَّا)، وهي ملكة الحبشة. لكن إذا نظرنا إلى هذا الادعاء من وجهة نظر قارىء، وليس كاتب، للتاريخ، فلا بد من رفضه لأنه يفتقد إلى أية حجج علمية، رغم أن تلك العائلة التي أطاحت بها رياح الثورة، تعود رسمياً في أصولها إلى القرن الثالث عشر. وقد ساهم ذلك القول الأسطوري إلى حد كبير في محافظة إثيوبيا لقرون طويلة على وحدتها الداخلية حيث يعتبر ذلك البلد وبحق أحد أقدم الوحدات السياسية ـ الاجتماعية في القارة الأفريقية، هذا رغم التباينات القبلية في تركيب سكانها.

ومن الحقائق التاريخية المعروفة، والمثبتة باللقى الأثرية، أن العرب اليمانيين عبروا البحر الأحمر غرباً واستوطنوا المناطق الساحلية من القرن الأفريقي حيث أسسوا دولة لهم هناك في القرن السابع قبل الميلاد، إن لم يكن قبل ذلك بعصور. ويتجلى ذلك الحضور الحضاري العربي في الكثير من الآثار التي عثر عليها هناك، والتي تثبت أن الأقليم عرف التعبد للآلهة السبئية، ومنها < ءلمقه >، أي القمر، والشمس، وهي الإلهة التي عرفها عرب جنوبيون آخرون أيضاً. وبدأت في القرن الرابع للميلاد عملية تحول الحبشة إلى المسيحية على يد شابين من صور أُخذا أسيرين بعد أن تحطمت بهما السفينة التي كانت تقلهما في طريق العودة إلى وطنهما من رحلة إلى الهند، على شواطىء الحبشة، وانتهى بهما الأمر للاستقرار في بلاط الحاكم. وتكثف في مرحلة لاحقة تحول الحبشة إلى المسيحية على يد «القديسين التسعة» الذين أتوا من مصر أو سوريا، والذين مثلوا التيار المسيحي الذي ينظر إلى طبيعة المسيح «الإلهية» على أنها بشرية الأصل، والذي عرف باسم «الوحديطبعي»[2]، واضطر ممثلوه إلى الفرار من اضطهاد الكنيسة بعد مجمع كالكدون الذي عقد عام ٤٥١ واتخذ قراراً ببدء ملاحقة الاتجاهات من مثل «الطبيعة الواحدة» والنسطورية، بعد اتهامها بالهرطقة.

(*) أنظر ملاحظتنا في الفصل السابق عن مسألة التسمية.

لقد أدى إدخال المسيحية الوحديطبعية إلى الحبشة من قبل الحاكم إزناً الذي تولى تربيته أحد الشابين الصوريين المشار إليهما آنفاً، إلى حدوث مقاومة من قبل الجماهير على ما يبدو. وقد يكون ذلك ما أدى إلى ظهور أسطورة «كبرا نجست» كموحد قومي لمختلف أقوام الحبشة، أطلقها حكام تلك البلاد لإضفاء شرعية دينية على سلطتهم، وهو أسلوب كثيراً ما نراه يتكرر عبر التاريخ حيث يزعم البعض انتماءه إلى سلالة النبي العربي بهدف إضفاء «شرعية إلهية» على استمرار الاستئثار بالسلطة وبالثروة الوطنية.

ومن غير الممكن الآن تتبع تاريخ ظهور زعم نجاشيي الحبشة بالانتساب إلى ملكة سبأ نظراً لغياب أية وثائق، لكننا نعرف أنها نشأت كتابياً في القرن الرابع عشر. وقد حدث ذلك بعد انقطاع دام قرنين من الزمان في حكم أجداد هيلاسيلاسي. وعندما تمكن نسل تلك العائلة من «استرداد» السلطة في أكسوم من غريمهم، بدأ تثبيت الملحمة الدينية «كبرا نجست» كتابياً، ربما لقطع الطريق على أية إدعاءات من قبل غرماء جدد محتملين. هذا لا بد من أخذه بعين الاعتبار لأن العائلة التي أطاحت بما يسمى بالسلالة «السليمانية» التي عرفت باسم «سلالة زرجاوي»، وحكمت أكسوم في الأعوام ٩١٤ - ١٢٦٨، ادعت انحدارها من موسى التوراة. كما وعملت تلك السلالة على تثبيت ادعاءاتها عبر بناء كنيسة ياهو، والتي تعتبر بحق أحد أعظم المباني التي عرفتها البشرية[٣]. لكن يبدو أن سكان الحبشة لم يقبلوا ادعاءات انحدار سلالة زرجاوي من موسى التوراة لأن التراث السبئي - الحبشي لم يعرف تقليداً، صحيحاً كان أم كاذباً، يربطه بتلك البلاد. هذا ساعد السلالة «السليمانية» الأكسومية على «استرداد» السلطة عام ١٢٧٠ والتي استمرت في الحكم حتى أسقطتها ثورة عام ١٩٧٤ التي حولت البلاد إلى جمهورية. كما وساعدت ملحمة «كبرا نجست» الدينية في انتشار المسيحية في البلاد، رغم أن نصف عدد السكان يدين الآن بالإسلام.

وتبدأ رواية التراث الحبشي - المسيحي عن بلقيس - ملكة الجنوب، والذي اعتمد لقرون طويلة على تلك الملحمة الدينية «كبرا نجست» كهوية وطنية، من حيث ينتهي الآخرون. أي من لقائها مع شلومو التوراة ليخلع عن يسرئيل «أحقية» الادعاء بأنها «مملكة يهوه» على الأرض، ويعطيها للحبشة. وسنعرض تالياً ترجمتنا للمقاطع من الملحمة ذات العلاقة بمادة مؤلفنا، ونعقب ذلك بتعليقات وشروح بما يساعد القارىء في فهم أسس تحليلاتنا عن كيفية تجليها في ذلك التراث الديني. وقد قررنا أن نقوم بنقل النص، وهو العرض الأول باللغة العربية على ما نعتقد، حتى نتمكن من إثارة اهتمام البحاثة العرب وتسهيل أية إضافات منهجية لموضوع المؤلف. ورغم أن ترجمتنا تعتمد على النصين الإنكليزي والألماني اللذين صدرا في مطلع القرن، ورغم قناعتنا التامة بأن ترجمة أي نص تاريخي مهم يجب أن تعتمد على المخطوطة باللغة الأصلية، إلاّ أن جهلنا بلغة الجعز وقف حائلاً أمام ذلك، ونعتذر للقارىء على هذه النقيصة في مؤهلاتنا ونأمل أن يغفرها لنا. رغم هذه السلبية، نعتقد أن عرضنا يفي بالحد المطلوب لأن موضوع عملنا ليس لغوياً، وإنما هو

تاريخي. كما نود لفت الانتباه إلى أن النص الحبشي هو ترجمة عن النص العربي الذي ترجم بدوره عن القبطية، لكننا لم نجد أي أثر للنسختين الأخيرتين ونرجح أنهما مفقودتان. وقد أدت الترجمات وترجمة الترجمات إلى ركاكة في النص الجعزي، لكن المترجمين الألمان، والإنكليز، التزموا بروح ونص الوثيقة، وقمنا من ناحيتنا بالحفاظ، قدر الإمكان، على المنهجية نفسها حتى نمكن القارىء من التعرف على تلك الرواية كما نقلت إلينا. آخذين هذه النقاط بعين الاعتبار، نورد تالياً المقاطع نظراً لأهمية دور التراث الحبشي ـ المسيحي بالنسبة إلى موضوع المؤلف.

١ ـ ملحمة كبرانجست

(مجد الملوك)

١٩) **مكان العثور على الكتاب** ـ وهنا تحدث بطريك الروم دماتيوس وقال: لقد عثرت ضمن مخطوطات الثروة الملكية في كنيسة صوفيا(*) على عرض لمملكة العالم المقسمة بين ملك روما(**) ونجاشي الحبشة.

٢٠) **حول تقسيم الأرض** ـ قِسم ملك روما يبدأ من منتصف يورشليم وحتى الشمال والجنوب الغربي؛ وقسم نجاشي الحبشة يبدأ من منتصف يورشليم من شماله وحتى جنوبه وحتى غرب الهند. والسبب أن كليهما من نسل سام ابن نوح، من نسل أبراهام، من نسل داود أبناء شلومو. ذلك أن الرب أعطى سلالة سام، لأجل أبيهم نوح، المجد والبركة. وملك روما هو أحد أبناء شلومو، ونجاشي الحبشة هو بكر شلومو.

٢١) **عن ملكة الجنوب** ـ وقد عَثَرتُ على كيفية ولادة الأخير في الكتب. كما وتشير الأناجيل إلى السيدة: وهكذا تكلم سيدنا يسوع المسيح عندما وجه التهمة إلى ذلك الجيل من القوم، اليهود، الذين قاموا بالصلب، قائلاً: وملكة الجنوب ستقوم يوم الحساب مع هذا الجيل وتحكم عليه لأنه لم يسمع كلمتي، لأنها جاءت من أقاصي الأرض لتستمع إلى حكمة سليمان(***). و«ملكة الجنوب» هذه هي «ملكة الحبشة». وأما أقاصي الأرض فتشير إلى ضعف المرأة وطول الطريق وحرارة الشمس والجوع إبان الرحلة والعطش. ولكن «ملكة الجنوب» كانت على جانب كبير من الجمال والخلقة، وتمتعت بالفهم والحكمة التي منحها إياها الرب حتى تأتي إلى يروشليم للاستماع إلى حكمة شلومو؛ وهذا تمّ حسب إرادة الرب، وكانت هذه رغبته. وهي كانت ثرية جداً لأن الرب أعطاها الشهرة والثروة، ذهباً وفضة، وملابس فاخرة، وجمالاً، وخدماً وتجاراً. وهم تاجروا لها في البحار وعلى اليابسة، في الهند وفي أسوان(٤).

(*) أي كنيسة آيا صوفيا باسطمبول ـ القسطنطينية سابقاً، علماً بأن دولة كمال أتاتورك حولت المبنى من جامع إلى متحف.

(**) المقصود هنا «القسطنطينية» عاصمة البيزنطيين، أي «اسطمبول».

(***) إنجيل متى ١٢:٤٢.

٢٢) **عن التاجر تمرين ـ** وقد وجد رجل فيهم، وكان رئيس التجار واسمه تمرين. وكان لهم خمس مائة وعشرون جملاً جاهزة للتحميل، وكان يمتلك أيضاً ما يقرب من ثلاثة وسبعين سفينة.

وقد حدث في ذلك الوقت أن الملك شلومو رغب في بناء بيت الرب، فأرسل إلى كافة التجار في الشرق وفي الغرب، وفي الشمال وفي الجنوب، عارضاً عليهم مبادلته الذهب والفضة بما قد يكون لديهم [من مواد] للبناء. وقد قام بعض الناس بإبلاغه عن ذلك التاجر الحبشي الثري، فأرسل شلومو له كتاباً أبلغه فيه بأن يحضر ما رغب فيه من بلاد العرب: الذهب الأحمر، والأخشاب السوداء التي تقاوم الدود، وأحجار الصفير(*). وذهب ذلك التاجر الذي كان اسمه تمرين، وكان تاجر ملكة الحبشة، إلى الملك شلومو؛ وأخذ شلومو منه ما رغب فيه، وأعطى التاجر كميات كبيرة مما طلبه. وكان ذلك التاجر شخصاً على درجة كبيرة من الفطنة، ورأى حكمة شلومو وأدركها ودهش منها، وراقب بدقة حتى يتعلم كيف كان الملك يجيب بالكلمات، ويفهم أحكامه وسرعة بديهته، وإجاباته الفورية وطريقة عيشه، وكيفية قيامه وقعوده، وتصرفاته، وحبه، وإدارته، ورآسته(**)، وقوانينه. وقد تحدث شلومو مع أولئك الذين كانوا يتلقون أوامره بتواضع ولطف، وكان يؤنب من يرتكب منهم خطأ [بطريقة رقيقة]. وذلك أنه أدار بيته بحكمة، وانطلاقاً من خشية الرب، وكان يتسم بتهذيب أمام الحمقى ويقودهم إلى الطريق السوي، وكان لطيفاً مع الخادمات. وكان يتفوه بأمثال، وكانت كلماته أعذب حتى من العسل؛ وكانت تصرفاته بمجملها مدعاة للإعجاب، وسيماه سارة للناظر. والسبب أن الحكمة يعشقها الأذكياء ويرفضها الحمقى.

وعندما رأى ذلك التاجر كل هذا، دهش وأعجب إلى حد كبير. والسبب أن كل من سنحت له فرصة رؤية شلومو، كان يقدره عظيم التقدير، وهو أضحى بدوره معلماً لهم؛ وبسبب حكمته وهيبته فإن كل من حضر مرة واحدة لرؤيته لم يعد راغباً في الابتعاد عنه. وكانت عذوبة كلماته كالماء للعطشان، وكالخبز للجائع، وكالشفاء للمريض، وكالكساء للعريان. وكان كالأب لليتامى. وكان يحكم بعدل، ولم يكن يهمه موقع أي كان. وكان له المجد والثراء اللذان أغدقهما عليه الرب بكميات كبيرة، ومن ذلك الذهب والفضة والأحجار الكريمة والألبسة الفاخرة، وأعداد لا تحصى من القطعان والخراف والماعز. وكان الذهب في أيام شلومو كالنحاس، والفضة كالرصاص، وتوفر البرونز والرصاص والحديد كالعشب في الحقول وكقصب الصحراء، كما وتوفر خشب الأرز بكثرة. وقد أعطاه الرب المجد والثراء والحكمة بكميات تفوق ما توفر عند من سبقه، ولم يتجاوزها من خلفه.

(*) أي «الياقوت الأزرق».

(**) حرفياً «طاولته»، ويبدو أن المقصود هنا طاولة اجتماعاته.

٢٣) كيف عاد التاجر إلى البلاد النجاشية ـ وقد حصل أن التاجر تمرين أراد العودة إلى بلاده، فذهب إلى شلومو وانحنى أمامه، وقال له: «سلام على جلالتكم! أطلقني ودعني أعود إلى وطني وإلى سيدتي لأني قضيت وقتاً طويلاً هنا في حضرة بهائك وحكمتك والمغريات التي أغدقتها عليّ. والآن عليّ الرحيل إلى سيدتي. وقد كان بودي أن أبقى هنا كأحد أدنى خدمك، والمجد لمن يستمع إلى صوتك ويتلقى أوامرك! ولو كان بمقدوري لمكثت هنا ولا أتركك مطلقاً! لكن عليك أن تطلقني لأعود إلى سيدتي لأنه عليّ أن أعيد لها ممتلكاتها التي ائتمنتني عليها. وفيما يتعلق بي، فإني خادمك». وذهب شلومو إلى قصره وأعطاه كل ما رغب فيه لوطنه الحبشة، وأطلقه في طريقه بسلام. واستودعه تمرين وانطلق في طريقه ووصل إلى سيدته، وسلمها كل المتاع الذي أحضره معه. وقصّ عليها كيف وصل إلى بلاد يهوذا يروشليم، وكيف حظي بالحضور بين يدي شلومو الملك، وكل ما رآه وما سمعه. وحكى لها كيف أن شلومو أدار بعدل، وكيف كان يتكلم من موقع العالِم، وكيف أنه حكم بين الناس بالعدل في كافة القضايا التي رفعت إليه، وكيف أن إجاباته كانت لطيفة ووديعة، وكيف أنه لم يكن فيه أي عيب، وكيف أنه عين مراقبين على السبع مائة حطاب الذين كانوا ينقلون الأخشاب، وعلى الثماني مائة بنّاء الذين كانوا يقطعون الأحجار، وكيف أنه سعى ليعرف من كافة التجار والوسطاء المهارات الحاذقة وكيفية التصنيع، وكيف أنه استلم المعلومات وضاعفها، وكيف أن كافة أعماله اليدوية وصناعاته كانت تنجز بحكمة.

وكان تمرين ينقل للملكة صباح كل يوم حكمة شلومو، وكيف كان يقضي بعدل، وكيفية ترتيبه للأمور، وكيف كان يقيم الاحتفالات، وكيف كان يعلم الحكمة، وكيف كان يوجه خدمه وكل مرتّب(*) بنظام عادل، وكيف كانوا يفهمون إشاراته، وكيف أنه لم يقم أحد بغش آخرين، وكيف لم يختلس جار جاره، وكيف أنه لم يوجد في عهده لا لص ولا سارق، لأنه هدى بحكمته أولئك الذين أذنبوا، وكيف أنه عاقبهم وجعلهم يرهبونه، وكيف أنهم لم يكرروا ذنوبهم، وأنهم عاشوا في سِلم اختلط بخوفهم من الملك.

وقام تمرين بنقل كل هذه الأشياء إلى الملكة، وكان يذكر لها كل صباح الأشياء التي رآها عند الملك، ويصفها لها. وقد دهشت الملكة وأعجبت بكل ما سمعته من خادمها التاجر، وكانت تشعر برغبة داخلية في التوجه إليه؛ وكانت تبكي من شدة اشتياقها إلى ما حكاه لها تمرين. وكانت متلهفة جداً للذهاب إليه، ولكنها عندما فكرت في أمر الرحلة التي كان عليها الشروع بها، رأت أنها كانت بعيدة وأصعب من أن يتم تجاوزها. وكانت تسأل تمرين مرة بعد أخرى عن شلومو، وكان تمرين يخبرها عنه مرة بعد أخرى بما ملأها

(*) هكذا في النص الأصلي.

شوقاً ورغبة للذهاب حتى تستمع لحكمته، ولترى محياه، ولتعانقه، ولتتوسل لجلاله. وقد مال قلبها للتوجه إليه لأن الرب أمال قلبها للرحيل وجعلها ترغب في ذلك.

٢٤) **كيف تهيأت الملكة للرحيل** ـ وتكلمت الملكة قائلة: «استمعوا لي أيها الرعية، وأنصتوا إلى كلماتي. إني أرغب في الحكمة، وقلبي يبحث عن الفهم. إنني ولهة بالحكمة، ومكبوحة بروابط الفهم؛ فالحكمة أفضل من ثروات الذهب والفضة، وهي أفضل ما خلق على الأرض. فبأي شيء تحت السماء يمكن مقارنة الحكمة؟ إنها أحلى من العسل، وتبهج الإنسان أكثر من النبيذ، وهي تضيء أكثر من الشمس، وهي تُعشق أكثر من الأحجار الكريمة. إنها تزيد عن الزيت في جعل الإنسان صحيحاً، وإنها أكثر إرضاء من اللحوم اللذيذة، وإنها تعطي [المرء] شهرة ألف مرة أكثر من الذهب والفضة. إنها منبع سعادة القلب وضياء براق للعيون، هي أجنحة للأقدام، ودرع للصدر، وخوذة للرأس، وعقد للرقبة، وحزام للخاصرة. إنها تجعل الآذان تسمع، وتجعل القلب يفهم، إنها معلم للمتعلمين، وهي مواساة للحَذِر والمتبصِّر، وهي تعطي الشهرة لمن يسعى وراءها. ولا يمكن لأية مملكة أن تستمر في الوجود بدون حكمة، ولا يمكن الحفاظ على الثروة بدون حكمة؛ ولا يمكن للقدم أن تبقى في الطريق التي اختارتها بدون الحكمة. وبدون الحكمة لا يمكن قبول ما ينطق به اللسان. إن الحكمة أفضل الثروات. ولن يستفيد من يكدس الذهب والفضة بدون الحكمة، ولكن من يجمع الحكمة، لا يمكن لأي شخص أن يسرقها من قلبه. وما يجمعه الحمقى يستهلكه الأذكياء. ويُمتَدَح المستقيمون بسبب شرور المسيئين؛ وبسبب أعمال الحمقى الشريرة يُحَب الحكماء. إن الحكمة شيء سامٍ ومنبع ثراء، وسأحبها كأم، وسأحتضنها كطفلي. إني سأتبع خطى الحكمة وهي ستحميني إلى الأبد؛ وسأجِدُّ في طلب الحكمة، وهي ستبقى معي إلى الأبد؛ سأقتفي خطاها وهي لن تنبذني؛ وسأميل عليها، وهي ستكون لي حائطاً صلباً إلى الأبد؛ وسأسعى وراء اللجوء إليها، وهي ستكون لي إلى الأبد مصدر قوة وسند؛ وسأبتهج معها، وهي ستكون لي إلى الأبد نعمة لا تنضب لأنه من الصحيح أن نقوم باتباع أثر الحكمة وأن تقف أخماص أقدامنا على عتبات أبواب الحكمة. لنقتفِ أثرها، فسنعثر عليها؛ دعونا نحبها، وهي لن تبتعد عنا؛ لنجرِ وراءها، فسوف نتجاوزها؛ لنطلب، فسوف نستلم؛ لنوجه قلوبنا نحوها حتى لا ننساها. وإذا تذكرناها، سنبقى نحن في ذاكرتها؛ ولن يطلب الحكمة الحمقى، ولأنهم لا يبجلونها، فهي لا تحبهم. إن تمجيد الحكمة هو تمجيد للرجل الحكيم، وحب الحكمة هو حب الحكماء. أَحِبَّ الحكيم ولا تبتعد عنه، وبمجرد النظر إليه ستضحي حكيماً؛ أوْلِ أذناً صاغية لتفوهاته، فقد تصير مثله؛ ابحث عن المكان الذي وضع فيه قدميه، ولا تغادره، فقد تأخذ بقايا حكمته. وأنا أحبه بمجرد السماع عنه ودون أن أراه، وكل القصة التي قيلت لي عنه جعلت قلبي يمتلىء بالرغبة، وهي كالماء للظمآن».

وأجابها كلٌّ أقيالها وعبيدها ووصيفاتها ومستشاريها وقالوا لها: «يا سيدتنا، فيما يخص

الحكمة، فإنك لا تفتقدين إليها، وحكمتك هي التي جعلتك تحبين الحكمة. وفيما يتعلق بنا، فإن ذهبت فإننا سنذهب معك، وإذا بقيت، فإننا سنبقى معكِ، وموتنا سيكون مع موتك، وعيشنا مع عيشتك». ثم بدأت الملكة في عمل الاستعدادات للرحلة بكل أبهة وملوكية، وبعتاد وبتجيهزات كثيرة. والسبب، أن إرادة الرب رأت أن تجعل قلبها يتوق لزيارة يروشليم حتى تتمكن من الإصغاء إلى حكمة شلومو؛ ولأنها كانت تواقة للإصغاء. ولذا بدأت بالاستعداد للرحيل. وتمّ تحميل سبع مائة وتسعة وسبعين جملاً، وتمّ تحميل أعداد لا تحصى من البغال والحمير، وانطلقت في رحلتها وتابعت مسيرتها دون توقف، وكان قلبها يثق بالرب.

٢٥) **كيف جاءت الملكة إلى شلومو الملك** ـ ووصلت إلى يروشليم، وأحضرت معها للملك الكثير من الهدايا الثمينة التي رغب جداً في امتلاكها. وقد كرّمها بشكل عظيم وكان مبتهجاً، وقدم لها مأوى بقربه في القصر الملكي. وأرسل إليها طعاماً لوجبات الصباح والمساء، كل منها بمقدار خمسة عشر مقياساً(*) كورياً من اللحم الناعم والأبيض، مقلية بالزيت، وكمية كبيرة من المرق الرمادي، وثلاثين مقياساً كورياً من اللحم الأبيض المجروش، صنع منه خبز لثلاث مائة وخمسين شخصاً، والكميات الضرورية من الأطباق(**) والصواني، وعشرة ثيران، وخمسة ثيران مخصية، وخمسين من الغنم، هذا عدا عن صغارها، وغزلان ووعول وطيور سمينة، ووعاء نبيذ يحوي مقياس ستين جرة(***)، وثلاثين مقياساً من النبيذ المعتق، وخمسة وعشرين مغنّياً وخمساً وعشرين مغنية؛ وأفضل أصناف العسل الكثيف والحلو، وبعضاً من أصناف الطعام التي يتناولها هو، والمشروبات التي يشربها. وكان يكسوها كل يوم بأحد عشر ثوباً تذهل الناظر. وكان يزورها ويسرها، وكانت تزوره وتسره، ورأت حكمته، وعدالة أحكامه وسناءه وكياسته، وسمعت بلاغته. واجتاح قلبها الإعجاب، وكانت مندهشة كثيراً في عقلها، ومدركة في رأسها واستوعبت في عينيها بشكل واضح كم يستحق الإعجاب؛ وتعجبت كثيراً لما رأته ولما سمعته برفقته، ومدى تكامل هدوئه، ومدى حكمة فهمه، ولطف كياسته وهيمنة منزلته. ولاحظت رقة صوته، وتفوه شفتيه المهذب، وأنه كان يعطي أوامره بوقار، وأن إجاباته كانت تعطى بهدوء وبخوف من الرب. وقد رأت كل هذه الأشياء، وذهلت من مدى حكمته، ولم يترك شيئاً مرغوباً في كلماته وحديثه، فكل شيء نطق به كان كاملاً.

وكان شلومو يعمل على بناء بيت الرب، ووقف وتوجه يميناً ويساراً، وإلى الأمام وإلى الخلف. وشرح للعمال المقاييس والأوزان والفضاء الذي تغطيه [المواد]، وأوضح للصناع

(*) أو «وزنة».

(**) هكذا في النص الأصلي، وهي كلمة عربية.

(***) هكذا في النص الأصلي، وهي أيضاً كلمة عربية.

العاملين بالحديد كيفية استعمال المطرقة والحفارة والإزميل؟ وبين للبنائين زاوية [المقياس] والدائرة وسطح [المقياس]. وتمّ عمل كل شيء وفق أوامره، ولم يكن هناك مَن ناقض كلماته؛ لأن نور قلبه كان مثل المصباح في الظلمة، وكانت حكمته متوافرة كالرمل. ولم يخف عليه منطق الكواسر والطير، وأجبرت حكمته الشياطين على إطاعة أوامره. وقد عمل كل هذا بواسطة المهارات التي أعطاه إياها الرب بعد أن تضرع له؛ والسبب أنه لم يطلب النصر على أعدائه، ولم يطلب الثروة والشهرة، ولكنه طلب من الرب الحكمة والفهم حتى يتمكن من حكم شعبه، وليبنى بيته، ولتزيين خلقه بكل الحكمة والمعرفة التي منحه إياها.

٢٦) **كيف تحدث الملك مع الملكة** ـ وتحدثت الملكة مَكِدًا مع الملك شلومو وقالت له: «مبارك، يا سيدي، بكل هذه الحكمة والفهم الذي مُنحتَ. وبالنسبة لي، فإن كل ما أتمناه هو أن أكون إحدى أدنى خادماتك، حتى أتمكن من غسل قدميك وأنصت إلى حكمتك وأستوعب فهمك، لخدمة جلالتك، والاستمتاع بحكمتك. آه كم سرّتني إجاباتك، ونعومة صوتك، وجمال مشيتك، ولطف كلماتك الدائمة. إن حلاوة صوتك تجعل القلب يبتهج وتسمن العظام، وتعطي قوة للقلب، والود والحسن للشفاه، وقوة للمشي. إني أنظر إليك وأرى أن حكمتك لا يمكن قياسها، وأن فهمك لا ينضب، وكأنها المصباح في الظلمة، والرمان في الحديقة، واللؤلؤة في البحر، ونجمة الصباح بين باقي النجوم، وضوء القمر في السديم، وفجر بهي وشروق في السماء. وإني أتوجه بالشكر إليه الذي أحضرني إلى هنا ومكنني من رؤيتك، وجعلني أطأ مدخل أبوابك وأستمع إلى صوتك».

وأجابها الملك شلومو وقال لها: «إن الحكمة والفهم ينطلقان منك. وفيما يخصني [وأنا أمتلكهما فقط] بالكمية التي منحني إياها إله يسرئيل لأنني تضرعت إليه وحصلت عليهما منه. وأنت، ورغم أنك لا تعرفين إله يسرئيل، فإنك تمتلكين هذه الحكمة التي نمت في قلبك [وجعلتك تأتين] لرؤيتي، العبد والخانع لربي، [ولرؤية] بناء بيته، بينما أتحرك أنا حول سيدتي وأخدم تابوت شريعة إله يسرئيل والقدوس وصهيون السماوات. والآن، أنا عبدُ إلهي، وأنا لست حراً؛ إنني لا أخدم وفق إرادتي الحرة، ولكن وفق مشيئه. وهذا الكلام لا ينطلق مني أنا، ولكن نطقي هو ما جُعلت أتفوه به. وكل ما يأمر به، أتفوه به، وأذهب حيث إرادته بأن أكون؛ وأقول ما علمني أن أتفوه به؛ والحكمة التي أقولها هو الذي علمني إياها، لأنه جعلني لحماً بعد أن كنت تراباً، وجعل جسدي صلباً بعد أن كان ماء، ومن قطرة منطلقة سقطت على الأرض وكان يمكن لها أن تجف على سطح البسيطة، عملني على شكله وجعلني صورة له».

٢٧) **عن أمور البناء** ـ وبينما كان شلومو يتحدث بهذه الحكمة مع الملكة، رأى عاملاً يحمل حجراً على رأسه وقربة ماء [معلقة] على رقبته وكتفيه، وكان طعامه وحذاؤه [مشدودين] حول خاصرته، وكان في يديه بعض الأخشاب؛ وكانت ملابسه رثة وبالية، وقطرات

العرق تتصبب من وجهه، وكان الماء ينسال من القربة على قدميه. ومر العامل أمام شلومو، وعندما حاذى الملك قال له: «قف»؛ وتوقف العامل. واستدار الملك إلى الملكة وقال لها: «أنظري إلى هذا الرجل. هل أنا أعلى منزلة من هذا الرجل؟ وما هي الأشياء التي تجعلني أفضل منه؟ وبأي شيء أتألق عن هذا الرجل؟ فأنا إنسان وتراب ورماد، وسأصير غداً دوداً وعفونة، ورغم ذلك يبدو الآن أني لن أموت أبداً. فمن الذي سيشتكي الرب إذا أعطاه ما أعطاني، وفيما لو أنه جعلني مثل هذا الرجل؟ أليس كلانا مخلوقين، أي بشراً؟ وكما سيموت هو، سأموت أنا، وحياته مثل حياتي. رغم ذلك، فإن هذا الرجل أقوى على العمل مني، لأن الرب أعطى القوة للضعفاء، ووفق إرادته هو». وقال شلومو «انطلق إلى عملك».

واستمر في حديثه للملكة وقال: «ما هي المنفعة المرجوة منا، نحن أبناء الناس، إذا لم نمارس الرحمة والحب على الأرض؟ ألسنا كلنا لا شيء، مجرد عشب في المروج يذبل في أوانه وتحرقه النيران؟ إننا نمتع أنفسنا في الأرض باللحوم الطيبة، و[نرتدي] أثواباً مكلفة، ورغم ذلك فإننا في حياتنا مجرد عفونة؛ إننا نقتني الروائح العطرة والمراهم الناعمة، ولكننا ورغم أننا أحياء فإننا أموات بالذنوب والخطايا، ونضحي بعد الحكمة حمقى بسبب عصياننا وجورنا، وبعد أن كنا محترمين، نُحتقَر بفعل السحر والشعوذة وعبادة الأصنام. الآن، إن الإنسان الذي شُرِّف، الذي خُلق على صورة الرب، سيضحي مثل الرب إن عمل صالحاً؛ ولكن الإنسان اللاشيء، سيضحي مثل الشيطان، إن ارتكب المعاصي ـ مثل الشيطان المتكبر الذي رفض أوامر الخالق ـ وكل المتغطرسين من بين الناس يسيرون على هذا الطريق، وسيحاكمون من قبله. والرب يحب خافضي الجناح، ويجعل المتواضعين يسيرون على طريقه، وسيبتهجون في مملكته. مبارك الإنسان الذي يعرف الحكمة، أي الرحمة وخوف الرب».

وعندما سمعت الملكة هذا الكلام قالت: «كم سرني صوتك! وكم تسعدني كلماتك وتفوهاتك! فأخبرني الآن، من هو الذي عليَّ أن أتعبد له؟ إننا نتعبد للشمس كما علمنا آباؤنا، لأنهم يقولون إن الشمس هي ملكة الآلهة. وهناك آخرون من رعايانا [الذين يتعبدون لأشياء أخرى]؛ فهناك من يعبد الحجر، وآخرون يعبدون الأخشاب [أي الشجر ـ ز.م.]، وغيرهم يعبد الأوثان، وآخرون يتعبدون لصُوَر من ذهب ومن فضة. ونحن نعبد الشمس لأنها تطهي طعامنا، وأكثر من ذلك، لأنها تضيء الظلام وتذهب بالخوف؛ ونحن نسميها «مليكتنا» ونطلق عليها اسم «خالقتنا»، ونتعبد لها كإلهنا؛ والسبب أنه لم يقل لنا أحد بوجود رب إلى جانبها. ولكننا سمعنا بأنه يوجد عندكم، يا يسرئيل، رب آخر لا نعرف عنه شيئاً، وقيل لنا إنه أرسل إليكم من السماء تابوتاً، وأنه أمدكم بلوح أوامر الملائكة، مسجلة بيد موسى النبي. وهذا ما سمعناه أيضاً: أنه جاء شخصياً إليكم، وأنه تكلم معكم، وأنه أبلغكم بوصاياه وأوامره».

٢٨) **كيف أعطى شلومو أوامر للملكة** ـ وأجابها الملك وقال لها: «حقاً، إنه من الصحيح أن يعبدوا [أي الناس ـ ز.م.] الرب، خالق الكون والسماء والأرض، والبحر واليابسة، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم المتلألئة في السماوات، والأشجار والأحجار، والبهائم والطيور المريشة، والوحوش والتماسيح، والأسماك والحيتان، وفرس النهر وسحالي الماء، والبرق وهدير الرعد، والصالح والطالح. لذا علينا أن نعبده هو وحده، بخوف وخشوع، وبسرور ورضاء. لأنه هو رب الكون، خالق الملائكة والبشر. فهو المحيي والمميت، وهو الذي يَقتَصّ ويرحم، وهو الذي يرفع البؤساء من الأرض، ويعلي الفقراء عن التراب، وهو الذي يسبب الندم، وهو الذي ينشر البهجة، وهو الذي يرفع والذي يخفض. وليس بإمكان أحد أن يعنفه، لأنه رب الكون، ولأنه ليس بإمكان أحد أن يقول له «ماذا فعلت»؟ وله التسبيح والشكر من الملائكة ومن الإنسان. وفيما يخص ما قلت إنه «أرسل إليكم تابوت الشرائع»، فهذا حقاً ما جرى، فقد أمدنا بتابوت إله يسرئيل الذي خلق قبل كل مخلوق، بقصده المجيد. وعمل على أن تنزل إلينا وصاياه مكتوبة حتى نتعرف إلى قوله وحكمه التي أصدرها من جبال قدسه».

وقالت الملكة: «بدءاً من هذه اللحظة سوف لن أعبد الشمس، ولكني سأعبد خالق الشمس، رب يسرئيل؛ وسيكون سيدي تابوت رب يسرئيل، ولنسلي من بعدي، ولمملكتي، ولرعيتي. ولذا فقد حظيت برضاك، وبرضاء رب يسرئيل الذي خلقني، الذي جعلني آتي إلى حضرتك، الذي مكنني من أن أسمع كلماتك، والذي أراني محياك، ومكنني من فهم أوامرك». ثم عادت إلى البيت.

وكانت الملكة تذهب للقاء شلومو بشكل مستمر، لتستمع إلى حكمته، ولتحفظها في قلبها. وكان شلومو يقوم بزيارتها، ويجيب على كافة الأسئلة التي كانت تطرحها عليه، وكانت الملكة تزوره وتطرح عليه الأسئلة، وكان يجيب على كافة الأمور التي رغبت في التعرف عليها. وبعد أن أقامت [هناك] لمدة ستة أشهر، رغبت الملكة في العودة إلى بلادها، وأرسلت كتاباً إلى شلومو تقول فيه: «إني أرغب حقاً في الإقامة بطرفك، ولكن، من أجل شعبي، عليّ الآن العودة إلى بلادي. وفيما يخص ما سمعته منك، آمل من الرب أن يؤتي ثماره في قلبي، وفي قلوب كل من سمعوه معي. فالأذن غير قادرة على الامتلاء من سماع حكمتك، وليس بمقدور العين أن تمتلىء من محياك».

الآن، لم تكن الملكة هي الوحيدة التي أتت [لسماع حكمة شلومو]، فقد حضر الكثيرون من المدن والقرى، القريبة والنائية؛ والسبب أنه لم يوجد في تلك الأيام شخص يماثل حكمته (لم يأت إليه بشر فحسب، ولكن أتت أيضاً الوحوش والطيور للاستماع إلى صوته، وقد تحادث معهم)، ثم عادوا إلى بلادهم، وكان كل واحد منهم مندهشاً من حكمته، ومعجباً بما رأى وبما سمع.

وعندما أرسلت الملكة كتاباً إلى شلومو لإعلامه بنيتها الرحيل إلى بلادها، فكر ملياً ثم

قال: «لقد أتت إلى عندي من أقصى البلاد امرأة بهذا الجمال الأخاذ! وما أدري؟ هل سيجعل الرب زرعي فيها؟». الآن، إنه مكتوب في سِفر الملوك(*) أن شلومو الملك كان عاشق نساء. وأنه تزوج نساء العبريين، والمصريين والكنعانيين، والأدوميين، والأيوباويان(٥)، والريف(٦)، وكرج(٧)، ودمشق، وسُرست (سوريا؟)، ونساء قيل إنهن كن جميلات. وكان له أربع مائة ملكة وست مائة خليلة. والآن، إن ما فعله تالياً لم يكن دافعه الزنى، ولكن بسبب النية الحكيمة التي منحها إياه الرب، ومتذكراً أن الرب قال لأبراهام (...وأكثر نسلك كنجوم السماء والرمل الذي على شاطىء البحر)(**). وتحدث شلومو مع نفسه وقال: «ماذا أعرف؟ ربما منحني الرب ذكوراً من كل واحدة من تلك النساء». لذا فإنه عندما عمل التالي، تصرف بحكمة، وقال: «أولادي سيرثون مدن أعدائي، وسيقضون على عبدة الأصنام».

والآن، لقد عاش أولئك الناس الأولون في ظل قانون الجسد، والسبب أن نعمة الروح القدس لم تمنح لهم. وبالنسبة لأولئك [الذين عاشوا] بعد اليسوع، فقد سُمح بمعاشرة امرأة واحدة في كنف الزواج. وقد رسم لهم الرسل تشريعاً [بالخصوص] يقول: «كل من استلم جسده ودمه فهم أخوة». والكنيسة أمهم، والرب أبوهم، وهم يصرخون سوية مع المسيح الذي جاء إليهم، ويقولون: «يا أبانا الذي في السماء». وفيما يتعلق بشلومو، فلم توضع شريعة له بخصوص النساء، ولا يمكن لومه على أخذه [العديد من] النساء. والقانون والأمر جاء [الآن] للمؤمنين بأن لا يتزوجوا الكثير من النساء، حتى وفق قول بولس «من يتزوج فإنه لم يرتكب معصية»(***). والشريعة تمنعنا من زوجة الأخ فيما يتعلق بالنسل. والرسل تكلموا [بخصوص ذلك] في [كتاب] المحفل(٨).

٢٩) **بخصوص الثلاث مائة وثماني عشرة**(****) ـ الآن، لقد رُسمنا كما رُسموا هم. نحن نعلم ما قاله الرسل الذين كانوا قبلنا. نحن الثلاث مائة وثماني عشرة، حافظنا ورسمنا الإيمان الأرثوذكسي، حيث كان معنا ربنا يسوع المسيح. وقد وجهنا إلى ما يجب أن نُعلِّمَه، وكيفية تشكيل إيماننا.

استكمال رواية شلومو وملكة سبأ

وأرسل الملك شلومو كتاباً إلى الملكة وقال:

«والآن، وقد حضرت إلى هنا، فلماذا ترغبين في الرحيل قبل رؤية كيفية إدارة المملكة، وكيف

(*) أي سِفر الملوك الأول ١١:١.

(**) سِفر الخروج ٢٢:١٧.

(***) قارن العهد الجديد ـ سِفر كورنثوس الأول، الإصحاح السابع.

(****) بطريك.

يؤكل طعام أولئك المختارين(*) في المملكة وفق الطريق السوي، وكيف يُقصى الناس بسبب الذنوب؟ إنك ستتلقين الحكمة بمجرد [رؤية] ذلك. اتبعيني الآن واجلسي في سنائي، في خيمتي، وسأكمل لك تعليماتي، وستتعلمين كيفية إدارة مملكتي؛ لأنك عشقت الحكمة، وهي ستبقى معك حتى نهايتك، وإلى الأبد».

الآن، هناك نبوة تظهر نفسها بشكل جليّ في [هذا] الحديث.

وقامت الملكة بإرسال كتاب ثانٍ وقالت:

«بإتباع حكمتك صرت حكيمة بعد أن كنت حمقاء، وبعد أن كنت شيئاً مرفوضاً من قبل إله يسرئيل، أضحيت، بسبب الإيمان الذي في قلبي، امرأة مختارة؛ وبدءاً من الآن، فسوف لن أعبد أياً غيره. وفيما يتعلق بما قلته، وأنك تود أن تضاعف حكمتي وتشريفي، سآتي وفق إرادتك».

وقد ابتهج شلومو بسبب ذلك [الرد]، وألبس المختارين [ثياباً فخمة]، ووضع على طاولته كميات مضاعفة، ووضع ترتيبات دقيقة للغاية فيما يخص أمور بيته، وكان بيت الملك شلومو جاهزاً يومياً [لضيوفه]. وجعله جاهزاً بأبهة، ومرح، وبسلام، وبحكمة، وبلطف، وبكل تواضع، ثم أمر [بإحضار] المائدة وفق تقاليد مملكته.

وجاءت الملكة ومرت تجاه مكان بهي وسني خصص لها، وقد جلست خلفه مباشرة حتى تتمكن من رؤية وتعلم واستيعاب كل شيء. وقد دهشت للغاية مما رأت، ومما سمعت، وأطرت في قلبها على رب يسرئيل؛ وقد فوجئت وبإعجاب بسناء القصر الملكي الذي شاهدته. والسبب أنه كان بإمكانها أن تَرى، ولكن لم يمكن مشاهدتها، وذلك وفق ترتيبات شلومو الحكيمة. وقد جمل المكان الذي جلست فيه، وعلق فوقه معلقات أرجوانية، وفرشه بالبسط، وزينه بالمسقط(**)، وبالمرمر، وبالأحجار الكريمة، وقام بإحراق مساحيق عطرة، وقام برش زيت اللبان والأكاسيا حول المكان، ونثر البخور واللبان النفيس في كافة الاتجاهات. وعندما جاءوا بها إلى هذا المكان، كان العطر مسراً لها، وحتى قبل أن تتناول الأطعمة اللذيذة، كانت راضية عنها بسبب رائحتها العطرة. وانطلاقاً من رغبة حكيمة، أرسل شلومو لها أطعمة مثيرة للعطش، وأشربة مخلوطة بالخل، وأسماكاً وأطباقاً مطهية بالفلفل. وقد عمل ذلك وقدمها إلى الملكة لتأكلها. وقد انتهت المأدبة الملكية بعد ثلاثة صحون وبعد سبعة صحون(***)، وانسحب الإداريون والمستشارون، والشباب والخدم، ونهض الملك وتوجه إلى الملكة، وقال لها ـ بعد أن أضحيا وحدهما:

«تدللي هنا من أجل الغرام حتى الشروق»(****).

(*) أي البطانة.

(**) هكذا في النص الأصلي، وفي الترجمة «المسك».

(***) المقصود هنا دفعات الأكل.

(****) المقصود أنه غازلها وراودها عن نفسها، أي طلب نكاحها.

وقالت له:

«احلف لي بربك، برب يسرئيل، بأنك لن تغتصبني. فإن كنت أنا، وفق قوانين الرجال، ما زلت عذراء، ووجب مناكحتي، فإني سأرحل من هنا بحزن، وبأسى، وبمحنة».

٣٠) **عن قسم الملك للملكة** ـ وأجاب شلومو وقال: «أقسم لك بأني لن أغتصبك، ولكن عليك أن تقسمي لي بأنك لن تأخذي أياً من الممتلكات الموجودة في قصري». وضحكت الملكة وقالت له: «إنك رجل حكيم، فكيف تنطق بهذه الحماقات؟ هل تعتقد بأني سأسرق شيئاً، أو أنني سآخذ معي أشياء من قصر الملك لم يعطني إياها؟ لا تعتقد أني أتيت هنا من أجل الثروة. بل وأكثر من هذا، فإن مملكتي أكثر ثراء من مملكتك، ولا ينقصني أي شيء أرغب في اقتنائه. لقد أتيت هنا حقاً من أجل الحكمة». فقال لها: «بما أنك أجبرتني على القسم، فعليك أن تقسمي لي، فالقسم سيجمع، ولن يكون بإمكان أي منا القول بأنه عومل بشكل غير عادل. وإذا لم تقومي بالطلب مني أن أقسم، فإنني سوف لن أطلب منك أن تقسمي». وقالت له: «أقسم لي بأنك لن تغتصبني، وأقسم لك بأنني لن أسطو على أي من ممتلكاتك». وأقسم لها، وأقسمت بدورها له.

وتوجه الملك إلى فراشه الواقع في جانب [من الغرفة]، وحضّر الخدم الفراش لها على الجانب الثاني. وقال شلومو لأحد الخدم الشبان: «قم بغسل إناء وضع فيه وعاء ماء [في مكان] حتى تتمكن الملكة من رؤيته، وأقفل الباب واذهب للنوم». وتحدث شلومو مع الخادم بلغة لا تفهمها الملكة، ونفذ ما أمر به، وتوجه للنوم. ولم ينم الملك، ولكنه تظاهر بأنه نائم، وكان يراقب الملكة بدقة. وكان قصر شلومو الملك مضاء، وكأن الوقت كان نهاراً، لأنه بحكمته صنع لآلىء تشع كالشمس، وكالقمر، وكالنجوم، [وعلقها] على سقف المنزل.

ونامت الملكة لفترة وجيزة. وعندما استيقظت، كان فمها جافاً بسبب العطش، لأن الطعام الذي قدمه لها، بحكمته، قد أثار عطشها؛ وكانت ظمآنة للغاية، وكان فمها جافاً، وحركت شفتيها ومصّت بلسانها، لكنها لم تلق أية رطوبة. وصممت على أن تشرب من الماء الذي رأته، ونظرت إلى الملك شلومو بدقة، واعتقدت أنه كان غارقاً في النوم. ولكنه لم يكن نائماً، وكان ينتظر حتى تنهض لتسرق الماء [لري] ظمأها. ونهضت، دون أن تحدث صوتاً بقدميها، والتقطت الوعاء حتى تشرب ماء. وأمسك شلومو بيدها قبل أن تتمكن من شرب الماء، وقال لها: «لماذا حنثت بقسمك حيث انك أقسمت أن لا تسطي على أي من ممتلكات البيت؟» فأجابته: وقالت بتخوف: «وهل يكسر شربي الماء القسم؟» وقال لها الملك: «هل رأيت شيئاً ما هو أفضل من الماء تحت السماوات؟» فقالت الملكة: «لقد جنيت على نفسي، وأنت في حل من قسمك. لكن دعني أشرب ماء حتى أروي ظمئي». وقال لها شلومو بعد ذلك: «هل أنا في حل من القسم الذي جعلتني أحلفه؟» فقالت الملكة: «أنت في حل من قسمك، لكن دعني أشرب أولاً ماء». وسمح لها بأن

تشرب ماء، وبعد أن سمح لها أن تشرب ماء، أشبع شهوته منها، ثم ناما سوية.

وبعد أن نام، ظهرت للملك شلومو [في المنام] شمس براقة، ونزلت من السماء، ونثرت سناءها على يسرئيل. وبعد أن توقفت هناك لبعض الوقت، استمرت في مسارها إلى البلاد الحبشية، وأشعّت هناك بنورها البراق للغاية إلى الأبد، ورغبت في أن تقيم هناك. و[قال الملك]: «انتظرت لأرى إن كانت ستعود إلى يسرئيل، لكنها لم تعد. وبينما أنا أنتظر، ارتفع نور إلى السماء، وهبطت شمس منه في بلاد يهوذا، وأرسلت نوراً أقوى من سابقه». لكن يسرئيل تعاملت مع تلك الشمس بسوء، ولم يقبلوا أن يسيروا في نورها. ولم تهتم تلك الشمس بيسرئيل، وكرهت يسرئيل ذلك النور، وتبين أنه من غير الممكن تحقيق سلام بينهم وبين الشمس. ورفعوا أيديهم تجاه ذلك النور، بالهراوات والخناجر، ورغبوا أن يطفئوا تلك الشمس. وبالزلازل أحاطوا الأرض بحلكة، وبظلمة شديدة، واعتقدوا أن الشمس لن تشرق مرة ثانية عليهم. ودمروا نورها، وطرحوا أنفسهم عليه، ووضعوا حراساً على قبره حيث طرحوه. لكنه أتى من حيث لم يدركوا، وأضاء العالم كله، خاصة البحر الأول والبحر لأخير، البلاد النجاشية وروما. ولكنه لم يبد أي اهتمام على الإطلاق بيسرئيل، وارتقى عرشه الأول.

وعندما ظهرت هذه الرؤيا لشلومو في المنام، شعر بضيق روحه، وفقد فهمه بلمح البصر، واستيقظ وفكره مضطرب. وأكثر من هذا، لقد تعجب من الملكة لأنها كانت على جانب كبير من القوة، وغاية في الحسن، وعذريتها لم تكن مدنسة؛ ولأنها كانت قد حكمت في بلادها لمدة ست سنين، ولأنها، ورغم أنه لم يكن لها مثيل في جمالها وكمال جسمها، حافظت على طهارة جسدها. وقالت الملكة لشلومو: «أطلقني، ودعني أذهب إلى بلادي». وعاد إلى بيته وقدم لها كل ما رغبت فيه من الثروة والأشياء الرائعة، وكذلك ثياباً جميلة تبهت الناظر، وأشياء كثيرة بنيت عليها الكثير من المخازن في البلاد النجاشية، وجمالاً وعربات، بلغ عددها ستة آلاف، كانت قد حملت بأشياء جميلة مرغوبة للغاية، وعربات نقلت عبر الصحراء الحمولات التي عليها، ومركبة قادرة على الإبحار في البحر، ومركبة قادر راكبها على الطيران بها في الهواء، والتي عملها شلومو بحكمته التي منحه إياها الرب.

٣١) **بخصوص العلامة التي أعطاها شلومو للملكة** - وابتهجت الملكة، وبدأت تتهيأ للرحيل، وأرسلها الملك في طريقها باحتفال كبير. واختلى بها الملك جانباً حتى يتمكنا من الحديث منفردين، وخلع الخاتم الذي كان يلبسه في إصبعه الصغير، وأعطاه للملكة، وقال لها: «خذي [هذا] حتى لا تنسيني. وإذا حصل أنه كان لي نسل منك، فسيكون هذا الخاتم علامة؛ وإذا كان ذكراً، فليأت إلى عندي! وليكن سلام الرب معك. فعندما كنت نائماً معك إلى جانبك العديد من الرؤيا في حلمي، [وبدا] أن الشمس سطعت فوق يسرئيل، لكنها انحرفت وانطلقت وأضاءت البلاد الحبشية؛ فلتكن تلك البلاد مباركة من خلالك؛

والرب فقط يعلم. وفيما يخصك أنت، تذكري ما حادثتك به، حتى تعبدي الرب من أعماق قلبك، وحتى تنفذي أوامره. والسبب أنه يعاقب المتغطرسين، ويرحم خافضي الجناح، ويكسر عرش الأقوياء، ويكرم المحتاجين. فالموت والحياة يأتيان منه، وهو المغني والمفقر. فكل شيء له، ولا أحد قادر على معارضة إرادته وحكمه، لا في السماوات ولا في الأرض، ولا في البحار ولا في اللج. فليكن الرب معك! ارحلي في سلام». وانفصلا بعضاً عن بعض.

٣٢) **كيف انطلقت الملكة ووصلت إلى بلادها** ـ وانطلقت الملكة ووصلت إلى مدينة بالا زاديساريا تسعة أشهر وخمسة أيام بعد رحيلها عن شلومو. وبدأت تشعر بألم المخاض، وولدت ذكراً وأعطته لمرضة بفخر واعتزاز. ومكثت حتى انقضاء أيام طهارتها، ثم وصلت باحتفال فاخر إلى وطنها. وأحضر الضباط الذين بقوا في البلاد هدايا إلى سيدتهم، وانحنوا احتراماً لها، وأعلنوا مبايعتهم لها، وابتهجت كل تخوم البلاد بعودة الملكة. وألبست النبلاء منهم ثياباً فاخرة، وأعطت ذهباً وفضة لآخرين، والصفير والأثواب الأرجوانية، وأعطتهم كل أنماط الأشياء المرغوبة. ورتبت أمور مملكتها، ولم يعص أوامرها أحد؛ لأنها عشقت الحكمة ولأن الرب قوى مملكتها.

وكبر الطفل وأطلقت عليه اسم بنيلحكم(*). وبلغ الطفل من العمر اثني عشر عاماً، وسأل أصحابه الذين كانوا يتربون معه، وقال لهم: «من هو أبي»؟ فقالوا له: «شلومو الملك». وذهب إلى أمه، الملكة، وقال لها: «أعلميني من هو والدي». وردت عليه الملكة بغضب، بقصد تخويفه، حتى تثنيه عن أية محاولة للذهاب [إلى والده] وقالت: «لماذا تسألني عن أبوك؟ أنا أبوك وأمك؛ ولا تحاول أن تعرف أكثر من ذلك». وتركها الصبي وذهب وجلس وحده. ثم سألها مرة ثانية، ومرة ثالثة، وشدد عليها حتى تخبره. وذات يوم، تحدثت إليه وقالت: «إن بلاده بعيدة، والطريق إلى هناك صعب، ألا تفضل أن تبقى هنا»؟ وكان بنيلحكم (ابن الحكيم) شاباً وسيماً، وكان جسده وكافة أعضائه، وشكل كتفيه، تشبه قرينها عند والده الملك شلومو، وكان شكل عينيه، ورجليه، وكل مظهره يشبه شلومو الملك. وعندما بلغ سن الثانية والعشرين، كان قد برع في فن الحرب والفروسية، وفي الصيد وفي عمل المصائد للوحوش الكاسرة، وكل ما يرغب شاب في تعلمه. وقال للملكة: «سأذهب لألقي نظرة على وجه والدي، وسأعود إلى هنا، بإرادة الرب، رب يسرئيل».

٣٣) **كيف ارتحل ملك البلاد النجاشية** ـ واستدعت الملكة تمرين، رئيس قوافلها والتجار، وقالت له: «استعد للرحلة واصطحب معك هذا الشاب لأنه يلح عليّ ليلاً نهاراً. وستقوم

(*) أي ابن الحكيم.

بإيصاله إلى الملك، وستعيده إليّ معافى، إن كانت تلك إرادة الرب، رب يسرئيل». وجهزت حاشية تتناسب مع ثروتها ومجدها، ووفرت كافة البضائع الضرورية للرحلة، ولتقديم هدايا للملك، وكل ما هو ضروري لتسهيل الرحلة وجعلها مريحة. واتخذت كافة الاستعدادات الضرورية لرحيله، وأعطت للضباط المرافقين له كميات من المال كافية له ولهم طوال الرحلة. وأمرتهم بأن لا يسمحوا له بالبقاء هناك، وأن لا يأخذوه إلاّ إلى الملك، وأن يعيدوه إليها، بعد أن يعيّنه شلومو ملكاً في محله[9].

وقد كان هناك قانون في البلاد النجاشية لا يسمح سوى لامرأة باستلام الحكم، وأن تكون عذراء لم يمسسها رجل، ولكن الملكة قالت [لشلومو]: «بدءاً من الآن فإن الرجل الوحيد الذي سيحكم هو الذي من زرعك، ولن تملك امرأة بعد اليوم؛ فقط الشخص الذي من نسلك سيحكم، ومن بعده من كان من نسله، جيلاً بعد جيل. وعليك أن تسجل هذا بالأحرف في لفائف كتب أنبيائهم بالنحاس، وستخزنها في بيت الرب الذي سيبنى كذكرى وكنبوة لليوم الأخير. والناس أجمعين لن يعبدوا الشمس وبهاء السماء، ولا الجبال والغابات، ولا الأحجار وأشجار البراري، ولا اللجة ولا ما هو في البحار، ولا الصور المحفورة أو الأصنام الذهبية، ولا الطيور المريشة التي تطير؛ ولن يستخدموها في قدسهم، ولن يبجلوها. وسيبقى هذا الشرع إلى لأبد. وإذا وجد أي شخص ينتهك هذا الشرع، فنسلك سيحاكمه، إلى الأبد. فأعطنا فقط هداب غطاء صهيون السماوات المقدس، وأعطنا تابوت شرع الرب، فإننا سنحضنه. سلام على عظمة مملكتك وحكمتك الباهرة، التي أمدك بها الرب، إله يسرئيل خالقك».

ثم اختلت الملكة بالشاب جانباً عندما كان يقف وحده، وأعطته العلامة التي سلمها إياها شلومو، والمقصود هنا خاتم إصبعه، حتى يتم له التعرف على ابنه، وحتى يتذكر كلماته وعهده الذي قطعه لها، والذي ستقوم بمقتضاه بعبادة الرب كل أيام حياتها، هي وكل رعيتها، وبكل [القوة] التي أمدها بها الرب. وأرسلته الملكة في طريقه بسلام.

وانطلق الشاب [وحاشيته] فوراً في طريقه، ووصل إلى البلاد القريبة من غزة. وهي غزة التي قدمها شلومو الملك [هدية] إلى ملكة بلاد الحبشة. وهو مسجل في أعمال الرسل لوقا والأناجيل «وكان حاكماً لكل بلاد غزة، وهو خصي للملكة هندكة [كندكة] آمن بكلمات لوقا الرسول»(*).

٣٤) **كيف وصل الشاب إلى بلاد أمه** ـ وعندما وصل الشاب إلى بلاد أمه، ابتهج للتشريف [الذي قوبل به]، وللهدايا [التي قدمت] له. وعندما شاهده الناس رأوا أنه صورة متكاملة لشلومو الملك. وانحنوا أمامه، وقالوا له: «يعيش الأب الملكي»! وأحضروا له هدايا ومحروقات، أغناماً سمينة وغذاء، كما كانوا يحضرونها للملك. وانتشرت ضجة [بين

(*) قارن العهد الحديد ـ سِفر أعمال ٨:٢٧.

الناس] في كافة أنحاء بلاد غزة، وحتى حدود يهوذا، وقالوا «هذا هو الملك شلومو». ووجد آخرون قالوا «إن الملك في يروشليم يبني بيته» ـ بعد أن انتهى من بناء بيت الرب ـ وقال آخرون «هذا شلومو الملك، بن داود». وكان الناس محتارين، وتناقشوا فيما بينهم، وأرسلوا مُبَرّدين(*) يمتطون الخيل إلى الجبال للبحث عن الملك شلومو، ولرؤية ما إذا كان في يروشليم، أو أنه كان معهم [في غزة]. وجاء المبردون إلى حرس مدينة يروشليم، ووجدوا أن الملك شلومو هناك، وانحنوا أمامه، وقالوا له: «ليعش الأب الملكي! إن بلادنا في حالة اضطراب لأنه جاء إلينا تاجر يشبهك في الشكل والمظهر، دون أي اختلاف على الإطلاق. إنه يشبه شجاعتك الشريفة ومظهرك المتكامل، وشكله غاية في الكمال؛ ولا ينقصه أي منها، ولا يختلف عنكم مطلقاً. إن عينيه مرحتان، وتشبه عيني رجل احتسى نبيذاً، وساقاه رشيقتان ونحيفتان، وبرج رقبته يشبه برج رقبة داود أبيكم. وهو يماثلكم من النواحي كافة، وكل عضو من جسده يشبه أعضاءكم».
وأجابهم الملك شلومو وقال لهم: «وإلى أين يود التوجه»؟ وأجابوه وقالوا له: «إننا لم نسأله عن ذلك، لأنه له هيبة كهيبتك. لكن عندما سألنا حاشيته «من أين تأتون وإلى أين أنتم ذاهبون»؟ قالوا: «لقد أتينا من مملكة هندكة [كندكة] والبلاد النجاشية، ونحن ذاهبون إلى يهوذا، إلى الملك شلومو». وعندما سمع الملك شلومو هذا، اضطرب قلبه وكانت روحه مبتهجة، لأنه لم يكن له حتى ذلك الوقت أي أبناء، باستثناء طفل يبلغ من العمر سبع سنوات، واسمه إيربوعام [رحبعام]. وقد حدث لشلومو حتى وفق ما قاله بولس [الرسول] «إن الرب جعل الحماقة حكمة العالم»(**)، لأن شلومو عمل خطة بحكمته وقال: «سأخلّف من ألف امرأة ألف ذكر، وسأرث بلاد أعدائي، وسأدمر أصنامهم». ولكن الرب أعطاه ثلاثة أبناء فقط. وكان ابنه الأكبر ملك بلاد النجاشية، وهو ابن ملكة الحبشة، وكان الابن البكر الذي تنبأ [الرب] به قائلاً: «وأقسم الرب لداود بصدق، ولم يخلف: ومن ثمار جسدك سيجلس بإرادتي على عرشك(***)». وأمد الرب داود خادمه بنعمة، ووعده بأن يجلسه على عرش الألوهية واحد بلحمه من زرعه، يولد لعذراء، وسيحاكم الأحياء والموتى، ويكافىء كل حسب صنيعه، واحد للقياه شرف، ربنا يسوع المسيح، إلى الأبد، وإلى الأبد آمين. وأعطاه واحداً على الأرض الذي سيضحي ملكاً على تابوت الشريعة القدسي، صهيون السماوات، وهو ملك البلاد النجاشية. وأما أولئك الذين حكموا، ولم يكونوا [من] يسرئيل، فقد كان بسبب انتهاك الشريعة والوصايا، ولم يُسَر الرب بذلك.

٣٥) كيف أرسل الملك شلومو رئيس جنده إلى ابنه ـ وأرسل شلومو الملك رئيس جنده،

(*) هكذا في النص الأصلي، والمقصود فرق استطلاع.

(**) أنظر كورنثوس الأول ١:٢٠.

(***) قارن سِفر صموئيل الثاني ٧:١٢ والمزامير ٢:٣٢.

ودعم ذراعيه بهدايا ولحوم ومشروبات لاستضافة المرتحلين. وانطلق القائد بصحبة مجموعة كبيرة من العربات، وجاء إلى بنيلحكم [ابن الحكيم]، وعانقه، وأعطاه كل ما أرسله له الملك شلومو. وخاطبه وقال له: «أرجوك أن تأتي معي، فقلب الملك يحترق بحبه وشوقه إليك. ولعله سيتأكد إن كنت ابنه أو شقيقه؛ والسبب أنك لا تختلف عنه، لا في مظهرك ولا في طريقة حديثك. والآن، انهض سريعاً، فسيدي الملك قال لي: «انطلق وأحضره لي في موكب شرف، وبراحة، وبالخدمات اللائقة، وبفرح وابتهاج»». وأجابه الشاب وقال له: «الشكر للرب، لرب يسرئيل، لأنني وجدت نعمة عند سيدي الملك [حتى] قبل أن أرى وجهه، إن كلماته قد أبهجتني. والآن، إني سأتكل على رب يسرئيل بأنه سيريني الملك، وأنه سيعيدني سالماً إلى أمي الملكة، وإلى بلادي الحبشة».

وتحدث يوآس(١٠)؟ بن يوداياهو، قائد عساكر الملك شلومو(١١)، وقال لبنيلحكم (ابن الحكيم): «سيدي، إن هذا الأمر جانبي لأنك ستلقى سعادة وبهجة مضاعفة في حضرة سيدي الملك». وفيما يخص قولك «أمي» و«بلادي»، فإن الملك شلومو أفضل من أي أم، وبلادنا هذه أحسن من بلادك. وفيما يخص بلادك، فقد سمعنا بأنها بلاد الصقيع والسحاب، وأنها بلاد الآح والحرارة المحرقة، وأنها إقليم الثلج والجليد. وعندما قام أبناء نوح، أي سام وحام ويافث، بتقسيم العالم فيما بينهم، نظروا إلى بلادك بحكمة ورأوا، وبرغم من اتساعها وعرضها، أنها بلاد الزوابع والحرارة المحرقة، و[لذا] أعطوها لكنعان، ابن حام، كنصيبه، ونصيب زرعه من بعده، إلى الأبد. ولكن البلاد التي تخصنا، هي بلاد الميراث(*)، التي أعطانا إياها الرب وفق العهد الذي أقسم به لآبائنا، وهي بلاد الحليب والعسل، حيث الرزق فيها متوافر [لنا] دون هم، إنها بلاد تؤتي كافة أصناف الفواكه في كل فصل دون جهد منا، وبلاد يحرسها الرب دون انقطاع من عام إلى آخر. كل هذا لك، ونحن لك، وسنكون ميراثك، وستسكن في بلادنا، لأنك من نسل داود، سيدنا، ولأن عرش يسرئيل هو لك».

وتحدث رئيس التجار تمرين، وأجاب يوآس قائلاً: «إن بلادنا أفضل. وهواء بلادنا جيد، وليس حارقاً، وماء بلادنا ماء صالح، وعذب، وتخترقها الأنهار، بل إن قمم جبالنا مليئة بالمياه. ونحن لا نعمل ما تفعلون في بلادكم، وأقصد بذلك، أننا لا نحفر عميقاً [باحثين] عن الماء، ونحن لا نموت بتأثير حرارة الشمس؛ بل إننا نصطاد الحيوانات البرية في ضوء القمر، وأعني بذلك الأبقار الوحشية، والغزلان، وكافة أنواع الطيور، والحيوانات الصغيرة. وفي الشتاء، فإن الرب يرعانا، عاماً بعد عام. وفي الربيع، فإنها تنتج محاصيل جيدة من الفواكه، ومن القمح، ومن الشعير، وكافة فواكهنا وقطعاننا جيدة، ومثيرة للإعجاب. ولكن هناك شيء واحد لا نمتلكه بدرجة امتلاككم له، وأعني بذلك الحكمة، ولأجلها جئنا إليكم».

(*) أي «أرض الميعاد».

وتحدث يوآس، رئيس جند الملك شلومو، وأجاب: «وهل يوجد ما هو أفضل من الحكمة؟ فالحكمة هي التي خلقت الأرض، وثبتت السماوات، وغللت أمواج البحر حتى لا تغطي اليابسة. على أية حال، انهض ودعنا نتوجه إلى سيدي، لأن قلبه متأثر بحبه لك، وقد أرسلني لاصطحابك بأسرع ما يمكن».

ونهض ابن الملكة وكسا يوآس [بنياهو]، ابن يهودياهو، والخمسين رجلاً الذين كانوا في حاشيته، بملابس أخاذة، واستعدوا للتوجه إلى يروشليم، إلى شلومو الملك. وعندما اقتربوا من المكان الذي تدرب فيه الخيول، ذهب يوآس [بنياهو]، ابن بنياهو إلى المقدمة، وذهب إلى حيث كان شلومو، وأخبره أن محياه [ابن الملكة] جيد، وأن صوته كان جميلاً، وأنه يشبهه تماماً، وأن مظهره نبيل للغاية. وتحدث الملك وقال له: «أين هو؟ أوَ لم أرسلك لتحضره لي في أسرع وقت؟». وذهب يوآس [بنياهو] وقال للشاب: «إنهض يا سيدي، وتعال معي»؛ وعمل أن يسرع بنيلحكم [ابن الحكيم]، وأحضره إلى بوابة الملك. وعندما رآه الجند، انحنوا احتراماً له، وقالوا: «انظروا، لقد غادر الملك مقره». وعندما جاء الرجال الذين كانوا في الداخل، تعجبوا، ثم عادوا إلى مواقعهم، فرأوا الملك مرة ثانية جالساً على عرشه؛ فتعجبوا وخرجوا مرة ثانية وألقوا نظرة على الشاب، فلم يكن بمقدورهم الحديث أو الكلام. وعندما عاد يوآس [بنياهو] ابن يهودياهو، ليعلن للملك وصول الشاب، لم يبق أحد في حضرة الملك، فقد خرجت كل يسرائيل لمشاهدته.

٣٦) عن لقاء الملك شلومو مع ابنه ــ وخرج يوآس [بنياهو]، ابن يهودياهو، وأحضر بنيلحكم [ابن الحكيم] إلى الداخل. وعندما رآه الملك شلومو، نهض وتقدم إلى الأمام للترحيب به، وفك شريط ثوبه من على كتفه، وعانقه ويداه على صدره، وقبّل ثغره، وجبينه، وعينيه، وقال له: «حقاً، لقد جدد أبي داود شبابه وعاد إلى الحياة». والتفت شلومو الملك إلى أولئك الذين أعلنوا وصول الشاب، وخاطبهم وقال: «لقد قلتم لي بأنه يشبهني، ولكن هذا [القوام] ليس قوامي، ولكن قوام داود أبي إبان فترة شبابه، وهو أكثر وسامة مني». ونهض شلومو الملك فوراً، وذهب إلى مخدعه، وألبس الشاب ثوباً مطرزاً بالذهب، وبمنطاق ذهبي، ووضع تاجاً على رأسه، وألبس إصبعه خاتماً. وبعد أن ألبسه تلك الحلة البهية التي تذهب بالبصر، أجلسه على العرش إلى جانبه حتى يكون بمرتبته نفسها. ثم تحدث إلى نبلاء وضباط يسرائيل وقال: «أنتم أيها الذين تنظرون إليَّ فيما بينكم بازدراء وتقولون إني لم أخلف ولد، انظروا، هذا ابني، الثمر الذي انطلق من جسدي، الذي أعطاني إياه الرب، إله يسرائيل، عندما لم أكن أتوقع ذلك».

وتحدث نبلاؤه وقالوا له: «مباركة الأم التي أنجبت هذا الشاب، ومبارك اليوم الذي ستلتقي فيه مع أم هذا الشاب. فقد ارتفع علينا جذر من يسي(*)، شاب سيكون ملكاً على ذرية

(*) والد داود.

ذريتنا. وفيما يخص أباه، فلن يطرح أحد منا أسئلة، ولن يقول أي منا: «من أين جاء»؟ فهو حقاً يسرئيلي من زرع داود، وشكله يطابق مظهر وشكل والده؛ نحن خدمه، وهو سيكون ملكنا». وقدموا هدايا له، كل حسب مرتبته. وأخذ الشاب الخاتم الذي أعطته إياه أمه عندما كانا بمفردهما، وتحدث إلى أبيه وقال: «خذ هذا الخاتم، وتذكر العهد الذي قطعته على نفسك أمام الملكة، وأعطنا قسماً من الهداب الذي يغطي تابوت شريعة الرب حتى نبجله، ومعنا رعيتنا، وكل من في مملكة الملكة، كل أيامنا». وأجابه الملك وقال له: «لماذا أعطيتني الخاتم كعلامة؟ فبدون أن تعطيني هذه العلامة اكتشفت أن شكلك ومظهرك يشبهني، لأنك حقاً أنت ابني».

وتحدث التاجر تمرين مرة أخرى إلى الملك شلومو وقال له: «أصغ أيها الملك إلى الكتاب الذي أرسلته لك معي خادمتك وسيدتي الملكة: «خذ هذا الشاب وامسحه، وارسمه، وباركه، وأعلنه ملكاً على بلادنا، وأعطه أمراً بأن لا تحكم امرأة بلادنا بعد اليوم، وأعده بسلام. وسلام على عظمة مملكتك، وعلى حكمتك الباهرة. وفيما يتعلق بي، لم أكن أتمنى مطلقاً أن يأتي إلى المكان الذي تتواجد فيه، ولكنه رجاني مراراً مستأذناً بأن يأتي إليك. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كنت أخشى أن يمرض خلال الرحلة، إما بسبب العطش، أو نتيجة حرارة الشمس، بما سيجعلني آخذ إلى القبر مع أسفي شعري الرمادي. لكني عملت ما لا تتردد فيه بحكمتك، ووضعت إيماني في صهيون السماوات، المقدس، وفي تابوت عهد شريعة الرب. فليس بمقدور نبلائك العودة إلى بيوتهم والنظر إلى أبنائهم بسبب وفرة الحكمة والغذاء الذي تعطيه إياهم، وفق رغبتهم، وبعدها سيقولون إن مائدة شلومو أفضل لنا من الاستمتاع والابتهاج في بيوتنا. وبسبب هذا كله، سعيت بخوفي، الحماية، حتى لا تبقيه عندك، وحتى تعيده إليّ، سالماً، وخالياً من الأمراض والعذاب، بحب وسلام، حتى يبتهج قلبي برؤيته مجدداً». وأجابه الملك وقال: «ما هو [واجب] المرأة الآخر تجاه طفل، عدا عن ولادته وإرضاعه؟ إن مكان الابنة إلى جانب الأم، وموقع الولد هو إلى جانب الأب. لقد لعن الرب حواء قائلاً: «بالآلام وبكرب ستلدين»(*) و[بعد] ولادتك ستعودين إلى بيت زوجك»؛ وأقسم قائلاً: «ستلدين»، وبعد القسم ستعودين إلى زوجك[١٢]. وفيما يتعلق بابني هذا، فإني سوف لن أعطيه للملكة، وسأعمله ملكاً على يسرئيل. فهو ابني البكر، أول نسل لي أعطانيه الرب من جنسي».

وأرسل شلومو إلى ابنه في المساء وفي الصباح، لحوماً دسمة، وثياباً فاخرة، وذهباً وفضة. وتحدث إليه وقال له: «من الأفضل لك أن تقيم هنا في بلادك، حيث مكان بيت الرب، وحيث تابوت شريعة الرب، وحيث يقيم الرب». وأرسل له الشاب، ابنه، رسالة قال فيها: «لا تفتقر بلادنا إلى الذهب والفضة والأثواب الفاخرة. لقد أتيت إلى هنا للاستماع إلى

(*) أنظر سِفر التكوين ٣:١٦.

حكمتك، ولرؤية وجهك، ولتحيتك، ولتبجيل مملكتك، ولأنحني لك، ونويت أن تعيدني بعد ذلك إلى أمي وإلى بلادي. والسبب أنه ما من من امرىء يكره مكان ولادته، وكل شخص يحب أشياء موطنه. ورغم أنك أمدتني بلحوم لذيذة، فإني لا أحبها وهي غير ملائمة لجسدي، واللحوم التي تناولتها حيث نَمَوْتُ وصرت قوياً، هي التي ترضيني. ورغم أن بلاد[ك] هي كحديقة تسرني، فإن قلبي غير مبتهج فيها؛ إن جبال بلادي وبلاد أمي أسر إلى عيني. وفيما يخص تابوت رب يسرئيل، فإني أبجله حيثما كان، وهو سيعطيني المجد، وسأنظر إلى بيت الرب الذي بنيته، وسأقدم محروقاتي وتبجيلي له هناك. وفيما يخص صهيون، تابوت شريعة الرب، فأعطني قسماً من هدابه وسأبجله وأمي وكل رعية مملكتي. فسيدتي الملكة قد قضت على كل عبدة الأصنام، وعبدة الأشياء الغريبة، والأحجار والأشجار، وهي قضت عليهم وأتت بهم إلى صهيون، تابوت شريعة الرب. لقد سمعت منك وتعلمت، وتصرفت وفق كلماتك، ونحن نتعبد للرب». ولم يتمكن الملك، بكل حججه، من إجبار ابنه على البقاء.

٣٧) **كيف طرح الملك أسئلة على ابنه** ـ وتحدث شلومو مجدداً مع ابنه عندما كانا مختليين، وتحدث إليه وقال: «لماذا ترغب في الرحيل عني؟ وما الذي ينقصك هنا حتى تقرر العودة إلى بلادك؟ وما الذي يجعلك تتنازل عن مملكة يسرئيل؟».

وأجابه الابن وقال: «من المستحيل عليّ أن أعيش هنا، لا، عليّ العودة إلى أمي، وببركاتك سأعود إليها، فلديك ابن أفضل مني، وأعني بذلك إيربوعام (رحبعام) الذي ولد لك من زوجة شرعية، وأمي ليست زوجتك وفق الشريعة».

وأجابه الملك وقال له: «حيث إنك تتكلم بهذه الحكمة، حيث إني لست الابن الشرعي لإبي داود الذي أخذ زوجة رجل آخر أرسله لحتفه في المعركة(*)؛ لكن الرب رحيم، وقد غفر له. من هو أردأ وأحمق من الرجل؟ ومن هو مثل الرب في رحمته وحكمته؟ لقد عملني الرب من أبي، وعملك أنت مني، وفق إرادته. وفيما يتعلق بك، يا بني، ورغم أنك تخاف سيدنا الرب، فلا تسئ إلى وجه أبيك، حتى لا يصيبك يوماً ما سوء منطلق من خاصرته، وحتى يزدهر نسلك على الأرض. إن ابني إيربوعام (رحبعام) بلغ من العمر ست سنوات، ورغم أنك ابني البكر، وأنك أتيت لتصير ملكاً ولتمسك بالسيف الذي أنجبك. أنصت، إني أحكم منذ تسعة وعشرين عاماً، وأمك أتت إلى عندي في العام السابع من حكمي؛ وبإرادة الرب، فإني سأبلغ سنوات حكم أبي. وعندما أنضم إلى آبائي، ستجلس أنت على عرشي، وستحكم مكاني، وسيحبك شيوخ يسرئيل كثيراً؛ وسأرتب زواجاً لك، وسأعطيك قدر ما ترغب من الملكات والسرايا. وستبارك هنا في أرض الوراثة، ببركات الرب الذي أعطاها لآبائنا، حتى وفق عهده مع خادمه نوح، وخليله أبراهام، ونسلهم من

(*) أنظر الرواية في سِفر صموئيل الأول ١١.

الرجال المستقيمين وحتى داود أبي. إنك تراني، رجلاً ضعيفاً، [جالساً] على عرش آبائي، ولكنك لن تكون مثلي، من بعدي، وستحكم على أمم لا تحصى، وعلى عائلات لا تعد. وسيكون تابوت الشريعة ملكك، وملك نسلك، وستقدم الذبائح، وستصلي بانحناء. والرب سيسكنه إلى الأبد وسيستمع إلى صلواتك، وذكراك ستبقى محفوظة فيه من جيل إلى جيل».

وأجابه الابن وقال له: «يا سيدي، من المستحيل أن أترك بلادي وأمي، فأمي جعلتني أقسم بثدييها بأني لن أبقى هنا وبأني سأعود إليها بسرعة، وبأني لن آخذ امرأة زوجة لي من هنا. وتابوت رب يسرئيل سيباركني أينما كنتُ، وصلواتك سترافقني أينما حللت. إني أرغب في رؤية محياك، وسماع صوتك، واستلام بركاتك، والآن أود الرحيل إلى أمي بسلام».

٣٨) **كيف خطط الملك لإرسال ابنه مع أبناء النبلاء** ـ وعاد شلومو الملك بعد ذلك إلى بيته، وعمل على جمع مستشاريه، وضباطه، وشيوخ مملكته، وتحدث إليهم وقال: «إني غير قادر على جعل هذا الشاب يقبل [البقاء هنا]. والآن أصغوا، واستمعوا إلى ما سأقوله لكم: تعالوا، لنجعله ملكاً على بلاد الحبشة، سوية مع أبنائكم؛ وكما تجلسون أنتم على ميمنتي وعلى ميسرتي، سيجلس بكوركم على يمينه وعلى يساره. هلموا أيها المستشارون ويا أيها الضباط، فلنعط[ه] بكوركم، وسيكون لنا مملكتان؛ وسأحكم أنا هنا، وسيحكم أبناؤكم هناك. وسأضع ثقتي بالرب بأنه سيعطيني للمرة الثالثة نسلاً، وإنه سيولد ملك ثالث لي. والآن، إن بلطسور، ملك روما، يرغب في أن أعطي ابني [زوجاً] لابنته، وأن أجعله، سوية مع ابنته، ملكاً على كل بلاد روما. والسبب أنه لا يوجد له طفل إلى جانبها، ولأنه أقسم بأنه سيجعل ملكاً فقط من نسل داود. وإذا حكمنا هناك، فسنكون ملوكاً ثلاثة. وسيحكم إيربوعام (رحبعام) هنا في يسرئيل. لأن هذا ما تقوله نبوة داود أبي: «وسيكون زرع شلومو ثلاثة رؤوس لممالك على الأرض». وسنرسل لهم كهنة، وسنسن لهم شرائع، وسيعبدون رب يسرئيل تحت ثلاثة رؤوس ملكية. وسيمجد الرب من جنس شعبه يسرئيل، الأفضل على وجه الأرض، حتى وفق ما كتبه أبي في كتابه وقال: «أبلغ الأمم أن الرب مَلِك»(*)؛ وقال ثانية: «أبلغوا الناس صنائعه، مجدوه وغنوا له»؛ وقال مرة أخرى: «مجدوا الرب بأغنية جديدة. وتمجيده في محفل المستقيمين، وستبتهج يسرئيل بخالقه(**)». ولنا مجد الحكم، وسنمجد خالقنا. وتنظر الأمم المتعبدة للأصنام لنا، وستخشانا، وستجعلنا ملوكاً عليها، وستبجل الرب خوفاً. والآن، هلموا، لنجعل هذا الشاب ملكاً، ولنرسله مع أبنائكم، ذوي الثروة والمنصب. ووفق منصبكم وثروتكم هنا، [سيحكم] أبناؤكم هناك. وسينظرون في مراتب الملوكية، وسيعملونها وفق شريعتنا، وسنوجههم وسنعطيهم أوامر وسنرسلهم ليحكموا هناك».

(*) قارن سفر المزامير ٩٥:٣.

(**) قارن سفر المزامير ٩٦:١٠.

وتحدث الكهنة والضباط والمستشارون وقالوا له: «ومن يقدر على عصيان أوامر الرب والملك؟ إنهم خدمك، وهم من نسلك، وكما قلت. وإذا رغبت، فبمقدورك أن ترسلهم وأمهاتهم للعبودية؛ وليس بمقدورنا أن نعصي أوامرك وأوامر السيد ربك». وبدأوا في عمل الاستعدادات الضرورية لإرسالهم إلى بلاد الحبشة حتى يحكموا هناك، ويسكنوا هناك إلى الأبد، هم وزرعهم، جيلاً بعد جيل، إلى الأبد.

٣٩) **كيف قاموا بتعيين ابن شلومو ملكاً** ـ وقاموا بإعداد زيت المسح، مسح الملوك، وملأت الفضاء أصوات القرن الكبير والقرن الصغير، والنايات والمزامير، والقيثارات والطبول؛ وأحاطت بالمدينة أصوات الفرح والسعادة. وأحضروا الشاب إلى قدس الأقداس، وأمسك بقرن المذبح، وأعطيت له السيادة من فم صدوق الكاهن، ومن فاه يوآس الكاهن ـ قائد جند الملك شلومو ـ ومسحه بزيت مسح الملوك المقدس. وخرج من بيت الرب، وأطلقوا عليه اسم داود، لأن الاسم جاءه وفق الشريعة. وجعلوه يمتطي بغل الملك شلومو، وقادوه خلال شوارع المدينة، وقالوا: «لقد مسحناك بدءاً من هذه اللحظة»؛ ثم صرخوا تجاهه «بخ(*) [يعيش] الأب الملوكي»! وكان هناك من قال: «من الملائم والصحيح أن يكون ملكك من نهر مصر غربي الشمس؛ مبارك زرعك على الأرض! ومن شمال شوا إلى الشرق من الهند، حيث سيرحب بك. والرب إله يسرئيل سيكون مرشدك، وتابوت شريعة الرب سيكون مع كل ما تنظر إليه. وسينهزم أعداؤك وغرماؤك، والخاتمة والنهاية ستكون لك ولزرعك من بعدك؛ وستحكم أمماً كثيرة، ولن يحكمك أحد». وباركه أبوه مرة أخرى وقال له: «بركات السماوات والأرض ستكون بركاتك». وكل محفل يسرئيل قال: «آمين». وتحدث أبوه إلى صدوق الكاهن أيضاً وقال: «علمه وأبلغه الحكم وشريعة الرب حتى يتبعها هناك» [إلى الحبشة].

نود التذكير هنا بأن كاتب هذه الملحمة الدينية عربي ينتمي للكنيسة القبطية في مصر. ويؤكد ذلك أن الملحمة تختتم بالقول: لقد قمنا بترجمته [الكتاب] إلى العربية، من مسكن الرسول مرقس، المعلم، أبينا جميعاً؛ وقمنا بترجمته في بلاد الحبشة عام ٤٠٩ للخلاص، في أيام الملك كبرا مَسْقَل، المسمى لاَيِلاً، في عهد الأب جورجيوس، الأسقف القائم. وقد منع الرب [في البداية] أن تترجم إلى اللغة الحبشية. ولكن عندما فكرت ملياً في الأمر: لماذا لم يقم الأب الفرج، الذي أصدرها، بترجمتها، عندها قلت [في نفسي]: لقد صدرت في أيام زاجنا، ولم يقم [الأب العز والأب الفرج] بشرحها، لأن هذا الكتاب يقول: إنها ترجمة للشريعة، لأولئك الملوك الذين ليسوا يسرئيليين. وفيما لو كانوا تحت حكم يسرئيل، لقاموا بترجمتها. وقد عثر عليه في الناصرة(**).

(*) هكذا في النص الأصلي، وهي مفردة عربية.

(**) بفلسطين المحتلة.

صلوا لأجلي، لعبدكم المسكين اسحق، ولا تلوموني على تعبيراتي اللغوية، فقد بذلت الكثير من الجهد لأجل مجد بلاد الحبشة، منطلق صهيون القدس، ولأجل مجد نجاشيي الحبشة. وقد طلبت مشورة القاضي العادل، المحبوب من السيد، يعقبا ـ إجزئي [بخصوص عملي]، وقد وافق عليه، وقال لي: اعملها، ولذا عملتها بالاستعانة بالرب، ولم يجازني على خطاياي. صلوا لأجل عبدكم إسحاق، وللذين بذلوا الجهد معي، من أجل إصدار هذا الكتاب، فقد كنا تحت ضغط كبير، أنا والأب يمهرانا وحزبا ـ خريستو، وأندرياس، وفيليبوس والأب المحاري. وليكن الرب رحيماً؛ وليكتب في السماوات أسماءهم، مع كافة القديسين والشهداء، في كتاب الحياة إلى الأبد، آمين)(١٣).

وقد لاحظ أهل الاختصاص دلائل لغوية أخرى على أن كاتب هذه المخطوطة عربي. ومن ذلك أنها تحوي العديد من المفردات العربية قمنا بالإشارة إليها ضمن سياق النص، وكذلك تعبيرات عربية، ترجمت بشكل حرفي إلى الجعزية. أما الصنف الثالث فهو تعبيرات أو مفردات عربية ابتدع لها المترجمون رداتف جعزية لم تكن معروفة سابقاً. وقد أشار أهل الاختصاص إلى تشابه بين بعض مقاطعها وبين أسلوب الخطاب العربي، بل وإلى استخدام الأسلوب القرآني فيها. كما تشرح تلك الملحمة الدينية معنى اسم بلقيس ـ ملكة الجنوب في اللغة العربية حيث يرد الاسم فيها على صورة «مكدا» ويشرح بأنه يعني «ما كذا»! ولكن هذا التأويل غير مقنع ويبدو أنه ينتمي إلى محاولة شرح معنى الاسم «بلقيس» نفسه من «بالقياس». ويمكن للقارىء المهتم بتفاصيل الموضوع استشارة الكتب المتخصصة المشار إليها في الهوامش أو في سجل المراجع(١٤).

رغم ذلك، فقد رأينا، لأسباب عديدة أن مكان هذه المخطوطة الصحيح ليس ضمن التراث العربي ـ المسيحي، ولكن في التراث الحبشي. والسبب الرئيس أن الأول يعرف نصوصاً أخرى تعتمد العهدين القديم والجديد، وقد نشرناها في المكان المخصص لها. ويضاف إلى ذلك حقيقة أنها مرتبطة بشكل وثيق بسلالات حكام الحبشة بما حولها إلى ملحمة «وطنية» حبشية.

ننتقل الآن إلى تحليل هذه الملحمة الدينية ونقول أن ما يهمنا هنا فحوى قصة بلقيس ـ ملكة الجنوب ـ بحد ذاتها لأنها تنقل رؤية مختلفة عما يرد في الروايات العربية والعربية ـ الإسلامية والدينية اليهودية.

قلنا إنه ربما لم تلعب أية وثيقة دينية في حياة أي شعب دوراً وطنياً مماثلاً لذلك الذي تسنمته «كبرانجست» في حياة شعب إثيوبيا. فقد شكلت هذه الملحمة الوثيقة الأهم من حيث اعتبارها «الدليل» القاطع الذي يقول بأن ملوك أو أباطرة إثيوبيا هم الخلفاء الشرعيون الوحيدون لداود، و«للآباء الأولين» من قبله. ويرى أهل الاختصاص، ونشاركهم الرأي بالطبع، بأن هذه الوثيقة تحوي كمّاً كبيراً من الأساطير(١٥)، لكننا نذكر بأن في كل أسطورة أو ميثولوجيا نسبة من الحقيقة. ورغم وجود اتفاق على أنها لم تكتب قبل القرن الرابع عشر، إلاّ أنه من الصحيح القول

بأن ذلك النص المكتوب اعتمد على قرون طويلة من النقل الشفهي، وهو أيضاً رأي المتخصصين بتاريخ الحبشة وحضاراتها العتيقة. وقد شهدت المرحلة الواقعة بين التناقل الشفهي والتسجيل إضافة الكثير من العناصر الدينية و«الفقهية» والتراثية... الخ.

يرى الإثيوبيون المسيحيون أن هذه الملحمة تنقل خبر انتقال بلادهم من عبادة الشمس إلى التعبد لإله يسرئيل، ومن ثم إلى المسيحية بالطبع، وتعتمد على نصوص إنجيلية منسوبة إلى يسوع المسيح استعرضناها في سياق الترجمة، عدا أننا تعرضنا إلى بعضها عند حديثنا عن ملكة سبأ في التراث العربي ـ المسيحي. وتحكي ملحمة «كبرانجست» عن الكيفية التي صار بها ملوك أو نجاشيو الحبشة من سلالة شلومو وبلقيس ـ ملكة التيمن، والمقصود بالطبع «ملكة سبأ». ويرى أهل الاختصاص بأن مصادر «كبرانجست» تعتمد على أحاديث وأساطير من العهد القديم والترجوم والكتابات السريانية وقصص القرآن وغيرها. كما هدف كاتب الملحمة تقديم حجته بانحدار نجاشيي الحبشة من سلالة المسيح، المفترض، وفق بعض الأناجيل، انحداره من سلالة داود. لذا، فإن الهدف واضح وهو القول بأن الحبشة هي الأرض التي اختيرت من قبل إله التوراة لاحتضان مملكته على الأرض، وأن ادعاء بني يسرائيل واليهود أيضاً، يفتقد لأي أساس. وهنا نود الإشارة إلى أن الإيمان بأن مملكة شلومو وسلالته من بعده، هي المختارة من قبل يهوه تعتمد على القول بأن الوصايا العشر التي كتبها موسى التوراة محفوظة في تابوت العهد، مكان تواجد إله التوراة نفسه. لذا فإن الهيكل الذي تقول التوراة بأن سليمان قام ببنائه هو مكان تواجد هذا التابوت حيث يزوره إله التوراة، الذي يرمز إليه بالتعريف «السكينة»[١٦] بين الحين والآخر ليعطي بركاته لشعبه المختار!

وقبل الاسترسال في الموضوع سنعرج بشكل سريع على مسألة «تابوت العهد» حيث كثرت الادعاءات واللغط أخيراً حول وجوده في الحبشة، علماً بأنه قيل سابقاً بأنه في بابل، ورغم أن وهب بن منبه أشار في كتاباته إلى أنه رُمي في مزبلة قرب مكة. فلقد سُمِح في القرن الماضي لقس أرمني برؤية ذلك «التابوت»، وإليكم ما كتبه:

> (لقد صنع ذلك الصندوق، وهو على شكل علبة، في الهند. وعندما فُتح، شاهدنا أمامنا لوحاً عليه الوصايا العشر. فالتقطناها حتى نتمكن من تفحصها عن قرب. وكان الحجر من المرمر الأحمر، ومن ذلك النوع الذي عادة ما يعثر عليه في مصر. وكان على شكل مربع، بطول ٢٤ سنتمتراً، وبعرض ٢٢ سنتمتراً، وثخنه لا يزيد على ثلاثة سنتمترات. وقد حفر على الجوانب زهور، ويشاهد في منتصفه خطوط مربعة أخرى بشكل سلسلة دقيقة، وحفر ما بين هذين المربعين الوصايا العشر؛ خمس على الوجه الأول، وخمس على الوجه الثاني. وقد سجل على الطرف السفلي للوحة ثلاثة أحرف، لم يتمكن أي منا من شرح المقصود بها. ولم يبد أن الحجر قديم، ويعود إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر، هذا على أقصى تقدير)[١٧].

نعود الآن إلى خلفية لقاء ملكة سبأ، وفق «كبرانجست» التي تنطلق من أسطورة شهرة شلومو

التي اخترقت الآفاق بسبب تجارته البحرية مع أقاليم العالم(١٨)! وتقول إن التجار أحضروا من مواطنهم النائية البضائع النادرة إلى مقره والتي استخدمها في بناء هيكل يهوه. وعندما عادوا، ومن ضمنهم تمرين أي الذي كان يقود تجارة ملكة الجنوب التي تعرف في «كبرانجست»، وبالتالي في التراث الحبشي ـ المسيحي، باسم مَكِدًّا(*)، إلى مواطنهم، نشروا ما سمعوه عن شلومو وحكمته. وهنا نرى أن هذه الملحمة الدينية تقول بأن وطن ملكة سبأ، التي صارت «ملكة التيمن» أو «ملكة الجنوب» هي الحبشة. ويبدو أن سبب هذا الخلط ذكر الحبشة في العهد الجديد. لكن مصدره الأساسي معلومة تاريخية عن استيطان العرب للحبشة في العصور القديمة، وهو أمر تعاملنا معه في مطلع المؤلف(**).

ولا يختلف وصف بلقيس ـ ملكة الجنوب ـ في الملحمة الدينية الحبشية «كبرانجست» عن رديفه عند العرب حيث تقول بأنها كانت على جانب كبير من الجمال والذكاء. لكنها، وعلى عكس الروايات العربية، لا تنقل أية معلومة عن أصولها. المهم في الأمر أن تلك الملكة سمعت، عن طريق رئيس تجارها، بشلومو وقررت أن تذهب إلى يورشليم(***) لتختبر حكمته. وتقول «كبرانجست» بأن ملكة سبأ أقامت عدة أشهر عند شلومو الذي كرّمها أيما تكريم وأسكنها في قصره. ويبدو أن شلومو فهم إعجاب ملكة سبأ ـ العذراء! به كتقرب جنسي حيث حاول مضاجعتها، لكنها رفضت محاولات مراودته لها عن نفسها. ولكنه حقق مراده الجنسي منها عبر خدعة، وخلفت منه ابناً اسمه بنيلحكم، أي «ابن الحكيم»، الذي تولى في نهاية الأمر السلطة في الحبشة حيث قام بإدخال التعبد لإله بني يسرئيل والذي استمر منذ ذلك الحين وحتى تاريخ كتابة «كبرانجست»، بما يعني أن الحبشة وقوانينها وأعرافها وديانتها.. الخ هي الممثل لديانة بني يسرئيل الحقة(١٩).

المهم في هذه الرواية أنها لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى أصول جنية لملكة سبأ. كما نرى أن كاتبيها كانوا أكثر واقعية في عرض الكيفية التي التقت بها بشلومو حيث انتهلوا من

(*) إن تعريف ملكة سبأ في التراث الحبشي بأنها هي الملكة المسيحية «مَكِدًّا» ناشيء عن دمج شخصيتين معاً مما أدى إلى هذا التأويل الجغرافي الجديد، علماً بأن العديد من الأساطير تحيط بتلك الملكة الحبشية، ومنها القائلة بلقائها! مع الإسكندر المقدوني، وهو ما جعل أهل الاختصاص يعيدون الاسم «مكدا» إلى المقدونيين. وقد رأينا أن بعض الإخباريين العرب مزجوا بين العديد من الشخصيات النسائية اللائي عرفهن المشرق العربي في شخص بلقيس.

(**) وقد سجلنا قناعتنا بأن كل أسطورة تحمل في ثناياها بعض الحقيقة، ونرى أن هذا الزعم قد يعكس معلومة تاريخية أن قسماً من بني يسرئيل خصوصاً في المملكة «الشمالية»، أي «مملكة يسرئيل» هاجر إلى الحبشة بعد القضاء عليها على يد الآشوريين.

(***) المقصود هنا القدس بفلسطين المحتلة، وقد تركنا الاسم كما هو وإن سجلناه بالصيغة التوراتية حتى نجنب القارىء أي اختلاط، علماً بأننا نتمسك بقناعتنا العلمية بأن موطن بني يسرئيل كان في عسير وليس في فلسطين. أنظر تحليل كمال الصليبي بخصوص الموقع يروشليم في مقالته التالية:

Theological Review XI 1990, The Jerusalem Question: pp. 3 - 18.

تاريخ الإقليم الاقتصادي بالقول إنها سمعت به عن طريق التجار. أما الأمر الأكثر أهمية فهو تكريم ملكة سبأ أكثر من شلومو حيث تقول الملحمة أنها ذهبت إليه لتختبر حكمته، وليس لتعلم الحكمة منه. كما نرى أن كلمات الإعجاب أو الغزل به الواردة في «ترجوم ثانٍ للفيفة أستير» على لسانها، ألحقت بالحكمة. كما ولا تشير هذه الرواية إلى أية ألغاز على الإطلاق.

كما وتنتقص هذه الرواية من شخص شلومو حيث تشير إلى انفجار رغباته الجنسية بما دفعه للجوء إلى المكر لتحقيق أهدافه الذكورية، هذا عدا أنه حوّل المرأة ـ الإنسان، إلى مُرضٍ لشهوة جنسية ليس إلاّ. لذا فإن رواية «كبرانجست» منسجمة حتى النهاية حيث تجعل شلومو يرى نهايته ونهاية مملكته عبر القول بأنه رأى ليلة مضاجعتها غروب الشمس عن يسرئيل وسطوعها على الحبشة.

لكننا نرى أن كاتب الملحمة أيضاً لم يتمكن من مقاومة إغراء إدخال مفاهيمه الاجتماعية عن المرأة في هذه الرواية، وهو الأمر الذي رأيناه تكراراً في الروايات العربية ـ الإسلامية، وفي الروايات الدينية اليهودية أيضاً. رغم ذلك، تبقى الرواية الحبشية منسجمة أكثر من غيرها في تكريم بلقيس ـ ملكة سبأ، وهو ما لم نره إلاّ في الكتابات الصوفية العربية والإسلامية والعربية ـ المسيحية.

٢ ـ القصة الأكسومية

وهنا رواية أخرى تسمى «القصة الأكسومية»، سادت في الإقليم حول بدء العلاقة بين الحبشة ويسرئيل، أي بين ملكة سبأ وشلومو، وكيف صار الأخير أباً لمنيلك(*). وتقول تلك الأسطورة أن اسم أم منيلك كان <أتايا أزيب> بمعنى «ملكة التيمن» أو «ملكة الجنوب»، وتعبد قومها لتنين أو لثعبان. وقد جرت التقاليد أن يقوم كل فرد بالتوالي بتقديم ابنته البكر كضحية، ومعها كمية من الحليب والبيرة الحلوة. وقد قام والداها بتقييدها على شجرة ومعها كمية المشروبات، لكنها أنقذت من قبل مجموعة من القديسين الذين تولوا قتل التنين بالصليب! وهنا تقول الرواية الأسطورة والميثولوجيا بأن قطرة من دم التنين انحدرت على قدم «ملكة التيمن» وحولها إلى كعب حمار! وعندما عادت إلى قومها ملّكوها عليهم، لكنها اختارت عذراء مثلها! كمستشارة لها.

وتستطرد الأسطورة[٢٠] وتقول إن «ملكة التيمن» ذهبت للقاء شلومو بعد أن سمعت بقدراته الطبية، وذلك في محاولة لمعالجة قدمها. وقد توجهت الملكة بصحبة مستشارتها، لكنهما تخفيا بملابس الرجال، وهو ما يذكرنا بسميراميس وبأحد الألغاز التي قيل إن بلقيس طرحتها على سليمان. وعندما سمع شلومو بقدوم ملكة الحبشة، أمر بإدخالها إلى قصره حيث عادت قدمها

(*) تطلق الرواية هذا الاسم على ابن شلومو وملكة سبأ؛ فهل معناه (مِنّي لَكِ) ـ على لسان شلومو لملكة سبأ؟

إلى طبيعتها بمجرد ملامسة أرض القصر. ثم تستمر الأسطورة في القول بأن شلومو تعرف على جنس كلتيهما عبر وضع قربة مليئة بالعسل، وترك فتحة فيها ليقطر منها. وعندما رأى أنهما كانتا تأكلان العسل، وكانتا قد أقامتا في مقصورته، عرف أنهما أنثيان! وتبعهما إلى سريرهما واغتصبهما! وعند توديعهما أعطى لكل منهما عصا فضية وخاتماً لكي تستخدما كدليل في حالة حبلهما ببنت أو بولد. وقد خلفت كل من المرأتين ولداً، وتوجه كلاهما في نهاية الأمر إلى شلومو الذي عرف أحدهما بأنه منيلِك وكان الآخر متخلفاً عقلياً. وقد عاد منيلِك إلى الحبشة ومعه تابوت العهد حيث ما يزال إلى الآن!

ولا بد أن القارىء يلاحظ التأثير السبئي القوي في هذه الميثولوجيا، والذي يمكن فهمه في ضوء التنقيبات الأثرية في الإقليم التي أظهرت تأثيراً قوياً في المجال الديني والحضاري. وهنا نتذكر أيضاً بعض الروايات الأسطورية أو الميثولوجية العربية التي زعمت بأن قدم بلقيس ـ ملكة سبأ ـ كانت كعب حمار، وكذلك مسألة أنها لم تكن تقرب الرجال. لكن الأمر المهم في هذه الأسطورة/ الميثولوجيا الجانب الجنسي والإداني للمرأة. ويلاحظ أن هذه الأسطورة/ الميثولوجيا لا تشير بإصبع اتهام، لا تجاه شلومو ولا نحو ملكة سبأ. فالأول لم يراودها عن نفسها ولم يحاول نكاحها ـ قبل لعقها العسل، ولا توجد أية إشارة إلى لجوئه إلى المكر والخديعة لبلوغ مرجاه الذكوري. والأمر ذاته ينطبق على ملكة الجنوب. فقيامها لأكل العسل وما تبعه من علاقة جنسية كان عملاً طبيعياً! بل أنها رغبت في ذلك. إن الرواية تعبر عن عدم رضاء ملكة الجنوب عن وضعها «غير العادي» عبر إرتدائها ملابس رجالية ومصاحبتها الجنسية بالطبع، لوصيفتها. لذا نرى أن الراوي قام بانتهال جوانب من ميثولوجيا سائدة في الإقليم حيث أدخل العسل وجعل بلقيس ـ ملكة التيمن ـ تلعقه. وهذه إشارة تحمل دلالة جنسية قوية ترد في العديد من الحضارات القديمة. والمقصود بذلك القول بأن المرأة ـ الملكة عادت لموقعها كأنثى!

ومن غير المستبعد أن الإشارة إلى العسل وقيام ملكة سبأ بلعقه هو مجرد إشارة خفية لرغبتها الجنسية في مضاجعتها شلومو، أي في العودة إلى أصولها الأنثوية. على أية حال، لقد أدخل المعتقد السائد عن العسل كدليل جنسي في الميثولوجيا ليلعب دوره في جعل ملكة الجنوب امرأة «عادية» بعد أن كانت «مسترجلة»، وهي إشارة إلى انتهاء عصر المرأة، علماً بأن «كبرانجست» تقول بصريح العبارة أن لقاء ملكة الجنوب، أي ملكة سبأ، بشلومو أنهى حق المرأة في قيادة المجتمع.

يلاحظ هنا أيضاً علاقة قوية بين هذه الرواية الأكسومية وبين بعض الروايات العربية ـ الإسلامية التي اتخذت من أساطير وميثولوجيا بلقيس منطلقاً لإلقاء مواعظ حول دور المرأة في المجتمع وما إلى ذلك من أحكام اجتماعية. وبرأينا أنه من غير الممكن أن هذا التشابه في المنطلق مجرد صدفة ليس إلاّ. كما توجد مسائل أخرى في الروايات الحبشية تستحق الانتباه، ومنها على

سبيل المثال أن تلك الرواية، كرديفها العربي، تركز على ملكة الجنوب وحكمتها وجمالها وعظمة مملكتها، وليس على سليمان أو شلومو. وهنا يكمن الفارق الأكبر والأهم بين الروايات العربية والحبشية المسيحية من جهة، وبين الروايات اليهودية من جهة أخرى.

هوامش الفصل السابع

(١) الأحرى اغتصاب.

(٢) أي Monophysical.

(٣) إن هذه الكنيسة لم تبن بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما شقت أو بترت من الصخر من أعلى لأسفل، أي أنها بنيت بدءاً من السقف!

(٤) في النص الأصلي «كِيِّيه».

(٥) المقصود غير معروف، وإن اعتقد البعض أنه يشير إلى المؤابيين؟

(٦) يرى بعض أهل الاختصاص أن المقصود هنا «مصر العليا»؟

(٧) هكذا في النص الأصلي.

(٨) الإشارة هنا إلى أحد أسفار الأبوكريفا واسمه Canones Apostolorum.

(٩) هكذا في النص الأصلي، والمقصود هنا الحبشة، أي المملكة الحقيقية!

(١٠) في نصوص أخرى «بنياس»، أي بنياهو بن يهودياهو.

(١١) لقد أخطأ الكاتب هنا حيث التبس عليه الشخص المقصود، أي «يواب» رئيس تشريفات داود. أنظر سِفر الملوك الأول ٢:٣٥.

(١٢) حتى المترجمون لم يفهموا المقصود.

(١٣) لم نتمكن بكل أسف من تحصيل النسخة الأصلية أو صورة عنها حتى ننقل هذه الخاتمة وفق النص الأصلي. لذا، قمنا بترجمتها بالاستعانة بالنصين الألماني والإنكليزي، ونعتذر عن أية أخطاء تعبيرية ارتكبناها. ومن الواضح أنه وجدت قديماً نسخة عربية، إلاّ أنه لم يعثر عليها حتى الآن، وفق ما توفر لدينا من معلومات.

(١٤) من الجدير بالذكر أنه يوجد العديد من النسخ التي يختلف بعضها عن بعض في تفاصيل لغوية. ويقول خاتم النسخة المستخدمة من قبل أهل الاختصاص، والمسجل باللغة العربية: فقد انتهى العمل بها عام ١٣١٤ تقريباً.

(١٥) إننا نعتمد في عرضنا هذا على محتويات «كبرانجست» نفسها، وعلى المعلومات التي نقلها إلينا المتخصصون بتاريخ الحبشة، خصوصاً المؤلفين التاليين:

1) Budge, (Sir) E. A. Wallis: **The Queen of Sheba and her only son Menyelek.** London 1922. 2) Bezold, Carl: Kabra Nagast. München 1909.

(١٦) في النص الأصلي <هشكينه>.

(١٧) H. Helfritz: **Äthiopien-Kunst im Verborgen.** Köln 1972, p. 191f.

(١٨) أنظر تحليلنا لما يرد حقاً في التوراة عن شلومو في مؤلفنا «مصر وبنو يسرئيل في عسير» ـ فصل «اليم الذي ليس بحراً».

(١٩) وهنا وجب ملاحظة أن «كبرانجست» تستمر في فصول لاحقة في الإشارة إلى المسيح وقدومه... الخ بما يعني أنها إضافات لاحقة للملحمة بما «يشرح» تبني الحبشة للمسيحية ـ حوالى القرن الرابع.

(٢٠) أنظر تفاصيل الرواية في:

Littmann, E.: **The Legend of the Queen of Sheba in the Tradition of Axum.** Leiden 1904.

الفصل الثامن

ألغاز بلقيس

بعد أن عرضنا القصص الرئيسة المرتبطة ببلقيس ـ ملكة سبأ، وكيفية تجليها في التراث العربي والعربي ـ الإسلامي ـ والمسيحي، ننهي مؤلفنا بعرض ومناقشة الألغاز الواردة في القصص، والمغزى المقصود منها.

لقد كان طرح الألغاز أو الأحاجي أحد أساليب الترفيه الاجتماعي البريء في المشرق العربي، وما زال يمارس حتى الآن من قبل البعض، خصوصاً بالارتباط مع مسائل لغوية تعرف باللعب على الكلمات، أي توظيف مفردات تحمل معاني متباينة. فاللغة بحد ذاتها، كانت، ولا تزال بحد ذاتها، أحد أعمدة إبداع العرب. لكن هذا لم يكن الحال دوماً حيث ان هدف الألغاز اختبار بريء لقدرة الشخص على التفكير المنطقي، أو امتحان معارفه العامة. وهناك ألغاز تطرح لا يتطلب الإجابة عليها أية معارف خاصة، ونقصد بذلك تلك التي تحمل معاني جنسية أو حياتية عامة، وقد عرف العرب الكثير من هذه الألغاز، وتحوي قصص ألف ليلة وليلة أمثلة جميلة على ذلك. وتتميز الألغاز العربية بأنها مرتبطة بمسائل دنيوية. ورغم أن الإسلام أضفى على المجتمعات العربية طابعاً دينياً، إلاّ أن ذلك لم يفقده مميزاته الدنيوية، وهذا بالضبط ما يميزه من المجتمعات «اليهودية» التي كانت، ولا تزال، جامعة بشرية أساسها الدين وليس أكثر من ذلك. وأسس ذلك أن اليهودية ديانة وليست قومية، وأي قول مغاير يعكس إما هوساً عرقياً أو جهلاً تاماً. لذا، فمن غير الصعب أبداً فرز الألغاز التي نجدها في التراث الديني اليهودي عن تلك التي أنتجتها المجتمعات العربية أو غيرها. وهناك حقيقة أخرى مهمة وهي أن العرب لم يعرفوا، فيما اطلعنا عليه من مراجع، أية ألغاز ذات أسس دينية. فالدين لم يكن موضوعاً للتسلية بالنسبة للمسلمين، عرباً كانوا أو غير عرب، وسيتبين لنا ذلك من عرض الألغاز نفسها. لقد ارتأينا أن نوضح وجهة نظرنا حتى نساعد القارىء على معرفة أسس فهم الأحاجي ذات العلاقة. لذا يمكننا القول إن الألغاز

الواردة في الروايات العربية ـ الإسلامية لم يكن لها علاقة بسليمان، هذا إلاّ إذا اعتبرنا أن بلقيس توجهت إليه بهدف التسلية ليس إلاّ! كما أننا لا نعتقد أن النص التوراتي الذي يقول، وبغض النظر عن لاتاريخيته أصلاً، بأن ملكة سبأ توجهت إلى شلومو لتمتحنه بأسئلة صعبة قد قصد أحاجي أو ألغازاً، وأن المقصود بذلك أسئلة مرتبطة بالحكمة. لكن يبدو أن ذهنية الرواة لم تتفق على «دليل» تأكيداً على حكمة شلومو إلاّ عبر مسألة الأحاجي. لكننا نرى في إضافة بعض هذه الألغاز إلى الرواية هدفاً أبعد من مجرد عرض أحد أساليب التسلية التي كانت سائدة في المجتمعات التي نشأت الروايات فيها. فالهدف بنظرنا هو السير خطوة أخيرة بتوجيه ضربة أخيرة لبلقيس ـ الرمز وسجنها في الموقع الذي قرره لها الرجل ـ الذكوري. وسيتضح هذا الأمر من خلال عرض الأحاجي حيث لن يكون من الصعب تمييز تلك الأصلية من المقحمة.

ننتقل الآن إلى عرض الألغاز التي وردت في المراجع العربية التي استعرضناها في فصل سابق، أو تلك التي ترد في القصص المسردة في الملحق.

ماء رواء لا من سماء ولا من أرض

لا يرد هذا اللغز في قصص التراث الديني اليهودي، والحل يأتي بالطبع ليس من سليمان، وإنما من عند الراوي الذي يقول بأنه (الخيل). لكن الإجابة نفسها شكلت مشكلة حقيقة. فبينما من المعروف أن الخيل تفقد عند جريها كميات من العرق أكثر من غيرها من الحيوانات، إلاّ أنه غير صالح إطلاقاً للشرب، عدا أن كميته ليست بذلك المقدار الذي يسمح بالتقاطه وتعبئته. ويضاف إلى ذلك حقيقة أنه مالح الطعم بما يجعله، في حالة تناوله، يسبب المزيد من العطش. وقد بحثنا في كتابات الإخباريين عن حل لهذه المعضلة، لكننا نعترف بفشلنا وبأن حكمتنا في هذه المسألة لم ترتق إلى مستوى الراوي. لذا لجأنا إلى اجتهادات علماء الحيوان، ونعتقد بأننا عثرنا على تفسير معقول لهذا اللغز طرحه استاذ ألماني[1] متخصص، ويقول إن أساس الأحجية قوة ملاحظة وذكاء من قبل البعض لتصرفات معينة للخيل. والمقصود بذلك قيام الخيل بتنظيف بعضها بعضاً دون انقطاع، حتى عندما تكون تتصبب من العرق بما يعطي الانطباع بأنها تشرب عرق بعضها بعضاً. وحيث إن رائحة عرق الخيل حلوة، فقد ساعد هذا على إعطاء الانطباع بأنها تشربه.

ونعتقد أن هذه الأحجية مرتبطة بالدور الكبير الذي لعبته الخيل في حياة العرب، عدا أنه كان حيواناً مقدساً في سبأ. فصاحب «كتاب التيجان» يورد أحجية أخرى مرتبطة بالخيل وتقول: (وأرسلت إليه بخيل عتاق ذكور وإناث وقالت لرسلها: مروه يخبركم بالفرق بين الذكور والإناث من هذه الخيل بعضها من بعض من غير أن يخبره أحد) ـ كذا. ومن الواضح وجود فساد في النص أو الرواية، ذلك أن التفريق بين الحصان والفرس ليس بالأمر العسير، والأمر لا يحتاج إلى أية معارف خاصة أو دهاء، ناهيك عن حكمة سليمان بالطبع، هذا إلاّ إذا كان السؤال نفسه لغزاً! ونعتقد أننا عثرنا على النص الصحيح للغز في مصدر آخر، ويقول إن بلقيس

طلبت من سليمان، عبر رسلها، أن يميز الخيل وأيها نتج قبل صاحبه وعن القرابة بين ذلك. ومن الواضح أن واضع هذا اللغز سمع بأن التوراة تشير إلى علاقة الملك شلومو، المعرّف بأنه هو النبي سليمان، بالخيل وتجارته بها، فأراد من خلال إضافته إلى الرواية الجمع بين معارفه تلك والتأكيد على دور الخيل في حياة العرب.

ويبدو لنا أن هناك قصداً آخر للغز الأصلي ألا وهو ربط بلقيس بسميراميس التي أنقذت شعبها بامتطائها فرساً أو حصاناً، وهو الأمر الذي أشرنا إليه في القسم المتعلق بها. أي أن المقصود هنا علاقة بلقيس ـ سميراميس بالخيل.

وهناك أحجية أخرى مرتبطة بالموضوع نفسه تقول إن بلقيس سألته عن (ماء رواء لا من أرض ولا من سماء، ويجري حلواً ومراً من زجاج). والجواب كان «الدمعة». وبرأينا أن المقصود هنا إعلام السامع بأن دموع المرأة لا تعني دوماً المرارة، وأنها يمكن أن تكون تعبيراً عن سعادة. ويدخل هذا اللغز، برأينا، ضمن إطار فهم أو استيعاب عالم المرأة.

ما هو لون الرب؟

والمقصود هنا (ما هو شكل الرب)؟ وعلى ما يقوله الطبري وغيره، فوجيء سليمان بهذا السؤال، وكانت ردة فعله كالتالي: (فوثب... عن سريره فخرّ ساجداً... وصعق فغشي عليه فخر عن سريره... وتفرقت عنه جنوده..). وهنا نرى أن الإجابة كانت بجعل بلقيس تنسى السؤال نفسه. والمقصود بذلك، برأينا، السؤال المحرم. ونعتقد أنه نفسه المرتبط بالحوار الذي ورد في رواية بلقيس ـ الميثولوجيا بين والد بلقيس وأمها حيث أبلغته بأن لا يسألها عن تصرفاتها. وعندما فعل ذلك تركته واختفت. أي أن الرواية الأصل مرتبطة بالسؤال المحرم.

امتحنته بمائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد كما ولدوا في ليلة واحدة، وألبست الوصائف والوصفاء زياً واحداً ليظن من رآهم أنهم كلهم غلمان.

وترد هذه الأحجية بصورة أخرى، وهي أنها ألبستهم لباساً محايداً، وفي رواية ثالثة أنها ألبست الوصفاء لباس الوصائف، وبالعكس. والأمر سيان، فالهدف الجنسي واضح وهو اكتشاف قدرة الرجل، هنا ممثلاً بسليمان رمز الحكمة والسلطان، على التمييز بين الإناث والذكور في مجتمع تساوى فيه الطرفان، أي معرفة أو استيعاب أسرار عالم المرأة ـ الذي لا يزال يشغل الرجل ويحيره ـ ونقصد بذلك خضوعها وعالمها وأسرارها له. ونجد دعماً لرأينا في حل الأحجية والقائل: (ثم إنه ميّز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله في اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه، والغلام يأخذه من الإناء بيديه ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد، وكانت

الجارية تصب الماء صباً وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدراً، فميز بينهم بذلك). والمقصود هنا نعومة الأنثى من خلال طرح الماء على يديها، وفظاظة الذكر الذي كان يضرب وجهه به بشكل مباشر.

وقد اعتقد بعض من بحث في الموضوع[٢] بأنه وجد أصل الأحجية أو تفسيراً لها، والتي ترد في الكتابات اليهودية أيضاً، عند تعامل التلمود مع مسائل الملائكة والشياطين حيث يقول إنه في حالة قيام المرء بأخذ الزيت المخصص للمسح فعليه أن يصبه من الوعاء أولاً على اليد ولا يأخذه مباشرة من الوعاء، ذلك أن الشياطين تلعن الزيت الموجود في الوعاء وليس الذي في راحة الكف. أي أن هدف صب الزيت في راحة الكف هو التخلص من لعنة الشياطين. وهنا يرى الكاتب أن سبب قيام الجواري بصب الماء من راحة على أخرى قبل ضربه على وجههن هو تطهيره. برأينا أن هذا التفسير أو التأويل متسرع. فالكاتب لم يعطِ أي تفسير لماذا لم يقم الغلمان بهذا التصرف التطيري. ولذا فإننا على قناعة بأن هذه الأحجية مرتبطة بتصرفات عامة للذكور والإناث وإعلان باستيعاب الرجل لعالم المرأة، وليس لها أي خلفية دينية. في الوقت نفسه، نرى أنها مرتبطة أيضاً بسميراميس التي تورد الروايات التي استعرضنا جزءاً منها في أقسام أخرى من المؤلف، أنها صممت زياً محايداً للرجال والنساء وفرضته في آشور.

ويرد اللغز بشكل آخر يقول بأن سليمان ميّز الذكور من الإناث عبر تقديم مكسرات لهم. وقد عرف الذكور لأنهم تناولوها برفع القفطان، أما الإناث الخجلات بالطبع فقد وضعن راحتهن تحت ملابسهن والتقطن المكسرات بهذه الطريقة. ومن الواضح أن هذه الأحجية، وسابقتها، مرتبطة بالفرق بين تصرفات الأنثى والذكر واختبار قدرة المستمع على التفريق بين الجنسين.

أرسلت بلقيس إلى سليمان بحق، أي بصندوق، مملوء ذهباً وفضة ودراً وياقوتاً وزبرجداً وزمرداً وختمت على الحق وطلبت منه أن يخبر بما في هذا الحق من غير أن يفكه.

إننا نعترف بأننا لم نفهم مغزى هذه الأحجية، ولم نعثر في المراجع على أي اجتهاد بالخصوص، ولكننا نعتقد أن المقصود هنا الإشارة إلى رغبة المرأة في اقتناء المجوهرات، وهو ثمن خضوعها للرجل. والمقصود بذلك أن طلبات المرأة ورغباتها ليس لها حدود، ولا يعرفها إلاّ الخالق، وهو ما يشرح، برأينا، القول بلجوء سليمان إلى الملائكة ليعطوه الإجابة.

عمدت إلى حقة فجلعت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجذع خرزة مثقوبة معوجة الثقب، ودعته لثقب الدرة ثقباً مستوياً وإدخال خيط في الخرزة.

إننا نعثر على المقصود بالأحجية في الإجابة التي تقول إنه سأل الشياطين، فقالوا له أرسل إلى الأرضة فأرسل إليها، فأخذت شعرة في فيها، ومرت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر.

ومن الواضح، برأينا، أن هذه الأحجية تنتمي أيضاً إلى محاولة لفهم عالم النساء! كما أنها تحوي محاولة تقديم تفسير لبعض الظواهر الطبيعية، وتحديداً وجود أنواع محددة من الدود في أصناف معينة من الأشجار. وهذا ما يوضحه الرد: (فقال لها سليمان سلي حاجتك قالت أن تصير رزقي في الشجر، قال لك ذلك. ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط، فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله، فأخذت الدودة خيطاً في فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان ما حاجتك، فقالت أن تصير رزقي في الفواكه، قال لها لك ذلك).

ما هو سبب شبه الولد لأبيه او لأمه ومن أين يأتيه ذلك؟

شبه الولد لأبيه، إذا النطفة سبقت من الرجل، وإن سبقت من المرأة كان الشبه لها. ويدخل هذا اللغز أيضاً ضمن التأويلات المعادية للمرأة حيث يشرح أن الرجل استوعب كافة جوانب علاقاته بها.

أما الأحاجي الواردة في «ترجوم ثانٍ للفيفة أستر» الذي تعاملنا معه بالتفصيل في فصل سابق فهي كالتالي:

بئر خشبية
دلو معدني
يملأ أحجاراً
يسقي ماء.

ويأتي الجواب: «أنبوب الكحل». تنتمي هذه الأحجية إلى سابقاتها المرتبطة بعالم النساء. وحيث إن التوراة تشير إلى استعمال الكحل بشكل سلبي[*]، فإننا نعتقد أن هذه الأحجية ليست أصلية. وقد لفت أحد العلماء[3] الانتباه إلى أن مقامة الحريري رقم ٣٥ تحوي أحجية شبيهة، لكننا لم نعثر على المقصود في النسخ التي استشرناها.

عفر من الأرض يخرج
ومأكله عفر،
من الأرض يسفك كالمياه
ومُبَيِضٍ لبيت.

الإجابة: «النفط». وقد دار جدل بين أهل الاختصاص حول معاني بعض المفردات حيث تمسك البعض بأن المقصود في السطر الرابع «يضيء البيوت»، حيث رأى آخرون أنه وجب

(*) (أيتها المدينة الخراب، تلبسين ثياب القرمز، وتتحلين بحلي الذهب وتكحلين بالإثمد عينيك، ولكن باطلاً تتجملين...) ـ سِفر إرميا ٤: ٣٠.

ترجمتها إلى «ويلصق بالبيوت». لكن نص الشطر الأخير يقول بلغته الأصلية <...ومبيط لبيت> حيث يلاحظ أن أداة الجر هنا حرف اللام، وهي نفسها في العربية مما يضع الاجتهادين خارج قواعد لغة النص الذي لا يحمل أداة التعريف. لذا نعتقد أن فهمنا للمفردة <ومبيط> بمعنى (ومبيض) أي (مُنوِّر) يكون صحيحاً. ويدخل هذا اللغز أيضاً ضمن إطار استيعاب المرأة وعالمها البيتي!

كالعاصفة يندفع على الرأس،
ويصيح صيحة عالية ومريرة،
رأسه مثل البوص[٤]،
مجد للأحرار
وعار للمساكين،
عز للميتين
وخزي للأحياء،
بهجة للطيور
وكرب للسمك.

والجواب: «الكتان». يقول أهل الاختصاص الذين بحثوا في الموضوع أن المقصود هنا أن شراع القارب مصنوع من الكتان، والذي يتحرك بدوره في العاصفة، وعندما تضربه الرياح، يصدر صوتاً. ويرتدي الأثرياء ملابس حريرية، بينما لباس الفقراء من الأسمال والكفن مصنوع من الكتان. وتتغذى الطير ببذور الكتان، ويتم صيد السمك بشباك مصنوعة من المادة نفسها[٥].

ننتقل الآن إلى مجموعة من الأحاجي التي عثر عليها ضمن <مدرءش هحفز> كتبها اليمني اليهودي يحيى بن سليمان، ونشرت في أوروبا[٦]. ومن الجدير بالذكر أن تاريخ كتابة هذه المخطوطة يعود إلى عام ١٤٣٠، لكنه يعتمد، بلا شك، على نصوص غاية في العتق.

١ سبع تنتهي
وتسع تبدأ،
اثنان مُسقيان
وشارب واحد.

السبعة هي أيام طمث المرأة، وتسعة هي أشهر حملها؛ ثديان يسقيان ورضيع واحد يشرب؛ أنظر سِفر اللاويين الذي يقول (...تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمثها)[٧]. لكننا نرجح أن المقصود هنا أيضاً استيعاب عالم المرأة، لكن دون استبعاد جانب اختبار فهم السامع لمقطع توراتي بما يوضح أنه أضيف في فترة متأخرة للغاية.

٢ قالت امرأة لابنها:
أبوك أبي
وجدك بعلي،
أنت ابني
وأنا أختك.

ابنة لوط التي تكلمت بذلك إلى ابنها. وأصل القصة موجود في العهد القديم، وفي سِفر الخروج ١٩:٣١ ـ ٣٨ تحديداً. وقد رأى بعض من بحث في المادة أن المقصود هنا أحجية عن النسب وشرح من المحلل الزواج منهم[٨]. وهذه الأحجية كسابقتها وتدخل ضمن إطار الاختبار أو الامتحان الديني.

٣ قامت بعرض عدد من الذكور والإناث بالمظهر والشكل نفسهما وقالت له: فرق بينهم. فأومأ بإشارة إلى خصيه الذين أحضروا كمية من الفطير والمكسرات المحمصة. فقال الذكور، الذين لم يشعروا بالخجل، بالتقاطها بأيديهم، أما الإناث فقمن بأخذها عبر وضع أيديهن تحت ملابسهن. عندها قال لها: «هؤلاء هم الذكور، وهؤلاء هن الإناث».

وهناك رواية أخرى تقول بأن الإناث قمن بلم المكسرات على غطاء رأسهن، وتبدو هذه الرواية أقرب إلى المعقول من الواردة أعلاه. وتنتمي هذه إلى ضرب الأحجية الثالثة نفسها الواردة في المراجع العربية.

٤ قامت بإحضار مجموعة من الرجال إليه، بعضهم كان مختوناً، والآخرون غلّفاً، وطلبت منه أن يميز بعضهم من بعض.

عندها أومأ فوراً للكاهن الأعظم الذي قام بفتح تابوت العهد، وعندها قام المختونون بالانحناء إلى وسط الجسد، وارتسم على محياهم إشعاع السكينة؛ أما الغلف فقد سقطوا على وجوههم؛ وبذلك تمكن من التمييز بين المجموعتين، ذلك أن كتابات اليهودية تقول بأن من لا ينتمي إلى عهد أبراهام مع إلهه لا يكون قادراً على تحمل حضور القدس المتواجد في تابوت العهد! ـ قارن مع ما يرد عن بلعام في سِفر العدد ٢٤. وهذا أيضاً لغز ديني توراتي.

٥ لم يولد ولم يمت؟

رب العالمين. والمقصود هنا غمز ضد المسيحية.

٦ ما هي الأرض التي لم تر الشمس إلاّ مرة واحدة؟

قال: (الأرض التي تجمعت عليها المياه يوم الخلق، وعندما شق البحر) ـ وهذا أيضاً لغز ديني توراتي.

٧ حصر وعشرة أبواب:
فُتح واحد

أُغلق تسعة،

تسع مُغلقة،

فُتح واحد.

الحصر هو رحم المرأة، والأبواب العشرة هي فتحات الإنسان ـ العينان، الأذنان، منخراه، فمه، أعضاء الإخراج، والصرة. فعندما يكون الطفل جنيناً، الصرة تفتح، وعندما يخرج من الرحم، تغلق الصرة وتنفتح الأخريات. هذا لغز يتعلق باستيعاب عالم المرأة.

٨ هو ساكن، وإذا قطع رأسه تحرك؟

السفينة في البحر. والمقصود أن الشجر ساكن، والسفينة المصنوعة من خشب الشجر «الساكن»، تتحرك في الماء. هناك لعب على الكلمات <هولد> التي تعني التحرك والسكون.

٩ ثلاثة لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يقدم لهم الخبز، ولكنهم، رغم ذلك، ينقذون الحياة من الموت.

هم الخاتم والعمامة والعصا ـ أنظر سِفر الخروج ١٥:٣٨. هذا لغز لإمتحان المعارف التوراتية.

١٠ دخلوا كهفاً ثلاثة، وخرجوا منه خمسة؟

هم لوط وابنتاه وابناهما. هذا اللغز كسابقه ـ أنظر الأحجية رقم ٢.

١١ الميت حي، والقبر تحرك، والميت مُصَلّ؟

الميت الذي عاش وصلى هو يونا (يونس) والحوت كان القبر المتحرك. هذه أحجية كسابقتها.

١٢ ثلاثة أكلوا وشربوا على الأرض، ليسوا ذكوراً ولا إناثاً؟

هم الملائكة الثلاثة الذين زاروا إبراهيم. هذا لغز كالسابق.

١٣ أربعة دخلوا مكان الموت وخرجوا أحياء، واثنان دخلوا مكان الحياة وخرجوا منه أمواتاً؟

«الأربعة هم دانيال، حنانيا، ميخائيل، وعزاريا؛ والاثنان هم ندب وأبياهو». كسابقه.

١٤ ولد ولم يمت؟

هما إلياهو والمسيح. ومن الواضح أن هذه الأحجية موجهة ضد المسيحية.

١٥ لم يولد، ورغم ذلك بعثت الحياة فيه؟

هو العجل الذهبي. هذا لغز امتحان ديني.

١٦ من الأديم ينمو، وابن آدم ينتجه، ومأكله من فاكهة الأرض؟

هو الفتيل[٩]. وتحوي هذه الأحجية لعباً على الكلمات حيث ان الرديف للأرض هو <ءدمه> ، وهي تعني أيضاً «الإنسان». وقد حاولنا تعريف ذلك بكتابة المفردتين العربيتين «أديم» و«ابن آدم».

١٧ امرأة تزوجت اثنين وأنجبت اثنين، لكن كان للأربعة أب واحد؟

هي تمار. هذه أحجية عن النسب وفق التوراة ـ أنظر سِفر الخروج ٣٨.

١٨' بيت مليء موتى، ولم يكن بينهم ميت واحد، وحي لم ينفق منهم؟

هي قصة شمشون والفلسة التي تقول، ضمن أمور أخرى، أنه دمر البيت على نفسه وأعدائه. والمقصود بالموتى الفلسة الذين لم يؤمنوا بإله التوراة يهوه. هذا لغز مرتبط بامتحان المعارف التوراتية، والمقصود بها جميعاً حكمة شلومو المتكاملة.

١٩ التمييز بين الجهة التي تنبت الجذور وتلك التي أنبتت الأوراق من جذع شجرة أرز منشورة.

قام شلومو بوضع الجذع في حمام ماء حيث غطس طرف في الماء بينما بقي جزء آخر طافياً. والقسم الذي غطس هو الذي ينبت الجذور، أما القسم الطافي فهو الذي ينبت الأوراق.

ننهي هذا الفصل الأخير عن الأحاجي بالقول إن الرواة قاموا بعد تجريد بلقيس ـ الرمز والمثال ـ من مكانتها الخاصة ووضعها الاستثنائي الذي كانت فيه ممثلة للمجتمع الذي سادته المرأة، أو على الأقل ذلك الذي تساوت فيه مع الرجل، بالتقدم خطوة أخيرة لتكييفها مع وضعها الجديد وفق رؤيتهم الذكورية. ونقصد بذلك أنهم أدخلوها إلى البيت المنزلي وأحطوا من مقدرتها ومنزلتها حيث سجنوا حكمتها ضمن حوائط أربع لأن معارفها واختباراتها أو امتحاناتها لسليمان أو لشلومو لم تتعد الأدوات المنزلية. وتمثل هذه الأحاجي تتويجاً لسيطرة الرجل ـ الذكر، على المرأة ـ الأنثى حيث لم يجد سليمان أو شلومو ـ الذكر أية صعوبة في الرد على الألغاز معلناً بذلك انتهاء مجتمع بلقيس وتحويلها من الملكة والمثال والرمز إلى خبيرة في شؤون التدبير المنزلي.

هوامش الفصل الثامن

(١) In: Beyer, Rolf: Die Königin von Saba - Engel und Dämon, Der Mythos einer Frau. Bergisch Gladbach, 1992. S. 138.

(٢) Hertz, Wihelm: Die Rätsel der Königen von Saba. In: Zeitschrift Für Deutsches Alterthum und Deutsche Literatur. Berlin 1883, Bd. 27. p. 11.

(٣) Wünsche, A.: Die Rätselweisheit bei den Hebräern. Leipzig 1883. p. 22.

(٤) أو التيفا، أي عشب البرك.

(٥) للمزيد من التفاصيل أنظر:

Silberman, L. H.: "The Queen of Sheba in Judaic Tradition. in: Solomon & Sheba. London 1974. p. 73f.

(٦) S. Schechter: The Riddles of Solomon in Rabbinic Literatur. In: FOLKLORE - A Quarterly Review of Myth, Tradition, Institution, and Custom. Vol. I, No. 3. London, September 1890.

(٧) أنظر أيضاً مدراش على المراثي.

(٨) أنظر التلمود «يموت ٩ ب».

(٩) قارن مع الأحجية الثانية في ترجوم ثانٍ للفيفة أستر.

الخاتمة

لقد تتبعنا في الفصول السابقة شخص بلقيس ـ ملكة سبأ ـ ملكة التيمن وكيفية تجليها في التراث العربي في العصور الأولى، ثم ضمن إطار التراث العربي ـ الإسلامي والمسيحي، والحبشي ـ المسيحي، وفي التراث الديني اليهودي. وقد اتبعنا في عملنا منهجية نقدية تعتمد على تحليل النصوص الأصلية، حيث أمكن، والمقارنة بين محتويات القصص والروايات باحثين عن الجذور والأهداف المرتبطة بالحكايات حتى لا يكون عملنا عرضاً مجرداً للرواية، وهذا لم يكن هدفنا إطلاقاً.

لقد تعاملنا مع الكم الكبير من مادة الموضوع بذهنية منفتحة متجردة من الأحكام المسبقة، وتبين لنا أن المنهجية العلمية ألزمتنا بتغيير العديد من الآراء والأحكام الشخصية التي كانت مستقرة في وعينا، وفي لاوعينا. كما وساعدتنا المنهجية المتبعة في الوصول إلى نتائج مهمة، وأسهمت في التعرف على بعض ملامح تاريخ العرب الأول وصدر الإسلام وميكانيكية التفكير في ذلك الوقت، والذي أدى إلى وضع أرضية تاريخية لبعض الأفكار الاجتماعية السائدة حتى عصرنا هذا.

إن المنهجية التي اتبعناها والقائمة على قراءة التاريخ، وليس كتابته، قد أوضحت لنا، ضمن العديد من الأمور، أن بعض كتب التراث العربي عن الموضوع تحوي معلومات مهمة، هذا إذا تمكنا من قراءتها بشكل صحيح، وضمن إطار معارفنا النظرية، أي ضمن المنهجية العلمية المرتكزة أيضاً على اللقى الأثرية في الإقليم ـ حيث أمكن. وقد رأينا أن تلك الكتابات تضم أساطير وميثولوجيا أيضاً، وهو الأمر غير السلبي إطلاقاً، بل إنه دليل على حيوية ذهنية وخيال شعبي هائل. لكن التعرف على المزيد، خصوصاً في المجال التاريخي، يتطلب عملاً مبرمجاً يستشير كافة

ما توفر من مراجع، عربية وغير عربية ومن ضمنها اللاتينية والإغريقية القديمة والبيزنطية والسريانية... الخ. وهذا بالطبع من مهمة مؤسسات متخصصة.

وهنا لا بد لنا من التعريج على فكرة طرحها علينا، الزميل عماد العبد الله، كمثال على قراءة التراث بشكل منفتح وصحيح، عندما سعدنا بلقائه أخيراً في بيروت، والقائلة بأن شعراء الجاهلية العرب الباكين على الأطلال والماضي وعلى الحبيبة! هم استمرار لتقليد أنبياء التوراة الذين لم يشر القرآن إلى أي منهم، هي أقرب للصحة. لقد كان أهم أنبياء التوراة شعراء متجولين، وهذه حقيقة. والحقيقة الأخرى أن التوراة تشير على لسان أنبياء التوراة الكبار سخطهم وتأنيبهم ونبذهم لأنبياء آخرين غير معروفي الاسم. هذه وغيرها من الحقائق تجعلنا نرجح صحة فكرة الزميل عماد. فهل كان شعراء العرب في العصور الأولى موحدين وأن الحبيبة لم تكن فعلاً امرأة؟ وأن نحيبهم الشعري على الماضي يعكس فعلاً ابتعاد المجتمع عن التعبد للخالق، وأن دموعهم على الأطلال هو بكاء على التشرذم الذي أفقدهم مجتمعاً مركزياً لممارسة نشاطهم بما جعلهم يتجولون ويعلقون أشعارهم الوعظية على الأماكن التي يؤمها مختلف الناس في جزيرة العرب بشكل جماعي وعلى رأسها الأماكن المقدسة، بما في ذلك على حوائط الكعبة؟ وهل يشرح ذلك اتهام بعض العرب لمحمد النبي بأنه شاعر؟ باعتقادنا أن موضوعة الأخ عماد العبد الله هائلة الأبعاد، لكن عبقريتها ستتكامل في تقديم شواهد لغوية وتاريخية وفكرية... الخ على صحتها. لكن مجرد طرحها ينسف، برأينا، الكثير من الأفكار الاستشراقية الصبيانية عربية اللسان. إنها مسألة جديرة حقاً بالمتابعة حيث إنها تشرح ضمن العديد من الأمور جذور قدسية اللغة عند العرب. أي أن أصل ذلك ليس في اللغة نفسها وإنما في أن الشعراء الذين نظموا المراثي كانوا أنبياء تائهين مما يقدم أرضية معقولة للمكانة الخاصة التي تبوأها بعضهم فأعفاهم ذلك من الالتزام الصارم بقواعد اللغة مما قاد إلى القول بأنه «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» ـ فالمبدعون بها كانوا أنبياء ـ شعراء أو شعراء ـ أنبياء؟؟

وبالعودة إلى بحثنا وضرورة تلخيصه فإننا نقول، إن العرب اليمانيين عرفوا ميثولوجيا نشأت، برأينا، في سبأ وغيرها من ممالك العرب القديمة في الإقليم جمعت وعكست جوانب من الحياة التراثية والدينية في جنوبي جزيرة العرب. ويبدو أنهم، غالباً، لم يكونوا على دراية بمغزاها الحقيقي، أو لنقل إنهم لم يسجلوا معرفتهم لأبعادها الدلالية بما جعلها مجرد رواية تناقلها الناس كنوع من التسلية، وهذه هي بلقيس ـ الميثولوجيا. كما عرف العرب في العصور الأولى روايات أخرى عن حاكمات أو ملكات في بعض أقاليم بلادهم، وهو ما تحسم به اللقى الأثرية الآشورية. وقد ضمت تلك الروايات العديد من المعلومات، تناقلها العرب قديماً، وأضافوا إليها ما أضافوه خلال عملية التناقل الشفوي، والكتابي أيضاً، وهذه بلقيس القصة والتاريخ.

وبالإضافة إلى ذلك، عرف العرب ملكة أخرى اكتسبت شهرة أكثر من غيرها لارتباط اسمها

بسليمان النبي ـ رمز الحكمة والسلطان، لكن لم يعرف عنها سوى القليل من التفاصيل، وهذا ما يشرح عدم وجود اتفاق حول أصولها. وقد كانت هذه الملكة، أي بلقيس ـ صاحبة سليمان ـ وفق تعبير البكري، هي المرأة، مثال الجمال والقوة والحكمة ورمز المجتمع الذي تسنمت فيه أعلى المواقع. وعندما جاء الإسلام وكرم ملكة سبأ، طغت هذه الشخصية على غيرها، علماً بأن وجود العديد من الملكات في عصر العرب الأول لم يقد إلى أية مشكلة حيث لم تعرف المجتمعات المتناثرة في العصور الأولى تاريخاً مشتركاً.

وبانطلاق الإسلام وتوحد العرب السياسي ضمن دولة مركزية وإشارة القرآن التكريمية حقاً لملكة سبأ، انقلب الوضع بشكل كامل حيث تراكضت بعض أقوام العرب لتعريف الأخيرة بأنها هي ملكتهم بهدف تحصيل التشريف المتوقع لماضيهم، ولحاضرهم ومستقبلهم بالطبع. وقد أدى هذا المزج إلى حدوث اختلاط بين مختلف الروايات التي دمجت في نهاية الأمر في قصة واحدة. لكن هذا الخلط لم يغب عن العديد من الرواة، ذلك أن التناقضات شملت الاسم والأصل ومكان التواجد وفترة الحكم... الخ، بما دفعهم إلى إهمال أية محاولة للتعرف على المقصود.

وفي مرحلة لاحقة من تطور المجتمع العربي ـ الإسلامي، ظهرت الحاجة إلى سن تشريعات اجتماعية تتناسب مع درجة تطور المجتمع الإسلامي حديث التشكل، وهو ما أدى إلى ظهور الفقه الإسلامي وتطوره كمؤسسة بحد ذاتها. ومن الأمور الاجتماعية التي واجهت ذلك المجتمع موقع المرأة ودورها في العائلة وفي المجتمع وموقعها.. الخ، وهنا نرى عودة بلقيس ـ الرمز والمثال وليس الشخصية التاريخية، إلى الساحة حيث اتكأ بعض المؤولين والإخباريين على جوانب مما كان سائداً عن بلقيس ـ القصة والأسطورة والميثولوجيا، ليجعلوا منها أرضية لأحكامهم الاجتماعية تجاه المرأة، والرجل. فبلقيس ـ رمز المرأة/ المُخضَعَة، وسليمان/ مُخضِعُهَا ـ رمز سلطان الرجل وحكمته شكّلا «أنسب» شخصيتين لإطلاق تشريعات وأحكام ذكورية.

كما وتبين لنا أن التراث الديني اليهودي أيضاً جعل من رواية جد مقتضبة مشكوك في تاريخيتها وردت في العهد القديم عن لقاء بين الملك شلومو ـ المعرف تقليدياً بأنه هو سليمان النبي ـ وبين ملكة حكمت في سبأ، منطلقاً لصياغة أحكام اجتماعية عن المرأة، بالإضافة إلى قصص وأساطير وميثولوجيا حولت تلك المرأة، رمز الحكمة والثروة والجمال، إلى ممثل للشيطان، بل إلى الشيطان نفسه. ولم يتخذ «الفقه» اليهودي ذلك الموقف معاداة لملكة سبأ كشخص، ولكن ضدها كرمز ومثال للمجتمع الذي تسنمت قيادته المرأة ـ عن جدارة واستحقاق. وقد كان ذلك الموقف «الفقهي» استكمالاً منسجماً لموقف اليهودية السلبي من المرأة بحد ذاتها كما يرد في العهد القديم نفسه. كما تبين لنا أن «فقهاء» اليهودية تأثروا، في هذه القصة، بمحيطهم، ومن ضمنه العربي ـ الإسلامي، وانتهلوا من قصص بلقيس السائدة ما رأوه مناسباً لفكرهم الذي

وضعه الكهنة في توراتهم، وأدخله كتاب السحر والفلاسفة والحاخامات في رواياتهم، بما يقوي الاعتقاد بأنهم كانوا في حالة حوار مستمر مع بعض الرواة والمؤولين، عرباً وغير عرب. كما تبين لنا أن الإخباريين العرب ـ المسلمين، أخذوا أيضاً من حاخامات اليهودية بعضاً من جوانب رواية بلقيس ـ ملكة سبأ، وعلى رأسها أصولها الشيطانية المزعومة، وأدخلوها في التراث العربي ـ الإسلامي، لكن دون أن يفصحوا عن مراجعهم، وهو ما يشرح، برأينا، التشابه المذهل، حتى في بعض تفاصيل ميثولوجيا سليمان ـ بلقيس في التراث العربي ـ الإسلامي وفي التراث الديني اليهودي. وهذا ما يشرح أيضاً الإشارة إلى بعض الرواة بأنهم «أهل علم» و«على اطلاع بكتابات الأولين»... الخ. وقد بحثنا ونقبنا ووجدنا أن «كتابات الأولين» لم تكن سوى كتابات أحبار وكهنة وحاخامات اليهودية، وهي متوافرة في المكتبات لمن يريد البحث، وأشرنا إليها بالاسم في سياق العمل.

لقد وُجدت أسس مشتركة وحدت الطرفين ونتج عنها الموقف السلبي من المرأة بحد ذاتها، والذي ألصق ببلقيس ـ رمز المرأة على لسان سليمان ـ النبي، والذي كان نتيجة طبيعية لمستوى تطور المجتمع ووعيه. أي أن عملية نقل بعض «اليهوديات» إلى الإسلام لم تتم نتيجة مؤامرة مزعومة كما يدّعي بعض الذين يتعاملون مع التطور الاجتماعي ـ التاريخي من وجهة نظر تآمرية، وهو أسلوب محبب للكثير من الناس لأنه يبرر لهم رؤية أنفسهم ضحايا ويريحهم من عناء البحث الجدي والصبور عن أسباب التخلف والخبو. لقد تمت عملية إدخال «اليهوديات» إلى التراث العربي ـ الإسلامي بسبب وجود قواسم مشتركة في بعض الأمور بين بعض المؤولين والإخباريين من جهة، وبين أحبار وكهنة وحاخامات اليهودية من جهة أخرى، بما يوضح أن رواية وتسجيل بعض القصص عند العرب ـ المسلمين واليهود لم تكن تتم بمعزل عن بعضهم البعض. وربما هذا ما يشرح إحجام المؤولين والإخباريين العرب عن تفنيد أقوال اليهودية التشهيرية بحق ملكة سبأ التي عرفها الإخباريون العرب بأنها هي المشار إليها في القرآن.

وقد تبين لنا من خلال عرض وتحليل قصص بلقيس في التراث العربي ـ المسيحي وفي التراث الحبشي ـ المسيحي، أن تلك القصص استخدمت هناك أيضاً كمنطلق للموقف السلبي من المرأة، وإن بدرجة أقل جدية.

رغم ذلك، فقد تمكنت بلقيس الملكة والشخص من تبوّء موقع إيجابي في ذهن ووعي وتراث الشعوب التي تعاملنا معها، وأضحت مثالاً للمرأة الحكيمة والجميلة وذات السلطان. أي أن مخيلة الشعوب دفعت بمواقف المؤولين والإخباريين من بلقيس إلى الصفوف الخلفية، بل وأضحت في التراث الصوفي مثالاً للحكمة.

وبغض النظر عن موقع بلقيس الإيجابي في الوعي الشعبي العام، لا تزال المرأة العربية ـ المسلمة منتقصة الحقوق وتابعة حتى في القوانين والأعراف، لسيادة الذكورية وأهوائها. ورغم

اعتقادنا بأن جزءاً من أرضية القوانين والأعراف المعادية للمرأة السائدة تعود إلى تأويلات معينة صدرت وصيغت بشكل مستقل عن روايات بلقيس، إلاّ أن الأخيرة شكلت قاعدة أساسية ومنطلقاً للتأويلات التي تنتقص من إنسانية المرأة العربية ـ المسلمة وتحد من حقوقها وتمنعها من ممارسة دورها الكامل بشكل متساوٍ في الحقوق مع الرجل. ولن نقع في وهم الاعتقاد بأن تصحيح الصورة عن بلقيس، على سبيل المثال، سيغير من هذا الوضع. فتغيير الموقف من المرأة العربية ـ المسلمة يستدعي قلب أو تثوير المجتمع نفسه. فالمجتمعات لا تتغير بقوانين، وإنما على العكس. ونعني بذلك أن التشريعات الاجتماعية تسن لتناسب درجة معينة من تطور الوعي الاجتماعي والتاريخي والاقتصادي. أي أنها تأتي تتويجاً لمسائل يمارسها البشر بالفعل، أو أنهم على استعداد لتنفيذها. فبعض المجتمعات العربية لا تزال تعرف وتمارس عادات همجية فعلاً، بحق المرأة، لا علاقة لها بالقرآن لا من قريب ولا من بعيد. ومن ذلك على سبيل المثال طقس الخفاض، وهو تقليد يهوذي الجذور ـ بشهادة ما توفر من مراجع. فالجغرافي والمؤرخ الإغريقي سترابو يقول في مؤلفه «الجغرافيا ١٦:٢,٣٧» التالي: «وقد التزم خلفاؤه [أي موسى ـ ز.م.] بتعاليمه لبعض الوقت وتصرفوا بشكل مستقيم وكانوا ورعين تماماً. لكن تمّ بعد ذلك تعيين رجال موسوسين لمنصب الكهنة، ثم لحقهم رجال طغاة. ونتج عن الوسوسة الامتناع عن أكل اللحوم، والتي هي من عاداتهم التي يحافظون عليها حتى يومنا هذا. ويضاف إليها الختان والخَفاض..». نسجل هذا الاستشهاد دون أن يعني ذلك الموافقة على كافة أحكام سترابو.

برأينا أنه وجب البحث عن أسس التأويلات التي تنتقص من المرأة وحقوقها في الجذور الأولى لتشكل المجتمع العربي ـ الإسلامي، أي في طبيعته الاقتصادية القائمة على التجارة. فهذا النمط الاقتصادي هو الذي سهل تثبيت مثل هذه الأحكام التي تنتقص من المرأة وحقوقها. فالتجار لا يلعبون أي دور في عملية الإنتاج، وهم مجرد طبقة تعتاش على نتاج طرف وحاجة الطرف الآخر لذلك المنتوج، وتكدس ثرواتها من خلال جهد الآخرين. لذا فإن الفكر الذي تنتجه لا يختلف جوهرياً عن موقعها الاقتصادي. ففكر ومفاهيم وأحكام الطبقة السائدة، أي الحاكمة، هي التي فرضت أفكارها وأحكامها الاجتماعية، والثقافة السائدة في أي مجتمع هي ثقافة الطبقة السائدة، أي الطبقة المسيطرة والمهيمنة على أدوات الحكم وأجهزته.

لكن هذا لا يشرح كل شيء حيث وجب البحث في أسس ذلك الموقف في طبيعة نشوء وتكون المجتمع العربي ـ الإسلامي والذي اعتمد طويلاً على الفتوحات العسكرية. ويضاف إلى ذلك حقيقة أن المجتمعات العربية ـ الإسلامية عرفت منذ مقتل الخليفة عمر حروباً أهلية ضارية استمرت لفترات طويلة وأنهكتها روحياً، وأسفرت عن ضحايا لا حصر لها. هذا أدى برأينا، إلى تهميش المرأة حيث لا تلعب دوراً في ذلك المجتمع المُعسكَر، إلاّ باعتبارها منتج جند ومقاتلين وشهداء محتملين! وعندما عاد الهدوء أخيراً إلى المجتمع كانت القيم التي أنتجتها المرحلة السابقة قد تثبتت في وعي الجماهير وأضحت من البديهيات غير القابلة للنقاش. وهنا وجب عدم التقليل

من الدور السلبي للأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في بعض البلاد والمجتمعات التي فتحها العرب حيث إنها لعبت بلا شك دوراً مهماً في تسهيل تثبيت الموقف العام ضد حقوق المرأة وضد تساويها مع الرجل.

نقول إن الأسس التشريعية والقانونية التي تحد من حقوق المرأة العربية ـ المسلمة كانت طبيعة المجتمع الاقتصادية، أي أنها نتاج مرحلة معينة من التطور الاقتصادي الاجتماعي، وليس العكس. ونقصد بذلك أن الانتقاص من دور المرأة كبشر متساوٍ مع الرجل من ناحية الحقوق والقوانين والأعراف، لم يكن بأي من الأحوال أحد العناصر التي ساعدت العرب ـ المسلمين في تحقيق تلك الانتصارات الهائلة على العالم القديم ودفع البشرية نحو التقدم الحضاري. على العكس من ذلك، نجزم بأن تحصيل المرأة العربية ـ المسلمة لحقوق متساوية مع الرجل ولعب دورها الاجتماعي والاقتصادي والفكري بشكل كامل غير منتقص هو أحد العناصر المهمة التي ستساعدنا على الخروج من دائرة الهزائم والإحباطات والإذلال التي نتنشقها صبحاً وعشية، والتي تسهل من إبقاء المجتمعات العربية أسيرة ضمن زنازين أفكار الطغاة، وتجعلها تقبل صاغرة ما يُملى عليها من أحكام حتى ليبدو لنا الآن ونحن نستنشق يومياً سموم هذه المرحلة التي نمر بها، أن ذلك الصعود الخلاّق والإسهام الكبير للعرب في دفع عجلة التطور الحضاري الإنساني إلى الأمام، قد تمّ بمعزل عن التاريخ وفي غفلة منه.


الملاحــق

ملحق أ

كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري

ذكر ما انتهى إلينا من مغازي سليمان عليه السلام فمن ذلك غزوته التي راسل فيها بلقيس

وهي فيما يقول أهل الأنساب بلمقة ابنة اليشرح، ويقول بعضهم: ابنة إيلي شرح، ويقول بعضهم: ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ثم سارت إليه سلماً بغير حرب ولا قتال. وكان سبب مراسلته إياها، فيما ذكر، إنه فقد الهُدهُد يوماً في مسير كان يسيره، واحتاج إلى الماء فلم يعلم من حضره بُعدَه، وقيل له علم ذلك عند الهدهد، فسأل عن الهدهد فلم يجده. قال بعضهم: بل إنما سأل سليمان عن الهدهد لإخلاله بالنبوة. فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس، ما حدثني العباس بن الوليد الآمليّ قال: حدثنا علي بن عاصم، قال: حدثنا عطاء بن السائب قال: حدثني مجاهد عن ابن عباس[1] قال: كان سليمان بن داود إذا سافر أو أراد سفراً قعد على سريره، ووضعت الكراسي يميناً وشمالاً، فيأذن للإنس، ثم يأذن للجن عليه بعد الإنس، فيكونون خلف الإنس، ثم يأذن للشياطين بعد الجن، فيكونون خلف الجن، ثم يرسل إلى الطير فتظلهم من فوقهم، ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره، والناس على الكراسي فتسير بهم، غُدُوُّها شَهر وَرَوَاحُها شهر، رُخاء حيث أصاب، ليس بالعاصف ولا باللّيّن، وسطاً بين ذلك. فبينما سليمان يسير، وكان سليمان اختار من كل طير طيراً، فجعله رأس تلك الطير، فإذا أراد أن يسائل شيئاً من تلك الطير عن شيء سأل رأسها، فبينما سليمان يسير إذ نزل مفازة فسأل عن بعد الماء ههنا، فقال الإنس: لا ندري، فسأل الجن فقالوا: لا ندري، فسأل الشياطين، فقالوا: لا ندري، فغضب سليمان فقال، لا أبرح حتى أعلم كم بُعدُ مسافة الماء ههنا؛ قال: فقالت له الشياطين: يا رسول الله لا تغضب، فإن يك شيئاً يُعلم فالهدهد يعلمه، قال سليمان: عليَّ بالهدهد، فلم يوجد فغضب سليمان فقال: ﴿ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذاباً شديداً أو

لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ يقول: بعذر مبين غاب عن مسيري هذا؟ وكان عقابه للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يسطيع أن يطير، ويكون من هوام الأرض إن أراد ذلك، أو يذبحه، فكان ذلك عذابه. قال: ومر الهدهد على قصر بلقيس، فرأى بستاناً لها خلف قصرها، فمال إلى الخضرة فوقع عليها، فإذا هو بهدهد لها في البستان، فقال هدهد سليمان: أين أنت عن سليمان. وما تصنع ههنا؟ قال له هدهد بلقيس: ومن سليمان؟ فقال: بعث الله رجلاً يقال له سليمان رسولاً، وسخر له الريح والجن والإنس والطير. قال: فقال له هدهد بلقيس: أي شيء تقول؛ قال: أقول لك ما تسمع، قال: إن هذا لعجب، وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ﴿أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾ جعلوا الشكر لله أن يسجدوا للشمس من دون الله. قال: وذكر الهدهد سليمان فنهض عنه، فلما انتهى إلى العسكر تلقته الطير وقالوا: توعّدك رسول الله، فأخبروه بما قال: وكان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يطير أبداً، فيصير من هوام الأرض، أو يذبحه فلا يكون له نسل أبداً. قال: فقال الهدهد: أو ما استثنى رسول الله؟ قالوا: بل قال: أو ليأتيني بعذر مبين، قال: فلما أتى سليمان، قال: ما غيبك عن مسيري؟ قال: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأٍ بنبأ يقين﴾ حتى بلغ ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾. قال: ناعتل له بشيء، وأخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدهد، فقال له سليمان: قد اعتللت ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾ قال: فوافقها وهي في قصرها، فألقى إليها الكتاب فسقط في حجرها إنه كتاب كريم، وأشفقت منه، فأخذته وألقت عليه ثيابها، وأمرت بسريرها فأخرج، فخرجت فقعدت عليه، ونادت في قومها فقالت لهم ﴿يا أيها الملأ أني ألقي إلى كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين﴾ ولم أكن لأقطع أمراً حتى تشهدون: ﴿قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ إلى ﴿وأني مرسلة إليهم بهدية﴾، فإن قبلها فهذا ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وأقوى وإن لم يقبلها فهذا شيء من الله. فلما جاء سليمان الهدية قال لهم سليمان ﴿أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ إلى قوله: ﴿وهم صاغرون﴾ يقول: وهم غير محمودين. قال: بعثت إليه بخرزة غير مثقوبة، فقالت: أثقب هذه، قال: فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الجن فلم يكن عندهم ذلك، قال: فسأل الشياطين، فقالوا ترسل إلى الأرضة، فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها فنقبتها بعد حين، فلما رجع إليها رسلها خرجت فزعة في أول النهار من قومها وتبعها قومها. قال ابن عباس: وكان معها ألف قيل. قال ابن عباس: أهل اليمن يسمون القائد قيلاً، مع كل قيل عشرة آلاف. قال العباس: قال علي عشرة آلاف ألف. قال العباس: قال علي: فأخبرنا حصين بن عبد الرحمن، قال: حدثني عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: فأقبلت بلقيس إلى سليمان ومعها ثلاثمائة قيل واثنا عشر قيلاً مع كل قيل عشرة آلاف. قال عطاء عن مجاهد عن ابن عباس: فكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يومئذٍ فجلس على سريره، فرأى رهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس يا رسول الله، قال: وقد نزلت منا بهذا المكان؛

قال مجاهد: فوصف لنا ذلك ابن عباس فحذرته ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ، قال: فأقبل على جنوده فقال: ﴿أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم مقامك﴾ الذي أنت فيه إلى حين الذي تقوم إلى غذائك. قال: قال سليمان: من يأتيني به قبل ذلك: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ فنظر إليه سليمان، فلما قطع كلامه رد سليمان بصره على العرش، فرأى سريرها قد خرج ونبع من تحت كرسيه: ﴿فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر﴾ إذ أتاني به قبل أن يرتد إلى طرفي (أم أكفر) إذ جعل مَن تحت يدي أقدر على المجيء به منّي. قال: فوضعوا لها عرشها، قال: فلما جاءت قعدت إلى سليمان، قيل لها: ﴿أهكذا عرشك﴾ فنظرت إليه فقالت: كأنه هو؛ ثم قالت: لقد تركته في حصوني، وتركت الجنود محيطة به، فكيف جيء بهذا يا سليمان؛ إني أريد أن أسألك عن شيء فأخبرنيه، قال: سلي، قالت: أخبرني عن ماء رواء لا من سماء ولا من أرض. قال: وكان إذا جاء سليمان شيء لا يعلمه بدأ فسأل الإنس عنه، فإن كان عند الإنس فيه علم وإلاّ سأل الجن، فإن لم يكن عند الجن علم به سأل الشياطين قال: فقالت له الشياطين: ما أهون هذا يا رسول الله، مُر الخيل فلتجر ثم تملأ الآنية من عرقها، فقال لها سليمان عرق الخيل، قالت: صدقت. قالت: أخبرني عن لون الرب. قال: قال ابن عباس: فوثب سليمان عن سريره فخر ساجداً. قال العباس: قال علي: فأخبرني عمرو بن عبيد عن الحسن قال: صعق فغشي عليه فخر عن سريره. ثم رجع إلى حديثه قال: فقامت عنه، وتفرقت عنه جنوده، وجاءه الرسول فقال: يا سليمان، يقول لك ربك ما شأنك؟ قال: سألتني عن أمر يكابرني ـ أو يكابدني ـ أن أعيده، قال: فإن الله يأمرك أن تعود إلى سريرك فتقعد عليه، وترسل إليها وإلى من حضرها من جنودها، وترسل إلى جميع جنودك الذين حضروا فيدخلوا عليك فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه. قال: ففعل، فلما دخلوا عليه جميعاً، قال لها: عمّ سألتني؟ قالت: سألتك عن ماء رواء، لا من سماء ولا من أرض، قال: قلت لك: عرق الخيل، قالت: صدقت، قال: وعن أي شيء سألتني؟ قالت: ما سألتك عن شيء غير هذا، قال: قال لها سليمان: فلأي شيء خررت عن سريري؟ قالت: قد كان ذلك لشيء لا أدري ما هو، قال العباس: قال علي: نسيته. قال: فسأل جنودها فقالوا مثل ما قالت، قال: فسأل جنوده، من الإنس والجن والطير وكل شيء كان حضره من جنوده فقالوا: ما سألتك يا رسول الله إلاّ عن ماء رواء، قال: وقد كان قال له الرسول: يقول الله لك: عد إلى مكانك فإني قد كفيتكهم، قال: وقال سليمان للشياطين: ابنوا لي صرحاً تدخل عليّ فيه بلقيس، قال: فرجع الشياطين بعضهم إلى بعض فقالوا: سليمان رسول الله قد سخر له الله ما سخر، وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد له غلاماً، فلا ننفك من العبودية أبداً. قال: وكانت امرأة شعراء الساقين، فقالت الشياطين: ابنوا لي بنياناً ليرى ذلك منها فلا يتزوجها، فبنوا له صرحاً من قوارير أخضر، وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء، وجعلوا في باطن الطوابيق كل شيء يكون من الدواب في البحر من السمك وغيره، ثم أطبقوه، ثم قالوا لسليمان: ادخل الصرح، قال: فألقي لسليمان كرسي في أقصى الصرح، فلما دخله ورأى ما رأى

أتى الكرسي، فقعد عليه، ثم قال: أدخلوا علي بلقيس: فقيل لها: ادخلي الصرح، فلما ذهبت تدخله رأت صورة السمك وما يكون في الماء من الدواب، فحسبته لجة حسبته ماء وكشفت عن ساقيها لتدخل، وكان شعر ساقيها ملتوياً على ساقيها، فلما رآها سليمان، ناداها، وصرف بصره عنها: إنه صرح ممرد من قوارير، فألقت ثوبها فقالت: ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ قال: فدعا سليمان الإنس فقال: ما أقبح هذا؛ ما يُذهب هذا. قالوا: يا رسول الله الموسى. قال: المواسي تقطع ساقي المرأة. قال: ثم دعا الجن فسألهم فقالوا: لا ندري، ثم دعا الشياطين فقال: ما يُذهب هذا؟ قالوا مثل ذلك: الموسى، فقال: إن المواسي تقطع ساقي المرأة. قال: فتلكأوا عليه، ثم جعلوا له النورة(*)، قال ابن عباس: فإنه أول يوم رُؤيت فيه النورة، فاستنكحها سليمان.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه قال:

(*) قال الدميري في (باب العفريت) من كتاب «حياة الحيوان الكبرى» التالي عن النورة والحمّام (اعلم أن الحكماء قد ذكروا أن للحمام والنورة منافع ومضار. فمن منافعه أن يوسع المسام ويستفرغ الفضول ويحلل الرياح ويحبس الطبيعة من هيضة ورطوبة وينظف البدن من الوسخ والعرق ويذعب الحكة والجرب والإعياء ويليّن الجسد ويجيد الهضم ويعد البدن لاستعداد الغذاء وينشط الأعضاء المشنجة وينضج النزلات والزكام وينفع من حميات يوم والدق والربع والبلغمية بعد نضجها، قلت إذا دّبر ذلك طبيب حاذق. ومن مضاره تسهيل صب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة ويرخي البدن ويضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصبية ويضعف الباه. ووقته بعد الرياضة وقبل الغذاء، إلا المتخلخلي الأبدان الكثيري المرار. وإياك أن تدخل الحمام وتخرج منه بحميتك، وإذا أردت الخروج فاخرج إلى المسلخ متدرجاً وأفرغ عليك ثوباً نظيفاً مبخراً واجتنب النساء يوماً وليلة. وتكره المجامعة في الحمام لأنها تورث الاستسقاء وأمراضاً رديئة. ويكره للإنسان شرب الماء البارد عقب الطعام الحار والحلو والتعب والمجامعة والحمام والأكل، فإن ذلك مضر جداً. وأجود الحمامات القديمة الشاهقة العذبة. وأما النورة فهي حارة يابسة، قال الغزالي في الأحياء أن النورة قبل الحمام أمان من الجذام وغسل الرجلين بالماء البارد في الصيف أمان من النقرس، وبولة في الحمام من قيام في الشتاء أنفع من شربة دواء. وقال يكره إلصاق الظهر إلى حائط الحمام، انتهى. ومعناه أن يطلي جسده بالنورة أولاً قبل أن يسكب على جسده الماء، ثم يستحم بعد ذلك. وينبغي أن يستعمل قبل النورة الخطمى ليأمن من حرقها، ثم يغتسل بالماء البارد وينشف البدن منه. وإن أحب استعمال النورة أولاً ليأمن من الجذام كمال قاله الغزالي وغيره، فليأخذ على إصبعه شيئاً من النورة ويشمها ويقل صلى الله على سليمان بن داود ويكتب ذلك على فخذه الأيمن فإنه يعرق قبل النورة، فيمسح العرق ويطلي. ويكون ذلك في البيت الحار ليعرق سريعاً. ويستعمل بعد هذا العصفر وبزر البطيخ ودقيق الأرز ويعجن ذلك بماء الآس والتفاح وماء الورد ويسخن في إناء ويطلى به الجسد مع العسل، فإن ذلك ينقي البدن وينفي عنه ثلاثين داء كالجذام والبرص والبهق والبثر والنفاطات ونحوها. قال القزويني إذا طرح في النورة زرنيخ ورماد الكرم وطلي به الجسد ثم غسل بعدها بدقيق الشعير والباقلاء وبزر البطيخ مراراً، فإن الشعر يضعف حتى لا يكاد أن يعود. وقال الإمام العلامة فخر الدين الرازي رحمة الله تعالى عليه النورة التي قبل الزرنيخ ربما أحدثت كلفاً، ويدفع ضررها بالأرز والعصفر طلاء، وأن تعجين للمحرورين بماء الشعير والأرز والبطيخ والبيض، وللمبرودين بماء المزرنجوش أو النمام، وينبغي أن يخلط مع النورة الصبر والمر والحنظل من كل واحد درهم ليأمن الحكمة والبثر، والله أعلم).

أما القزويني فقد سجل التالي عن المادة نفسها: (نورة: من الأجسام الحجرية المحترقة تقطع نزف الدم إذا جُعلت على الموضع، وتنفع من حرق النار جداً. وإذا طلي بها في الحمام لأجل إزالة الشعر، أبرزت ما تحت الجلد، فينبغي أن يدهن بعدها بدهن بنفسج وماورد. وقد قيل إن استعمال النورة لإزالة الشعر مما علم من الجن وذلك أن سليمان بن داود عم لما تزوج بلقيس ملكة اليمن، وجد ساقها زبّاء، فسأل الجن هل في إزالة ذلك حيلة، فذكروا له استعمال النورة...).

لما رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان، قالت: قد والله عرفت ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وما نصنع بمكاثرته شيئاً، وبعثت إليه أني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك. ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض، ثم أقفلت على الأبواب، فكانت إنما تخدمها النساء، معها ستمائة امرأة تخدمها. ثم قالت لمن خلف على سلطانها: احتفظ بما قبلك، وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد ولا يرينه حتى آتيك. ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن، تحت يدي كل قيل منهم ألوف كثيرة، فجعل سليمان يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يديه، فقال: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ قال: وأسلمت فحسن إسلامها. قال: فزعم أن سليمان قال لها حين أسلمت وفرغ من أمرها: اختاري رجلاً من قومك أزوجكه، قالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان لي. قال: نعم، إنه لا يكون في الإسلام إلاّ ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحلّ الله لك، فقالت: زوجني إن كان لا بد ذا تُبّع ملك همدان، فزوجه إياها، ثم ردها إلى اليمن، وسلط زوجها ذا تُبع على اليمن، ودعا زوبعة أمير جن اليمن فقال: اعمل لذي تُبّع ما استعملك لقومه. قال: فصنع لذي تُبّع الصنائع باليمن، ثم لم يزل بها ملكاً يعمل له فيها ما أراد، حتى مات سليمان بن داود(ص). فلما حال الحول وتبينت الجن موت سليمان أقبل رجل منهم، فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته: يا معشر الجن، إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم قال: فعمدت الشياطين إلى حجرين عظيمين، فكتبوا فيها كتاباً بالمسند: نحن بنينا سَلحين. سبعاً وسبعين خريفاً دائبين، وبنينا صرواح ومرواح وبينون برحاضة أيدين، وهند وهنيدة، وسبعة أمجلة بقاعة، وتلثوم بِريّده، ولولا صارخ بتهامة، لتركنا بالبون إمارة. قال: وسلحين وصرواح ومرواح وبينون وهند وهنيدة وتلثوم حصون كانت باليمن، عملتها الشياطين لذي تُبّع ثم رفعوا أيديهم، ثم انطلقوا، وانقضى ملك ذي تُبّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليه السلام.

كتاب التيجان
في ملوك حمير

ملك عمرو بن أبرهة

وولي الملك أخوه عمرو بن أبرهة(*)، وهو عمرو ذو الأذعار وأمه العيوف بنت الرابع الجنية. وقد أبى من هذا عامة الناس وزعموا أنه لا يظهر الجن للإنس، وأنه لا يتناسل جنسان مختلفان، ولا ينسل أنسي من جنية ولا جني من أنسية وأن هذا باطل. وأتى بهذا الحديث علماء والله أعلم أي ذلك كان.

قال أبو محمد: لما ولي عمرو ذو الأذعار الملك قهر الناس بالملك وذعرهم بالجور فلا يرفق لقريب ولا بعيد، وأسرف على العرب بالسلطان وشرد الناس ووسم من سخط عليه بالنار من أبناء الملوك، وبدل على الناس السيرة التي كانوا عليها يعرفون. فذعر الناس من خوفه ذعراً شديداً وبه سمي عمرو ذو الأذعار، وأنه كان يزني ببنات الملوك من حمير، فيؤتى بهن أبكاراً وغير أبكار، فكن يشربن معه الخمر وكان ينادمهن على الخمر ويصيب منهن حاجته، فلما فعل ذلك بحمير كرهوا أيامه وأبغضوا دولته. وكان شرحبيل بن عمرو بن غالب ابن السياب بن عمرو بن زيد بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ نازلاً بمأرب في قصر بينون، ولم يكن بُني مثله ومثل قصر غمدان وسلحين باليمن، فجمع شرحبيل حمير وقبائل بني قحطان ممن كان بمأرب، ثم قام فيهم خطيباً، فقال: يا بني قحطان، النساء هن الحمى، فدون الحمى سفك الدماء. هل جزعتم يسمكم بالنار فالنار ولا العار. والصبر صبركم وصبر كفر(**). فقد صبرتم على ما لا يصبر عليه

(*) المقصود هنا «العبد بن أبرهة بن الصعب» ـ الذي (غزا الملوك ودانت له العرب والعجم وخضعت له الملوك فأقام في الملك ستين عاماً، ثم سقط شقه من الفالج، فلم يغز بنفسه وكان يرسل الجيوش فدخل عليه الوهن في ملكه، ثم عدا عليه فمات وكان ملكه ستين عاماً).

(**) هنا يشرح المحقق أن المقصود «صبر حلم وصبر ذلك».

أحد. اغضبوا الله ولأعراضكم قبل أن تخذلوا ويسلط عليكم النقم وتسلبوا النعم وتلبسوا الذلة، فَلِمَ كسبتم الأنساب واعتدتم اللامات فتنافست فيكم الأحساب إذ لا تدفعون عن الحريم وتكشفون الضيم. قد شكت الأرحام وضجت إلى الله من الآثام، فإما عزة وسلامة أو ذلة وندامة، وناصر الله منصور. أما والله لئن لم تغضبوا لله ولأنفسكم لأضعن سيفي هذا على صدري فأخرجه من ظهري، فالموت عن مثلكم حياة والذهاب عنكم نجاة. فقدموه فيهم وملكوه.

ملك شرحبيل

فولي الملك بمأرب شرحبيل بن عمرو بن غالب، فرجع الملك في نجلته الأولى نجلة يعفر بن سكسك، فجمع القبائل من قحطان وأجابته حمير للذي أراد الله من انقطاع دولة ذي الأذعار، وبلغ خبر شرحبيل بن عمرو إلى عمرو بن الأذعار فجمع جنوده وزحف إليه وزحف إليه شرحبيل بن عمرو فالتقوا بالعالية فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ثم افترقا ومات بينهما خلق كثير، ثم رجع عمرو ذو الأذعار إلى غمدان ورجع شرحبيل إلى بينون فأقام شرحبيل في الملك سنة ثم مات.

ملك الهدهاد ابنه

وولي ابنه الهدهاد بين شرحبيل بن عمرو، وهو الهدهاد أبو بلقيس الملكة باليمن، وكان الهدهاد بن شرحبيل رجلاً شجاعاً حازماً.

قال أبو محمد(*): حدثنا أبن لهيعة عن مكحول عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إنه لما ولي الهدهاد بن شرحبيل زحف إليه عمرو ذو الأذعار، وبرز إليه الهدهاد والتقوا بموضع معروف باليمن، فتحاربوا أياماً فلما وصل العسكران وبرز بعضها إلى بعض، خرج الهدهاد على ناقة في زي أعرابي حتى وصل إلى عساكر عمرو ذي الأذعار، فطاف به وتدبر عساكره، ثم سمع لغطهم وما يتوعدون به عمرو ذا الأذعار من الخذلان واسترق ما يريدون له، فزاده ذلك عزماً على لقاء عمرو. فانصرف الهدهاد يريد عساكره، فسار حتى بلغ إلى شرفة عالية في يوم قائظ، أجرهد فيه الصخور والتهبت الهواجر وقال الضب: فنظر إلى شجاع أسود عظيم هارب وفي طلبه شجاع رقيق أبيض فأدركه فاقتتلا حتى لغبا، ثم افترقا، ثم أقبل الشجاع الأبيض إلى الهدهاد فتشبث مع ذراع ناقته حتى بلغ رأسه إلى كتفها ففتح فمه كالمستغيث، فرد يده الهدهاد إلى سقائه. فصب الماء فيه حتى روي، ثم عطف في طلب الأسود فأدركه فاقتتلا طويلاً فلغبا فافترقا، وأقبل الشجاع الأبيض إلى الهدهاد كما فعل أولاً كالمستغيث فصب الهدهاد الماء في فيه حتى روي، ثم أقبل على الأسود وأخذه، فلم يزل الأبيض حتى قتل الأسود، ثم مضى على وجهه

(*) أي ابن هشام الحميري صاحب كتاب «السيرة».

حتى غاب عنه، ومضى الهدهاد إلى شعب عظيم فاختفى فيه، فبينما هو مستتر بشجر أراك إذ سمع كلاماً فراعه فسل سيفه فأقبل إليه نفر جان حسان الوجوه عليهم زي حسن فدنوا منه فقالوا: عم صباحاً يا هدهاد، لا بأس عليك. وجلسوا وجلس، فقالوا له: أتدري من نحن؟ قال: لا. قالوا: نحن من الجن ولك عندنا يد عظيمة. قال: وما هي؟ قالوا له: هذا الفتى أخونا من أبناء ملوكنا هرب له غلام أسود فطلبه فأدركه بين يديك فكان ما رأيت وفعلت. فنظر الهدهاد إلى شاب أبيض أكحل في وجهه أثر خداش. قال له: أنت هو! قال: نعم، قالوا له: ما جزاؤك عندنا يا هدهاد إلاّ أخته نزوجها منك وهي رواحة بنت سكن(*). فزوجوه إياها وقالوا له: لها عليك شرط لا تسألها عن شيء تفعله مما تستنكر منها، فإن سألتها فهو فراقها. قال: نعم، قالوا له ارجع إلى قصر بينون فإنها تأتيك ليلة كذا. ارجع فلا تقم لأن عمرو ذا الأذعار رجع إلى غمدان بعد انصرافك عنه، فرجع الهدهاد وفرق عساكره، ولحقه الخبر أن عمرو رجع فجلس في الليلة التي أمروه أن يجلس فيها مرتقباً حتى أحس ثقلاً في القصر وهرب جميع من معه في القصر من ثقل الذي أحسوه، ووحشة داخلت قلوبهم حتى أتوا بها إليه فأدخلوها عليه وأولدها ولداً ذكراً، فلما شبّ وصار ابن سنة، فبينما هو يناعيه إذ أقبلت كلبة من باب المجلس فأخذت برجل الطفل وجرته حتى ذهبت به عنه فغاب فنظر إلى رواحة فسكتت وسكت، ثم ولدت أنثى، فلما صارت بتلك السن أتت الكلبة فجرت برجلها وهو ينظر فسكت وغابت عنه، ثم ولدت ذكراً، فلما بلغ سن أخيه وأخته أتت الكلبة وفعلت ما فعلت أولاً. قال لها: يا رواحة، قالت له: كيف؟ قال لها: أكف ما نال هؤلاء الأطفال؟ قالت له: فارقتك يا هدهاد، اعلم أنه لم يجر منهم أحد بل هم محمولون وتلك درة تحملهم وتربيهم حتى يبلغوا خمس سنين فيأتونك أنقياء. فأما ابنك الأول فقد مات أحسن الله عزاءك فيه وأما الآخر فإنه يأتيك وليس يعيش بعد أبي وهو يموت، وأما ابنتك فإنها تأتيك وتعيش لك. ثم ذهبت عنه فلم يرها بعدها ووجد في الفراش ابنه وبنته بلقيس، فمات الصبي وعاشت بلقيس، وقد ردّ هذا الحديث عامة من العلماء ويقبله عامة من العلماء، والله أعلم أيا ذلك كان.

فأقام الهدهاد في الملك عشرين سنة، فلما حضرته الوفاة أحضر جميع وجوه حمير وأبناء ملوكهم وأهل المشورة من بني قحطان فقال: يا بني قحطان، أما أنكم تعلمون فضل رأي بلقيس عليّ فإنها لا تخطىء ما تشير به عليكم، كيف تجدون بركة رأيها؟ قالوا: نعم قال: وإنها أعقل النساء والرجال، فقالوا: نعم، قال: فإني أستخلفها عليكم، فقال له رجل منهم: أيها الملك تدع أفاضل قومك وأهل ملتك وتستخلف علينا امرأة وإن كانت بالمكان الذي هي منك ومنا؟ قال: يا معشر حمير إني رأيت الرجال وعجمت أهل الفضل وسبرتهم وشهدت من أدركت من ملوكها، فلا والذي أحلف به ما رأيت مثل بلقيس رأياً وعلماً وحلماً مع أن أمها من الجن، وإني أرجو أن

(*) وقيل ريحانة بنت السكن.

تظهر لكم عامة أمور الجن مما تنتفعون به وعقبكم ما كانت الدنيا، فاقبلوا رأيي فإنها مع اختياري فيها مؤدبة لغيرها من أهل بيتها وإني كنت سميت الملك لمالك بن عمرو بن يعفر بن حمير بن عمي وهو غلام له حزب وعقل، فإذا بلغ فله الملك إما في حياتها وإما بعد موتها. قالوا: سمعنا وأطعنا أيها الملك انظر لنا. فمات الهدهاد بن شرحبيل وولي الملك بلقيس.

ملك بلقيس

فلما وليت بلقيس الملك ازدرى قومها بمكانها لما كانت امرأة وأنفوا من أن يلي أمرهم امرأة، وبلغ ذلك عمرو ذا الأذعار، فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس، فلم تكن لها طاقة فهربت مكتتمة بأخيها عمرو بن الهدهاد وهما في زي أعرابيين حتى أتت جعفر بن قرط الأسدي وهو جعفر بن قرط بن الهميسع بن مالك بن عمرو بن أسد بن هزان بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ. وكان جعفر بن قرط عمّر ثلاثمائة عام، وكان أنجد فارس في زمانه، وكان في ثورة من قومه أسد بن هزان، وكان قومه هزان لهم أرض جو وهي اليمامة، وكان هزان أطول الناس أجساماً وأعناقاً وكانوا يعرفون في العرب حيث ساروا، وفيهم قال الشاعر:

لقد كان في فتيان قومك منكح وفتيان هزان الطوال الغرانق

والغرانق: الطوال الأعناق، ومنه قيل للغرنوق غرنوق لطول عنقه. فسارت بلقيس حتى نزلت على جعفر بن قرط وهو في حصنه علعال على نهر الحفيف من أرض الأحقاف؛ ونهر الحفيف هو الذي أظهر النبي هود صلى الله عليه وسلم لعاد بن لاوذ بن ارم الآية الباهرة حين هلكت عاد بالريح العقيم، فآخر من بقي من هزان باليمامة كان بقي من طسم وجديس ورائش بن لاوذ بن أرم، وهلك طسم وجديس وبقي سعدانة بن هزان بعدهم وبعد قومه هزان باليمامة وكان أطول الناس جسماً وعمراً فأقعد من الكبر، وهو الذي هجم عليه عبيد ابن عبد العزى الربعي إلى اليمامة فأصابه جالساً وهو يأكل تمراً من نخلة سحوق وهو يقول:

تقاصري آكل جناك قاعداً إني أرى حملك ينمي صاعداً

فهنجم عليه عبيد بالقناة ليطعنه، فقال له سعدانة: لا تفعل يا عبيد. قال له عبيد: ومن أنبأك بي؟ قال له: السلف يقولون بالعلم الأول آخر من يبقى من هزان بن يعفر باليمامة أرض جور رجل يسمى سعدانة، وأول من يهجم عليه يجاوره فيها رجل من بني ربيعة بن نزار يسمى عبيداً، ولكن يا عبيد أجاورك. قال له عبيد: لك سؤالك يا سعدانة، وأنشأ يقول:

إن الليالي أسرعت في نقضي أكلن بعضي وتركن بعضي

حنين طولي وطوين عرضي أقعدنني من بعد طول نهضي

تركنني ملكاً لأهل الأرض أليس ذا يا زمني من قرضي

هواك تركي وهواي يمضي

فأجاره عبيد حتى مات، وتمثل هذه الأبيات هزان بن سعدانة العمري بعد هذا الزمان.

قال أبو محمد: وإن بلقيس أتت جعفر بن قرط الأسدي ثم الهزاني، فقالت له: أنا بلقيس بنت الهدهاد وهذا أخي عمرو أتيتك به هاربة مطيعة فأجرني وأخي، قال: هلم يا بنية أمنعك مما أمنع منه نفسي وبناتي، فادخلي إلى بنات عمك آمنة. فأجارها جعفر بن قرط وأخاها عمراً وعمرو ذو الأذعار يطلبها وأخاها فلا يجد لهما حساً. وكان جعل على نفسه جعفر بن قرط في كل عام عمرة يحج إلى مكة فيحرم بمكة شهر رجب ثم يرجع إلى حصنه علعال(*)، وجعل على نفسه بعد رجوعه عن العمرة يجاور قبر هود النبي صلى الله عليه وسلم المحرم كله حتى ينسلخ، فكان يفعل ذلك كل عام ثم يرجع إلى حصنه علعال. فكان بين حصنه علعال وبين قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم مسيرة يوم وهي مسافة، وقد أخلى جعفر بن قرط تلك المسافة من الناس فلا ينزلها أحد؛ كانت له حمى وكان جعفر بن قرط رحل إلى قبر هود بالعيال والولد وكان غيوراً أنفاً لا يصحبه في ظعنه ولد أدرك الحلم ولا ابن عم. فرحل بأهله وولده الأصاغر، وسارت معه بلقيس وأخوها عمرو طفل لا يعلم بهما أحد من الناس. فسار يريد قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم، فأخذ على شاطىء نهر الحفيف بين النخل يأكل تمرها ويعلفه الخف والحافر، وإنه إذا نزل بالأحقاف بجوار قبر النبي هود اتبعته السباع فيقاتلهم ويقتل من لقيه منهم، ثم يخرج إليه تنين عظيم فيقاتله حتى يولي من بين يديه ويقول لأهله: لا تجزعوا فإنه لص شيطان، وإنه كان رجل بمأرب تحت السد يقال له عمرو بن عباد بن مهرس بن عفار بن أود الله بن سعد العشيرة...

ملك بلقيس بنت الهدهاد ملكة حمير

فوليت بلقيس ملك حمير، وهي التي ذكرها الله تعالى في كتابه. ويزعم بعض الرواة أن تبع عمراً ذا الأذعار لم يمت من سقط شقه من الفالج ولذلك قتلته بلقيس، وكان ملكه مائة سنة وخمساً وعشرين سنة، فرثاه المضرب بن وائل بن يعفر بن عمرو الحميري فقال شعراً... وقال عمرو بن الهدهاد بن شرحبيل يهجو عمراً ذا الأذعار: وهو أول هجو كان في العرب...

قال أبو محمد: لما وليت بلقيس الملك قالت حمير رجع الملك إلى نجلته(**) الأولى وذلك أنها من نجلة يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ ـ وهي بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب ابن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ ـ وعمرو ذو الأذعار من نجلة الملطاط ابن سكسك، فكان الملك لأخيه يعفر بن سكسك وفي بيته من قبل الملطاط وبيته، وذلك أنه عمرو ذو الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الصعب ذي القرنين بن الحارث ذي مراثد بن الهمال ذي مناح بن عاد ذي شدد بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن

(*) أو (علقال).

(**) في نسخة أخرى «نخلته».

حمير. فلما وليت بلقيس الملك، جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكة فاعتمرت، وتوجهت إلى أرض بابل فغلبت على من كان بها من الناس، وبلغت أرض نهاوند وأذربيجان، ثم قفلت إلى اليمن. وكان حرسها الرجال الذين يوازرونها وبطانتها من النساء، وكان لا أرب لها في الرجال، وأنها لما غلب عليها رسول الله سليمان بن داود صلى الله عليهما، تحير أمره فيها حتى آتاه الوحي ببراءتها من ريب الجاهلية فتزوجها وهي جارية عذراء، وكان معها ثلاثمائة وستون امرأة من بنات أشراف حمير. وكانت تحبس الجارية حتى تبلغ، ثم تحدثها حديث الرجال فإذا رأتها قد تغير لونها ونكست رأسها عرفت أنها أرادت الرجال فسرحتها إلى أهلها ووصلتها وزوجتها وأحسنت إليها ولا تزوجها إلاّ من أشراف قومها. وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظمة لها أطالت النظر غير متغيرة اللون ولا مستحية من الحديث علمت أنها لا تريد فراقها، وأن الرجال ليسوا من بالها. فكانت بلقيس صائنة لنفسها غير واقعة في المساوىء ولا غافلة عن المكارم، فكان ملكها قبل سليمان بسبع سنين. فلما أراد الله إكرامها بسليمان، خرج مخرجاً لا يريد إليها، وذلك أنه لما بلغ ملك حمير مبلغاً لم يبلغه أحد من الدنيا عظمت نفوسهم وتكبروا وتجبروا (ولله الكبرياء والجبروت)، فأراد الله أن يريهم قدرته فأرسل الله سليمان بن داود بن إيشا بن حصرون بن عمون بن ناهب بن لاوي بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم، وأعطاه الله ملكاً لم يعطه لأحد من قبله ولا ينبغي لأحد من بعده، فأتى إلى حمير بالآيات التي لا يستطيع مخلوق أن يأتي بها، تقله الريح كما قال الله عز وجل (غدوها شهر ورواحها شهر)، وتظلله الطير، وعلمه منطق الطير ومنطق كل شيء، فما من شيء يسبح بحمده إلاّ فهم تسبيحه وتسير معه الجبال إذا أقلته الرياح تسبح بتسبيحه. وسخرت له الأنس والجن والشياطين كما قال الله جلّ ثناؤه (كل بناء وغواص) لما أراد الله أن يهدي بلقيس وحمير، فبعث الله نبيه بالآية الباهرة التي بهرت عقولهم، فخرج سليمان مخرجاً لا يريد إليها فقضى أن يمر على بلدها وهو يريد غيرها. وكان إذا ركب غدا من تدمر وكانت منزله، فيقيل باصطخر من أرض فارس، ثم يروح فيبيت بكابل فغودها ورواحها مثل هذا المسير إلى كل وجه أخذ إليه ـ وقول الله أصدق القائلين ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾. وأمر سليمان الريح فأقلت عرشه وأمرها أن تنقل كراسي جلسائه، ثم جلس على عرشه وأجلس الإنس عن يمينه وشماله وأجلس الجن من ورائهم على مثل ذلك منهم قاعد وقائم. ثم قال للريح أقلينا وقال للطير أظلينا فأقلته الريح وأعلته الطير ومن معه من الإنس والجن من الشمس والخيل واقفة، والطباخون في التوابيت جلوس على أعمالهم. وأمر سليمان بالمسير لا تزيل أحداً منهم عن مجلسه ولا تفسد عملاً في يده حتى يأذن لها في وضعهم على الأرض ففعلت، وأن سليمان سار في المشرق متوجهاً من تدمر ثم توجه من المغرب، فمر بموضع المدينة فأمر الريح فوقفته ثم أمر أصحابه بالهدو وقال: إنها مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان من العرب اسمه أحمد وهو خاتم النبيين أكرم مخلوق عند الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم صار إلى مكة فقال هذا بيت الله الذي بناه إبراهيم أبي، وهو أول بيت وضع في

الأرض، أمر الله به آدم يبنيه فبناه، فنزل سليمان فصلى فيه، ثم صار إلى مدينة مكة ومرّ بقبر إسماعيل صلى الله عليه وسلم فنزل إليه وألمّ به. وكان ملك مكة يومئذٍ البشر ابن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عبد المسيح بن نفيلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم ـ وكان البشر عاملاً لبلقيس على من كان بمكة وبالحجاز، وكان نبت بن قيذار ابن إسماعيل النبي بمكة يومئذٍ وبنو عمه، فأتى البشر إلى سليمان مستجيراً مستسلماً، فأمر سليمان أن يبرأ من أمر مكة إلى نبت بن قيذار بن إسماعيل وأقر البشر وجرهم على القيام بالبيت ـ كما فعل إسماعيل ـ ثم سار سليمان بن داود نحو أرض اليمن حتى نزل بنجران على القلمس بن عمرو ـ وهو أفعى نجران ـ وكان من بني عبد شمس بن وائل بن حمير بن سبأ وهو عامل بلقيس على نجران والمشلل إلى البحرين وما والاهما من البلد. وكان القلمس أفعى نجران أحكم العرب في وقته وكان حكيماً بما يظهر للناس في وقته وبما بطن عنهم. فلما رأى طوالع عسكر سليمان طلعت، فتواضع وذلّ وقال تواضع وذلّ تحت عز وسلطنة أن هذا شأن سماوي. وأن القلمس أفعى نجران جمع أهل نجران وهي دار العلم، وقال يا أهل نجران أنتم أهل العلم الأول، هل عندكم من هذا العلم؟ قالوا له ما لم يكن عندك يا سيدنا وأنت جهبذ العالم فيكون عندنا، قال لهم إني ألبس لهم مسحاً وعباءة وأسير إليهم بثلاث: بكهانة وطب وحكمة، فإن كان فيهم نبي لم يحتاجوا إلى طبي وحكمتي لأن فيهم طباً أبلغ من طبي ولا يسمعون من حكمتي لأن فيهم من حكمة الوحي أحيا من حكمتي ولا يلتفتون إلى كهانتي، لأن فيهم من علم الوحي أصدق من كهانتي؛ فلبس القلمس المسح ـ وكان أول من لبس المسح يعقوب النبي تواضعاً لله ـ وحرم الشحوم على نفسه ـ ويعقوب هو إسرائيل، وتفسير إسرائيل ولي الله باللسان السرياني، ومعنى أسرا ولي وايل الله، وجبرائيل رسول الله جبرا رسول وايل الله وعزرائيل عبداً لله عزرا عبد وايل الله، وميكائيل صفي الله ميكا صفي وايل الله. فسار الملك القلمس بن عمرو الحميري حتى دخل عساكر سليمان، فتعرضهم بالكهانة فلم يسألوه وعرض الحكمة فلم يلتفتوا إليه، وعرض الطب فلم يسمعوا منه، فتركهم ومضى إلى سليمان. فرأى الريح تقله والطير تظله، فرأى ملكاً عجيباً. فدنا من سليمان، فقال سليمان يا آصف ـ وكان آصف كاتب سليمان ـ سبحان قاصف الجبابرة ذاك عميد نجران المبتكر ادعه، فقال له آصف هلم الرجل. فلما وقف بين يدي سليمان سبح سليمان، فسبحت الجبال، فقال أفعى نجران: بطلت حكمتي، ثم نظر إلى البقل بين يدي سليمان فكل بقلة تقول له يا نبي الله اسمي كذا ذا لكذا، فقال أفعى نجران بطل طبي، ثم قال لسليمان إن هذا عميد نجران له من الأمر أمران بين ضلال وبيان، فآمن أفعى نجران وصدق بما أتى به سليمان. ورجع أفعى نجران إلى قومه فقالوا ما رأيت؟ قال يا قوم (الرائد لا يكذب أهله) فأرسلها مثلاً، ولم يظهر لهم أنه أجاب سليمان إلى ما دعا إليه أتقاهم عن إيمانه. ثم بعث إلى بلقيس بخبر سليمان وكتمها إيمانه وكتب إليها، فقال لها إني رأيت قوماً لبسوا الذل تحت العز والفاقة تحت الغنى والصبر تحت القدرة ينصرون بلا حرب

ويقدرون بلا استطالة، فكتبت إليه بلقيس: تفعل الملوك ذلك. يستميلون أهواء العالم حتى يقدروا، فإن قدروا عزوا فبزوا، ولكن لا تحاربهم ودعهم فليس كل الناس صائناً لنفسه، فإن سرقوا فليسوا بأهل دين. فخلى أفعى نجران بينهم وبين الزرع فلم يأكلوا منه سنبلة، فأرسل إلى بلقيس فأعلمها فكتبت إليه أن ادفع إليهم الخف والظلف ففعل، فلم يأخذوا منه شيئاً، ورجعت إليه كما سارت، فأعلم بذلك بلقيس. فأرسلت إليه ادفع إليهم الخيل ذكوراً إناثاً، ففعل فلم يأخذوا شيئاً ورجعوا على حالهم. فبعثت إليه أن ابعث إليهم بجارية حسناء وأعطها شيئاً تطوف به على عساكرهم حتى تغمر بها، فأرسل أفعى نجران ابنته، ولم يكن في وقتها أجمل منها، فطافت في جميع عساكر سليمان، فكانوا يساومونها ولا يرفع إليها رأسه أحد حتى انتهت إلى سليمان، فنظر إلى ما في يدها ولم ينظر إليها، فرجعت وأعلمت بذلك أباها. فكتب بها إلى بلقيس، فكتبت إليه كف ومل إلى سلمه ولا تعرض أجنادنا إلى أمر الله فإن الله لا يغالب. ثم رفع سليمان حتى كان من مأرب مدينة سبأ على مسيرة ثلاثة أيام(*)، أراد النبي سليمان النزول - وكان لا ينزل إلاّ على الماء - وكان الهدهد الذي يدله على الماء، فتفقد الهدهد لأنه دخلت عليه الشمس من موضعه وكان مثل البطة. وقال الله تبارك وتعالى ﴿وتفقد الطير فقال: ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾.

قال أبو محمد عن أسد عن أبي إدريس عن وهب عن ابن عباس، أنه قال لأعذبنه عذاباً شديداً، أي لأنتف جناحيه حتى لا يطير مع الطير. وقوله بسلطان مبين: العذر البين والسلطان: الحجة. وكان الهدهد تقدم من ذلك الموضع فلقي هدهداً من أرض مأرب، فقال ذلك لهدهد سليمان: أخبرني ما هذا الذي أرى، ما رأيت ملكاً أعجب من هذا الراكب الريح ومعه من الجنود ما أرى لم أره ولم أسمع به؟ قال له هدهد سليمان هذا سليمان بن داود نبي الله، قال فمن أنت؟ قال أنا من أرض سبأ، قال له هدهد سليمان فمن ملكهم؟ قال: ملكتنا امرأة لم ير الناس مثلها في حسنها وفضلها ورأيها وحسن تدبيرها وكثرة جنودها والخير الذي أعطيته في بلدها وأمها من الجن، مع هذا هي من ولد حمير، فقال انطلق بنا إليها. فانطلقا حتى نظر إليها ورجع إلى سليمان - قال الله تبارك ﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين أني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾. قال «سليمان»: ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تولّ عنهم فانظر ما يرجعون﴾. فكتب سليمان كتاباً ودفعه إلى الهدهد، فأخذه الهدهد بمنقاره وانطلق حتى انتهى إليها فكان بحيال رأسها حتى حاذى تاجها وهي على عرشها، وألقى الكتاب فوقع في حجرها فنظرت إليه ونظر الناس إلى طائر رمى الكتاب فقالوا: رمى إليك كتاب من السماء فخاضوا في

(*) من المهم هنا ملاحظة أن هذه الرواية تربط سليمان بمأرب وليس بفلسطين.

ذلك. ثم إنها بعثت إلى مقاول حمير، وكانت أول من استشار المقاول من حمير، فقالت لهم ما ذكر الله في القرآن ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليَّ وآتوني مسلمين. قالوا: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾، قالت ـ لهم تمتحنهم ـ ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون، وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾.

قال أبو محمد: بعثت إليهم بهدية اختارت أربعين رجلاً لم تدع في أبناء الملوك أجمل منهم ولا أعقل ولا أشد ثقة ولا أبعد غاية ولا أعلى صوتاً فعنفهم صوتهم[!] قبل أن يصلوا إلى سليمان، وأرسلت إليهم بهدية تمتحنه بمائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد كما ولدوا في ليلة واحدة، وأرسلت إليهم بحق مملوء ذهباً وفضة ودراً وياقوتاً وزبرجداً وزمرداً وختمت على الحق. ولبست الوصائف والوصفاء زياً واحداً ليظن من رآهم أنهم كلهم غلمان، وأرسلت إليه بخيل عتاق ذكور وإناث وقالت لرسلها: مروه يخبركم يفرق بين الذكور والإناث من هذه الخيل بعضها من بعض من غير أن يخبره أحد، ومروه أن يخبركم بما في هذا الحق من غير أن يفكه. قال: فتوجه رسلها حتى بلغوا إلى موضع لا يدركهم أحد. قال بعضهم: إن سئلتم عن شيء فعليكم بالحق الذي لا اختلاف فيه، وإياكم أن يجب كل واحد عن نفسه فيقع الاختلاف فيرتاب بكم. فمضوا وجمعت بلقيس أشراف حمير فقالت: خذوا في أهبة الحرب، فجمعت الجيوش واستعدت للحرب وقالت لقومها: إن هو قبل الهدية ولم يرد الحرب ودعا إلى الله فهو نبي فاتبعوه، وإن هو لم يقبل الهدية ولم يعلمنا بما سألناه فهو ملك من ملوك الدنيا حاربناه فما لأحد بنا طاقة، وإن كان نبياً فما لنا بالله طاقة. فلما أتت الهدية إلى سليمان نسب لهم الخيل بعضها عن بعض وميز الغلمان من الجواري في لباسهم وأخبرهم بما في الحق من عدد الياقوت والجوهر والزبرجد والزمرد ووزن العقيان واللجين. فأجابه الرسل وصدقوه إلى ما دعاهم إليه من طاعة الله. ثم دعا عفريتاً من الجن يأتي بعرشها، وكان عرشاً ذهباً صامتاً مرصعاً بالدر والياقوت عشرين في عشرين ذراعاً، وتاجها كالعنقل معلق إلى رهو المجلس بالسلاسل. فقال العفريت ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وأني عليه لقوي أمين﴾. قال آصف بن برخيا، كاتب سليمان وقد كتب الوحي الذي أمر الله به سليمان، ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾. فأمر سليمان الريح فأقلت آصف أسرع من طرفة عين، فأتى إلى العرش وهو في قصر غمدان ودونه عشرة حجب بالمجالس في كل مجلس حرس، فأمر آصف الريح فأقلته وأمسك آصف صدر العرش، فأتى به سليمان وكان سليمان لا يحتجب عن آصف عند نسائه ـ فآتاه بالعرش. وأمر سليمان الجن والإنس فبنوا له مجالس لم يبن مثلها، فجعل العرش في أقصى المجلس. ولما رأى سليمان العرش من ذهب ولؤلؤ وجوهر قال: ﴿نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون﴾.

قال ابن عباس: زيد فيه جوهر وياقوت ونقص منه. وقال ابن عباس: للقرآن ظاهر وباطن،

فعندي لظاهره تبيان ولباطنه علم يهتدي به إليه من اعتصم بالله، وإن وفد بلقيس الذين أوفدت إلى سليمان آتوها فأعلموها بما رأوا بإيمانهم. فأمرت بالجهاز وسارت في مائة رجل وعشرين رجلاً من أشراف قومها ورؤسائها وأخيارها، مع كل رجل من وجوه جنده وأفاضل أصحابه وقادة خيله مائة رجل، ثم جمعت أبناء الملوك ثم قالت: معاشر حمير، أنتم تلاد الله اصطفاكم من أول الدهور وفضلكم بأفضل الأمور، وقد ابتلاكم بهذا النبي سليمان بن داود، فإن آمنتم وشكرتم زادكم نعمة وإن كفرتم سلبكم النعم وسلط عليكم النقم. فقالوا لها: الأمر إليك، وعلموا أنها شفيقة عليهم ناصحة لهم. فخرجت إلى سليمان في مائة ألف واثني عشر ألفاً وتركت جميع أجنادها بغمدان ومأرب فتركها ثلاثة أيام. فقال لها قومها ما في أمر هذا الرجل، أتريدين الدخول في طاعته أم تحاربينه أم تقولين إنه نبي؟ قالت لهم: سأعلمكم منه ما تعرفون أنبي هو أم ملك من هؤلاء الملوك، انظروا إليّ إذا أنا دخلت عليه فإن هو أمرني بالجلوس فهو ملك من هذه الملوك لأن الملوك لا يجلس عندهم إلاّ بإذنهم وما أقل من يجلس عندهم إلاّ خاصتهم، وإن هو لم يأمرني ولم ينهني فهو نبي، ومع أني أسأله عن أشياء إن هو أخبرني عنها فهو نبي وأنا داخلة في أمره ولا طاقة لكم بمحاربته. قال فأمر سليمان الجن فجعلوا له عن يمينه وشماله حائطين مموهين بالذهب وبنوا من وراء ذلك داراً ومجلساً وجعلوا أرض الدار لبناً مموهاً بالذهب غير موضع لبنة واحدة، ثم أذن لها بالدخول، فلما رأت الحائطين ودخلت الدار ورأت أرضها وحيطانها من ذهب، تقاصر إليها ملكها ورأت شيئاً لا يشبه ما كانت فيه وسليمان في مجلسه في أقصى الدار ومعها لبنة من ذهب في يدها تريد إن أمرت بالجلوس أن تجلس عليها. فنظرت فإذا هي على باب مجلس سليمان من خارج بموضع لبنة من فرش الدار ليس فيها لبنة، فكرهت حين رأت ذلك أن تمضي بما في يدها فتتهم بها فرمت باللبنة في الموضع الخالي وسليمان ينظر. فلما دخلت عليه وسلمت وحيته تحية الملوك وتواضعت له كما يتواضع للملوك، تمتحنه بذلك، قال لها سليمان: أهكذا عرشك؟ قالت له: كأنه هو، ثم قامت بين يديه، فلا يأمرها ولا ينهاها عن القيام حتى إذا طال ذلك منها قال سليمان ورفع رأسه إليها: الأرض لله فمن شاء فليجلس ومن شاء فليقم. قالت: الآن علمت أنك نبي، قال: ومن أين؟ قالت: إنه لا يجلس عند الملوك إلاّ بإذنهم وأما القيام فعندهم يقام وما أقل من يقعد عندهم إلاّ من كان من خاصتهم، لكنك قلت مقامة أهل العلم بالله وقد أتيتك وأنا أريد أن أسألك عن ثلاث خصال، فإن أنت أخبرتني بهن دخلت في طاعتك وإن لم تفعل فعلت رأيي فيما بيني وبينك. قال سليمان: فسلي ولا قوة إلاّ بالله. قالت: أخبرني عن ماء روي ليس من أرض ولا سماء، وأخبرني عن تشبيه الولد أباه وأمه ومن أين يأتيه ذلك، وأخبرني عن لون الرب تبارك وتعالى - وسألته عن ذلك وهي جالسة مما يليه على كرسي - والإنس والجن عن يمينه وشماله. فقال سليمان للإنس: هل عندكم في هذا شيء؟ قالوا: يا نبي الله، لا علم لنا. قال للجن: هل عندكم في هذا شيء؟ قالوا: لا علم لنا يا نبي الله، ثم قال سليمان للجن: اركبوا هذه الخيل فاجروها فإن تصبب عرقها فخذوه وجيئوني به. ففعلوا

وآتوه بماء كثير من عرق الخيل فقال لها: هناك يا يلقيس ماء روي ليس من أرض ولا سماء، قالت: أجبت عن هذه فماذا تقول في الخصلتين؟ قال لها: أما شبه الولد، فإن النطفة إذا سبقت من الرجل كان الشبه له، وإن سبقت من المرأة كان الشبه لها. قالت: صدقت، قالت: فالخصلة الثالثة؟ قال لها: تبارك وتعالى عن سؤالك وأنا راغب إلى ربي، فرغب سليمان إلى ربه في مجلسن فأوحى الله إليه ـ إني قد أنسيتها ذلك فاسألها عنه ـ فسألها فقالت: ما أدري ما سألتك عنه يا نبي الله. فعرض عليها سليمان الإسلام. فقالت: أنظر في أمري هذا يومي هذا، فقالت الجن: كنا نصيب في سليمان رحمة النبوة، فيسأل عما نريد، فإذا هو تزوج بلقيس أتتنا فطنة الجن وحيل الإنس وكيد النساء فلم نصب راحة، فكيف إذا اجتمعت مع أعوانها من الجن والإنس أهل القسوة والتطاول على من دونهم لم نأمن على أنفسنا الهلكة يحجب عنا كل خير وينزل بنا كل سوء وشر. تعالوا فلنزهده فيها فإنه قد ذكر أنه يريد يتزوجها. فقال لهم عفريت من الجن يقال له زوبعة: أنا أكفيكم سليمان. فأتاه فقال له: يا نبي الله بلغني أنك تريد تزويج بلقيس وأمها من الجن ولم تلد جنية من أنثى قط ولداً إلاّ كان رجلاه مثل حافر الحمار وساقاه أجمان(*) صلب القسوة حاد النفس حار الجسم، قال سليمان: فكيف لي أن أنظر إلى ذلك منها وأعلم من غير أن تعلم ما أريد به منها؟ قال له زوبعة: أنا أكفيك ذلك. فصنع زوبعة لسليمان مجلساً من قوارير وجعل أرض المجلس لجة وسرح فيها السمك، ثم جعل فوق ذلك صرحاً ممرداً من قوارير، ثم قال له: أرسل إليها فلتدخل عليك فإنك ترى الذي تريد. فبعث إليها وهو على كرسيه ليس في البيت مجلس غيره، فلما رأت الماء والسمك تجول فيه ضربت ببصرها لتنظر مكاناً تجلس فيه فلم تجد، وحسبته لجة، فكشفت عن ساقيها لتخوض الماء، فلما رآها سليمان ونظر إلى ساقيها عليهما شعر كثير أسود على بياض ساقيها، قال لها سليمان: لا تكشفي عن ساقيك إنه صرح ممرد من قوارير. فنظرت فإذا ملكها ليس هو شيئاً عند ملك سليمان، وأيقنت أنها آية من عند الله ليس من تملك المخلوقين فقالت: يا نبي الله ظهر الحق وذهب الباطل، ثم قالت: ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾. فلما نظر سليمان إلى شعر ساقيها ورأى جسمها أحسن جسم، صرف وجهه عن ساقيها للشعر الذي رأى، فعلمت بلقيس أنه صرف بصره ووجه للشعر الذي رأى فقالت: يا نبي الله إن الرمانة لا يدرى ما هي حتى تذاق. قال سليمان: ما لا يحلو على العين لا يحلو على الفم. ثم قاوم سليمان أمره في بلقيس شهراً حتى أنزل الله عليه براءتها من ريب الجاهلية، فلما عزم سليمان على تزويجها، قال له رجل صالح من الجن ـ كان يحب ما وافق سليمان: يا نبي الله هل كرهت منها إلاّ الشعر؟ قال: بلى، قال: إني سأتركها لك مثل الفضة من غير عيب، قال له: إفعل. فصنع لها النورة وبعث إليها واتخذ لها الحمّام ـ قال بعض أهل العلم: كانت أول نورة عملها مخلوق وأول حمام صنع ذلك الجني. وصنع لها ذلك الجني

(*) المصحح يرجح أن المقصود (وساقاه أحمان).

صرحين ممردين وضروب الصناعات ـ وتزوجها سليمان فأعجب بها وبعقلها وبتدبيرها وبحسن رأيها، فولدت له داود ورحبعام، فأما داود فمات في حياة سليمان أبيه وبقي رحبعام بعد سليمان وسرح بلقيس على ملكها ونزلت بمأرب، فكان يأتيها سليمان في كل شهر مرة فيقيم عندها سبعاً ثم يسير في الأرض، كان يعينها بالشياطين يعملون لها. فعامة صناعات أهل اليمن من قبل الشياطين. وافترقت عنهم في الناس شرقاً وغرباً.

كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير

ذكر سليمان وما جرى له مع بلقيس

نذكر أولاً ما قيل في نسبها وملكها ثم ما جرى له معها فنقول: اختلف العلماء في اسم آبائها فقيل: إنها بلقمة ابنة أنيشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقيل: هي بلقمة ابنة الهدهاد واسمه أنيشرح بن تبع ذي الأدغار؟ (الأذعار) بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش، وقيل: في نسبها غير ذلك، ولا حاجة إلى ذكره.

وقد اختلف الناس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض والزيادة في عددهم والنقصان اختلافاً لا يحصل الناظر فيه على طائل، وكذا أيضاً اختلفوا في نسبها اختلافاً كثيراً.

وقال كثير من الرواة أن أمها جنية ابنة ملك الجن، واسمها رواحة بنت السكر، وقيل: اسم أمها بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني، وإنما نكح أبوها إلى الجن لأنه قال: ليس في الناس لي كفؤة فخطب إلى الجن فزوجوه.

واختلفوا في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم فقيل: إنه كان لهجاً بالصيد فربما اصطاد الجن على صورة الظباء فيخلي عنهن، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك، واتخذه صديقاً فخطب ابنته فأنكحه على أن يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين إلى عدن. وقيل: إن أباها خرج يوماً متصيداً فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء فأفاقت فأطلقها وعاد إلى داره وجلس منفرداً فإذا معه شاب جميل فذعر منه، فقال له: لا تخف أنا الحية التي أنجيتني، والأسود الذي قتلته غلام لنا تمرد علينا وقتل عدة من أهل بيتي؛ وعرض عليه المال وعلم الطب فقال: أما المال فلا حاجة لي به وأما الطب فهو قبيح بالملك، ولكن إن كان لك بنت فزوجنيها، فزوجه على شرط أن لا يغير عليها

شيئاً تعمله ومتى غيّر فارقته، فأجابه إلى ذلك. فحملت منه فولدت له غلاماً فألقته في النار فجزع لذلك وصبر للشرط، ثم حملت منه فولدت جارية فألقتها إلى كلبة فأخذتها، فعظم عليه ذلك وصبر للشرط. ثم إنه عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار إليه ليقاتله وهي معه فانتهى إلى مفازة، فلما توسطها رأى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب، وإذا الماء يصب من القرب والمزاود فأيقنوا بالهلاك، وعلموا أنه من فعال الجن عن أمر زوجته. فضاق ذرعاً عن حمل ذلك فأتاها وجلس وأومأ إلى الأرض وقال: يا أرض: صبرت لك على إحراق ابني وإطعام الكلبة ابنتي، ثم أنت الآن قد فجعتينا بالزاد والماء وقد أشرفنا على الهلاك، فقالت المرأة: لو صبرت لكان خيراً لك وسأخبرك: إن عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الأزواد والمياه ليقتلك وأصحابك فمُرْ وزيرك ليشرب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد فأمره فامتنع فقتله، ودلتهم على الماء والميرة من قريب وقالت: أما ابنك فدفعته إلى حاضنة تربيه وقد مات، وأما ابنتك فهي باقية وإذا بجويرة قد خرجت من الأرض وهي بلقيس. وفارقته امرأته وسار إلى عدوه فظفر به. وقيل: في سبب نكاحه إليهم غير ذلك.

والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة.

وأما ملكها اليمن، فقيل: إن أباها فوض إليها الملك، فملكت بعده. وقيل: بل مات عن غير وصية بالملك لأحد، فأقام الناس ابن أخ له، وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً لا يبلغه عن بنت قَيل ولا ملك ذات جمال إلاّ أحضرها وفضحها حتى انتهى إلى بلقيس بنت عمه، فأراد ذلك منها، فوعدته أن يحضر عندها إلى قصرها وأعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله إذا دخل إليها وانفرد بها. فلما دخل إليها وثبا عليه فقتلاه. فلما قتل أحضرت وزراءه فقرعتهم فقالت: أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته؟ ثم أرتهم إياه قتيلاً وقالت: اختاروا رجلاً تملكونه فقالوا لا نرضى بغيرك فملكوها.

وقيل: إن أباها لم يكن ملكاً وإنما كان وزير الملك، وكان الملك خبيثاً قبيح السيرة يأخذ بنات الأقيال والأعيان والأشراف وأنها قتلته فملكها الناس عليهم.

وكذلك أيضاً عظموا ملكها وكثرة جندها، فقيل كان تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل، وكان لها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها، وكان لها اثنا عشر قائداً يقود كل منهم اثني عشر ألف مقاتل.

وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم، قالوا: كان لها اثنا عشر قيل تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيش في كل جيش سبعون ألف مبارز ليس فيهم إلاّ أبناء خمس وعشرين سنة.

وما أظن الساعة راوي هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله. ولو

عرف مبلغ العدد لأقصر عن إقدامه على هذا القول السخيف، فإن أهل الأرض لا يبلغون جمعيهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد، فكيف أن يكونوا أبناء خمس وعشرين سنة؟ فيا ليت شعري! كم يكون غيرهم ممن ليس من سنهم؟ وكم تكون الرعية وأرباب الحرف والفلاحة وغير ذلك؟ وإنما الجند بعض أهل البلاد، وإن كان الحاصل من اليمن قد قل في زماننا فإن رقعة أرضه لم تصغر وهي لا تسع هذا العدد قياماً كل واحد إلى جانب الآخر.

ثم إنهم قالوا أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها فستجد لها ثلاثمة ألف أوقية من الذهب، وقالوا غير ذلك، وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها فلا نطيل بذكره.

وقد تواطأوا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال، واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم. وإنما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض من كان يصدق به فينتهي إلى الحق.

وأما سبب مجيئها إلى سليمان وإسلامها، فإنه طلب الهدهد فلم يره، وإنما طلبه لأن الهدهد يرى الماء من تحت الأرض، فيعلم هل في تلك الأرض ماء أم لا، وهل هو قريب أم بعيد. فبينما سليمان في بعض مغازيه إذ احتاج إلى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعده، فطلب الهدهد ليسأله فلم يره.

وقيل بل زلت الشمس إلى سليمان، فنظر ليرى من أين نزلت لأن الطير كانت تظله فرأى موضع الهدهد فارغاً، فقال: ﴿لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾. وكان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستاناً لها خلف قصرها فمال إلى الخضرة. فرأى فيه هدهداً. فقال له: أين أنت عن سليمان وما تصنع ههنا؟ فقال له: ومن سليمان؟ فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره. فعجب من ذلك، فقال له هدهد سليمان: وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ﴿وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾، وجعلوا الشكر لله أن سجدوا للشمس من دونه، وكان عرشها سريراً من ذهب مكلل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ. ثم إن الهدهد عاد إلى سليمان فأخبره بعذره في تأخيره، فقال له: إذهب بكتابي هذا، فألقه إليها؛ فوافاها وهي في قصرها، فألقاه في حجرها، فأخذته وقرأته وأحضرت قومها وقالت: ﴿إني ألقي إليَّ كتاب كريم: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألّا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين * قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون * قالوا: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد * والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ * قالت: (إني مرسلة إليهم بهدية)، فإن قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى، وإن لم يقبلها، فهو نبي من الله، فلما جاءت الهدية إلى سليمان قال للرسل: ﴿أتمدونني بمال؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ إلى قوله ﴿وهم صاغرون﴾. فلما رجع الرسل إليها سارت إليه وأخذت معها الأقيال من قومها وهم القواد وقدمت عليه. فلما قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لأصحابه: ﴿أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ ـ

يعني قبل أن تقوم في الوقت الذي تقصد فيه بيتك للغذاء. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك، ﴿فقال الذي عنده علم من الكتاب﴾ ـ وهو آصف بن برخيا ـ وكان يعلم اسم الله الأعظم: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾، وقال له: انظر إلى السماء وأدِم النظر فلا ترد طرفك حتى أحضره عندك وسجد ودعا، فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره، فقال: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر﴾ إذ أتاني به قبل أن يرتد إليَّ طرفي أم أكفر إذ جعل تحت يدي من هو أقدر مني على إحضاره. فلما جاءت قيل: ﴿أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو﴾، ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه، فكيف جاء إلى ههنا؟ فقال سليمان للشياطين: ابنوا لي صرحاً تدخل عليَّ فيه بلقيس، فقال بعضهم: إن سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاماً فلا ننفك من العبودية أبداً. وكانت امرأة شعراء الساقين، فقال الشياطين: ابنوا له بنياناً يرى ذلك منها فلا يتزوجها. فبنوا له صرحاً من قوارير خضر وجعلوا له طوابق من قوارير فبقي كأنه الماء، وجعلوا تحت الطوابيق صور دواب البحر من السمك وغيره، وقعد سليمان على كرسي، ثم أمر فأدخلت بلقيس عليه. فلما أرادت أن تدخله ورأت صور السمك ودواب البحر حسبته لجة ماء، فكشفت عن ساقيها لتدخل؛ فلما رآها سليمان صرف نظره عنها، ﴿وقال: إنه صرح ممرد من قوارير﴾، فقالت: ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾. فاستشار سليمان في شيء يزيل الشعر ولا يضر الجسد، فعمل له الشياطين النورة، فهي أول ما عملت النورة.

ونكحها سليمان وأحبها حباً شديداً، وردها إلى ملكها باليمن، فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام.

وقيل: إنه أمرها أن تنكح رجلاً من قومها فامتنعت وأنفت من ذلك، فقال: لا يكون في الإسلام إلاّ ذلك، فقالت: إن كان ولا بد من ذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان، فزوجه إياها، ثم ردها إلى اليمن، وسلط زوجها ذات تبع على الملك. وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذو تبع، فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلحين (سلحين؟) ومرواخ، وفليون، وهنيدة، وغيرها. فلما مات سليمان لم يطيعوا ذا تبع. وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان، وقيل: بل بقيا. وقيل: إن بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وأنه دفنها بتدمر وأخفى قبرها.

منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري

بلقيس

بلقيس: فعليل بالكسير، بِلقيس ملكة سبأ ابنة الهدهاد بن شرح(*) بن شرحبيل بن ذي سحر من المثامنة من ملوك حمير وهي التي قص الله تعالى خبرها مع سليمان بن داود عليهما السلام في سورة النمل فقال إني وجدت امرأة تملكهم وأوتِيَتْ من كل شيء ولها عرش عظيم. وقال فيها أسعد تبع:

ولَــدَتــنــي مــن الملــوك مــلــوك	كــل قَــيــل مــتــوَّج صِــنــديــد
ونــســاء مــتــوجــات كــبــلــقــيــس	وشــمــس ومــن لميــس جُــدودي
مَــلَــكَــتــهــم بــلــقــيــس تــســعــين عــامــاً	بــأولــي قــوة وبــأس شــديــد
عــرشُــهــا شَــرجَــع ثــمــانــون بــاعــاً	كــلِّــلــتــه بــجــوهــر وفــريــد
وبــدر قــد قــيــدتــه ويــاقــوت	وبــالــتــبــر أيمــا تــقــيــيــد
فــلــو أن الخلــود كــان لحيٍّ	بــاحــتــيــال أو قــوة أو عــديــد
أو بمُــلــك لَــمَــا هــلــكــنــا وكــنّــا	مــن جــمــيــع الأنــام أهــل الخلــود

وقال أيضاً:

ولــقــد بــنــت لــي عــمّــتــي فــي مــأرب	عــرشــاً عــلــى كــرســي مُــلــكِ مــتــلــد
عــمــرت بــه تــســعــين عــامــاً دوَّخــت	أرض الــعــراق إلــى مــفــازة صــيــهــد

(*) في نسخ أخرى، سراح، وسرح.

يغدو عليها ألف ألف كلهم عقب لها يتعاقبون من الغد

وقال مصنف الكتاب:

أم أين بلقيس المعظم عرشها أو صرحها العالي على الأصراح

زارت سليمان النبي بتدمر من مأرب ديناً بلا استنكاح

في ألف ألف مدجج من قومها لم تأت في إبل إليه طلاح

روى الخليفة المهدي بن المنصور عن جده عبد الله بن العباس قال كان أولو مشورتها ألف قيل، تحت يد كل قيلَ ألف مقاتل. وقال قتادة كانت بلقيس في بيت مملكة، وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام. وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر قيلاً كل قيل منهم على عشرة آلاف رجل. وكذلك قال ابن جرير صاحب المذيل في عدتهم كمثل قول قتادة. وقال مجاهد كان مع بلقيس ملكة سبإٍ اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل. وبلقيس اسمان جعلا اسماً واحداً مثل حضرموت وبعل بك، وذلك أن بلقيس لما ملكت الملك بعد أبيها الهدهاد قال بعض حمير لبعض: ما سيرة هذه الملكة من سيرة أبيها، فقالوا بلقيس، أي بالقياس فسميت بلقيس. ولما وفدت بلقيس على سليمان قال لها لا بد لكل امرأة مسلمة من زوج، فقالت إن كان لا بد منه فذو بتع، تعني الملك ذا تبع الأصغر واسمه نوف(*) بن موهب إل ابن حاشد ذي مرع بن أيمن بن علهان بن ذي بتع الأكبر بن يحضب ابن الصوار. فتزوجها فولدت له أسنع يمتنع وأنوف ذا همدان الأكبر وشمس الصغرى أم تُبَّع الأقرن وهو ذو القرنين. ومن ولدِها الثُّورِيُّون، وهم ولد ثَور، وهو ناعط بن سفيان بن أسنع، منهم المرانيون باليمن من ولد عمرو بن ناعط. وقد قيل إن سليمان تزوجها ولم يصح ذلك.

(*) وفي نسخ أخرى، «ينوف».

كتاب قصص الأنبياء
المسمى بالعرائس

باب في قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به

قال الله تعالى: (وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) الآية؛ قالت العلماء بأخبار القدماء أن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ، وأمر الريح الرخاء فحملتهم. فلما وافوا الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم، وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه سيد الأنبياء وخاتم النبيين، وأن ذلك مثبت في زبورهم. ثم أحب أن يسير إلى أرض اليمن، فخرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل، فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً بيضاء حسنة تزهو بخضرتها، فأحب النزول بها ليصلي ويتغذى فطلبوا الماء فلم يجدوه، وكان الهدهد دليله على الماء، وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الأرض فيعرف موضع الماء وعمقه، ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الأهاب يستخرجون الماء. قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث، قال له نافع بن الأزرق كيف يبصر الماء من تحت الأرض ولا يبصر الفخ إذا غطي له بقدر إصبع من تراب؟ قال ويحك إذا جاء القدر عمي البصر. (وروى) قتادة عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهاكم عن قتل الهدهد فإنه كان دليل سليمان على الماء. فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده. ثم إن الهدهد لما جاء قال: (وجئتك من سبأ بنبأ يقين أني وجدت امرأة تملكهم) الآية، وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه إن سليمان قد اشتغل بالنزول، فارتفع إلى نحو السماء ونظر إلى طول الدنيا وعرضها ونظر يميناً وشمالاً، فرأى بستان بلقيس. فمال إلى الخضرة فوقع فيها، فإذا هو بهدهد اليمن، فهبط عليه. وكان اسم هدهد سليمان يعفور، واسم هدهد اليمن عفير، فقال عفير ليعفور: من أين أقبلت

وإلى أين تريد، قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام، فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود؟ قال ملك الجن والإنس والشياطين والوحوش والرياح، فمن أين أنت؟ قال أنا من هذه البلاد، قال ومن ملكها؟ قال امرأة، قال فما اسمها؟ قال يقال لها بلقيس، وأن لصاحبكم سليمان ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل - والقيل هو القائد بلغة اليمن - فهل أنت منطلق معي حتى ننظر إلى ملكها، قال فإني أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، فقال له الهدهد اليماني: إن صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة. فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها، وما رجع إلى سليمان إلاّ وقت صلاة العصر. قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد، وذلك أنه نزل على غير ماء، فسأل الإنس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء، فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم، فتفقد ذلك عند الهدهد فلم يجده فتوعده. (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه، وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موقع الهدهد خالٍ، فدعا عريف الطير، وهو النسر، فسأله عن الهدهد، فقال أصلح الله الملك، ما أدري أين هو وما أرسلته إلى موضع. فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه. واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو، فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه وذنبه ويدعه ممعوطاً ثم يلقيه في بيت النمل فتلدغه؛ وقال الضحاك لأنتفنه ولأشدّن رجليه ولأشمسنّه؛ وقال مقاتل لأطلينّه بالقطران ولأشمسنّه؛ وقيل، لأودعنّه القفص؛ وقيل لأفرقن بينه وبين إلفه؛ وقيل لأمنعنه من خدمتي أو ليأتيني بسلطان مبين، أي حجة واضحة. (وروى) عكرمة عن ابن عباس، قال كل سلطان في القرآن حجة. قال، ثم دعا العقاب(*) سيد الطيور فقال له عليّ بالهدهد الساعة، فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم، فنظر يميناً وشمالاً، فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض العقاب نحوه يريده. فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال له: بحق الذي قواك وأقدرك عليّ ألا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء، قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، ثم طارا متوجهين نحو سليمان. فلما انتهيا إلى المعسكر تلقاهما النسر والطير كله وقالوا أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله سليمان، وأخبروه بما قال، فقال الهدهد، وما استثنى نبي الله، قالوا بلى إنه قال أو ليأتني بسلطان مبين. فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله. فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فمد سليمان يده إلى رأسه فجبذها وقال أين كنت؟ لأعذبنك

(*) جاء في باب (العقاب) ضمن كتاب من «حياة الحيوان الكبرى» للدميري التالي: (...وذكر ابن عبد البر في التمهيد عن عمرو بن دينار أنه قال لما أرادت قريش بناء الكعبة، خرجت منها حية فحالت بينهم وبينها، فجاء عقاب أبيض فأخذها ورمى بها نحو أجياد؛ كذا في بعض نسخ التمهيد وفي بعضها طائر أبيض). وهنا نرى ربطاً بين العقاب من جهة، وبين قصتي بلقيس والزبّاء - أنظر الأخيرة في القسم المخصص لها في الملحق.

عذاباً شديداً، فقال له الهدهد يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله. فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه.(أخبرني الحسين) بن محمد الثقفي بإسناده عن عكرمة، قال إنما صرف سليمان عن ذبح الهدهد براً بوالديه، ثم سأله ما الذي أبطأك عني، قال الهدهد ما أخبر الله به أحطت بم لم تحط، أي علمت ما لم تعلم به، وجئتك من سبأ بنبأ يقين، أني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء واسمها بلقيس بنت اليشرح(*) وهو الهدهاد. وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وكان أبو بلقيس، الذي يسمى اليشرح، ويلقب بالهدهاد، ملكاً عظيم الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها، وكان يقول للملوك الأطراف ليس أحد منكم كفوءاً لي، وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الإنس إذ ذاك ترى الجن وتخالطهم. فولدت له بلعمة، وهي بلقيس، ولم يك له ولد غيرها. وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان أحد أبوي بلقيس جنياً. قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولداً غيرها، طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها، فأطاعها قوم وعصاها آخرون. فاختاروا عليها رجلاً فملكوه عليهم، وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن. ثم إن هذا الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته يفجر بهن، فأراد أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه. فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه وعرضت نفسها عليه، فأجابها الملك إلى ذلك وقال ما منعني أن ابتدئك بالخطبة إلاّ اليأس منك، فقالت لا أرغب عنك فإنك كفؤ كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني منهم. فجمعهم وخطبها منهم، فقالوا لا نراها تفعل هذا، فقال إنما هي التي ابتدأتني وإني أحب أن تسمعوا قولها فتشهدوا عليها. فلما جاءوها وذكروا لها ذلك، قالت: نعم، إني أحببت الولد ولم أحبه منذ كنت أرغب عن هذا، والساعة قد رضيت له فزوجوها منه. فلما زفت عليه خرجت في ناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم، فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزّت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها، فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلاً ورأسه منصوب على باب داره، علموا أن تلك المناكحة كانت مكراً وخديعة منها، فاجتمعوا إليها وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من غيرك، فقالت لولا العار والنار ما قتلته ولكن رأيته قد عمّ فساده فأخذتني الحمية ففعلت به ما فعلت. فملكوها واستتبت أمرها في المملكة. وروى ابن ميمونة بإسناده عن الحسن بن علي بن أبي بكر، قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصراً وعرشاً.

(صفة القصر الذي بنته بلقيس)

قال الشعبي روي أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر، فحمل إليها خمسمائة اسطوانة من

(*) في النص الأصلي «البشرخ» وهذا إما تصحيف أو خطأ مطبعي على ما نعتقد.

رخام، طول كل اسطوانة خمسون ذراعاً، فأمرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء، وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة أذرع، ثم جعلت فيها سقفاً منظومة بألواح الرخام وألحم بعضها إلى بعض بالرصاص حتى صارت كأنها لوح واحد. ثم بنت فوق ذلك قصراً مربعاً من آجر وجص، في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء، وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بألوان الجواهر المربعة، وجعلت فيه، أي في باب ذلك القصر مما يلي المدينة، درجاً من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر، وفي جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحرسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم. (صفة عرشها) كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم، قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من در أصفر، وصفائح السرير من ذهب، وعليه سبعون بيتاً، وعلى كل بيت باب مغلق. وكان طوله ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً في الهواء، فذلك قوله عزَّ وجلّ ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ ـ أي مما تحتاج إليه في الملك من الآلة والعدة، ولها عرش عظيم ـ أي سرير ضخم حسن ـ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله؛ وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آبائي الماضون، قالوا كانوا يعبدون إله السماء، قالت وأين هو؟ قالوا هو في السماء وعلمه في الأرض، قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيئاً أَشَدُّ من نور الشمس، فهي أولى ما ينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها، وكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا غربت. (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. ثم إن الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا، وهي الآبار التي لم تطوَ يبطن كل واد، فروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا. ثم كتب سليمان كتاباً: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد ألّا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين. قال ابن جريج وغيره، لم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيئاً، وكان ابلغ الناس في كتابه وأقله إملاء ـ وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملاً ولا يطيلون كتاباً ولا يكثرون ـ قالوا، فلما كتب الكتاب، طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولَّ عنهم وكن قريباً منهم فانظر ماذا يرجعون، أي يردون من الجواب. فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به إلى بلقيس، وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام، فوافاها في قصرها وقد غلقت الأبواب. وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت إلى فراشها. فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على ظهرها، فألقى الكتاب على نحرها ـ هذا قول قتادة ـ. وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها، فألقى الكتاب في حجرها. وقال وهب بن منبه كانت لها كوة، يعني طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد إلى تلك الكوة فسدها

بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم، فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها، فرمى الصحيفة في وجهها. قالوا فأخذت بلقيس الكتاب، وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميري. فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكاً منها، وقالت إن ملكاً تكون رسله الطير لملك عظيم. فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد. ثم إنها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهو اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب، فإذا أحزنها أمر أسفرت عن وجهها. فلما جاءوا وأخذوا مجالسهم، قالت لهم بلقيس إني ألقيَ إليَّ كتاب كريم، أي شريف لشرف صاحبه، وقال الضحاك سمته كريماً لأنه كان مختوماً يدل عليه ما أخبرني به أبو حامد الوراق بإسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه. وقيل سمته كريماً لأنه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم، فذلك قوله تعالى: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا عليَّ وائتوني مسلمين﴾. ثم قالت: يا أيها الملأ أفتوني في أمري وأشيروا عليَّ فيما عرض لي، ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون، أي تحضرون، فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين تجدينا لأمرك طائعين. فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، أي أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر، فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون. أنشدني أبو القاسم الجندي في هذا المعنى قال، أنشدني أبي في معناه:

إن الملوك بلاء حيثما حلوا	فلا يكون لك في أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم إذا غضبوا	جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
وإن مدحتهم خالوك تخدعهم	واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرماً	إن الوقوف على أبوابهم ذلُّ

قال الله تعالى مخبراً عنها ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾ ـ وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الأمر وساسته ـ إني مرسلة إليهم، إلى سليمان وقومه، بهدية أصانعه عن ملكي وأختبره بها أملك أم نبي، فإن يكُ ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن يكُ نبياً لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلاّ أن نتبعه على دينه. ثم إنها أهدت إليه وصفاء ووصائف؛ قال ابن عباس ألبستهم لباساً واحداً حتى لا يكون يعرف الذكر من الأنثى، وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري لباس الغلمان. واختلفوا في عددهم، فقال الكلبي عشرة جوار وعشرة غلمان، وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة، وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية، وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية. وأرسلت إليه أيضاً بصفائح من ذهب، واختلفوا في كيفيتها وعددها. (أخبرني) ابن ميمونة أيضاً بإسناده عن ثابت البناني في قوله تعالى ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾، قال أهدت له صفائح من ذهب في أوعية الديباج. فلما بلغ ذلك

سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب، ثم أمر به فألقي في الطريق في كل مكان، فلما جاءوا ورأوه ملقى في الطريق في كل مكان، قالوا قد جئنا نحمل شيأً نراه ههنا ملقى لا يلتفت إليه، فصغر في أعينهم ما جاءوا به. وقيل كانت أربع لبنات من ذهب. (وقال وهب) بن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس إلى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجواري لباس الغلمان، الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون، على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون. وبعثت إليه أيضاً خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع. وأرسلت إليه أيضاً بالمسك والعنبر والعود والألنجوج، وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معهم كتاباً بنسخة الهدية، وقالت في الكتاب: إن كنتَ نبياً فميز بين الوصائف والوصفاء، وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدرة ثقباً مستوياً وأدخل خيطاً في الخرزة. ثم أمرت بلقيس الغلمان فقالت لهم إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم إنها قالت للرسول أنظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولك منظره فأنا أعز منه، وإن رأيته رجلاً بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب. فانطلق الرسل بالهدايا. فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعاً إلى سليمان وأخبره بالخبر كله، فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبناً من الذهب والفضة، ففعلوا ذلك، ثم أمرهم أن يبسطوا له من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة، وأن يجعلوا حول الميدان حيطاناً مشرفة من الذهب والفضة، ففعلوا ذلك. فقال لهم أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر، فقالوا يا نبي الله إنا رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص، فقال سليمان عليَّ بها الساعة، فأتوه بها، فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره. على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفة فيها. ثم قال للجن عليَّ بأولادكم، فاجتمع خلق كثير فأقامهم فيها عن يمين الميدان وعن يساره، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ، وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره. فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة، تقاصرت إليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا. (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم أن يتركوا في طريقهم على قدر اللبنات التي معهم، فلما رأت

الرسل موضع اللبنات خالياً وكل الأرض مفروشة، خافوا أن يتهموهم بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان. قال فلما جاءوا إلى الميدان ورأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففزعوا منهم، فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم، قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والإنس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام، فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجه طلق وقال ما وراءكم، فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطوه كتاب الملكة. فلما نظر إليه وقرأه قال لهم أين الحقة، فأتي بها، فحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما في الحقة، فقال إن فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب، فقال له الرسول صدقت، فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة، فقال سليمان عليه السلام من لي بثقبها، فسأل الإنس فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الشياطين، فقالوا له أرسل إلى الأرضة. فأرسل إليها، فلما أتت أخذت شعرة في فيها ومرت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر. فقال لها سليمان سلي حاجتك، قالت أن تصير رزقي في الشجر، قال لك ذلك. ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط، فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله، فأخذت الدودة خيطاً في فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان ما حاجتك، فقالت أن تصير رزقي في الفواكه، قال لها لك ذلك. ثم إنه ميّز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيدهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله في اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه، والغلام يأخذه من الإناء بيده ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصب الماء صباً، وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدراً، فميّز بينهم بذلك. ثم ردّ سليمان الهدية كلها وقال أتمدونني بمال، فما آتاني الله خير مما آتاكم، بل أنتم بهديتكم تفرحون لأنكم أهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك، وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنني منها وأعطاني ما لم يعط أحد من العالمين فيها، ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة. ثم إنه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم، ارجع إليهم بالهدية فلنأتهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين. قالوا فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها، قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة. فبعثت إلى سليمان: إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك. ثم إن بلقيس أمرت بعرشها فجعل في سبعة أبيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها، ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه، ثم إنها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا تخلص إليه أحداً ولا يراه حتى آتيك. ثم إنها أمرت منادياً ينادي في أهل مملكتها ليؤذنهم بالرحيل، ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل. قال ابن عباس، وكان سليمان عليه السلام رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوماً فجلس على سرير ملكه فرأى رهجاً قريباً منه فقال ما هذا؟ قالوا،

بلقيس يا رسول الله، قال وقد نزلت منا بهذا المكان، قالوا نعم. قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ. فأقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، أي طائعين خاضعين. واختلف العلماء في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار العرش، فقال أكثرهم لأن سليمان علم أنها إذا أسلمت حرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها. (وقال قتادة) لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأراد أن يراه قبل أن يراها. وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها. قال عفريت من الجن، وهو المارد القوي، أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، أي من مجلسك الذي تقضي عليه، قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه إلى نصف النهار. واختلفوا في اسمه، فقال وهب إنه كودي، وقال شعيب كوذان ـ وإني عليه لقوي، أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر. فقال سليمان أريد أسرع من هذا، فقال الذي عنده علم من الكتاب.. الآية ـ واختلفوا فيه، فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام، وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام، وقال آخرون بل كان رجلاً من بني آدم، ثم اختلفوا فيه، فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا، وكان صِدِّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. (أخبرنا) ابن ميمونة بإسناده عن ابن عباس قال إن آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى، مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك، قال فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين، فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون الأرض خداً حتى انخرقت الأرض بالسرير فنبع بين يدي سليمان. واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الإتيان بالعرش، (فروي) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الاسم الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا «يا حي يا قوم»، وروي عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب «يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلاّ أنت ائتني بعرشها»، وقال مجاهد «يا ذا الجلال والإكرام». (حدثنا) ابن ميمونة بإسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان في جزيرة من جزائر البحر، فخرج ذلك اليوم ينظر من مساكن الأرض وهل يعبد الله أو لا يعبد، فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى، فإذا هو بالعرش قد حمل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد إليه طرفه * وبإسناده عن مجاهد، قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبي برة أن اسم الذي عنده علم من الكتاب «اسطوم»، وقال قتادة اسمه «مليحا» وقال محمد بن المنكدر إنما هو سليمان آتاه الله علماً وفقهاً. قال له عالم من بني إسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، فقال سليمان هات، قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك، فإن دعوت الله وطلبت منه كان عندك، قال صدقت، ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت. فلما رأى سليمان العرش مستقراً عنده محمولاً إليه من مأرب إلى الشام قدر ارتداد الطرف، وهو مدة يسيرة، قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ـ أي لم ينفع بذلك إلاّ نفسه حيث

استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ـ ومن كفر فإن ربي غني عن شكره كريم بالأفضال عمن يكفر نعمته. فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها، أي زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهتدي إلى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون إليه؛ أراد أن يختبر عقلها. وإنما حمل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشي إليه أسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأرادوا أن يزهدوه فيها فأساءوا الثناء عليها وقالوا له إن في عقلها شيأً وأن رجليها كحافر الحمار. فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر إلى قدميها ببناء الصرح. فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو، فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها. فلم تقر بذلك ولم تنكر، فعلم سليمان كمال عقلها. (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم، ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم، فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها ومجيئها طائعة من قبلها، أي من قبل مجيئها، وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى ـ هذا قول مجاهد وغيره. وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان، قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها، أي من قبل هذه الآية، وكنا مسلمين، أي منقادين لك مطيعين لأمرك من قبل أن جئناك. فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح، وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا له صرحاً، أي قصراً من زجاج كأنه الماء بياضاً. وأجروا من تحته الماء وألقي فيه السمك، ثم وضع سرير في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس. وإنما أمر ببناء الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخّر الله لسليمان ما سخّر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاماً فلا ننفك من العبودية والسخرة أبداً. فأرادوا أن يزهدوا فيها فقالوا إن رجلها رجل حمار وإنها شعراء الساقين لأن أمها كانت جنية، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك ينظر قدميها وساقيها فأمر ببناء الصرح. (وقال وهب) بن منبه إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يعاييها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والأنثى. فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة، وهي معظم الماء، فكشفت عن ساقيها لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان عليه السلام، فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً، إلاّ أنها كانت شعراء الساقين. فلما رأى سليمان عليه السلام ذلك صرف بصره عنها وناداها إنه صرح ممرد من قوارير وليس بماء. فلما جلست قالت له يا سليمان إني أريد أن أسألك عن شيء، قال سلي، قالت أسألك عن ماء روي ليس من الأرض ولا من السماء. وكان سليمان إذا جاء شيء لا يعلمه سأل عنه الإنس فإن كان عندهم علم ذلك وإلاّ سأل الجن فإن علموا، وإلاّ سأل الشياطين. فسأل الشياطين عن ذلك، فقالوا ما أهون ذلك، إئتمر الخيل أن تجري ثم املأ الآنية من

عرقها، فقال لها سليمان عرق الخيل، فقالت صدقت. ثم قالت أخبرني عن لون ربك، فوثب سليمان عن سريره وخرّ ساجداً وصعق فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاء جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك، قال يا جبريل ربي أعلم بما قالت، قال فإن الله يأمرك أن تعود إلى سريرك فترسل إليها وإلى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه، ففعل ذلك سليمان. فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عمّ سألتني؟ قالت عن ماء روي ليس من أرض ولا من سماء فأجبت، قال: وعن أي شيء سألتني أيضاً؟ قالت ما سألتك عن شيء إلاّ هذا، فسأل الجنود، فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب. ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فأجابت وقالت: ربي إني ظلمت نفسي بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين. (واختلف العلماء) في أمرها بعد الإسلام، فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما همّ بذلك كره لما رأى من شدة شعر ساقها وقال ما أقبح هذا. فسأل الإنس عما ويذهب ذلك فقالوا له الموسى، فقالت المرأة(*) ما لمسني حديد قط. فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقها، فسأل الجن فقالوا لا ندري، ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندري، فلما ألحّ عليهم قالوا: نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة والحمام. (قال ابن عباس) إنه أول يوم رؤيت فيه النورة، فاستنكحها سليمان عليه السلام. (أخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال، أول من اتخذ الحمّامات سليمان عليه السلام، فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى. قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا له بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً وهي سلحين وغمدان وبنيون. ثم إن سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام ثم يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام. (وروى) محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه، قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه، قالت ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان، قال: نعم، إنه لا يكون في الإسلام إلاّ ذاك ولا ينبغي لك أن تحرّمي ما أحلّ الله، قالت زوّجني إن كان لا بد من تبع الأكبر ملك همدان. فزوّجه إياها ثم ردها إلى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن. ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه، قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكاً يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام. قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن إن سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم. قال

(*) من الأمور المثيرة للانتباه هنا أن النص وحده يشير للمرة الأولى والوحيدة إلى بلقيس بصفتها امرأة، فهل كان بين يدي الكاتب نصاً مكتوباً؟؟

فعمدت الشياطين إلى حجرين عظيمين فكتبوا فيها كتاباً بالمسند، يعني خط الحميرية، نحن بنينا سلحين وابنين وبنينا صرواح ومرواح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم، وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع، ولولا صارخ بتهامة لم يرفعوا أيديهم، فانطلقوا وتفرقوا. وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم.

كتاب أعلام النساء
لرضا عمر كحالة

بلقيس بنت ذي شرح ملكة سبأ(*)

... ولما وليت بلقيس المُلك ازدرى قومها بمكانها لما كانت امرأة، وأنفوا من أن يلي أمرهم امرأة. وبلغ، ذلك عمراً ذا الأذعار فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس. وأما هي فلم تكن لها طاقة فهربت مكتتمة بأخيها عمرو وهما في زي إعرابيين حتى أتت جعفر بن قرط الأسدي، ثم عملت على حيلة دبّرتها فدخلت على خصمها عمرو ذو الأذعار فأمر بالخمر ينادمها كما كان ينادم بنات الملوك ويفعل بهن. فلما أخذت الخمرة منه همّ بها فقالت: أيها الملك، سترى مني من المال أكثر مما رأيت من الحرص وحاجتي فيه أعظم من حاجتك، وسامرته أحسن مسامرة. فألهاه ما سمع منها وما أعطته من نفسها من القرب وهي تعمل فيه بالخمر دأباً حتى علمت أن الخمر عملت فيه. فقدمت إليه وسلت مديتها من قرونها ثم نحرته. فلما مات جرته فألقته في ركن مجلسه وألقت عليه بعض أمتعة المجلس، ثم خرجت إلى الحرس في جوف الليل وقالت: يأمركم الملك بفلان أن تأتوا به فأتوا به، وكان يتبعه ألوف من، حمير ثم أرسلت إلى ملوك حمير وأبناء الملوك المسموع منهم والمتبوعين. فلما اجتمعوا إليها في قصر غمدان خرجت عليهم فقالت لهم: إن الملك قد تزوجني على أن برئت إليه من ملكي في حياته وأنتم

(*) يضيف المؤلف هنا (وفي روايات ابنة اليشرح وابنة ابلي شرح وانة ذي شرح بن ذي شرح بن ذي جذن بن أبلي؟ وابنة الهدهاد بن شرحبيل. ويبدأ المؤلف مقاله كالتالي (ملكة جليلة كانت ذات عقل راجح ورأي صائب خلدت في التاريخ صفحة زاهية تحدثنا عن حياتها وأعمالها العظيمة التي قامت بها خلال حكمها فتركت أثراً حميداً في الحضارة والعمران. وأما أصلها فقيل: إنها حبشية غير أن هذا الزعم لم يلبث أن توارى حيث ذهبت أخيراً إلى سبأ أو مأرب بعثة ألمانية علمية برئاسة كارل يونجمان واستطاعت بعد التنقيب الطويل أن تهتدي من التماثيل والآثار إلى حقيقة ملامح الوجه! فوجد من جميع ما عثر عليه من التماثيل ما يدل على أن ملكة سبأ كانت سامية! مثل العرب والإسرائيليين وأنها كانت تتكلم لغة سامية التي هي مزيج من العربية والعبرية - (كذا).

تعلمون أنه لا يولد له فلما علم مني الخضوع بحقه والاستسلام لإرادته والطاعة لأمره فوض إليّ بعده ورآني أهلاً له وأمرني أن آخذ عليكم بذلك عهداً. قالوا سمعاً وطاعة للملك فيما أراد. فأخذت عليهم أن لها الملك بعد عمرو. فلما توثقت منهم قالت لهم: هل تسمعون من الملك؟ فأدخلتهم المجلس فقالوا لها: أين الملك؟ قالت لهم: ها هو ذا، وكشفت عنه فرأوه قتيلاً فقالوا لها: من فعل هذا؟ قالت: أنا ولي العهد بالملك من بعده وها هو قد مات وعهدي لكم لازم. قالوا لها: أنت أولى بالملك إذ أرحتنا من هذا الرجس الجائر، فوليت بلقيس ملكهم. وقالت حمير: رجع الملك إلى نجلته الأولى. ثم جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكة فاعتمرت ثم توجهت إلى أرض بابل فغلبت على من كان بها من الناس وبلغت أرض نهاوند [بإيران ـ أنظر فصل «بلقيس في كل مكان»] وأذربيجان ثم قفلت إلى اليمن.

ومن الأعمال العمرانية التي قامت بها بلقيس ورفعت مجدها إلى أبعد صيت ترميمها سد مأرب[٣] الذي كان الزمان قد أضره وخلخل أوصاله. وبلقيس هي صاحبة الصرح الذي ذكره الله تعالى في القرآن العظيم في قصة سليمان، وينسب إليها أيضاً قصر بلقيس الذي بمأرب وكان سليمان ينزل عليها حين تزوجها فيه إذا جاءها.

وكان لبلقيس حرس من الرجال وبطانة من النساء، وكان لديها ثلاثمائة وستون امرأة من بنات أشراف حمير. فكانت تحبس الجارية حتى تبلغ، ثم تحدثها حديث الرجال فإذا رأتها قد تغير لونها ونكست رأسها عرفت أنها أرادت الرجال فسرحتها إلى أهلها، وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظمة لها أطالت النظر غير متغيرة اللون ولا مستحية من الحديث علمت أنها لا[٤] تريد فراقها وأن الرجال ليسوا من بالها. وأما بلقيس فكانت صائنة نفسها غير واقعة في المساوىء ولا غافلة عن المكارم وكانت لا أرب لها في الرجل فظلت عذراء حتى تزوجها سليمان عليه السلام.

وأما خبر بلقيس مع سليمان الحكيم عليه السلام، فإنه لما أُلقي إليها كتاب وسقط في حجرها قالت: إنه كتاب كريم، وأشفقت منه فأخذته وألقت عليه ثيابها وأمرت بسريرها فأخرج فخرجت فقعدت عليه ونادت في قومها: ﴿يا أيها الملأ إني أُلقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليَّ وآتوني مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون. قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين. قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾.

ثم بعثت بلقيس بهدية، اختارت أربعين رجلاً لم تدع في أبناء الملوك أجمل منهم ولا أعقل ولا أرشد ثقة ولا أبعد غاية ولا أعلى صوتاً.

وأما الهدية التي أرسلتها إلى سليمان معهم فهي مائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد ممن ولدوا في ليلة واحدة. وأرسلت إليه بحق مملوء ذهباً وفضة ودراً وياقوتاً وزبرجداً أو

زمرداً وختمت على الحق وألبست الوصائف والوصفاء زياً واحداً ليظن من رآهم أنهم كلهم غلمان، وأرسلت إليه بخيل عتاق ذكور وإناث وقالت لرسلها: مروه يخبركم بفرق بين الذكور والإناث من هذه الخيل بعضها من بعض من غير أن يخبره أحد؛ ومروه أن يخبركم بما في هذا الحق من غير أن يفكه. فتوجه رسلها حتى بلغوا إلى موضع لا يدركهم أحد فقال بعضهم: إن سئلتم عن شيء فعليكم بالحق الذي لا اختلاف فيه، وإياكم أن يجيب كل واحد عن نفسه فيقع الخلاف فيرتاب منكم. ثم مضوا إلى سليمان.

وجمعت بلقيس أشراف حمير فقالت: خذوا في أهبة الحرب. فجمعت الجيوش واستعدت للحرب وقالت لقومها: إن هو قبل الهدية ولم يرد الحرب ودعا إلى الله فهو نبي فاتبعوه، وإن هو لم يقبل الهدية ولم يعلمنا بما سألناه عنه فهو ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وأقوى حاربناه فما لأحد بنا طاقة، وإن كان نبياً فما لنا بالله طاقة ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خيراً مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون. إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون﴾.

ولما رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان قال: قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة وما نصنع بمكاثرته شيئاً. وبعثت إليه أني قادمة عليه بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك. ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة ومع كل قيل عشرة آلاف. وفي رواية أنها سارت في مائة وعشرين رجلاً من أشراف قومها ورؤسائها وأخيارها مع كل رجل من وجوه جنده وأفاضل أصحابه وقادة خيله مائة رجل، ثم جمعت أبناء الملوك فقالت:

معاشر حمير أنتم تلاد الله اصطفاكم من أول الدهور وفضلكم بأفضل الأمور وقد ابتلاكم بهذا النبي سليمان بن داود، فإن آمنتم وشكرتم زادكم الله نعمة وإن كفرتم سلبكم النعم وسلط عليكم النقم. فقالوا: الأمر إليك وعلموا أنها شفيقة عليهم ناصحة لهم. فخرجت إلى سليمان في مائة ألف واثني عشر ألفاً وبركت جميع أجنادها بغمدان وبمأرب. فآمنت به ودخل قومها في دين سليمان أفواجاً أفواجاً. وجاء في الإصحاح التاسع من أخبار الأيام الثاني أن بلقيس (كذا؟) ملكة سبأ سمعت بخبر سليمان فأتت، لتمتحن سليمان بمسائل، إلى أورشليم بموكب عظيم جداً وجمال حاملة أطياباً وذهباً بكثرة وحجارة كريمة. فأتت إلى سليمان وكلمته عن كل ما في قلبها فأخبرها سليمان بكل كلامها ولم يخف عن سليمان أمر وإلاّ وأخبرها به. فلما رأت ملكة سبأ حكمة سليمان والبيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته وملابسهم ومُحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب لم تبق فيها روح. فقالت للملك: صحيح الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك، ولم أصدق كلامهم حتى جئت وأبصرت عيناي فهو ذا لم أخبر بنصف كثرة حكمتك زدت على الخبر الذي سمعته فطوبى

لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً والسامعين حكمتك. ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سُر بك وجعلك على كرسيه ملكاً لتُجري حكماً وعدلاً. وأهدت للملك مائة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة، ولم يكن مثل ذلك الطيب الذي أهدته ملكة سبأ للملك سليمان(*).

وقضت بلقيس نحبها بعد أن قتل ولدها رحبعام بن سليمان بإنطاكية بسنة واحدة. وقد رثاها النعمان بن الأسود بن المعترف بن عمرو بن يعفر الحميري بقوله(**):

١ ـ أخرج الموت من ذرى قصر بينو ... ن هماماً على الحمادير
٢ ـ حمير الخير قد رأيتك عصراً ... ذا بهاء من قبل تقضي الأمور
٣ ـ فأراني إذا ذكرت هماماً ... ملكاً قد تضمنته القبور
٤ ـ يا لقومي لقد أراهم وللدهر ... صروف تمضي بهم فتبير
٥ ـ ناعماً بالنا قد أوطأت ذلاً ... في شروق البلاد والخيل زور
٦ ـ وغروب البلاد ترجف منها ... وعلى ملكها السحاب المطير
٧ ـ فهم اليوم حشوة في قبور ... وأرى ما بقي إليهم يصير
٨ ـ صاح إن كان ملك حمير أودى ... جار فيه الزمان فيما يجور
٩ ـ أوحش العرش من ذوي أهل عز ... ورمى للزمان كف هصور
١٠ ـ إن بلقيس قد أذل لها الملك ... سليمان واصطفاها قدير
١١ ـ إذ رسول له إلينا عجيب ... بكتاب وما آتانا غرور
١٢ ـ قد آتانا بذلك في الطرس سطرا ... فاهتدينا وكل ذلك نور
١٣ ـ ذاك وحي من الإله بيان ... فاضا الحق إذ آتانا البشير
١٤ ـ هدهد من طيور أرض شآم ... فرمى في الهواء على العرش نور
١٥ ـ باقتضاء الهدى إلى ملك ... بلقيس بغمدان إذ آتاها النذير
١٦ ـ إذ أتى آصف فاختلس العر ... ش سريعاً وما لديه مجير
١٧ ـ لم تحس الأحراس نبأته حين ... تولى وكأنه مسحور
١٨ ـ أبصرت في الكتاب بلقيس عجبا ... فأتى منظر مهيب كبير
١٩ ـ أرسلت في ملوك حمير أني ... قد آتاني الغداة أمر منير

(*) أنظر النص الدقيق لرواية العهد القديم عن ملكة سبأ في القسم المخصص له من المؤلف.

(**) لا يسجل صاحب المؤلف سوى بداية القصيدة وينهي مقالته بالقول (والقصيدة طويلة ذكرها صاحب الإكليل). ونحن نورد القصيدة اقتطافاً من نسخة «كتاب التيجان» المشار إليه في المراجع. قارن هذا النص مع ما يرد في كتاب «الإكليل» الوارد في المؤلف.

٢٠ ـ فأشيروا فقد رضيت بما قلتم ... فإن الملوك ممن يشير

٢١ ـ فنطيب الصحاح منا لما جا ... ء ومر العباد أمر نكير

٢٢ ـ قام أهل النهي وقالوا الخير ... إن منك السداد والتبشير

٢٣ ـ نحن أهل الرشاد والملك والعز ... لنا البأس والردى محذور

٢٤ ـ قالت الآن فاتقوا الذل منه ... كل ما قلت عنده معذور

٢٥ ـ إن أسنى ما لدي من الرأ ... ي وفي ذاك للجواب ظهور

٢٦ ـ لاطلاع الأنباء من خبر القو ... م وحكم من دونه مستور

٢٧ ـ أرسلت بين عاتق وغلام ... مائة شبهت عليها الحرير

٢٨ ـ وعتاقاً من الخيول تهادى ... وعليها من الملا تعبير

٢٩ ـ وصنوف الفصوص حمراً وصفرا ... وعلى ذاك لؤلؤ منثور

٣٠ ـ ولجين بحق عاج ودر ... مطبقاً ما يرى لديه فطور

٣١ ـ وأتى بالبيان والعلم وحيا ... وهداه به العليم الخبير

٣٢ ـ كان ما كان بينهم من أمور ... وإلى ربها ترد الأمور

٣٣ ـ وأتى الوفد بالجواب على الحين ... وكل بشأنه مأمور

٣٤ ـ ثم ولوا بذاك من ذا وهذا ... ك وبادوا وملكهم مشهور

٣٥ ـ استعاروا من مالك الملك ملكاً ... وإلى الله ما أعار يحور

٣٦ ـ أسلموا ملكهم ولم يسلموا ... من غير فالردى عليهم يدور

٣٧ ـ كل عمر وإن تطاول دهراً ... بعده الموت ذاك عمر قصير

مقطع من رواية قبطية عن سليمان وملكة سبأ[٥]

- ثم قام [بالتقاط] كوب نبيذ وقدمه إليه [ووضع] خاتمه في داخله... وقال[ت] له: «إذا ما شربت نبيذ من كوب كان في يدك، فإنني أحقر نفسي في حضرتك».
- وسأعمل... وسأقول [لك؟]، يا سليمان، يا [ملك] الملوك... عندما .... ملكة.... هذا الكوب من [النبيذ]... [فإنني] أحقر نفسي في حضرتك.
- [وهناك]، يا سليمان، يا ملك الملوك، أعمدة في بلادي. وفيما لو أرسلت أحد لإحضاره هنا، فإنه سيكون ذا منفعة؟ في؟ قصرك.
- «تعالي إليّ أيتها الأرواح، أنت التي تخضعي لسلطاني»... «الأعمدة»... فأسرع الأول وقال: «...حتى المساء». وقال الثاني... «...على الفور. وأسرعت نصف الأرواح» ...وقالت: «من النَفَس... وحتى النَفَس[٦] سأحضر [أنا] الأعمدة لك».
- وبينما كانت الكلمة [ما تزال] في فاه سليمان، أنظر، فقد حضرت أنصاف الأرواح؟ وكانت الأعمدة على أجنحتها، واستدارت داخلة مثل... ومثل...
- وكل العلم [الموجود في] الأرض مسجل على الأعمدة... وكذلك... عن الشمس وعن [القمر؟] مكتوب عليها. إنه أعجوبة أن تراها.

ملحق ب

الزَبّاء
كتاب سرح العيون لابن نباتة

بلقيس غايرت الزّبا عليكِ

بلقيس ابنة الحرث بن سبأ ويلقب أبوها بالهدهاد. وقيل بنت الشيصبان ملكة سبأ المذكورة في الكتاب العزيز. وعن ابن عباس أنه قال إنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ أرجل هو أم امرأة أم أرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولد عشرة سكن منهم اليمن ستة والشام أربعة. فاليمانيون مذحج وكندة والأنمار والأزد والأشعريون وحمير، وأما الشام فلخم وجذام وعاملة وغسان. وكانت بلقيس من أحسن نساء العالمين، ويقال إن أحد أبويها كان جنياً. وقال ابن الكلبي كان أبوها من عظماء الملوك، وولده ملوك اليمن كلها. وكان يقول ليس في ملوك اليمن من يدانيني فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس، وتسمى بلقة، ويقال إن مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة، ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصرح الممرد من القوارير، وكان بيتاً من زجاج يخيل للرائي أنه ماء يضطرب. فلما رأته كشفت عن ساقيها، فلم ير غير شعر خفيف ولذلك أمر بإحضار عرشها ليختبر عقلها. ثم أسلمت وعزم سليمان على تزوجها، فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة، وهو أول من اتخذ ذلك. وطلوا بالنورة ساقيها فصارت كالفضة فتزوجها. وأرادت منه ردها إلى ملكها ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التي لم ير مثلها، وهي غمدان وبينون وغيرهما، وأبقاها على ملكها. وكان يزورها في كل شهر مرة من الشام على البساط والريح وبقي ملكها إلى أن توفي فزال بموته. وأما الزبّا(*) فهي ابنة مليح بن البرا(**) كان أبوها مسلطاً على الحُضر وهو الذي ذكره عدي بن زيد بقوله:

(*) قال البيروني في كتابه «الآثار الباقية» أن (زَبّاء/ زبى) هو اسم شهر عند العرب قبل الإسلام، ويوافق جمادى الآخرة.

(**) في مقامات الحريري، هي ملكة اليمامة من بنات العمالقة، واسمها ليلى.

وأخـــو الحضـــر إذ بـــنـــاه وإذ دجـــلـــة تجـــبـــى إلـــيـــه والخابـــور

وقتله جذيمة الأبرش وطرد الزبّا إلى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان كبيرة الهمة. قال ابن الكلبي وما رئي في نساء زمانها أحسن منها وكان اسمها فارعة(*)، وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها فسميت الزبّا، والأزبّ الكثير الشعر. وبلغ من همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما أنفاقاً تحت الأرض وتحصنت. وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء بتول، وهادنت جذيمة مدة ثم خطبها فاستدعته وقتلته كما تقدم في ترجمته. وأما مقتلها فإن قُصيِّرًا لما فارق جذيمة وعاد إلى بلاده تحيل على قتلها فجدع أنفه وضرب جسده ورحل إليها زاعماً أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة صنع به ذلك، وأنه لجا إليها هارباً منه واستجار بها. ولم يزل يتلطف بها بطريق التجارة وكسب الأموال إلى أن وثقت به وعلم خفايا قصرها وأنفاقه. ثم وضع رجالاً من قوم عمرو في غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الإبل على أنها قافلة متجر إلى أن دخل مدينتها فخلّوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل أن تصل إلى نفقها في حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح عليه السلام.

(*) وفي نسخ أخرى (فارغة).

كتاب الحيوان الكبرى للدميري

باب (العقاب)

.... (الأمثال): قالوا أَمنَع من عقاب الجو، قاله عمرو بن عدي القصير بن سعد في قصة الزَّبَّاء المشهورة، وفي ذلك يقول ابن دريد في مقصورته:

وأخترم الوضاح من دون التي ... أملها سيف الحمام المنتضى

وقد سما عمرو إلى أوتاره ... فاحتط منها كل عالي المنتهى

فاستنزل الزَّبَّاء قسراً وهي من ... عقاب لوح الجو أعلى منتمى

جعلها لامتناعها بمنزلة لوح الجو، واللوح الهواء بين السماء والأرض، والجو أيضاً ما بينهما. والقصة في ذلك ما ذكره الإخباريون ابن هشام وابن الجوزي وغيرهم، قالوا، وقد دخل كلام بعضهم في بعض، أن جذيمة الأبرش كان ملكاً على الحيرة وما حولها من السواد، ملك ستين سنة وكان شديد السلطان قد خافه القريب وهابه البعيد، وهو أول من أوقدت الشموع بين يديه وأول من نصب المجانيق في الحرب، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق، فغزا مليح بن البراء وكان ملكاً على الحضر، وهو الحاجز بين الروم والفرس. وهو الذي ذكره عدي بن زيد بقوله:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلة تجبى إليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلـ ... ـسا فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون وباد الـ ... ـملك عنه فبابه مهجور

فقتله جذيمة وطرد بنته الزبَّاء فلحقت بالروم. وكانت الزبَّاء عاقلة أديبة عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة الهمة. قال ابن الكلبي ولم يكن في نساء عصرها أجمل منها،

وكان اسمها فارعة. وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها، فسميت الزّبّاء لذلك. قال وكان قتل أبيها قبل مبعث عيسى ابن مريم عليه السلام. فبلغت همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها ومملكته، فأزالت جذيمة عنها وأبتنت على عراقي الفرات مدينتين متقابلتين في شرق الفرات وغربيه، وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات. فكانت إذا رهقتها الأعداء أوت إليه وتحصنت. وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء بتول. وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدثته نفسه بخطبتها، فجمع خاصته وشاورهم في ذلك، فسكت القوم وتكلم قصير وكان ابن عمه، وكان عاقلاً لبيباً، وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته، فقال: أبيت اللعن أيها الملك، إن الزّبّاء امرأة حرمت الرجال فهي عذراء بتول لا ترغب في مال ولا جمال، ولها عندك ثأر، والدم لا ينام. وإنما هي تاركتك رهبة وحذراً والحقد دفين في سويداء القلب به كمون ككمون النار في الحجر إن قدحته أورى وإن تركته توارى، وللملك في بنات الملوك الأكفاء متسع ولهن فيك منتفع، ولقد رفع الله قدرك عن الطمع فيما هو دونك، وعظم الرب شأنك.فما أحد فوقك؛ هكذا حكاه ابن الجوزي وغيره. وذكر ابن هشام شارح الدريدية وغيره أن الزّبّاء هي التي أرسلت إليه تخطبه وتعرض عليه نفسها ليتصل ملكه بملكها. فدعته نفسه إلى ذلك فاستشار وزراءه فكل واحد منهم رأى ذلك مصلحة إلاّ قصيراً فإنه قال أيها الملك هذه خديعة ومكر، فلم يسمع منه. قال ولم يكن قصيراً، ولكن سمي به. قال ابن الجوزي، فقال جذيمة يا قصير، الرأي ما رأيته وقلته، ولكن النفس تواقة وإلى ما تحب وتهوى مشتاقة، ولكل امرىء قدر لا مفر منه ولا وزر، ثم وجه إليها خاطباً وقال له: أذكر لها ما ترغبها فيه وتصبو إليه. فجاءها خطيبه، فلما سمعت كلامه وعرفت مراده، قالت أنعم بك عيناً وبما جئت به، وأظهرت له السرور والرغبة فيه وأكرمت مقدمه ورفعت موضعه وقالت: قد كنت أضربتُ عن هذا مخافة أن لا أجد كفؤاً، ولكن الملك فوق قدري وأنا دون قدره، قد أجبت إلى ما سأل ورغبت فيما قال، ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أمثل لسرت إليه ولنزلت عليه؛ وأهدت له هدية سنية، ساقت إليه العبيد والإماء والكراع والسلاح والأموال والإبل والغنم وغير ذلك من الثياب والأمتعة والجواهر شيئاً عظيماً. فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى من اللطف الذي تحير فيه عقول ذوي الألباب، وظن أن ذلك منها لحصول رغبة فأعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته وفيهم قصير خازنه. وقد استخلف على مملكته عمرو بن عدي اللخمي، وهو أول من ملك الحيرة من لخم، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة، وهو الذي اختطفته الجن وهو صبي ثم ردته وقد شب وكبر فألبسته أمه طوقاً من ذهب وأمرته بزيارة خاله جذيمة. فلما رأى جذيمة لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق، فأرسلها مثلاً. وقال ابن هشام أنه ملك مائة وثماني عشرة سنة. قال ابن الجوزي فاستخلفه وسار إلى الزّبّاء فوصل إلى قرية على الفرات يقال لها نيقة، فنزل بها وتصيد وأكل وشرب واستعاد المشورة والرأي من أصحابه، فسكت القوم، وافتتح قصير الكلام فقال:

أيها الملك، كل عزم لا يؤيد بحزم فإلى أين يكون كونه، فلا تثق بزخرف قول لا محصول له، ولا تقذف الرأي بالهوى فيفسد، ولا الحزم بالمنى فيبعد، والرأي عندي للملك أن يعتقب أمره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ، ولولا أن الأمور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزماً بتاً أن لا يفعل. فأقبل جذيمة على الجماعة وقال ما عندكم أنتم في هذا الأمر؟ فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته وصوبوا رأيه وقوّوا عزمه. فقال جذيمة الرأي مع الجماعة، والصواب ما رأيتم. فقال قصير أرى القدر يسابق الحذر فلا يطاع لقصير أمر، فأرسلها مثلاً. ثم سار جذيمة فلما قرب من دار الزَبّاء أرسل إليها يعلمها بمجيئه، فأظهرت السرور به والرغبة فيه، وأمرت بحمل الميرة إليه وقالت لجندها ولخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها ورعيتها تلقوا سيدكم وملك دولتكم، فعاد الرسول إليه بالجواب وأخبره بما رأى وسمع. فلما أراد جذيمة أن يسير، دعا قصيراً وقال أنت على رأيك؟ قال نعم وقد زادت بصيرتي فيه، أفأنت على عزمك؟ قال: نعم، وقد زادت رغبتي فيه، فقال قصير: ليس الدهر بصاحب لمن لم ينظر في العواقب، فأرسلها مثلاً. ثم قال، وقد يستدرك الأمر قبل فوته وفي يد الملك بقية هو بها مسلط على استدراك الصواب: فإنك إن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان وعشيرة وأعوان، فإنك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك وأعوانك وألقيتها في يد من لست آمن عليك مكره وغدره، فإن كنت ولا بد فاعلاً ولهواك تابعاً، فإن القوم أن يلقوك غداً رزدقاً واحداً وقاموا لك صفين حتى إذا توسطتهم أطبقوا عليك من كل جانب وأحدقوا بك، فقد ملكوك وصرت في قبضتهم، وهذه العصا لا يسبق غبارها، وكان لجذيمة فرس تسبق الطير وتجاري الرياح يقال لها العصا، فإذا رأيت الأمر كذلك فتجلل ظهرها فهي ناجية بك إن ملكت ناصيتها. فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابه وسار. وكانت الزَبّاء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها إذا أقبل جذيمة غداً فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين عن يمينه وعن شماله، فإذا توسط جمعكم فانقضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به، وإياكم أن يفوتكم، وسار(٧) جذيمة وقصير عن يمينه. فلما لقيه القوم رزدقاً واحداً قاموا له صفين، فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب، فعلم أنهم قد ملكوه، وكان قصير يسايره، فأقبل جذيمة عليه وقال صدقت يا قصير، فقال هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها. فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش. فلما رأى قصير أن جذيمة استسلم للأمر وأيقن بالقتل، جمع نفسه ووثب على ظهر العصا. قال ابن هشام إن قصير قدم العصا إلى جذيمة فشغل عنها جذيمة بنفسه، فركبها قصير وأعطاها عنانها وزجرها فذهبت تهوي به هوى الريح. فنظر إليه جذيمة وهي تطاول به وأشرفت عليه الزبّاء ولم يكن معها في قصرها إلاّ جوار بكار وهي جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي، وهي بينهم كأنها قمر قد حفت به النجوم. قال ابن هشام: وكانت الزبّاء قد ربت شعر عانتها حولاً فلما دخل عليها جذيمة تكشفت له وقالت أمتاع عروس ترى، فقال بل متاع أمة بظراء، فأمرت به فأجلس على نطع. وقيل إنه لما أدخل عليها أمرت بالأنطاع فبسطت، وقالت لوصائفها خذن بيد سيدكن وبعل

مولاتكن، فأخذن بيده وأجلسنه على الأنطاع بحيث تراه ويراها وتسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجواري فقطعن رواهشه ووضعن الطست بين يديه فجعلت دماءه تشخب في الطست. فقطرت قطرة على النطع، فقالت لجواريها لا تضيعوا دم الملك، فقال جذيمة: لا يحزنك دم أراقه أهله، فقالت: والله ما وفى دمك ولا شفى قتلك، ولكنه غيض من فيض، فأرسلتها مثلاً. فلما قضى أمرت به فدفن... والزبّاء اسمها نائلة في قول محمد بن جرير الطبري ويعقوب بن السكيت... وميسون في قول ابن دريد[8]، وفارعة في قول ابن هشام وابن الجوزي وغيرهما...

ملحق ج

سميراميس

ديودور الصقلي

المكتبة ٢:٤) وحيث إن نينوس(*) قام بعد تأسيس تلك المدينة (أي نينوى - ز.م.) بشن حرب ضد إقليم بختيريا، وتزوج سميراميس، والتي كانت أشهر النساء المشار إليهن في أية كتب، فمن الضروري أن نحكي عن الكيفية التي تمكنت فيها من تحصيل هذه الشهرة الفائقة بعد أن كانت ذات حظ قليل.

الآن، يوجد في سوريا مدينة تعرف باسم عسقلان(**)، وهناك بالقرب منها بحيرة كبيرة وعميقة فيها الكثير من السمك. وهناك قرب شواطئها فناء الإلهة التي يسميها السوريون دركيتو، وهي ذات رأس امرأة، لكن باقي جسدها هو جسد سمكة(***)، وسبب ذلك التالي. القصة التي يرويها أكثر أهل الإقليم علماً هي التالية: لقد شعرت الإلهة أفروديت(****) بالامتعاض من هذه الإلهة، فأثارت فيها الشبق تجاه شاب وسيم من أتباعها. وقامت دركيتو بتسليم نفسها لذلك السوري وولدت له ابنة. وبعد أن شعرت بالخزي من عملتها المشينة، قتلت الشاب وألقت بالرضيع على صخرة في منطقة متصحرة ثم قامت بقذف نفسها في البحيرة بعد شعورها بالإثم والخزي، وتحول جسمها إلى جسد سمكة. وهذا هو سبب امتناع السوريين حتى يومنا هذا عن أكل ذلك الحيوان ويحترمون السمكة كإلهة. وقد وجد في المنطقة التي ألقيت بها الرضيعة أعداد ضخمة من الحمامات التي بنت أعشاشها هناك، وهي التي قامت برعاية الرضيع وتغذيته بطريقة

(*) هكذا في النص الأصلي Ninos، والمقصود مؤسس عاصمة الآشوريين نينوى التي دمرها البابليون والماديون عام ٦١٢. ومن الجدير بالذكر أن الإغريق أعادوا بناء المدينة إلى تلك الشخصية الأسطورية، وهذا خطأ.

(**) مدينة ساحلية في فلسطين المحتلة.

(***) أي ما يعرف تقليدياً باسم «عروس البحر».

(****) إلهة الحب والجمال عند الإغريق.

غريبة وخارقة؛ فقد قامت الحمامات بالمحافظة على دفء جسد الرضيع من كافة الجوانب عبر تغطيته بأجنحتها، بينما قامت حمامات أخرى بإحضار الحليب بمناقيرها من قطعان البقر المجاورة بعد أن كان رعاتها ابتعدوا عنها، ثم قمن بوضع الحليب قطرة بعد أخرى في فم الطفلة. وعندما صار عمر الطفلة عاماً واحداً وصارت بحاجة إلى غذاء آخر، قامت الحمامات بتغذيتها بقطع من الأجبان قطعتها بمناقيرها. وعندما عاد الرعاة ورأوا أن الجبن مقطع من الجوانب، فوجئوا بذلك وقاموا بالمراقبة لمعرفة السبب. وعندما اكتشفوا السبب، عثروا على الطفلة التي كانت ذات جمال خارق. وقاموا على الفور بإيصالها إلى رئيسهم الذي قام بدوره بتسليمها إلى سِمَّاس رئيس القطعان الملكية. وحيث ان سِمَّاس كان بدون أطفال، فقد قام بإحاطة الفتاة بالرعاية وكأنها ابنته، وأطلق عليها اسم سميراميس، وهي كلمة محرفة قليلاً عن كلمة «حمامة» بلغة السوريين، والتي صارت منذ ذلك الوقت إلهة من قبل سكان كل سوريا.

المكتبة ٢:٥) وهذه هي مادة القصة التي تروى عن ولادة سميراميس. وحدث أنه عندما بلغت سن الزواج، وكانت متفوقة من ناحية جمالها على كافة العذارى، وصل ضابط من البلاط الملكي اسمه أونس بهدف تفقد القطعان الملكية، وكان الشخص الأول ضمن مستشاري الملك وكان قد تمّ تعيينه حاكماً لسوريا. وبينما كان واقفاً مع سِمَّاس ورأى سميراميس أخذ بسحر جمالها، وهدده بأفدح العواقب فيما لو رفض أن يزوجه إياها، ثم اصطحبها إلى نينوى وتزوجها حيث خلفت له ابنين هما هيياتس وهيداسبس. وحيث ان باقي خصال سميراميس كانت تتماشى مع جمال محياها، فقد أدى ذلك إلى أن يضحي زوجها مأسوراً بها، وبما أنه لم يكن يعمل شيئاً دون نصيحتها، فقد قاد ذلك إلى نجاحه في كافة الأمور.

وحدث أنه في ذلك الوقت تحديداً أن الملك الذي كان قد انتهى لتوه من تأسيس المدينة التي تحمل اسمه، قاد حملة ضد البختياريين. وحيث إنه كان على دراية بعدد وبسالة أولئك الرجال، وأن تلك البلاد كانت حصينة في الكثير من المناطق التي يصعب اختراقها من قبل الأعداء، فقد قام باستكتاب أعداد ضخمة من الجنود من كافة الأمم مصمماً بذلك على حشد عدد من الجنود يساوي أضعاف ما عند البختياريين، آخذاً بعين الاعتبار حظه العاثر في الحملات السابقة. وبعد أن تمّ حشد كافة الطاقات لجمع الجنود، والذين بلغ عددهم وفق كتاب «التاريخ» لكتسياس مليوناً وسبع مائة ألف جندي، ومائتين وعشرة آلاف فارس وعدد أقل من عشرة آلاف وست مائة جندي من سلاح المنجنيق المحمل.

وقد يدهش البعض من هذا العدد الهائل للجيش للوهلة الأولى، لكنه لم يكن أمراً مستحيلاً عند الأخذ بعين الاعتبار أعداد سكان آسيا الهائلة. فإذا أهمل الواحد منا حملات داريوس(*) ضد السكيثيين(**) التي ضمت ثمان مائة ألف جندي، وكذلك العبور الذي قام به خيركس(***) ضد

(*) امبراطور فارسي.

(**) أحد شعوب أواسط آسيا، ولا يعرف عنهم شيئاً الآن.

(***) امبراطور فارسي.

اليونان حيث تجاوز عدد الجنود ذلك الرقم، فعليه أن يأخذ بعين الاعتبار الحملات التي جرت يوم أمس وما قبله، فسيصل سريعاً إلى نتيجة أن هذا القول أمر معقول. فقد قاد ديونيسوس(*) على سبيل المثال حملة في صقلية منطلقة من مدينة واحدة للسرقوزين بلغ عددهم مائة وعشرين ألف جندي واثني عشرة ألف خيال، وأرسل من مرفأ واحد أربع مائة سفينة حربية كان بعضها رباعي وخماسي المجداف. كما أن الرومان الذي أدركوا أبعاد الحرب، قاموا فترة قصيرة قبل عهد هانيبال(**)، باستكتاب المواطنين والحلفاء القادرين على الخدمة العسكرية في إيطاليا الذين وصل عددهم إلى أقل بقليل من مليون رجل؛ علماً بأنه من غير الممكن لأحد أن يعمل مقارنة بين عدد سكان كل إيطاليا بنظيره عند أمة آسيوية واحدة. لذا، فإننا نترك هذه الحقائق لتشكل رداً كافياً من قبلنا على أولئك الذين يحاولون تقدير أعداد تلك الأمم في آسيا اعتماداً على حجم التقدير في مدننا الحالية.

المكتبة ٢:٦) وهكذا قام نينوس بقيادة جنده للقاء العدو في الممرات وسُمح لقسم من جند نينوس بدخول البلاد؛ وعندما رأى أن عدداً كافياً من قوات العدو قد تدرج من الممرات إلى المروج، أطلق قواته في تنظيمات قتالية. وعقب ذلك معركة حامية الوطيس أجبر خلالها البختياريون القوات الآشورية على الفرار، وقاموا بملاحقتهم حتى الجبال المطلة على السهول وقتلوا حوالى مائة ألف من العدو. ولكن عندما قام مجمل القوات الآشورية بدخول البلاد في فترة لاحقة، اضطر البختياريون تحت ضغط أعدادهم الضخمة لترك المدن واحدة بعد الأخرى حيث قامت كل فرقة بالدفاع عن مدينتها. وهكذا تمكن نينوس من إخضاع كافة المدن الأخرى، لكنه لم يكن قادراً على اجتياح مدينة بختيار بسبب مناعتها وكميات العتاد الحربي الذي كان بها.

وعندما تبين أن الحصار قد أضحى مسألة طويلة، قام زوج سميراميس الذي كان مفتوناً بزوجته وكان بصحبة الملك في الحملة العسكرية، بطلب المرأة. وقامت هي، التي كانت ممنوحة بالفهم والجرأة وكافة ما يقود إلى الامتياز، باغتنام الفرصة لإظهار قدراتها. وحيث انها كانت على وشك القيام برحلة تستغرق أياماً كثيرة، قامت أولاً بعمل زي يجعل من المستحيل التفرقة فيما إذا كان مرتديه امرأة أو رجل. وقد ناسب هذا الزي كافة احتياجاتها من ناحية الترحال في جو حار، وكذلك لحماية لون بشرتها وكذلك من جهة أنه يسمح لها بعمل ما تريد حيث انه كان متكيفاً ومناسباً لشخص شاب. وبكلمة واحدة، كان جذاباً لدرجة أن الماديين الذين أضحوا المهيمنين على آسيا قاموا في وقت لاحق بارتداء لباس سميراميس، وكذلك فعل الفرس بعدهم. الآن، عندما وصلت سميراميس إلى بختياريا وشاهدت تطور الحصار، لاحظت أن الهجمات كانت تتم من السهول ومن مواقع يسهل الهجوم من خلالها، ولكن لم يقم أي بمهاجمة

(*) المقصود هنا القائد الإغريقي الأول (٤٣٠ - ٣٦٧ق.م.)، واشتهر بصفته «طاغية ساراقوزا».

(**) القائد القرطاجي ابن أميلكار.

العاصمة بسبب موقعها الحصين، وأن المدافعين عنها قاموا بترك مواقعهم لمساعدة أولئك الذين كانوا يتعرضون لضغط الدفاع عن الأسوار. عندها قامت باصطحاب مجموعة من الجنود المتعودين على تسلق الصخور العالية، وعبرت معهم وهداً صعباً، وقامت باحتلال جزء من العاصمة وأرسلت إشارة إلى الذين كانوا يحاصرون السور في السهل. عندها قام المدافعون عن المدينة الذين أرهبهم سقوط التلال بترك مواقعهم على الأسوار بعد أن فقدوا أي أمل في إنقاذ أنفسهم.

وعندما تمّ أخذ المدينة بهذه الطريقة، قام الملك الذي دهش بقدرات المرأة بتكريمها أولاً بعطايا كبيرة، ولكنه بعد أن صار مفتوناً بجمالها، قام بعد ذلك بمحاولة إقناع زوجها بالتخلي له عنها طوعياً وعرض له مقابل ذلك تزويجه ابنته شوشانة. لكن عندما قابل الرجل ذلك العرض بازدراء، هدده نينوس بقلع عينيه فيما لو لم يخضع لأوامره. بعدها سقط أونيس ضحية نوع من الجنون بسبب ذعره وبسبب حبه لزوجته وربط رأسه بحبل ثم شنق نفسه. وهذه هي الظروف التي قادت سميراميس إلى أن تصبح ملكة.

ملحق د

مخلوقات قصة بلقيس

الحمار الأهلي - في حياة الحيوان الكبرى للدميري:

الحمار جمعه حمير وحمر وأحمرة وربما قالوا للأتان حمارة وتصغيره حمير ومنه توبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية الذي تقدم ذكره. وكنية الحمار أبو صابر وأبو زياد... ويقال للحمارة أم محمود وأم تولب وأم جحش وأم نافع وأم وهب... الحمار شنار والعير عار منكر الصوت لا ترقا به الدماء ولا تمهر به النساء وصوته من أنكر الأصوات. قال الزمخشري الحمار مثل في الذم الشنيع ومن استيحائهم لذكر اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنون عن الشيء المستقذر. وقد عد من مساوىء الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم ذوي مروءة. ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وإن بلغت به الرحلة الجهد، انتهى. والمروءة بالهمز وتركه... وفي الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله صورته صورة حمار أو يحول رأسه رأس حمار... (الحكم) يحرم أكله عند أكثر أهل العلم وإنما رويت الرخصة فيه عن ابن عباس رواه عنه أبو داود وفي سننه وقال الإمام أحمد كره أكله خمسة عشر رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم... ولو بلغ ابن عباس أحاديث النهي الصحيحة الصريحة في تحريمه لم يصر إلى غيره... واختلف السلف في لبنها فحرمه أكثر العلماء ورخص فيه عطاء وطاوس والزهري والأول أصح لأن حكم اللبن حكم اللحم وفي الحديث يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى بالنار فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار في الرحا فيطيف به أهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهي عن الشر وآتيه والأقتاب الأمعاء واحدها قتب بالكسر. وقالت العرب يتهارجون تهارج الحمر أي يتسافدون، والهرج كثرة النكاح، يقال بات يهرجها ليله جميعاً... وقالوا بال الحمار فاستبال أحمرة أي حملهن على البول، يضرب في تعاون القوم على ما يكره... (التعبير).. وربما دلت رؤيته على الود من الزنا ومن رأى حماراً أنزل من السماء

فدس ذكره في دبره نال مالاً عظيماً يستغني به لا سيما إذا كان الرائي ملكاً والحمار أسود أو أدهم، والله أعلم... ولبن الحمارة إذا ضمد به الذكر أنعظ.

الهدهد ـ في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري:

بضم الهائين وإسكان الدال المهملة بينهما طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة وكنيته أبو الأخبار وأبو ثمامة وأبو الربيع وأبو روح وأبو سجاد وأبو عباد ويقال له الهدهاد... والجمع الهداهد وهو طير منتن الريح طبعاً لأنه يبني أفحوصه في الزبل وهذا عام في جميع جنسه. ويذكر عنه أنه يرى الماء في باطن الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزجاجة. وزعموا أنه كان دليل سليمان على الماء، ولهذا السبب تفقده لما فقده. وكان سبب غياب الهدهد عن سليمان عليه الصلاة والسلام أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهز واصطحب من الجن والإنس والشياطين والطير والوحش ما بلغ من عسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم، وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة، وأنه قال لمن حضره من أشراف قومه إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي من صفته كذا وكذا، ويعطى النصر على من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم. ثم قالوا فبأي دين يدين يا نبي الله، قال بدين الحنيفية وطوبى لمن أدركه وآمن به. فقالوا فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله، قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فإنه سيد الأنام وخاتم الرسل. وأقام سليمان عليه السلام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول فيها ليصلي ويتغذى. فلما نزل قال الهدهد إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء، فنظر إلى طول الدنيا وعرضها يميناً وشمالاً، فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى الخضرة فوقع فيه، فإذا هو بهدهد من هداهد اليمن فهبط عليه. وكان اسم هدهد سليمان يعفور، فقال هدهد اليمن ليعفور: من أين أقبلت وأين تريد؟ قال أقبلت من الشأم مع صاحبي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، فقال: ومن سليمان؟ قال: ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحوش والريح، وذكر له من عظمة ملك سليمان وما سخر الله له من كل شيء؛ فمن أين أنت؟ فقال له الهدهد الآخر: أنا من هذه البلاد؛ ووصف له ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل، ثم قال: فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ فقال: أخاف أن يتفقدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء. فقال الهدهد الثاني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة. فمضى معه ونظر إلى ملك بلقيس وما رجع إلى سليمان إلاّ بعد العصر. وكان سليمان قد نزل على غير ماء فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء، فلم يعلموا له خبراً. فتفقد الطير ففقد الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر، فسأله عن الهدهد فلم يجد عنده علمه، فغضب سليمان عليه السلام عند ذلك، فقال ﴿لأعذبنه عذاباً

شديداً﴾ الآية. ثم دعا بالعقاب وهو سيد الطير، فقال له: عليَّ بالهدهد الساعة، فارتفع في الهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة في يد الرجل، ثم التفت يميناً وشمالاً، فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمين، فانقض عليه العقاب يريده، فناشده الله وقال: أسألك بحق الذي قواك وأقدرك عليَّ ألا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء. فتركه ثم قال له: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف ليعذبنك أو يذبحنك، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ قال: بلى، قال أو ليأتيني بسلطان مبين. قال الهدهد: قد نجوت إذاً. ثم طار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان عليه السلام، فلما قرب منه الهدهد أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً(*). فأخذ سليمان رأسه فمده إليه وقال يا نبي الله، أذكر وقوفك بين يدي الله عزّ وجلّ، فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله عن سبب غيبته، فأخبره بأمر بلقيس، وقد تقدمت الإشارة إلى طرف من قصتها في باب الدال والعين المهملتين في الكلام على الدود والعفريت. قال الزمخشري: وكان السبب في تخلفه وغيبته عن سليمان عليه السلام أنه حين نزل سليمان، حلق الهدهد فرأى هدهداً واقفاً، فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء، وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف، فذهب معه لينظر، فما رجع إلاّ بعد العصر. فدعا سليمان عليه السلام عريف الطير وهو النسر، فلم يجده عنده علمه، فقال لسيد الطير وهو العقاب: عليَّ به، فارتفعت ونظرت فإذا هو مقبل فقصدته، فناشدها الله تعالى وقال: بحق الذي قواك وأقدرك ألا ما رحمتني، فتركته وقالت: ثكلتك أمك، إن نبي الله حلف ليعذبنك، قال: أو ما استثنى؟ قالت: بلى، قال أو ليأتني بسلطان مبين. فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً له. فلما دنا منه أخذ رأسه فمده إليه، فقال: يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله. وأما قوله لأعذبنه فتعذيبه بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه. وقيل كان عذاب سليمان عليه السلام للطير أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض، وهو أظهر الأقاويل. وقيل إنه يطلى بالقطران ويشمس، وقيل إنه يلقى للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص، وقيل التفريق بينه وبين إلفه، وقيل إلزامه صحبة الأضداد؛ وعن بعضهم أنه قال أضيق السجون صحبة الأضداد. وقيل حبسه مع غير جنسه. وقيل إلزامه خدمة أقرانه. وقيل تزويجه عجوزاً. فإن قلتَ من أين أحل له تعذيب الهدهد، قلت يجوز أن يبيح الله له ذلك كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع. (وحكى) القزويني أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أريد أن تكون في ضيافتي، قال: أنا وحدي؟ قال: بل أنت وأهل عسكرك في جزيرة كذا في يوم كذا. فحضر سليمان عليه السلام بجنوده، فطار الهدهد فاصطاد جرادة فخنقها ورمى بها في البحر وقال: كلوا يا نبي الله، من فاته اللحم نال المرق. فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً، وفي ذلك قيل:

(*) في النص الأصلي «تواضا»، وهو خطأ.

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة ... أهدت له من جراد كان في فيها

وأنشدت بلسان الحال قائلة ... إن الهدايا على مقدار مهديها

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته ... لكان يهدى لك الدنيا وما فيها

قال عكرمة إنما صرف سليمان عليه السلام عن ذبح الهدهد لأنه بار بأبويه ينقل الطعام إليهما فيزقهما في حال كبرهما.

قال الجاحظ: وهو وفّاء حفوظ ودود وذلك أنه إذا غابت أنثاه لم يأكل ولم يشرب ولم يشتغل بطلب طعم ولا غيره ولا يقطع الصياح حتى تعود إليه. فإن حدث حادث أعدمه إياها، لم يسفد بعدها أنثى أبداً، ولم يزل صائحاً عليها ما عاش، ولم يشبع بعدها أبداً بطعم بل ينال منه ما يمسك رمقه إلى أن يشرف على الموت، فعند ذلك ينال منه يسيراً... (الخواص)... ولحمه إذا بُخِّر به معقوداً عن الباه أو مسحوراً، أبرأه...

الهدهد ـ في كتاب الحيوان للجاحظ[١٠]:

وأما القول في الهدهد فإن العرب والأعراب كانوا يزعمون أن القنزعة التي على رأسه ثواب من الله تعالى على ما كان من بره لأمه لأن أمه لما ماتت جعل قبرها على رأسه فهذه القنزعة عوض عن تلك الوهدة. والهدهد طائر منتن الريح والبدن من جوهره وذاته قرب شيء يكون منتناً من نفسه من غير عرض يعرض له كالتيوس والحيات وغير ذلك من أجناس الحيوان، فأما الأعراب فيجعلون ذلك النتن شيئاً خامره لسبب تلك الجيفة التي كانت مدفونة في رأسه. وقد قال في ذلك أمية (بن أبي الصلت ـ ز.م.) أو غيره من شعرائهم. فأما أمية فهو الذي يقول:

١ ـ تعلم فإنَّ الله ليس كصنعه ... صنيع ولا يخفى على الله مُلحَدُ

٢ ـ وبكل مُنكَرَة له معروفة ... أخرى على عين بما يتعمَّد

٣ ـ جُدَد وتوشيم ورسمُ علامةٍ ... وخزائن مفتوحة لا تنفدُ

٤ ـ عمَّن أراد بها وجاب عَنائَهَا ... لا يستقيمُ لخالق يتزيَّدُ

٥ ـ غيم وظلماء وغيث سحابة ... أيام كفَّن واسترادَ الهدهدُ

٦ ـ يبغي القرار لأمه لِيُجِنَّها ... فبنى عليها في قفاها يمهدُ

٧ ـ مهداً وطيّاً فاستقلَّ بحمله ... في الطير يحملها ولا يتأوَّدُ

٨ ـ من أمه فجرى لصالح حملها ... ولداً وكلِّف ظَهرَهُ ما تفقِدُ

٩ ـ فيزال يدلَحُ ما مضى بجنازة ... منها وما اختلف الجديد المُسنَدُ(*)

(*) الأبيات الواردة في نص كتاب الحيوان الذي استشرناه تختلف عن تلك المسجلة أعلاه والتي أخذناها من المرجع المسجل في نهاية العمل.

ويزعمون أن الهدهد هو الذي كان يدل سليمان عليه السلام على مواضع الماء في قعور الأرضين إذا أراد استنباط شيء منها. ويروون أن نجدة الحروري ونافع بن الأزرق قالا لابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنك تقول إن الهدهد إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء، والهدهد لا يبصر الفخ دوين التراب حتى إذا نقر التمرة انضم عليه الفخ. قال لهما ابن عباس إذا جاء القدر عمي البصر... وابن عباس إن كان قال ذلك فإنما عنى هدهد سليمان عليه السلام بعينه، فإن القول فيه خلاف القول في سائر الهداهد وسنأتي على ذكر هذا الباب من شأنه في موضعه إن شاء الله تعالى...

العفريت ـ في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري:

القوي المارد من الشيطان، والتاء فيه زائدة. قال تعالى ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به﴾. قرأ أبو رجاء العطاردي وعيسى الثقفي عفرية، ورويت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقرأت فرقة عفر، وكل ذلك لغات. وقال وهب اسم هذا العفريت كوذا وقيل ذكوان، وقال ابن عباس هو صخر الجني.

واختلفوا في غرض سليمان عليه الصلاة والسلام في استدعاء عرش بلقيس، فقال قتادة وغيره لأنه أعجبه وصفه لما وصفه الهدهد بالعظم، فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام. وقال الأكثرون إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ عرشها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها. وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها.

وروي أن عرشها كان من فضة وذهب مرصعاً بالياقوت والجوهر، وأنه كان في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق. وفي الكشف والبيان للثعلبي أن عرشها كان سريراً ضخماً حسناً، وكان مقدمه من ذهب منضداً بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، ومؤخره من فضة مكللاً بأنواع الجواهر وله أربع قوام قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أصفر وقائمة من زبرجد أخضر وقائمة من در أبيض، وصفائح السرير من ذهب. وكانت قد أمرت به فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في آخر قصر من قصورها على كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وارتفاعه في الهواء ثلاثين ذراعاً. وقال مقاتل كان ثمانيناً في ثمانين، وقيل كان طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما كان سليمان عليه السلام مهيباً لا يُبدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فرأى ذات يوم وهجا قريباً منه فقال ما هذا، قالوا هذا عرش بلقيس. فقال: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن

تقوم من مقامك، وكان سليمان يجلس في مجلس الحكم من الصباح إلى الظهر، وإني عليه، أي على الإتيان به لقوي على حمله أمين لا أختلس منه شيء، قال الذي عنده علم من الكتاب، قال البغوي وغيره الأكثرون على أنه آصف بن برخيا، وكان صِدِّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطَى: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. قال سعيد بن جبير يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من تراه، ومعناه أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك. وقال قتادة قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر. وقال مجاهد يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً. وقال وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك، وقيل إن الذي عنده علم من الكتاب اسمه أسطوم، وقيل هو جبريل، وقيل هو سليمان نفسه. قال له عالم من بني إسرائيل قيل اسمه أسطوم آتاه الله معرفة وفهماً أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، قال سليمان هات، قال أنت النبي وابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك، فإن دعوت الله وطلبت منه كان عندك، قال صدقت.

والعلم الذي أوتيه قيل هو الاسم الأعظم، وفي الكلام حذف تقديره، فدعا باسم الله الأعظم وهو «يا حي يا قيوم يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلاّ أنت». وقيل «يا ذا الجلال والإكرام». قيل شقت الأرض بالعرش فغار في الأرض حتى نبع بين يدي سليمان، قاله الكلبي. وقال ابن عباس رضي الله عنهما فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون الأرض خداً حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان. وقيل جيء به في الهواء، وكان بين سليمان والعرش مسيرة شهرين للمُجِدّ، فلما رآه مستقراً عنده جعل يشكر نعمة الله تعالى بعبارة فيها تعليم للناس وعرضة للاقتباس. ثم قال نكروا لها عرشها - أراد بالتنكير تجربة تمييزها ونظرها وليزيد في الإغراب عليها. وروت فرقة أن الجن لما أحست من سليمان أنه ربما يتزوج بلقيس فتفشي له أخبار الجن لأن أمها كانت جنية وأنها ربما تلد ولداً فينقل الملك إليه فلا ينفكون من تسخير سليمان وولده من بعده. فأساءوا الثناء عليها وعابوها عنده ليزهدوا فيها، فقالوا إنها غير عاقلة ولا مميزة وأن رجليها كحافر فرس وقيل كحافر حمار، وأنها شعراء الساقين. فجرب عقلها بتنكير العرش واختبر أمر رجليها بالصرح لتكشف عن ساقيها. وتنكيره بأن يزيد فيه وينقص منه، والقصة مشهورة في كتب التفسير. ولما أسلمت وأذعنت وأقرت على نفسها بالظلم روي أنه تزوجها وردها إلى ملكها باليمن، وكان يأتيها على الريح في كل شهر مرة، فولدت له غلاماً فسماه داود ومات في حياته.

وقيل إنه جعل، يعني لما زاد في العرش ونقص منه مكان الجوهر الأخضر أحمر ومكان الأحمر أخضر. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو. وقيل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها. قال مقاتل وقال عكرمة كانت بلقيس حكيمة لم تقل نعم خوفاً من أن تكذب ولم تقل لا خوفاً من التنكيت عليها، بل قالت كأنه هو. فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر، وقيل إنه اشتبه عليها أمر العرش لأنها لما أرادت الشخوص إلى سليمان دعت قومها

وقالت لهم والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة، ثم أرسلت إلى سليمان أني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعو إليه من دينك. ثم أمرت بعرشها وكان من ذهب وفضة مرصعاً بالياقوت والجوهر، فجعلته في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق كما تقدم، ووكلت به حراساً يحفظونه ثم قالت لمن خلفته على سلطانها احتفظ بما قبلك لا يخلص إليه أحد ولا ترينه أحداً حتى آتيك، وشخصت إلى سليمان باثني عشر ألف قيل من أقيال اليمن، تحت كل قيل ألوف كثيرة. فلما جاءت قيل لها أهكذا عرشك، فاشتبه عليها أمر العرش، فقالت: كأنه هو. ثم قيل أدخلي الصرح، قيل إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضاً، وقيل الصرح الصحن في الدار، وأجري تحته الماء وألقي فيه شيء كثير من دواب البحر كالسمك والضفادع؟ وغيرها. ثم وضع سرير سليمان في صدره، فكان الصرح إذا رآه أحد حسبه لجة ماء. قيل إنما يبني الصرح لأنه أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفها. وقيل أراد أن يختبر فهمها كما فعلت هي بالوصفاء والوصائف، وقد تقدم ذكر ذلك في باب الدال المهملة في الدود. فجلس سليمان عليه السلام على السرير ودعا بلقيس، فلما جاءت قيل لها أدخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء، وكشفت عن ساقيها لتخوضها إلى سليمان، فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً، إلاّ شعر الساقين. فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها إنه صرح ممرد من قوارير وليس بماء، ثم دعاها إلى الإسلام، وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت. وقيل إنها لما بلغت الصرح وحسبته لجة قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون عليَّ من هذا، فقولها ظلمت نفسي تعني بذلك الظن.

وقيل إنه لما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها، فسأل الإنس ما يذهب هذا، قالوا الموسى، قالت لا تمسني حديدة قط، وكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها. فسأل الجن: فقالوا: لا ندري، فسأل الشياطين، فقالوا إنا نحتال لك حتى يكونا كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام، ومن يومئذٍ ظهرت النورة والحمّام، ولم تكن قبل ذلك. فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وهي سلحين[١٠] وبينون وغمدان. ثم كان سليمان عليه السلام يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام؛ يبتكر من الشأم إلى اليمن ومن اليمن إلى الشأم على الريح. وولدت له غلاماً أسماه داود(*)، فمات في حياته. وبلقيس هي بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن قد ولده أربعون ملكاً هو آخرهم. وكان ملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفوءاً لي، وأبى أن يتزوج منهم، وأنه تزوج امرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها. وقد جاء في الحديث ما يؤيد هذا وهو قوله إن أحد أبوي بلقيس كان جنياً. فلما مات أبوها في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها، فأطاعها قوم وعصاها آخرون وملكوا عليهم رجلاً

(*) يبدو أن الكاتب أخذ معلومة عن هذا الإبن المزعوم واسمه من الملحمة الدينية الحبشية.

وافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن. ثم إن الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن، فأراد قومه خلعه فلم يقدروا على ذلك. فلما رأت بلقيس ذلك، أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه، فأجابها ما منعني أن ابتدئك بالخطبة إلاّ اليأس منك، فقالت لا أرغب عنك وأنت كفؤ كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم. فجمعهم فخطبها إليهم، فذكروا لها ذلك، فقالت أجبت، فزوجوها به. فلما زفت إليه ودخلت عليه سقته الخمر حتى سكر وغلب على نفسه. ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها وأمرت بنصب رأسه على باب دارها، فلما رأى الناس ذلك، علموا أن تلك المناكحة كانت مكراً وخديعة منها، فاجتمعوا إليها وملكوها عليهم. وفي الحديث عن أبي بكرة قال إن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة، رواه البخاري.

الجن ـ في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري:

أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة، وهم خلاف الإنس، الواحد جني. يقال إنما سميت بذلك لأنها تُتّقى ولا تُرى... روى الطبراني بإسناد حسن عن أبي ثعلبة الخشني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجن ثلاثة أصناف، فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وصنف يحلون ويظعنون... حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الجن ثلاثة أصناف، صنف حيات وعقاب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب... وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الخلق كلهم أربعة أصناف، فخلق في الجنة كلهم وهم الملائكة، وخلق كلهم في النار وهم الشياطين، وخلق في الجنة والنار وهم الجن والإنس لهم الثواب وعليهم العقاب.... وفي كتاب خير البِشر بخير البَشَر عن عبيد المكتب عن إبراهيم قال خرج نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، وأنا معهم، يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا حية بيضاء تتثنى على الطريق يفوح منها ريح المسك، قال قلت لأصحابي امضوا فلست ببارح حتى أنظر ماذا يصير أمرها، فما لبثت أن ماتت، فظننت بها الخير لمكان الرائحة الطيبة فكفنتها في خرقة ثم نحيتها عن الطريق ودفنتها وأدركت أصحابي في المتعشى. قال فوالله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن أيكم دفن عمر، فقلنا من عمر، فقالت أيكم دفن الحية، قال فقلت أنا، قالت أما والله لقد دفنت صواماً قواماً يؤمن بما أنزل الله عزّ وجلّ، ولقد آمن بنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم سمع صفته في السماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة...

الجن ـ في كتاب الحيوان للجاحظ:

الجني إبليس لذنوبه والأفعى هي الحية التي كلّم إبليس آدم من جوفها ومن لا علم عنده. يروى أيضاً أن إبليس قد دخل جوف الحمار مرة وذلك أن نوحاً لما دخل السفينة تمنع الحمار

بعسره ونكده وكان إبليس قد أخذ بذنبه. وقال آخرون بل كان في جوفه، فلما قال نوح للحمار أدخل يا ملعون ودخل الحمار دخل إبليس معه إذ كان في جوفه. قال فلما رآه نوح في السفينة قال يا ملعون من أدخلك السفينة؟ قال أنت أمرتني، قال ومتى أمرتك؟ قال حين قلت أدخل يا ملعون ولم يكن ثَمّ ملعون غيري...

الجن ـ في كتاب عجايب المخلوقات وغرايب الموجودات للقزويني:

زعموا أن الجن حيوان هوائي مشف الجرم، من شأنه أنه يتشكل بأشكال مختلفة. اختلف الناس في وجود الجن، فمنهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين مردة الأنس، هم قوم من المعتزلة، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار وخلق الجن من لهبها والشياطين من دخانها، وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر، وأنها تتشكل بما شاءت من الأشكال، وإذا تكاثفت صورتها يراها الناظر. وجاء في الأخبار أن نوع الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم كانوا سكان الأرض، وكانوا قد طبقوا الأرض براً وبحراً وسهلاً وجبلاً، وكثرت نعمة الله عليهم وكان فيهم المُلك والنبوة والدين والشريعة، فطغت وبغت وتركت وصاية أنبيائهم وأكثرت في الأرض الفساد فأرسل الله تعالى إليهم جنداً من الملائكة سكنت الأرض وطردت الجن إلى أطراف الجزائر وأسرت منهم كثيراً... وعن أبي أمامة عن رسول الله صلعم أن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني وجعلتني رجيماً، فاجعل لي بيتاً، قال الحمّام، قال فاجعل لي مجلساً، قال الأسواق ومجامع الطرق، قال فاجعل لي طعاماً، قال ما لم يذكر اسم الله عليه، قال فاجعل لي شراباً، قال كل مسكر، قال فاجعل لي مؤذناً، قال المزامير، قال فاجعل لي قرآناً، قال الشعر، قال فاجعل لي خطاً، قال الوسم، قال فاجعل لي حديثاً، قال الكذب، قال فاجعل لي مصائد، قال النساء...

الظبي ـ في كتاب الحيوان الكبرى للدميري:

الظبي(*) الغزال والجمع أظب وظباء وظبي، والأنثى ظبية والجمع ظبيات بالتحريك. وظباء وأرض مظبئة أي كثيرة الظباء. وظبية اسم امرأة تخرج قبل الدجال تنذر المسلمين به. قال ابن سيده قال الكرخي الظباء ذكور الغزلان، والأنثى الغزال، قال الإمام وهذا وهم فإن الغزال ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه... وتكنى الظبية أم الخشف وأم شادن وأم الطلاء... (الأمثال) قالوا آمن من ظباء الحرم... (التعبير) الظبي في المنام امرأة حسناء عربية، فمن رأى أنه يملك ظبية بصيد فإنه يملك جارية بمكر وخديعة أو يتزوج امرأة... ومن رأى أنه يمشي في أثر ظبي زادت قوته، ومهما ملك الإنسان من قرون الظباء أو شعورها أو جلودها فهي أموال من قبل النساء.

الغزال ـ في كتاب الحيوان الكبرى للدميري:

ولد الظبية إلى أن يقوى ويطلع قرناه، والجمع غزلة وغزلان مثل غلمة وغلمان، والأنثى غزالة،

(*) سجل الجاحظ في (باب ما يحتاج إلى معرفته) التالي: يقال فرج المرأة والجمع فروج وهو القبل والفرج كناية والاسم الحر وجمعه أحراح... قالوا الظبية اسم الفرج من الحافر والجمع الظبيات...

كذا قال ابن سيده وغيره واستعمله الحريري في آخر المقامة الخامسة. وذلك في قوله «فلما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة» أراد بالأول الشمس وبالثاني الأنثى من أولاد الظباء... قال (صلاح الصفدي) وقد غلطوا الحريري في قوله... قالوا لم تقل العرب الغزالة إلاّ للشمس، فلما أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية ثم هي بعد ذلك ظبية... وقال أبو يوسف الجوهري:

وإذا الغزالة في السماء ترفعت وبدا النهار لوقته يترجل

أبدت لقرن الشمس وجهاً مثله تلقى السماء بمثل ما تستقبل

أراد بالغزالة الشمس وقت ارتفاعها، فيقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت الغزالة (الخواص) وشحمه إذا طلى به إنسان إحليله وجامع امرأته لم تحب سواه...

الدود ـ في كتب الحيوان الكبرى للدميري:

... والدود أنواع كثيرة يدخل فيها الأساريع والحلم والأرضة ودود الخل والزبل ودود الفاكهة ودود القز والدود الأخضر... وأما دود الفاكهة فذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾ الآية أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن وخمسمائة جارية على زي الغلمان كلهم على سروج الذهب والخيل المسمومة وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت والمسك والعنبر، وحقاً فيه درة يتيمة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب. وبعثت برجلين من أشراف قومها، المنذر بن عمرو وآخر ذي رأي وعقل وقالت إن كان نبياً ميّز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً، ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك أمره، وإن رأيت شيئاً لطيفاً فهو نبي. فأعلم الله نبيه سليمان بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشت في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفة من ذهب وشرفة من فضة، وأمر بأحسن الدواب في البر وفي البحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن. وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على كرسيه والكراسي عن يمينه ويساره، واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ والجن صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك. فلما دنا القوم نظروا فرأوا الدواب تروث على لبنات الذهب والفضة، فرموا بما معهم منها. فلما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق ثم قال أين الحق الذي فيه كذا وكذا، فقدموه بين يديه، فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجر. وأخذت دودة بيضاء بفيها الخيط ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه. ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه، ثم رد الهدية وقال للمنذر أن أرجع إليهم. فلما رجع وأخبرها الخبر قالت هو نبي وما لنا به طاقة، فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت يد كل قيل ألوف...

ملحق هـ

المواقع في قصة بلقيس

قبر بلقيس ـ في الإكليل(*):

بِلقيس بنت الهَدهاد بن شَرحبيل قبرها بمأرب. قال أبو محمد: لم تلبث بعد أن قتل ولدها رحبعم بن سليمان بإنطاكية إلاّ سنة واحدة ثم ماتت، فقال النعمان بن الأسود بن المعترف بن عمرو بن يعفر الحِميري وهو من بيت الملوك وأبناء البيوت يرثي بلقيس ابنة الهَدهاد، ابن شرحبيل...

غمدان ـ في سيرة ابن هشام:

في تعليق على قصيدة مطلعها (ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن)، يعلق «غمدان» (بضم أوله وسكون ثانيه وآخره نون): قصر بناه يشرح بن يحصب على أربعة وجوه: وجه أبيض، ووجه أحمر، ووجه أصفر، ووجه أخضر. وبنى في داخله قصراً على سبعةِ سقوف، بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً، وجعل في أعلاه مجلساً بناه بالرخام الملون، وجعل سقفه رخامة واحدة. وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه كأعظم ما يكون من الأسد، فكانت الريح، إذا هبت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه، فيسمع له زئير كزئير السباع. وقيل: إن الذي بناه سليمان ابن داود عليهما السلام. وللشعراء كثير في غمدان. وقد هدم في عهد عثمان رضي الله عنه.

غمدان ـ في معجم البلدان:

بضم أوله، وسكون ثانيه، وآخره نون، وقد صحفه الليث فقال عُمدان بالعين المهملة، كما صحف بُعاث بالعين المهملة فجعله بالغين المعجمة، يجوز أن يكون جمع غِمد مثل ذئب وذؤبان،

(*) الكتاب الثامن.

وغمد الشيء: غشاؤه ولبسته، فكأن هذا القصر غشاء لما دونه من المقاصير والأبنية؛ قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: إن ليشرح بن يحصب أراد اتخاذ قصر بين صنعاء وطيوة فأحضر البنائين والمقدّرين فمدوا لذلك الخيط ليقدروه فانقضت على الخيط حِدَأة فذهبت به فاتبعوه حتى ألقته في موضع غمدان فقال ليشرح: ابنوا القصر في هذا المكان، فبُني هناك على أربعة أوجه: وجه أبيض ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر، وبني في داخله قصر على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً، وكان ظله إذا طلعت الشمس يُرى على عينين وبينهما ثلاثة أميال، وجعل في أعلاه مجلساً بناه بالرخام الملون، وجعل سقفه رخامة واحدة، وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه كأعظم ما يكون من الأسد فكانت الريح إذا هبّت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه فيسمع له زئير كزئير السباع، وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلاً فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق، فإذا أشرف عليه الإنسان من بعض الطرق ظنه برقاً أو مطراً ولا يعلم أن ذلك ضوء المصابيح... وقال قوم: إن الذي بنى غمدان سليمان بن داود، عليه السلام، أمر الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء: غُمدان وسِلحين وبَينون... وهُدِم غمدان في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فقيل له: إن كُهّان اليمن يزعمون أن الذي يهدمه يُقتل، فأمر بإعادة بنائه، فقيل له: لو أنفقت عليه خرج الأرض ما أعدته كما كان، فتركه، وقيل: وجد على خشبة لما خُرب وهُدِمَ مكتوب برصاص مصبوب: اسلم غمدان هادمك مقتول، فهدمه عثمان، رضي الله عنه، فقُتِل.

سلحين ـ في معجم البلدان:

بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم حاء مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت ساكنة، وآخره نون: حصن عظيم بأرض اليمن كان للتبابعة ملوك اليمن، وزعموا أن الشياطين بنت لذي تُبّع ملك همدان حين زوّج سليمان ببلقيس قصوراً وأبنية وكتبت في حجر وجعلته في بعض القصور التي بنتها: نحن بنينا بينون وسَلحين وصِرواح ومرواح برجاجة أيدينا وهندة وهنيدة وقلسوم وبُريدة وسبعة أمحلة بقاعة... وقد ذُكِر أن سلحين بُنيت في سبعين سنة وبني براقش ومعين، وهما حصنان آخران، بغسالة أيدي صُنّاع سلحين، فلا يرى بسلحين أثر وهاتان قائمتان...

صِرْوَاح ـ في معجم البلدان:

بالكسر ثم واو بعدها ألف، وآخره حاء مهملة... حصن باليمن قرب مأرب يقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليه السلام؛ وقال ابن أبي الدمينة سعد بن خولان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهو الذي تملك بصرواح وأنشد لبعض أهل خولان:

وعلى الذي قهر البلاد بعزّة ... سعد بن خولان أخي صرواح

صرواح ـ في معجم ما استعجم:

بكسر أوله وإسكان ثانيه، بعده واو وحاء مهملة، على وزن فِعوال: حصن باليمن، كان

سليمان عليه السلام أمر الجن أن تبنيه لبلقيس؛ وفيه كانت مملكة خولان، قال عمرو بن زيد الغالي من خولان:

تشتوا على صرواح سبعين حجة ومأرب صافوا ربعها وتربعوا

صرواح ـ في لسان العرب:

حصن باليمن، أمر سليمان عليه السلام الجن فبنوه لبلقيس، وهو في الصحاح معرف بالألف واللام.

مأرب ـ في لسان العرب:

بلاد الأزدْ التي أخرجهم منها سيل العرم... قال ابن الأُثير: وهي مدينة باليمن، كانت بها بلقيس.

بينون ـ في معجم البلدان:

بضم النون، وسكون الواو، ونون أُخرى: اسم حصن عظيم كان باليمن قرب صنعاء اليمن، يقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليه السلام، والصحيح أنه من بناء بعض التبابعة، وله ذكر في أخبار حِميَر وأشعارهم؛ قال ذي جدن الحميري.... واسمه علقمة من شَعب ذي رُعين:

لا تَهلكن جزعاً في إثر من ماتا فإنه لا يرد الدهر ما فاتا

أبعد بينون لا عين ولا أثر وبعد سلحين يبني الناس أبياتاً

كيدد ـ في معجم ما استعجم:

بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده دالان مهملتان: قال الهَمْداني: هو اسم مدينة الصين العظمى، وأنشد لأسعد أبي كَرِب، وذكر بلقيس:

عَمِرت به عشرين عاماً قد حَوَت مُلكَ العراق إلى أقاصي كيدد

الرَّوْعُ ـ في معجم البلدان:

بلفظ الروع الذي هو الفزع: بلد من نواحي اليمن قرب لحج؛ وفيه يقول الشاعر:

فما نعمت بَلقيس في ملك مأرب كما نعمت بالروع أم جميل

أَيرم ـ في معجم ما استعجم:

بفتح أوله والراء المهملة: من مصانع حمير باليمن، قال علقمة بن ذي جدن:

هل لأنس مثل آثارهم بأيرم ذات السبناء السيفع

أو مثل صِرواح وما دونها مما بنت بَلقيس أو ذو تبع

أم بلقيس ـ في معجم ما استعجم:

باب النِّير: جبال كثيرة سود: قَنَان، وقُرَّان وغيرهما... ومن النير تخرج سيول التَّسرير، وسيول نَضَاد وذي عَثَث، واد يقال له ذو بحار، حتى يأخذ بين الضِّلعين: ضلع بني مالك، وضلع بني شَيصَبَان، فإذا خرج من الضلعين كان اسمه التسرير. وبنو مالك وبنو شيصبان بطنان من الجن، فيما زعمت علماء غني(*). ويروى عن ابن عباس أنه قال: كانت أم بلقيس من الجن، يقال لها يلغمة بنت شيصبان....

هُدَد ـ في لسان العرب:

اسم لملك من ملوك حمير وهو هُدد بن هَمَّال، ويروى أن سليمان بن داود، عليهما السلام، زوجه بَلْقَه وهي بِلقيس بنت بليشرح.... والهدَهَد أصوات الجن ولا واحد له.

يَلْمَقَه ـ في معجم ما استعجم:

بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وفتح الميم أيضاً، بعدها قاف مخففة، وهاء التأنيث: من مصانع الجن، التي بنتها الجن على عهد سليمان عليه السلام، وكذلك سلحين وبينون وغمدان، لم ير الناس مثلها، هدمتها الحبشة إذ غلبت على اليمن، قال الحميري:

هونك ليس يرد الدمع ما فاتا ... لا تهلكي جزعاً في إثر من ماتا

أبعد بينون لا عين ولا أثر ... وبعد سلحين يبني الناس أبياتاً

وقيل: إنما سمي هذا الموضع يلمقة، على وزن يَعمَلَة، باسم بلقيس بنت هَدَّاد ابن شَرح بن شرحبيل بن الحارث الرائش، صاحبة سليمان، اسمها يَلمَقَة، على وزن يعملة. وقال الهَمْداني: وتفسيره: زُهرَة، لأن اسم الزهرة في لغة حمير: يَلمَقَة وألمَق، واسم القمر هَيْس(**).

التقسيم القبلي للعرب ـ في كتاب الإكليل:

قال بعضهم: العرب على سبع طبقات: شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وحبل وفصيلة. قالوا: وإنما سميت الشعوب شعوباً لأن القبائل تشعبت منها وسميت قبائل لأن العمائر تقابلت عليها. فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الحبال، والحبل يجمع الفصائل، والفصيلة من يُساكِن المرء وينفصل معه ويعصب عليه من حبله كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وفصيلته التي تؤويه﴾(***). ومن العرب من يجعل الحبل أدنى إلى الرجل من فصيلته. والشعب والحي بمعنى يقال شعب عظيم وحي عظيم.

(*) اسم موقع.

(**) وقيل أيضاً «هبيس».

(***) سورة المعارج، الآية ١٣.

قالوا: مُضَر شعب وكنانة قبيلة وقريش عِمارة وفِهر بطن وقُصَي فخذ وهاشم حبل وآل عباس فصيلته. وأما الرهط فكثير وقليل من هذه الصنوف. قال الله عزَّ وجلَّ وذكر قول أهل مِديَن لشُعَيب: ﴿ولولا رهطك﴾ أي عشيرتك ﴿لرجمناك﴾ أي قتلناك. وقال: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾، أي من رهط مثل قول العرب: ثلاث ذَودٍ والذودُ الكثير.

نسب بلقيس وأمها

«الاشتقاق» لابن دريد: يسجل عند الحديث عن سَدَد بن زُرعة: (زوج بلقيس، كان سليمان عليه السلام قال: «لا تصلح امرأة بلا زوج»، فزوجها سليمان منه، وكان اسمها يَلمَقَه[١٢]. و«اليلمق» القَباء المحشو، ويقال إنه فارسي معرب[١٣]).

ابن جرير الطبري: صاحب كتاب «تاريخ الأمم والملوك»، والمعروف «تاريخ الطبري»، يقول فيما يخص نسب بلقيس التالي: (وهي فيما يقول أهل الأنساب بلمقة ابنة اليشرح ويقول بعضهم: ابنة إيلي شرح، ويقول بعضهم: ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان).

وهب بن منبه يقول في «كتاب التيجان في ملوك حمير» - باب «ملك بلقيس بنت الهدهاد ملكة حمير» التالي: (وهي بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ).

البكري: يعرفه في كتابه «معجم ما استعجم»، ويشير إلى يَلْمَقَة، على وزن يَعمَلَة، باسم بلقيس بنت هَدَّاد ابن شَرح بن شرحبيل بن الحارث الرائش، صاحبة سليمان، اسمها يَلمَقَة، على وزن يعملة. ونراه يسجل في قسم آخر من «معجم ما استعجم» أن أم بلقيس من الجن، يقال لها يلغمة بنت شيصبان...

ابن منظور: يقول في «لسان العرب» - باب «هدد»: (هُدَدُ: اسم لملك من ملوك حمير وهو هُدد بن هَمّال، ويروى أن سليمان بن داود، عليهما السلام، زوجه بَلْقَه وهي بلقيس بنت بلبشرح.

ابن حزم الأندلسي: يقول في مؤلفه «جمهرة أنساب العرب» عن حمير التالي: (ومن قبائل حمير: الأوزاع، وهم بنو مرثد بن زيد بن شَدَد بن زُرعة بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الغوث بن أيمن ابن الهميسع بن حمير... ويقال إن شَدد بن زَرعة هذا كان زوج بلقيس). ويعرف بلقيس بأنها: (بلقيس بنت إيلي أشرح بن ذي جَدَد بن إيلي أشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي).... وهم من التبابعة، وهم من بني حمير بن سبأ بن يشجب بن

يعرب بن قحطان. وولد حِمير بن سبأ: الهميسع، ومالك، وزيد، وعريب، ووائل، ومسروح، وعميكرب، وأوس ومُرَّة.... وكان التبابعة وملوك حمير من ولد صيفي بن سبأ الأصغر.. فمن ولد صيفي بن سبأ هذا: تُبَّع، وهو تِيَّان، وهو أيضاً أسعد أبو كِرب ابن ملكيكرب، وهو تُبَّع...

الهمداني: يسجل في كتاب «المشتبه» التالي: (الأشارح ـ إلى شَرَح يحضب بن الصَوّار إلى شرح بن شرحبيل جد بلقيس. ويقال شَرَح ذو شَرَح بن كَرِب بن شمَّر أو تُبَّع الأخنق... إلى شرح ابن بَرِيل الذي يختلف نُسّاب حمير في نسب بلقيس إليه...). لكنه في مجال الحديث عن أذواء هَمْدان يقول (وآل الخيار بن مالك ذو القرنين بن مالك بن الحارث بن الخيار... ذو بَتَع بن موهب إل صاحب بلقيس...) وفي كتاب «الإكليل»، يطلق الهمْداني على بلقيس اسم بلقمة والقمة، علماً بأن الاسم يرد في الكتب ١ و٢ و٨ و١٠ من المؤلف. وفي مجال الحديث عن والد بلقيس نراه يقول إن اسمه الهدهاد بن شرح ابن شرحبيل بن الحارث بن الرايش، وهو اسم قد يخفف إلى هَدَاد وهدَّاد، ويضيف القول: (...قال بعض النسابة من حمير وعليه زعم اعتمادهم: إنها من ولد ذي سَحَر، وقد أثبتها في ذي سحر وفي هذا المكان). وقد الهمداني: ما يدل على هذا التاريخ في عصر سليمان إلاّ ثبات نسبها إلى الرايش لأن الناس اختلفوا في تزويجها، فقال أكثر الناس: زوجها ذا بتع ملك همدان وقال آخرون: زوجها بسدد ابن زرعة وهو حمير الأصغر، وذو سحر من ولد سدد بن زرعة. يريد أن هو وإياها ولد الرايش، وأنها أرفع في النسب فجعلها عمته [ولو كانت من ولد جشم بن عبد شمس في أرفع درجته في النسب لصلح أن يقول عمته]. محمد بن علي الأكوع الحوالي: بلقيس من بني ملطاط لا من حمير الأصغر. وفي قسم آخر من الإكليل نراه يقول إن الهدهاد بن شرح أولد بلقيس وهي المقه وشمسا ابنتي الهدهاد.

سبط بن الجوزي: سجل في مؤلفه «كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» أن بلقيس (لقب لها واسمها بلقمه بنت الهدهاد بن شراحيل).

ابن سعيد: أشار إليها في مؤلفه «كتاب نشوة الطرب في تأريخ جاهلية العرب» على نحو (بلقيس بنت الهدهاد).

الفيروزأبادي: يسجل في معجمه «القاموس المحيط» تحت باب «الهمزة» التالي: سبأ (بلدة بلقيس ولقب ابن يشجب بن يعرب واسمه عبد شمس يجمع قبائل اليمن عامة).

الواقدي: يشير في كتابه «حروب الردة» إلى بلقيس اعتماداً على مصادر بعض الإخباريين العرب، ويسجل نسبها على النحو التالي: (وهي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر بن سكسك، من حمير).

المسعودي: سجل في مؤلفه «مروج الذهب» اسمها على نحو بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو الرائش.

ابن خلدون: يسجل في مؤلفه «كتاب العِبر» ـ نقلاً عن المسعودي، أن اسم بلقيس (يَلْقَمَة بنت اليشرح بن الحورث بن قيس...)[١٤]. ويسجل ـ نقلاً عن أبي الحسن الجرجاني عن «آخرين» ـ القول (... حتى نشأت بلقيس بنت اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي فقتلته غيلة، ثم مَلَكَت...)[١٥]. وفي مجال الحديث عن زوج بلقيس الأول، الذي يشير إليه كتاب التيجان باسم عمرو بن الأذعار، نرى أن ابن خلدون ـ أيضاً نقلاً عن أبي الحسن الجرجاني، نقلاً عن «آخرين» ـ يعرفه بأنه زهير بن عبد شمس أحد بني صيفي بن سبأ الأصغر، ويصفه بأنه (كان فاسقاً مجرماً يفتض أبكار حمير حتى نشأت بلقيس بنت اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث...)[١٦]. كما نجد أنه يعرف بلقيس هنا ـ نقلاً عن ابن سعيد ـ بأنها «بلقيس بنت الهدهاد».

ابن عبد ربه: سجل في مؤلفه «العقد الفريد» التالي (ومن بني صيفي من سبأ بلقيس، وهي بلقمه بنت آل ذي شرح).

ابن الأثير: في كتاب «الكامل» قد اختلف العلماء في اسم آبائها فقيل: إنها هي بلقمة ابنة أنيشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان. وقحطان: هي بلقمة ابنة الهدهاد واسمه أنيشرح بن تبع ذي الأذعار (الأدغار؟) بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش، وقيل: في نسبها غير ذلك، ولا حاجة إلى ذكره.

الثعلبي: في «كتاب العرائس»، اسمها بلقيس بنت اليشرح وهو الهدهاد. وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وكان أبو بلقيس، الذي يسمى ليشرح، ويلقب بالهدهاد، ملكاً عظيم الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر.

ابن نباتة: سجل في «سرح العيون» أن بلقيس ابنة الحارث بن سبأ ويلقب أبوها بالهدهاد. وقيل بنت الشيصبان ملكة سبأ المذكورة في الكتاب العزيز.

شعر قيل في بلقيس

أمية ابن أبي الصلت

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ... مَلِكاً علا في الأرض غيرَ مُعَبَّدِ
بلغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغي ... أسبابَ مُلكٍ من كريمٍ سَيِّدِ
فرأى مَغيبَ الشمسِ وَقت غروبها ... في عَينِ ذي خُمُّى وثأطٍ حرمدِ(*)
من قَبلِهِ بِلقيسُ كانت عَمَّتي ... حتى تَقَضَّى مُلكُها بالهُدهُدِ

القصيدة الحميرية(١٧)

١ ـ الأمر جد وهو غير مزاح ... فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح
٢ ـ كيف البقاء مع اختلاف طبائع ... وكُرور ليل دائم وصباح
٣ ـ الدهر أنصح واعظ يعظ الفتى ... ويزيد فوق نصيحة النصاح
٤ ـ أنظر بعينيك اليقين ولا تسل ... يا أيها السكران وهو الصاحي
٥ ـ تجري بنا الدنيا على خطر كما ... تجري عليه سفينة الملاح
٦ ـ تجري بنا في لج بحر ما له ... من ساحل أبداً ولا ضحضاح
٧ ـ شغل البرية عن عبادة ربهم ... فتن على دنياهم وتلاحي
٨ ـ ومحبة الدنيا التي سلكت بهم ... أبداً مع الأرواح والأشباح
٩ ـ كل البرية شارب كأس الردى ... من حتف أنف أو دم سفاح
١٠ ـ لا تبتئس للحادثات ولا تكن ... بمسرة في الدهر بالمفراح
١١ ـ أفأين هود ذو التقى ووصيه ... قحطان زرع نبوة وصلاح
١٢ ـ أم أين يعرب وهو أول معرب ... في الناس أبدى النطق بالإفصاح
١٣ ـ أم أين يشجب خاله من دهره ... شجب وحاه له بقدر واحي
١٤ ـ وسبأ بن يشجب وهو أول من سبا ... في الغزو قدما كل ذات وشاح
١٥ ـ أو حمير وأخوه كهلان الذي ... أودى بحادث دهره الجتاح

(*) يرد البيت في مؤلف «شرح ديوان أمية بن أبي الصلت»، وفق رواية «الكامل» لابن الأثير على نحو:
فرأى مَغيبَ الشمسِ عند مآبها ... في عَينِ ذي خُلُبٍ وثأطٍ حرمدِ
ومن المؤسف أن مراجعي المؤلف لم يحاولا شرح القصيدة، ومن ذلك على سبيل المثال سبب اتهام أمية بن أبي الصلت الهدهد بأنه كان سبب القضاء على ملك بلقيس.

١٦ ـ وملوك حمير ألف ملك أصبحوا   في الترب رهن ضرائح وصفاح
١٧ ـ آثارهم في الأرض تخبرنا بهم   والكتب من سير تقص صحاح
١٨ ـ أنسابهم فيها تنير وذكرهم   في الطيب مثل العنبر النفاح
١٩ ـ ملكوا المشارق والمغارب واحتووا   ما بين أنقرة ونجد الجاح
٢٠ ـ ملكت ثمود وعاداً الأخرى معاً   منهم كرام لم تكن بشحاح
٢١ ـ أين الهميسع ثم أيمن بعده   وزهير ملك زاهر وضاح
٢٢ ـ في عصره هلكت ثمود بناقة   لقيت بها ترحاً من الأتراح
٢٣ ـ وعريب أو قطن وجيدان معاً   أضحوا كأنهم نوى وضّاح
٢٤ ـ والغوث غوث المرملين ووائل   أو عبد شمس ذو الندى الفيّاح
٢٥ ـ وزهير الصوار أو ذو يقدم   منيا بدهر سالب طرّاح
٢٦ ـ أم أين ذو أنس وعمرو وابنه الـ   ـملطاط لُطٌّ بِمُشجت جلّاح
٢٧ ـ والمُلك بعدهم إلى شدد به   عصف الزمان كعاصف الأرياح
٢٨ ـ والحارث الملك المسمى رائشا   إذ راش من قحطان كلَّ جناح
٢٩ ـ وحباهم بغنائم الفرس التي   فاضت على الجندي والفلاح
٣٠ ـ وغزا الأعاجم فاستباح بلادهم   ملك حِماهُ كان غير مباح
٣١ ـ ركب السفين إلى بلاد الهند في   لجج يسير بها على الألواح
٣٢ ـ وبنى بأرضهم مدينة راية   فيها الجباة لعامل جراح
٣٣ ـ والترك كانت قد أذلت فارساً   لم يُستروا من شرهم بوجاح
٣٤ ـ فشكوا إليه فزادهم بمقانب   فيها صراح ينتمي لصراح
٣٥ ـ تركوا سبايا الترك فيما بينهم   للبيع تعرض في يد الصيّاح
٣٦ ـ وغدا منوشهر يمت بطاعة   وولاية من منعم منّاح
٣٧ ـ أو ذو المنار بنى المنار إذا غزا   ليدله في رجعة ومراح
٣٨ ـ ألفى بمنقطع العمارة بِركه   في الغرب يدعو لات حين براح
٣٩ ـ والعبد ذو الأذعار إذ ذَعَرَ الورى   بوجوه قوم في السباء قباح
٤٠ ـ قوم من النسناس مذكورون في   أقصى الشمال شمال كل رياح
٤١ ـ وأخوه إفريقية وارث ملكه   حتف العدو وجابر الممتاح
٤٢ ـ ملك بنى في الغرب إفريقية   نسبت إليه بأوضح الإيضاح
٤٣ ـ وأحل فيها قومه فتملكوا   ما حولها من بلدة ونواحي
٤٤ ـ وكذلك الهدهاد أيضاً عامر   هُدّت قواعد ملكه المنصاح

٤٥ ـ أم أين بِلقِيس المعظم عرشها أو صرحها العالي على الأصراح
٤٦ ـ زارت سليمان النبي بتدمر من مارب ديناً بلا استكاح
٤٧ ـ في ألف ألف مدجج من قومها لم تأت في إبل إليه طلاح
٤٨ ـ جاءت لِتُسْلِمَ حين جاء كتابه بدعائها مع هدهد صداح
٤٩ ـ سجدت لخالقها العظيم وأسلمت طوعاً وكان سجودها لبراح
٥٠ ـ أو ياسر الملك المعيد لما مضى من ملك حي لا تراه لقاح
٥١ ـ أبقى بواد الرمل أقصى موضعٍ بالغرب مسند ماجدٍ جحجاح
٥٢ ـ لم يلق بعد عبوره بيتاً ولا شيئاً من الحيوان ذي الأرواح
٥٣ ـ أم أين شمر يرعش الملك الذي ملك الورى بالعنف والإسجاح
٥٤ ـ قد كان يُرعِش من رآه هيبة ورنا إليه بطرفه اللماح
٥٥ ـ وبه سمرقند المشارق سمِّيت لله من غاز ومن فتاح
٥٦ ـ وأتى بملك فارس كيقاوس في القيد يعثر مثخناً بجراح
٥٧ . فأقام في بئر بمأرب برهة في السجن يجأر معلناً بصياح
٥٨ ـ فاستوهبت شعدى أباها ذنبه فعفا وسيره بحسن سراح
٥٩ ـ والأقرن الملك المتوج تبع عرك البلاد بكلكل فداح
٦٠ ـ وغزا بلاد الروم يبغي وادي الـ ياقوت صاحب عزة وطماح
٦١ ـ فقضى هنالك نحبه وأتى إلى أجل معد للحِمَام متاح
٦٢ ـ والرائد الملك المتوج تبع ملك يرود الأرض كالمسّاح
٦٣ ـ فتح المدائن في المشارق وانتحى للصين في برية وبراح
٦٤ ـ فأذاق يعبر حتفه فدحى به في قعر لحد للمنية داحي
٦٥ ـ وأحل من يمن بتُبَّت معشرا أضحوا بها عنا من النزاح
٦٦ ـ والترك قبل الصين كان لهم به يوم شتيم الوجه والأكلاح
٦٧ ـ والكامل الملك المتوج أسعد فيه تقصر مدحة المداح
٦٨ ـ كم قاد من جيش أجش لبابل وكتيبة تغشى البلاد رداح
٦٩ ـ حتى استباح بلاد فارس بالقنا وبكل أجرد في الجياد وقاح
٧٠ ـ والترك والخزر استباح بلادهم والروم منه تتقي بالراح
٧١ ـ والصين تجبى خرجها عماله في بكرة من دهرهم ورواح
٧٢ ـ نطح الأعاجم في جميع بلادهم بأحدِّ قرن في الوغى نطاح
٧٣ ـ وأذاق موليس الحمام وجوذرا ونجا قباذ كثعلب صياح

٧٤ ـ حتى أتاه ذو الجناح برأسه   من أرض بلخ ونهرها المنساح
٧٥ ـ وأتى بقسطنطين في أغلاله   وبهرمز في قيده الملحاح
٧٦ ـ وغزا إلى أرض الشمال فخاض في   ظلماتها بمنارة المصباح
٧٧ ـ وكسى البنية ثم قرب هديه   سبعين ألفاً من بنات لقاح
٧٨ ـ أم أين حسان بن أسعد خانه   دهر تلا الإحسان بالإقباح
٧٩ ـ ورياح الطسمي لما جاءه   مستعدياً فشفى غليل رياح
٨٠ ـ أفنى جديساً باليمامة إذ علوا   طسماً بحد ذوابل وصفاح
٨١ ـ أم أين عمرو وصنوه المردى له   فأصاب صفقة خاسر كداح
٨٢ ـ لم يستمع من ذي رُعين عذله   والحين لا يثنيه لحي اللاحي
٨٣ ـ فبدت ندامته وجانبه الكرا   فرأى السُّلو بغير شرب الراح
٨٤ ـ أفنى رجالاً شاركوه فأصبحوا   ككباش عيد في يد ذبّاح
٨٥ ـ أو تُبّع عمرو بن حسان الذي   سفح الدماء بسيفه السفاح
٨٦ ـ قتل اليهود بيثرب وأراهُمُ   أنياب ثغر للمنية شاح
٨٧ ـ أم أين عبد كُلال الماضي على   دين المسيح الطاهر المساح
٨٨ ـ أو ذو معاهر غلقت أبوابه   فأتى له الحدثان بالمفتاح
٨٩ ـ أو ذو نواس حافر الأخدود في   نجران لم يخش احتمال جُناح
٩٠ ـ ألقى النصارى في نيار أججت   بوقود جمر مضرم لفُّاح
٩١ ـ فدعا له ذو ثعلبان أحابشا   منهم بقاع الأرض غير ضواح
٩٢ ـ فتقحم البحر العميق بنفسه   وسلاحه وجواده السباح
٩٣ ـ فغدا طعاماً بعد عز باذخ   للحوت من نون ومن تمساح
٩٤ ـ وأتى ابن ذي يزن بأبنا فارس   لما تغرب وانثنى بنجاح
٩٥ ـ فغدا الأحابش للأعارب أعبُدا   يشرونهم بخسارة ورباح
٩٦ ـ أين المثامنة الملوك وملكهم   ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
٩٧ ـ ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو   سحر وذو جدن وذو صرواح
٩٨ ـ أو ذو مقار قبل أو ذو حزفر   ولقد محا ذا عشكلان ماح
٩٩ ـ تلك المَثَامِنة الذرى من حمير   كانوا ذوي الإفساد والإصلاح
١٠٠ ـ أو ذو مراثد جدنا القيل ابن ذي   سحر أبو الأذواء رحب الساح
١٠١ ـ وبنوه ذو قين وذو شقر وذو   عمران أهل مكارم وسماح
١٠٢ ـ والقيل ذو دنيان من أبنائه   راح الحِمَام إليه في الرَّوَاح

١٠٣ ـ خدمتهم جن الهواء وسخرت　لمقاول بيض الوجوه ملاح

١٠٤ ـ أم أين ذو الرُمحين أو ذو ترخم　سقيا بكأس للمنون ذباح

١٠٥ ـ أم أين ذو يهر وذو يزن وذو　بوس وذو بيح وذو الألواح

١٠٦ ـ أم أين ذو قيفان أو ذو أصبَحَ　لم ينج بالإمساء والإصباح

١٠٧ ـ أم أين ذو الشعبين أصبح صدعه　لم يلتأم كمشعب الأقداح

١٠٨ ـ أو ذو حوال جِيل دون مرامه　أو ذو مناخ لم يُنِخ بمُراح

١٠٩ ـ أم أين ذو غُمدان أو ذو فائش　أو ذو رُعين لم يفز بفلاح

١١٠ ـ أو ذو الكباس وذو الكلاع ويحصب　أضحوا وهُم للنائبات أضاحي

١١١ ـ والقيل أبرهة بن صَبَّاح قضى　أيضاً وأبرهة أبو الصبَّاح

١١٢ ـ والصعب ذو القرنين أدركه الردى　قصداً ولم يُضرب له بقداح

١١٣ ـ وسطا على الصيفي هاتك عرشه　وعلى أخيه جذيمة الوضاح

١١٤ ـ وجذيمة الوضاح غير جذيمة الـ　ـزبَّاء عن علم وعن إصحاح

١١٥ ـ والحرَّة الزبَّاء سيق لها الردى　بيدي قصير الخسر لا الأرباح

١١٦ ـ قتلت جذيمة وهو خاطبها ولم　تفعل كفعل نضيرة وسجاح

١١٧ ـ أم أين ذو أقيان أو ذو أفرع　أو ذو الجناح هزبر كل جناح

١١٨ ـ أو ذو العبير وذو ذرانح خانه　دهر بعيد النَّسر كالذُّلاح

١١٩ ـ أم أين ذو بينون أو ذو مر على　وبنو شراحيل وآل شراح

١٢٠ ـ أم أين ذو شهران أو ذو ماور　أضحت زنادهما بلا قداح

١٢١ ـ أم أين فهد أو همَّال وابنه　زيد عفاهم دهرهم بمساح

١٢٢ ـ أم أين ذو تات وذو هكر وذو　غمر وذو صبر وذو المشراح

١٢٣ ـ أم أين ذو غيمان أو ذو شوذب الـ　ـلاهي ببيض في النساء ملاح

١٢٤ ـ أم أين ذو نبع وذو سخط معاً　أو ذو الملاحي لات حين ملاح

١٢٥ ـ أم أين ذو أوسان أو ذو مأذن　أم أين ذو التيجان والإبراح

١٢٦ ـ وعباهل من حضرموت من بني　أحماد والأشبا وآل صباح

١٢٧ ـ والغرُّ من جدن وأبنا مرة　وبني شبيب والألى من شاح

١٢٨ ـ وبني الهزيل وآل فهد منهم　من كل هش للندى مرتاح

١٢٩ ـ أذواء حمير قد ثوت وملوكها　في الترب ملك ضرائح وصفاح

١٣٠ ـ أضحوا تراباً يوطأون كمثل ما　وطئت هوامد تربة بطاح

١٣١ ـ ذلت لهم دنياهم ثم انثنت　ترميهم بالحافر الرمَّاح

١٣٢ ـ مطرت عليهم بعد سحب سعودهم   سُحُبُ النُّحُوس بوابل سحَّاح
١٣٣ ـ ما هابهم ريب المنون ولا احتموا   عنه بأسياف ولا أرماح
١٣٤ ـ كلا ولا بعساكر ودساكر   وجحافل ومعاقل وسلاح
١٣٥ ـ سكنوا الثرى بعد القصور ولهوهم   بمطاعم ومشارب ونكاح
١٣٦ ـ أضحت مدعثرة قصورهم التي   بنيت بأعمدة من الصفاح
١٣٧ ـ والدهر يمزج بؤسه بنعيمه   ويري بنيه الغم في الأفراح

ملكة سبأ في العهدين القديم والجديد

أ) في العهد القديم

السفر	النص التوراتي	الترجمة العربية(*)	السبعونية
التكوين ١٠:٧	سبء،شبء	سبأ(**)،شبا	سبأ ـ Σαβα- Saba باستثناء
التكوين ١٠:٢٨	شبء	شبا	
التكوين ٢٥:٣	شبء	شبا	
الملوك الاول١٠:١ ـ ١٣	شبا	سبأ	
الأيام الأول ١:٩	سبء، شبء	سبأ، شبا	
الأيام الأول ١:٢٢	شبء	شبا	ـ
الأيام الأول١:٣٢	شبء	شبا	ـ
الأيام الثاني ٩:١ ـ١٢	شبء	سبأ	
أيوب ١:١٥	شبء	سبأ ـ السبئيون	ـ
أيوب ٦:١٩	شبء	سبأ	ـ
مزامير ٧٢:١٠	شبء، سبء	سبأ، شبأ	
مزامير ٧٢:١٥	شبء	شبا	ـ
إشعيا ٤٣:٣	سبء	سبأ	ـ
إشعيا ٤٥:١٤	سبء	سبأ ـ السبئيون	
إشعيا ٦٠:٦	شبء	سبأ/ <شبا>	
إرميا ٦:٢٠	شبء	شبا	
حزقيال ٢٧:٢٢	شبء	شبا	
حزقيال ٢٧:٢٣	شبء	شبا	
حزقيال ٣٨:١٣	شبء	شبا	
يوئيل(***) ٤:٨	شبء	سبأ ـ السبئيين السبائيين	

(*) لقد اعتمدنا هنا الترجمة العربية الحديثة الصادرة عام ١٩٩٣، أما الاسم الوارد بعد الفاصل (/) فيشير إلى الصيغة الواردة في الترجمة العربية القديمة.

(**) سجل الاسم في الترجمة العربية بصيغة (سبا).

(***) في الترجمة القديمة يرد النص في الإصحاح ٣:٨.

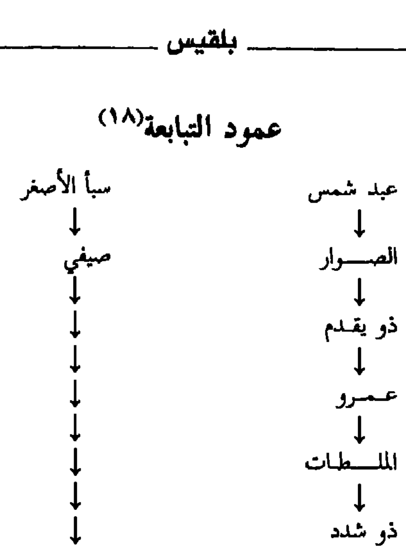
ب) في العهد الجديد

السفر	النص اليوناني	العربية١ (*)	العربية٢ (**)	السريانية	الحبشية
متى ١٢:٤٣		ملكة التيمن	ملكة الجنوب	تيمنا	ملكة الجنوب < نجستا أزب >
لوقا ١١:٣١		ملكة التيمن	ملكة الجنوب	تيمنا	ملكة الجنوب

(*) الترجمة القديمة العائدة للقرن الماضي.

(**) الترجمة الحديثة المنشورة عام ١٩٩٣.

عمود التبابعة(١٨)



(١) الحرث الرائش — أفريقش

اليشرح — أبرهة ذو النمار

بلقيس

(٣) أفريقش — (٤) عمرو ذو الأدغال

(٢) (ابن شمر)

ياسر ينعم (٧) — شرحبيل — (٩) تبع الأقرن (زيد)

شمر مرعش (٨) — (٥) الهدهاد — (١٠) كليكرب

(٦) بلقيس — (١١) تبان أسعد أبو كرب

(١٢) عمرو موثبان — (١٢) حسان — (١٤) ذو نواس < < زرعة > >

(*) وفق ما أورده محررو كتاب (تاريخ ابن خلدون).

آلهة العرب الجنوبيين الثلاثية

المملكة	القمر (إله)	الشمس (إلهة)	الزهرة (إله)
معن	ود	نكرح	عشتر
سبأ	علمقه	شمس	عشتر
قتبان	عم	ءثرت	عشتر
حضرموت	سين	ـ	عشتار
أوسان	ود	شمس	عشتر

هوامش الملاحق

(١) عرف العباس بأنه (الحبر)، أي الكاهن ـ ز. م.

(٢) تتفرع الرواية هنا بعيداً عن قصة بلقيس ولذا آثرنا اختصار النص الذي يمكن العودة إليه في المرجع الأصلي.

(٣) لقد أخطأ الكاتب في وصف سد مأرب ـ راجع المعلومات الدقيقة عنه في الفصل الأول.

(٤) الكاتب أخطأ في هذا النص حيث أسقط (لا).

(٥) عثرنا على هذه المقاطع في المؤلف المسجل في نهاية الملاحظة. أما الترجمة فتعود لنا نقلاً عن النص الألماني المترجم عن الأصلي القبطي. ورغم أن النص ناقص ومقتطع بشكل كبير ويحتوي على فراغات عديدة، إلاّ أن محتوياته هامة من ناحية أنها تنقل لنا جوانب من رواية مسيحية عربية عن سليمان وملكة سبأ. ونكرر هنا تمنينا قيام زملائنا بنشر النسخة الكاملة، هذا في حالة توفرها لديهم، والمؤلف هو:

Adolf Erman: Bruchstucke koptische Volksliteratur. In: **Philosophische und Historische Abhandlungen der Koniglischen Akademie der Wissenschaften zu Berlin.** Berlin 1897.

(٦) يبدو أن المقصود هنا (بين الشهيق والزفير).

(٧) في النص «وصار».

(٨) ابن دريد؟

(٩) باب القول في الهدهد.

(١٠) في النص «سيليحين»، وهذا خطأ.

(١١) لقد سجلنا النص الكامل للقصيدة ضمن عرضنا لما ورد عن بلقيس في «كتاب أعلام النساء».

(١٢) هنا يضيف محقق الكتاب التالي: «في المحكم: الهاء والدال. وهدد اسم لملك من ملوك حمير، وهو هدد بن هماد، يروى أن سليمان بن داود عليهما السلام زوجه يلمقة، وهي بلقيس بن يليشرح». ويليشرح، هي في الأصل: «يلب شرخ»، وفي المحبر لأبن حبيب ٣٧٦ والطبري ٢٥٤:١ «اليشرح» وهما لغتان. وفي التيجان ١٣٥ أنها بلقيس بنت الهدهد. وفي الطبري: ويقول بعضهم: ابنة إيلي شرح. ويقول بعضهم: ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح. أنظر استعراضنا لكتابات الطبري في بداية الملحق.

(١٣) نلاحظ أن ابن منظور والفيروزأبادي يسجلان في مادة «يلمق/ اليلمق» الشيء ذاته، أي بالقول (فارسي معرب)، لكنهما، وعلى عكس ابن دريد، يحسمان الأمر. ومن الواضح أن ابن دريد لم يكن مقتنعاً بذلك الشرح، ويتضح شكه من خلاله

القول (ويقال إنه...). ومن المرجح أن الجملة الأخيرة التي تشرح معنى «اليلمق» عبر الفارسية هي إضافة من محرر فارسي.

(١٤) الجزء الأول، ص ٧٩.

(١٥) الجزء الأول، ص ٨٧.

(١٦) م. س. ذ.

(١٧) أنظر التعليقات على القصيدة في: ملوك حمير وأقيال اليمن ـ قصيدة نشوان بن سعيد الحميري وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة. حققها وعلق عليها السيد علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي. المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٧٨.

(١٨) العمود الأيسر على ما لابن حزم، والأيمن ما للسهيلي وغيره. وفي ج. تخليط بينهما. (٢) هذا التفريع على ما للطبري (٣) كذا في ج، ولم ندر مصدرها ولا مردها ونظن أنها مقحمة، وفي جداول النسخ المطبوعة تخليط وتصحيف أصلحاه بعد جهد جهيد (المصححان).

ملحق و

بلقيس
وقيصر الصين

نتقدم للقارىء العربي عموماً وللبحاثة بشكل خاص بترجمتنا للبحث المطول الذي كتبه في بدايات هذا القرن أحد أشهر علماء الصينيات الألمان عما رآه من تقرير عن قيام القيصر «مو ونغ» بزيارة ملكة سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد. وقد اعتمد هذا الكاتب في بحثه على المراجع الصينية القديمة حيث وصل إلى قناعة بصحة استنتاجاته.

إن ما شجعنا على نشر ترجمتنا لهذا البحث كملحق لمؤلفنا هو تثميننا لمنهجية هذا العمل. فالبحث في التاريخ القديم يستدعي أحياناً، وفق ما نرى، تجميع معلومات متناثرة في العديد من الكتب وإرفاق ذلك بنظرة نقدية لما تحويه. وهذا يعني فصل الأسطورة والميثولوجيا والقصة عن التاريخ واعتمادنا على أحدث أساليب البحث العلمي النظري، وهي المنهجية التي التزمنا بها في مؤلفينا عن جغرافية التوراة، وكذلك في مؤلفنا هذا حيث نعتقد بأننا تمكنا من الوصول إلى نتائج مفيدة عن بعض جوانب تاريخ العرب في العصور لأولى. لقد أقنعنا بحثنا الأخير بالصحة العامة لتاريخية ملكة ما حكمت في سبأ، وببعض ما ورد في كتابات الإخباريين العرب عن بلقيس ـ ملكة سبأ وعلاقتها بالصين.

ونضيف هنا سبباً آخر وهو ثقتنا بجدية ذلك العالِم الألماني حيث ان بحثه نشر في مجلة حظيت باحترام أهل الاختصاص. وقد قمنا بمراجعة النسخ التالية للعدد الذي نشر فيه، وهي مجلة مفتوحة للمتخصصين فقط، فلم نعثر على تعليق من قبل أي من علماء الصينيات على ذلك البحث بما أقنعنا بأنه لم يوجد أي رد. في الوقت نفسه، من الضروري أن يأخذ القارىء بعين الاعتبار حقيقة أن تلك المجلة التي كان يصدرها أحد أشهر العلماء الألمان في ذلك العصر وليس أي ناشر ـ تاجر محترف، ما كانت لتتجرأ على نشر عمل ينقصه أقصى ما أمكن من درجات

التكامل والإلتزام المنهجي العلمي، علماً بأنها كانت مفتوحة لكافة البحاثة الأوروبيين. ووجب العلم أنه في حالة قيام مثل هذه المجلات المتخصصة بالإبتعاد عن المنهجية العلمية، فإن النتيجة ستكون أن تفقد مصداقيتها العلمية بما يقود حتماً إلى انفضاض العلماء عنها وتوقفها عن الصدور. هذه الحقائق وغيرها أقنعتنا بجدية العمل، وقد يأتي يوماً ما جيل جديد من البحاثة العرب ليتعمقوا في الموضوع باحثين عن حقبة تاريخية ضائعة من تاريخنا، وينتزعوا هذا التهذيب العلمي من عبث العابثين أياً كانوا. وفي الوقت الذي نقول هذا، نسجل رأينا بأن معظم المجلات المماثلة التي تصدر في أيامنا، سواء الأوروبية منها أو العربية لا تلتزم بمبدأ المنهجية العلمية الصارمة بما جعل الكثير من محتوياتها أبواقاً تردد أفكار مموليها ومذاهبهم .

نود الآن أن نلفت انتباه القارىء إلى مجموعة من المسائل المرتبطة بالبحث وترجمتنا عن النص الألماني الأصلي[1].

النقطة الأولى: التي نود توضيحها هي أننا لا نعرف اللغة الصينية بما لا يسمح لنا الحكم على صحة ترجمة ذلك العالم الكبير للنصوص الصينية التاريخية، رغم قناعتنا بأنه ما كان ليتجرأ أحد بنشر ترجمات خاطئة. وفي الوقت الذي نقول فيه هذا، نعتقد بامتلاكنا الأداة النظرية العلمية التي تسمح لنا التفريق بين الكتابات الجدية وبين تلك التي تنتمي إلى ضرب المغامرة والبحث عما هو مثير، وما أكثرها، خصوصاً في أيامنا هذه.

النقطة الثانية: هي أننا قمنا بإنجاز الترجمة اعتماداً على النص الألماني الوارد في مجلة «قسم اللغات الشرقية التابعة لجامعة فريدريش فلهام ببرلين»، حالياً جامعة همبولدت، ونقول إننا التزمنا بالمحتوى نصاً وروحاً ولم نقم بإجراء أية تغييرات فيه، باستثناء حذفنا لمقاطع قصيرة منه رأينا أنها تخرج عن هدف عملنا وتحديداً تلك المتعلقة بنقاش في مسائل فقهية لغوية صينية. كما وقمنا بالمحافظة على أسلوب الكاتب لأننا على قناعة بأن ذلك من حقوقه علينا. وقد قمنا بإضافة بعض الملاحظات العائدة لنا والتي تشرح المقصود من نص معين، لكننا عملنا على تمييزها في الهوامش.

لقد ضم البحث الأساسي الكثير من الكلمات الصينية بالنص الأصلي وبالأحرف اللاتينية أيضاً التي توضح كيفية نطقها. وقد عملنا على تسجيل تلك الكلمات وأسماء المؤلفات باللاتيني فقط عندما ترد للمرة الأولى حتى يتمكن القارئ من التعرف بشكل دقيق على كيفية نطقها ذلك أنه لم يوضع حتى الآن أي نظام في اللغة العربية يسمح بنقل نطق اللغات الأخرى، خصوصاً من ناحية التحريك حيث لا تعرف العربية سوى ثلاثة أشكال. وقد قمنا بوضع ترجمة عربية لاسم المؤلف بعد الشكل اللاتيني اعتماداً على استشارة زملاء من علماء الصينيات في أكاديمية العلوم برلين/ براندنبورج وجامعة برلين الحرة الذين تفضلوا مشكورين بمساعدتنا في الترجمة، هذا رغم عدم اتفاق من بحث منهم في الموضوع مع مضمون المقال. نقول هذا التزاماً منا بالأمانة العلمية ونضيف أن معظم المراجع التي وظفها كاتب البحث فُقِدت بحيث أنه من

غير الممكن إنجاز أي عمل جديد عن المادة. وقد أوردنا أسماء المراجع الصينية غير المعروفة بالشكل اللاتيني كما هي واردة في النص الألماني علماً بأنه يوجد حالياً نظامان آخران لكتابة النقوش الصينية بالأحرف اللاتينية.

الآن ننتقل إلى البحث ونقدمه للقارىء والبحاثة العرب دون أي تعليق، لكننا نأمل أن يجدوا فيه المتعة نفسها التي لقيناها، وأن يشكل هذا محطة صغيرة على طريق إعادة قراءة بعض جوانب تاريخ العرب في العصور الأولى.

مو ونغ
وملكة سبأ

لقد أقامت الصين منذ أقدم العصور علاقات ليس مع جاراتها المجاورة فحسب، وإنما أيضاً مع الأقوام البعيدة عنها. ورغم عملية الانغلاق تجاه التأثيرات الأجنبية، فقد حاولت في العديد من الأحيان إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع البلدان التي بدت في غاية البعد عنها. وعلى النقيض من الاعتقاد الذي كان سائداً، لم يكن انعزال تلك الأمبراطورية الآسيوية الشرقية بالحدة التي كان يظن بها. وخير شاهد على ذلك الكثير من الأخبار التي تحويها كتب التاريخ الرسمية، وبعضها على جانب كبير من القيمة. وهناك معارف عن إرسال المبعوث Chang Ch'ien إلى تركستان وفرغانا وسوغديانا وبكتيريا وبارثيا في عام ١٢٢ق.م.، وكذلك البعثة السيئة الطالع التي قام بها المبعوث Kan Ying إلى الأمبراطورية الرومانية عام ٩٧م، والتي لم يصلها لأنه لم يمتلك الثقة الكافية بالنفس لعبور البحر الكبير[٢].

وقد تعرف الصينيون على العرب بشكل أقرب بعد أن تمكنت الخلافة[٣] من السيطرة على أراضي الساسانيين وكادوا أن يضحوا جيراناً مباشرين لهم في وسط آسيا. وقد قام برايتشنيدر بكتابة مونوغراف مثير[٤] جمع فيه كتابات المؤرخين الصينيين عن العرب في عهد سلالة T'ang. وإني آمل أن أتمكن تالياً من البرهنة على أن معارف الصينيين عن العرب والبلاد المجاورة لهم هي أقدم من ذلك بكثير وتعود، وفق اعتقادي، إلى القرن العاشر قبل الميلاد. ولا شك أن مثل هذه المعلومات غير مسجلة في المصادر بشكل واضح تماماً حيث يتطلب الأمر بحثاً عميقاً، لكني على قناعة بأنه يمكن التوصل إلى هذه النتيجة عند جمع كافة العناصر ذات العلاقة.

إن إحدى المصاعب التي تواجه مثل هذا البحث تكمن في حقيقة أن الصينيين تعودوا على إعطاء البلاد والشعوب الأخرى أسماء غير تلك التي نعرفها نحن، وأن تلك الأسماء كانت تتغير

مع تبدل السلالات الصينية. فقد عُرفت الخلافة الإسلامية في عصر سلالة T'ang باسم Ta shiho Kuo، وقد أطلق على جزيرة العرب في ظل سلالة المغول التي حكمت في الأعوام ١٢٨٠ ـ ١٣٦٨م اسم Tien-fang، وتحت سلالة Ming التي حكمت في السنوات ١٣٦٨ ـ ١٦٢٨م اسم T'ien-fang أو T'ien-t'ang وMo-chia، أي «مَكّة»، وتعرف حالياً وفق النطق الأوروبي، أي A-la-pi[٥]. وفي غالب الأحيان، لا يعرف الكتّاب الصينيون بأن الأسماء المختلفة تشير إلى بلد واحد. وتبقى معظم أعمالهم التي تتعامل مع أقوام أجنبية غير موظفة بسبب عدم تملكهم للمعلومات التاريخية والجغرافية واللغوية الدقيقة؛ كما أن التعرف على الأسماء الصينية الجغرافية من قبل علماء الصينيات الأوروبيين أيضاً مرتبط بصعوبات كبيرة، رغم تمتعهم بأداة علمية أكبر. وعلى هذا وجب محاولة تحديد المقصود من خلال أخذ الأمور المرتبطة في نص يعود لكاتب ما ذلك أنها تحوي وصفاً عادة ما يكون غير دقيق.

ووفق المصادر الصينية يبدو أن أول تعرف للصينيين على بلاد العرب كان قد تمّ من خلال رحلة الملك مو تشو Mu von Chou الذي حكم في الأعوام ١٠٠١ ـ ٩٤٦ق.م. إلى الغرب النائي عام ٩٨٥ق.م. ويتم تقدير مسافة الرحلة ذهاباً وإياباً وفق التعليق على كتاب Chu-shu-chi-nien (الحوليات القصبية)[٦] بحوالى ١٩٠٠٠٠ لي[٧]، أي ما يقرب من ٩٥٠٠٠ كيلومتر. ومن الطبيعي أن هذا الرقم مبالغ فيه إلى حد كبير، لكنه يعكس مدى بعد تلك البلاد التي وصل إليها مـو ونغ في ذهن المعلق على (الحوليات). وقد زار الملك في تلك البلاد النائية سِي ونغ مو Si Wang Mu، والتي تعني حرفياً، ملكة الغرب الأم[٨]. وقد أثارت تلك الرحلة روح الشعب الصيني بشكل هائل. وبعد ذلك بفترة قصيرة استحوذت الأسطورة على شخص سِي ونغ مو وجعلت منها إلهة تحكمت في الجن بأبهة وعظمة في فردوس الخلود.

وفي ذلك الوقت الذي حلّ فيه الملك مو بالغرب، حكمت هناك الملكة العظيمة الشهرة التي أشار الكتاب المقدس إلى بهاء بلاطها في سِفر الملوك العاشر، وهي بلقيس ملكة سبأ صاحبة سليمان. أوَلاً تبدو الفكرة القائلة بأن المقصود بالملكة سي ونغ مو التي زارها مو ونغ ليست أي شخص آخر غير ملكة سبأ المعروفة، هي أقرب مما يتصور؟

وعلى ما يبدو، لم يقم الصينيون قبل عهد مو ونغ بعبور جبال آسيا الوسطى. ولذا لم يكن لديهم فكرة بأنه يوجد خارج الصين أمم متحضرة أخرى. ولا شك أنه كان لديهم اعتقاد بأن الأراضي القاحلة المحيطة ببلادهم كانت، تماماً مثل جيرانهم، مأهولة من قبل قطعان وحشية. والآن، لقد تمكن ملكهم من الوصول ليس إلى بلاد ثرية ومزدهرة فحسب، وإنما أيضاً كانت تحكم من قبل ملكة. ولا شك أن هذا الاكتشاف المثير كان قد أثّر بشكل قوي على المخيلة. فالأخبار عن الثروات وعن النباتات النادرة والحيوانات والبشر في مملكة سبأ قدمت أفضل المواد لصياغة ميثولوجيا، وهكذا تحولت ملكة سبأ إلى الإلهة سي ونغ مو.

إن الآلهة والجن في الميثولوجيا الصينية هي تشخيص لجبال وأنهار وأجرام وقوى الطبيعة والمظاهر الطبيعية، أو بشر رفعوا إلى مرتبة الآلهة، وعادة ما كان يطلق عليهم صفة Hsien، أي «الأبديون»، وهنا فإني لست بحاجة إلاّ إلى التذكير «بالأبديين الثمانية»، أي Kuan Yü من الممالك الثلاثة الذي أضحى إله الحرب Kuan Ti، والميكانيكي Lu Pan الذي كان متزامناً مع دولة Lu في زمن كونفوشيوس، والذي تحول إلى إله الحرفيين، وإلهي بوابات البيوت Chi'ien Shu Pao والمحاربين Wei Ch'ih Kung من سلالة T'ang وإلهة حماية البحارة Ma Tsu P'o المفترض أنها عاشت بصفتها مي تشو في إقليم فوكين. وعادة ما تعتبر سا ونغ مو من نصف الآلهة، وهذا يسمح لنا بالقول بأن الميثولوجيا المرتبطة بها ترتكز، مثل باقي الآلهة التي أشرنا إليها، على شخصية تاريخية. ولا نجد مثالاً لحاكمة في مملكة الجان وفي أجواء السمو الروحي أفضل من الملكة العربية الشهيرة.

ويبدو لي أن الاسم بحد ذاته يؤكد أن سا ونغ مو هي حقاً ملكة سبأ. إن الترجمة الحرفية للاسم، وكما قلنا أعلاه، هي «الملكة الأم في الغرب». إن هذا الشرح ممكن عندما نفترض أن شهرة الأميرة المشار إليها بهذا المصطلح قد غطى كافة ملوك الغرب الآخرين بما جعل الصينيين ينظرون إليها على أنها فعلاً «ملكة الغرب». وحيث ان الصينيين لا يحبون مثل هذه الأسماء الغامضة وأنهم عرفوا اسم بلاد تلك الأميرة، وهو الأمر الأكثر احتمالاً، فالأقرب إلى الواقع أنهم عرفوا بلادها بما يجعل من المرجح بالنسبة لي أنه موجود في التعبير سا ونغ مو، وتحديداً في المقطع الأول، أي «سا». إن المعنى الرئيسي للمقطع «سا/ سي» هو «في الغرب»[٩]، ولكن يمكن استعماله كاسم موقع.

إن اللغة الحديثة المسماة Kuan-hua تنطق المقطع الصيني الأول بصيغة «si»، لكن بلا شك أنه لم يكن قائماً في القرن العاشر قبل الميلاد عندما نشأ الاسم سي ونغ مو. وإذا قما بعمل مقارنة بين النطق المعروف لنا في اللهجات المختلفة، يعتبر النطق «si»، أو النطق البيكيني «hsi» أحدثها. وانطلاقاً من مبدأ أن النطق البسيط قد تطور من قلب نطق صوتي كامل، فإني أرىٰ أن نطق «sai» السائد في إقليم كانتون وأموي واليابان هو أقدمها إطلاقاً، وهو من الأمور المثبتة. لكن هذا لا يعني تباعاً أن المرء كان قد نطق الاسم «سي ونغ مو» في القرن العاشر قبل الميلاد. فمن ناحية تعود اللغة الصينية إلى زمن يسبق القرن العاشر قبل الميلاد بفترة طويلة أحياناً، بحيث أنه يمكن القول بأن هذا النطق «ساي sai» ليس بالضرورة المقياس، ومن ناحية أخرى فقد وجد حينذاك، كما اليوم، العديد من اللهجات بحيث يمكن وجود نطق مختلف. كما أرى احتمالاً قوياً بأن النقش الصيني كان ينطق على صورة «Sae Wang Mu» أو «Se Wang Mu = سا ونغ مو» في المكان الذي نشأ فيه التعبير. ووفق عالم الصينيات لجه[١٠]، فإن النقش الصيني الرديف كان ينطق «sei» وذلك كما يرد في أغاني إقليم سلالة تشو العتيقة، وهذا يجعل النطق قريباً من «e».

وبهذا يتوفر لدينا التعبير ملكة سا الأم[11]، أي سَبَأ بالعربية حيث ترد الفتحة في اللغة العربية أكثر من «ae» أو «e». ووفق قوانين النطق التي ذكرها رايت[12]، فلا بد أن الاسم كان ينطق بصورة Seba وليس Saba. وينطق الاسم على هذه الصورة في العبرية.

ومن الأمور المعروفة ميل الصينيين للإشارة إلى الأسماء الأجنبية، وأسماء المواقع تحديداً، باستخدام المقطع الأول فقط. وكما يقال Tê kuo، أي «بلاد تي» للإشارة إلى ألمانيا [بالاسم الألماني، أي De-utschland][13]، أو Jih huang بمعنى «قيصر يي» والمقصود بذلك اليابان «Ja-pan»، فمن الممكن أن سا ونغ مو يعني ملكة سا الأم، أي سبأ. إن أسماء البلاد المشكلة من مقطع واحد تتطابق بشكل أفضل مع روح اللغة الصينية. فكافة أسماء الممالك الإقطاعية الصينية القديمة كانت مشكلة من مقطع واحد فقط.

ولكن لماذا تتحدث المصادر الصينية دوماً عن «ملكة سبأ الأم» بدلاً من الاسم المختصر «ملكة سبأ»؟ إن الصينيين لم يعرفوا إطلاقاً نظام الوراثة الملكي للإناث. ولم يكن للملكات في الصين أي حق شرعي في ممارسة السلطة إلاّ بصفتهن وصيات على العرش لقيصر. ولذا فإنهم قاموا بسحب هذا الفهم على سبأ أيضاً. وحيث ان نظام الحكم الأمومي كان سائداً في العصور القديمة بين الساميين، فإن هذا يرجح أنهم عرفوا أيضاً وريثة عرش. ونحن نعلم من المؤرخين العرب، والذين بالمناسبة لا يمكن الاعتماد عليهم بشكل كبير في الأمور الغاية في القدم، أنه لا توجد إشارة إلى ابن لملكة سبأ ورث عرشها. ووفق حمزة الأصفهاني[14]، فقد تولى الحكم بعدها عمها ناشر ينعم، وقد تبعها، وفق المسعودي، سليمان ثم ياسر[15]. أما الزعم عن زواج ملكة سبأ بسليمان فهو في كافة الأحوال أسطورة. كما وقيل إنها كانت إبنة الملك الهدهاد، والذي عقبته في تولي السلطة. هذا يعني أنه لدينا وارثة للعرش. ووفق مصادر أخرى فقد كانت ابنة الأمير أليشرح[16].

إن رحلة الملك الصيني مو إلى ملكة سا الأم مثبتة تاريخياً بشكل جيد بحيث لا يوجد أي أساس للشك فيها. ونقرأ في (الحوليات القصبية) عن الملك الصيني مو التالي:

«في العام السابع عشر [من حكمه]، قام الملك برحلة إلى جبال K'un-Lun وزار سا ونغ مو».

إن (الحوليات القصبية) تعتبر أحد مصادرنا الرئيسية عن تاريخ الصين الأقدم العائد إلى بدايات القرن الثالث قبل الميلاد، والذي كتب بأسلوب يشابه بشكل كبير كتاب Lü-shih-ch'iu (سِني السيد لو) وهو عمل تاريخي مختصر رزين ويعطي بلا شك الانطباع بأنه يعتمد عليه.

وهناك عمل يعود إلى المرحلة الزمنية نفسها من تأليف الفيلسوف Lieh Tsê (المعلم سي). وينقل هذا المؤلف التالي:

وتلا ذلك استقباله [أي الملك الصيني] بحفاوة من سا ونغ مو. وقد أقيمت وليمة على ضفاف بحيرة اليشب[17]، حيث قامت سا ونغ مو بإنشاد أغنية للملك. وكانت أبياتها رثائية.

ويتـم عـرض لقـاء الملـك الصينـي مو ونـغ مع سا ونغ مو بشكل أكثر إسهاباً في كتاب Mu T'ien-Tsê Chuan (تقرير عن ابن السماء مو) العائد إلى القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد، والذي هو عبارة عن عرض أسطوري مزخرف لرحلات الملك مو، ولكننا سنعود لاحقاً للتعرف عليه بشكل أقرب[١٨]. ولا تعتبر كافة تفصيلات العمل ذات أرضية تاريخية، ومن الممكن أن معظم أقسامه خيالية، لكنني أؤمن بأنه يحوي، مثل يومياتنا الأسطورية العائدة إلى القرون الوسطى، بذرة تاريخية، وهذه هي النقطة الأساسية بالنسبة لي.

ومن الأمور التي تستحق التشديد عليها بشكل خاص أنه لا يشار لا في هذه المصادر العتيقة، ولا في كتاب (تقرير عن ابن السماء مو) إلى سا ونغ مو على أنها إلهة، بل كأميرة.

وقد أدى هذا للاعتقاد بعدم وجود إشارة واضحة الكلمات عن قيام الملك مو بزيارة سا ونغ مو في كتاب Shi-chi (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) ولكن بأسلوب ضمني على ما يبدو[١٩]. لكننا نعثر في قصة سلالة Ch'in على المقطع التالي:

«لقد كسب Tsao Fu بفضل مهاراته في قيادة العربات رضى الملك مو حاكم (تشو). وقد حصل على عربة رباعية مشكلة من الحصان، الأسود الناعم، ومن الثعلب المرقط ومن ذي الأذن الخضراء[٢٠]. وقد استخدمها للقيام برحلة استطلاعية تجاه الغرب حيث أعجبه المكان لدرجة أنه نسي العودة».

كما وتتضح معرفة المؤرخ Ssê Ma Ch'ien بشخص سا ونغ مو من الصفحة السادسة من المجلد ١٢٣ من العمل التاريخي (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) والذي سأعود إليه لاحقاً.

إن الاستنتاج القائم على إلغاء تاريخية شخصية معينة بسبب عدم ذكرها في مؤلفات كاتب يفترض أنه كان على علم بها، لهو أمر مزعج وقد أدى فعلاً إلى ويلات كثيرة. إني أقول، كما فعلت ذلك مرات عديدة في الماضي، بأنه سيكون من الأمور اللانقدية نفي وجود حائط الصين العظيم لأن ماركو بولو لم يشر إليه، رغم أنه من المؤكد أنه رآه. إن [الرحالة الإيطالي - ز.م.] أودورتش Odoric كان الوحيد من كافة الرحالة الذين زاروا الصين في العصور الوسطى الأولى الذي أشار إلى قيام الصينيين باستخدام قاق الماء للصيد البحري، وأنهم يتركون أظفارهم دون قص، وأن النساء الصينيات يشوهن أقدامهن، وأن الأمبراطورية الصينية مقسمة إلى اثنتي عشرة مقاطعة[٢١]. فهل وجب على المرء النظر إلى هذه الأمور على أنها مجرد حكايات مختلقة لأن كاربيني Carpini وروبركويس Rubroquis وماركو بولو وابن بطوطة لم يشيروا إليها؟ فمن الأمور غير المعروفة السبب الذي يدفع كاتباً معيناً للسكوت عن أمر ما كان من المتوقع أنه كان على علم به، ولذا فإنه من غير الممكن أن يربط ذلك الصمت بأي استنتاجات.

وفي هذه الحالة تكتسب رحلة الملك مو إلى ملكة سبأ مصداقية في حالة تأكيدها في كتاب (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) الذي هو أفضل مصدر متوفر لنا عن تاريخ الصين القديم، وأنا مؤمن بأن هذا هو ما حصل، ورغم الاستشهاد الذي أوردناه أعلاه.

وقد قام المعلق المعروف Kuo P'o الذي عاش في الأعوام ٢٧٦ ـ ٣٢٤ق.م. والذي يعتبر أحد أهم المراجع في مجال التاريخ القديم وعلّق على العديد من المؤلفات ومن ضمنها مؤلف Shan-hai-king (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار)[٢٢]، و(تقرير عن ابن السماء لو)، بمناقشة الكاتب Ssê Ma Ch'ien في مقدمة مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) وعلماء آخرين وقفوا رافضين للعمل المشار إليه. وفي ذلك التعليق قال حرفياً التالي:

«إن مؤلف (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) يقول: إن الملك مو حصل على الخيل الأصيلة، وعلى الأسود الفاتح وعلى ذي الأذن الخضراء وعلى الثعلب المرقط. وقد ترك أمر قيادتها إلى Tsao Tu وانطلق في رحلة استكشافية نحو الغرب. وقام هناك بزيارة سا ونغ مو التي أعجبته لدرجة أنه نسي العودة».

وحيث إنه من غير الصحيح الافتراض بأن Ku P'o قد استشهد بشكل خاطىء من كتاب (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) أو أنه أراد أن يجعل Ssê Ma ch'ien ينطق بشيء لم يقله، فإني أعتقد أن كان لدى Kuo P'o نسخة أخرى من كتاب (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) مختلفة عن تلك التي بين أيدينا الآن، والتي تعتبر غير كاملة، وأنه بلا شك أضيف إليها وفق نصوص Kuo P'o. ويتبين وجود ثغرات في النص الحالي من مؤلف (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) من حقيقة أن المغزى والتناظر في النقش الصيني لكلمة حصان أحمر، أي بني، يتطلبان اسماً واحداً من خيل مو ونغ الثمانية، والواردة بأكملها في كتاب (المعلم تسي) و(تقرير عن ابن السماء مو).

كما وتؤكد ملاحظة المعلق Chang-Chan من سلالة Chin التي حكمت في الأعوام ٢٦٥ ـ ٤٢٠ للميلاد، على المجلد الثالث من مؤلف (المعلم تسي) ظنوني بأن نص (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) الأصلي كان يشير بشكل واضح إلى زيارة سا ونغ مو. يقول ذلك التعليق:

«قال كتاب (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين): قام Tsao Fu بتزويد الملك مو بالثعلب المرقط، وبالحصان البني والحصان الصافي[٢٣]. وقد قام بقيادتها خلال الرحلة. وقد تمت زيارة سا ونغ مو حيث شعر بالاغتباط هناك لدرجة أنه نسي العودة».

ويبدو أن تأليه ملكة سبأ كان قد بدأ في القرن الثالث قبل الميلاد. وقد أشار إليها Chuang Tsê (المعلم تشوانغ) والذي عاش فترة بعد (المعلم تسي) على أنها أحد أصناف الأقداس الطَاوِيَّة. وقد قال التالي في مجال حديثه عن كيفية تحصيلها الطاوية:

«لقد حصلت سا ونغ، مو عليها. وقد أقامت في إقليم Shao-Kuang. ولا يعرف أحد متى بدأ ذلك، ولا إلى متى سيستمر هذا الأمر».

والموقع Shao-Kuang غير معروف الآن. وقد تم نقل الملكة إلى عالم الخيال بشكل كامل من قبل Huai Nan Tsê (مُعلِّم إقليم هونان) الذي عاش قرب نهاية القرن الثاني قبل الميلاد. وقد كتب التالي:

«لقد طلب Yi إكسير الخلود من سا ونغ مو. وقد قام Hêng بسرقته وفرّ به إلى القمر».

ووفق الأسطورة، فقد عاش Hou Yi إبان حكم الأمبراطور Yao في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد. وتعتبر زوجته Hêng O المعروفة أيضاً باسم Ch'ang O، بأنها إلهة القمر.

ويتم تصوير ملكة سبأ بطريقة أكثر خيالية عند كتاب متأخرين، والطاويين منهم تحديداً الذين يحبون الروايات الخيالية. فهي تقود عربة تنين، ورسلها هم ثلاثة طيور خضراء اللون... الخ.

من الطبيعي أن الرحلة البرية من الصين إلى جزيرة العرب لم تكن من المسائل السهلة في القرن العاشر قبل الميلاد، ولكن علينا أن لا نسرع بالافتراض بأنها لم تكن ممكنة. فنحن لا نمتلك إلاّ القليل من المعارف عن أقاليم آسيا الداخلية في تلك العصور. ومن الأمور المحتملة أن الطرقات ووسائل المواصلات لم تكن في ذلك الزمان أسوأ بكثير من حالها في بداية العصور الوسطى عندما تمكن الرحالة الأوروبيون الأوائل من الوصول إلى الصين، ذلك أن الشرق يتقدم في هذا المجال، هذا إن حصل ذلك أصلاً، بخطى حلزونية. ومما لا شك فيه أن الأقوام الآسيوية كانت قد أقامت منذ تلك الأزمنة علاقات تجارية فيما بينها. وقد عرف كلا الطرفين الواقعين في أقصى مناطقهما، أي الصينيين والسبئيين، بكونهم تجاراً مهمين. وقد قام السبئيون بإرسال بضائعهم إلى الفرس والبختياريين، بينما قام الصينيون بإرسال منتجاتهم إلى السكيثيين(٢٤) والبارثيين(٢٥). وقد لعب البارثيون دور الوسيط بين المناطق الواقعة في أقصى الشرق وأقصى الغرب. واستخدم الرومان في القرن الأول للميلاد طرق القوافل الكبرى التي من المحتمل أنها كانت قائمة منذ عهد الإسكندر المقدوني. وقد امتدت تلك الطرق من هيرابوليس(٢٦) الواقعة على نهر الفرات إلى جنوبي بحر قزوين مروراً بأديسا واكتابانا (همدان) وعاصمة البارثيين هكتاموبوليس(٢٧) ثم عبر أراضي الهيركانيين(٢٨) إلى أنطاكيا مارجيانا Antiochia Margiana وعبر بكتيريا بعد «العاصفة الحجرية» بطشقند في تركستان الروسية حيث امتد الطريق من هناك عبر T'ien-chan إلى تركستان الصينية(٢٩).

وفي كافة الأحوال، فقد كانت تلك الرحلة إنجازاً هائلاً، ولم يكن من الممكن أن يقدم عليها إلاّ شخص يمتلك العزم والرغبة وحب المغامرة، وهي صفات لم تتوفر في معظم الحكّام الصينيين. وفي حالة أن الرحلة كانت قد أنجزت من قبل حاكم آخر، فسيكون لدينا عندئذٍ سبب شرعي للشك. لكن مو ونغ امتلك الصفات الواجب توفرها في رحالة استكشافي. لقد كان شخصاً ذكياً وذا حيوية، تشهد على ذلك حملاته المختلفة التي قام بها ضد الأقوام الأجنبية على حدود الأمبراطورية. وقد ورث عن أبيه الولع بالصيد. وقد قام بمد حملاته التصيدية حتى المناطق الداخلية للبلاد(٣٠). وقد كتب المؤرخ فون فريس أن شاغله المحبب كان الترحال، وقد أمضى معظم فترة حكمه يمارس ذلك(٣١). ولم يمتلك إلاّ عدد قليل من الحكّام الصينيين من السلالات القديمة أية معالم مُحددة، ولكن كان لمو ونغ ميزة هي الملك الصيني الرحالة.

وتضم مقدمة Tsu-chiuming (تقرير تسو تشيو منغ) العائد إلى القرن الخامس قبل الميلاد لمؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) مثل Ku P'o المشار إليه أعلاه المقطع المميز التالي:

«لقد رغب مو ونغ اللحاق برغبته الداخلية وهي أن يترك أثر عجلات عربته وخطى حصانه في كافة أنحاء العالم».

وقد قال Su Chê (١٠٣٩ - ١١١٢م.) شيئاً مشابهاً في مؤلف Ku-shih:

«لقد رغب الملك [مو] في متابعة رغبته القلبية والترحال في كافة الأماكن. وكان على العالم كله أن يرى طريق عجلات عربته وحدوات حصانه».

كما كتب Chêng Ch'iao (١١٠٨ - ١١٦٢م.) في مؤلف T'ung-chih (تسجيلات مستمرة) التالي:

«لقد حصل الملك [مو] على ثمانية جياد أصيلة كانت تقطع مسافة ألف لي يومياً. وقد عيّن Tsao Fu قائداً لعربته، ورغب في أن تتمكن عجلات عربته وخطى حصانه من رؤية كل الاتجاهات السماوية الأربعة وحتى نهايات العالم الثمانية».

إن هذا الشعور الطاغي للسفر يعطي سبباً كافياً للقيام برحلة إلى الغرب النائي. ويمكن هنا ذكر هدف آخر. لقد كان مو ونغ، مثل العديد من الأباطرة الصينيين القدماء، مستسلماً للسحر والقوى السحرية. وكان أحد الأهداف الرئيسة للسحر هو تحصيل الخلود عبر العثور على ما يسمى بإكسير الحياة أو فردوس الخلود التي اعتقد أنها موجودة في ذلك الوسط السحري. وهناك أخبار عن قيام العديد من الأمراء الصينيين بإرسال حملات للبحث عن جزر الخلود. فعلى سبيل المثال يشار إلى ذلك بالعلاقة مع أمراء أقاليم Wei وHsüan وYen (٣١١ - ٢٧٩ق.م.) ويبدو لي أن الاحتمال الأكبر الذي دفع الملك مو ونغ للقيام بالرحلة هو الرغبة في اكتشاف إكسير الخلود هذا، وحيث أنه لم يعثر عليه، استمر في ترحاله حتى وصل أخيراً إلى جزيرة العرب وملكة سبأ. ومن الممكن أن ما دفعه للقيام بتلك الرحلة هو أحد السحرة الذي صور له جزيرة العرب وملكة سبأ وكأنها مملكة الخلود. إن هذا الاعتقاد قريب جداً من سرد الملك في القسم الأول في المجلد الثالث من كتاب (المُعَلم تسي).

وقد أتى إلى مو ونغ ساحر أو كيميائي من مملكة تقع في أقصى الغرب، والذي تمكن من السيطرة على الملك بشكل كامل بواسطة فنونه. ومن الممكن أن ذلك الساحر كان عربياً. فلقد اشتهر العرب في العصور القديمة بالسحر. ومن المعروف أن فيثاغورس[٣٢] وديموقريط[٣٣] تملكا فنون الكهانة والطب من العرب[٣٤]. ووفق المصادر العربية فقد كان الشحرة، غربي إقليم ظفار باليمن من السحرة[٣٥]. وقد قام ذلك الساحر بتنويم الملك مو وسبب له رؤية. ووفق ما يرد في النص، فقد التمس الساحر من الملك أن يرافقه في رحلة. وقد أمسك الملك بردائه وطار معه تجاه السماء. وهناك أراه الساحر قصره البراق المبني بالذهب والحجارة الكريمة وأعاجيب السماء الأخرى[٣٦]. وعندما عاد الملك إلى وعيه شعر «وكأنه هوى في فراغ. وقد أدرك عند استيقاظه

بأنه كان ما يزال في المكان الذي كان فيه من قبل، وأن الخدم كانوا ما يزالون هم أنفسهم. كما كان أمامه كأس نبيذ لم يحتسّ بعد، ولم تكن المأكولات قد جفت بعد».

«واستفسر الملك من أين أتى. فأجابه الخدم: كان الملك غارقاً في مكانه».

«وهنا فقد مو ونغ أعصابه. وعاد بعد ثلاثة أشهر ليسأل الساحر».

«فأجابه الساحر: لقد رحلت مع روح الملك. فكيف كان من الممكن للجسد أن يتحرك؟ وكيف كان الموقع الذي أقاما به مختلفا عن قصر الملك، أو كيف كانت المنطقة التي مررنا بها مختلفة عن حديقة الملك؟ وقد تخلى الملك عن عاداته وكتم شكوكه لفترة من الوقت. وقد أدى هذا إلى التغيير الكامل. فكيف يمكن أن يحصل المرء على المثالية عبر البلغم والتوتر والانفعال؟».

«وقد كان الملك على جانب كبير من السعادة. ولم يعد ينتبه لأمور الحكم، ولم يهتم بخدمه وبنسائه. لقد كانت رغبته الملحة السفر بعيداً. وأعطى أمراً بتحضير الجياد الثمانية».

ويعقب ذلك وصف الرحلة إلى سا ونغ مو. وقد رغب الملك في أن يعرف في كافة الأحوال إن ما كان رآه في المنام موجود فعلاً على الأرض. وعلى الرغم من عدم ورود ذلك بشكل واضح، فإني أود الافتراض بأن ذلك الساحر الآتي من الغرب الأقصى الذي حض الملك عبر التنويم على القيام بتلك الرحلة، قد تسلم زمام القيادة من أجل أن يريه الجنة الأرضية، في وطنه، في جزيرة العرب وأنه صاحبه إلى البلاط الساحر لملكة سبأ.

وبعد كل هذا، فمن المسموح لنا النظر إلى رحلة الملك مو إلى أقصى الغرب لزيارة ملكة «سي» على أنها حدث تاريخي. وفيما يخص تعريف هذه الملكة بأنها هي ملكة سبأ أو شبا[٣٧]، فقد قدمت العديد من البراهين المحتملة: التوافق الزمني للرحلة مع فترة حكم ملكة سبأ، واحتمال تطور ميثولوجيا الإلهة سا ونغ مو من الذكريات عن عظمة وتوهج بلاط الأميرة السبئية، وكذلك الاحتمال بأن المقطع «سا» في الاسم سا ونغ مو ما هو إلاّ اختصار للاسم «سَ ـ بء». إن هذه الاحتمالات القوية ستتحول إلى تأكيدات كاملة، بنظري، عبر المقاطع التالية المأخوذة جزئياً من (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) والذي هو أقدم مؤلف جغرافي صيني.

تتباين الآراء بين العلماء الصينيين وأيضاً بين أهل الاختصاص الأوروبيين حول قيمة العمل (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار). ويعتبره قسم كمؤلف مهم للغاية من أعمال الأدب القديم، بينما ينظر إليه آخرون على أنه مؤلف خيالي يفتقد لأية قيمة علمية. وبلا شك أن الأقسام التي تتعامل مع الأقطار الأجنبية الواقعة خارج الصين مليئة بالخرافات التي تصل أحياناً إلى درجة الخرافات الصبيانية والقصص العجائبية، بما جعل ذلك يسري على كل المؤلف. ولكن عند دراسة العمل بشكل عميق، يكتشف المرء أن للكثير من تلك الحكايات معاني أعمق. وعندما نأخذ بعين الاعتبار أن كافة الشرقيين يعبرون بالصور عن أنفسهم أكثر مما نفعل نحن، وأنهم يميلون كثيراً للمبالغة وأن دقة ملاحظاتهم تترك الكثير من الأمور المرغوبة، فمن الممكن شرح الكثير من المقاطع الواردة في مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) والتي تبدو للوهلة الأولى وكأنها خيال أو

مجرد هذي. وقد قام آخر ناشر لمؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) واسمه Pi Yuan، والذي كان من الخبراء الممتازين في تاريخ الصين العتيق، بإعطاء الملاحظات التالية في المقدمة ويشرح كيفية وجوب تأويل مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار):

«إن (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) لا يحكي عجائب، إن العجب يأتي من قبل الشارح».

ففيما يتعلق بطائر Ch'ih «البوم ذو الوجه البشري» و«الإنسان السمكة»(٣٨) فإنه على سبيل المثال يقول إنها ذات وجه بشري. إن التعبير «وجه بشري» يعني وجود تشابه مع بعض الملامح الإنسانية. ويقول هذا العالم الكلاسيكي الشيء نفسه عن Ying-mu «البغاء». وHsing-hsing «أحد أصناف القرود». إن هذا يعني أيضاً وجود نوع من التشابه مع لغة البشر. وفي فترة لاحقة تمّ تصوير هذه الحيوانات فعلاً على شكل البشر. وما زال بالإمكان حتى يومنا هذا رؤية ذلك الطير وتلك السمكة.

وقبل فترة وجيزة قدم العالم شلجل في سلسلة مقالاته(٣٩) منهجية الشرح التي تستخدم ووصل بذلك إلى نتائج مفاجئة. وقد تمكن من إثبات أن العديد من الشعوب المشار إليها في كتاب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) والتي اعتقد في بادىء الأمر أنها مجرد نتاج مخيلة، هي موجودة فعلاً. وقد مررت بالتجربة نفسها حيث سيتضح ذلك من التالي.

إنني، وعلى العكس من النقاد الصينيين، أعتبر أنه من غير الممكن أن مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) هو أقدم من سلالة تشو. لكن من الممكن أن بعض المواد الواردة في ذلك العمل تعود إلى ذلك الزمن. وقد اشتغل المرء في ظل حكم سلالة Chou بالجغرافيا بشكل رسمي وذلك كما يتبين من حقيقة وجود إدارة للجغرافيا يعمل فيها ٢٢٤ موظفاً. ومن المؤكد أنه حفظ فيها العديد من المواد القديمة. وإني أميل للرأي بأن مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) يعود في شكله الحالي إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد. فأسلوب المؤلف لا يختلف عن نظيره الذي كان سائداً قرب نهايات سلالة Chou، ولكنه يختلف عن Ku-wên (المخطوطة الباليوغرافية) الذي نجده في مؤلفات Shuking وShiking. وقد أشار Ssê Ma Ch'ien إلى ذلك، لكن دون ذكر المؤلف بالعلاقة مع المقطع الجغرافي Shuking وYü-pên-chi. وعلى هذا فإنه من الضروري أن مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) كان كتاباً معروفاً في القرن الثاني قبل الميلاد لأن المؤلّف Ssê Ma Ch'ien عاش في الأعوام ١٦٣ ـ ٨٥ق.م. وفي حالة أن المقطعين المتوازيين الواردين في (المعلم تسي) و(سيني السيد لو)(٤٠) مأخوذان من (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) وهو ما يفترضه Pi Yuan، فإن هذا يعطي إثباتاً بأن المؤلف كان موجوداً في القرن الرابع أو الثالث.

إن مؤلّف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) ليس عملاً متكاملاً، وإنما يبدو كأنه جمع من عدة أقسام. كما ويرد الانطباع بحدوث مراجعتين أو ثلاث زيدت فيها إضافات وملاحظات

على النص الأصلي. أما أسلوب كل مقطع فهو موحد ويعتمد على ما يبدو على مراجعة تمت في القرن الرابع أو الثالث. وهذا ما يشرح استخدام كلمات متشابهة عند الحديث عن أمر واحد في مقطعين أو ثلاثة.

فما هي الآن معارف كتاب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) عن بلاد «ملكة سا الأم»؟

بعد الحديث عن مختلف الأقاليم الخيالية نقرأ في المجلد ١٦ في فصل البلاد الواقعة «غرب الأراضي الجافة الواسعة» التالي:

«وهناك في الغرب جبل الملكة الأم، وجبل الهوة وجبل البحر. إنها بلاد Wo؛ حيث يعيش شعب Wo».

ونعثر على المقصود ببلاد Wo في مقطع مشابه وارد في المجلد السابع الذي يتحدث عن البلاد الواقعة غرب البحر. وتتم الإشارة إليها هناك باسم Po-wu-chih. ويوافق Pi Yuan على هذه القراءة[٤١].

وبتحليل الاسم يتبين أن المقصود «الجزيرة الصحراء التي تحولت بفعل الري إلى أرض خصبة». وبكلمات أبسط يكون معنى الاسم «الجزيرة الصحراوية التي صارت خصبة بفضل الري». ولا يوجد أي وصف أفضل للعربية السعيدة، أي بلاد السبئيين. ووفق الشهادات القديمة فمن المفترض أنه قد تمّ تحويل الإقليم الجبلي اليمني الواقع على تخوم الصحراء في جنوب غربي جزيرة العرب إلى جنة يانعة بواسطة الري الاصطناعي، وهو ما أدى بالتالي إلى تسميتها «العربية السعيدة» والذي يقترب من روح التعبير الصيني «الأرض الخصبة المروية بشكل جيد» الوارد في المجلد السادس عشر من المؤلف آنف الذكر. ويطلق العرب أنفسهم اسم «جزيرة العرب» على بلادهم. وحيث ان المعنى الأصلي للمفردة «عرب» في اللغة «السامية» كان «برية، جافة، مكان صحراوي»، فإن الترجمة الحرفية للاسم الصيني يكون «جزيرة البرية»، أي «جزيرة العرب»[٤٢].

ومن الطبيعي أن يطلق على سكان Wo، أي «الجزيرة المروية بشكل جيد» الاسم نفسه. والمقصود هنا سكان اليمن السعيد، أي السبئيون. وقد عرفهم أيضاً مؤلف (سيني السيد لو) العائد إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وأشار إلى خصوصية قيامهم بأكل بيض طائر الفينيقيا. أما المقصود بذلك فسيتبين لنا من التالي. يقول المقطع ذو العلاقة:

«إلى الغرب من «الرمال التي تذروها الرياح» وجنوبي جبال خام الرصاص يتوفر بيض الفينيقيا الذي يأكله شعب Wo».

وعادة ما يفهم بأن المقصود بالمصطلح «الرمال التي تذروها الرياح» هو صحراء «جوبي». لكن هذا المصطلح ينطبق أيضاً على صحراء جنوبي جزيرة العرب. ومن الممكن أن المقصود بـ«جبال خام الرصاص» هو جبال عُمان حيث يتوفر خام الرصاص فيها علماً بأن الرحالة الدانيماركي

نيبور عثر على منجم للرصاص هناك[٤٣]. وانطلاقاً من ذلك فإن مكان العثور على بيض الفينيقيا هو في جنوب غربي الصحراء العربية الجنوبية قرب اليمن.

ويضع المجلد الرابع ـ الجملة ٩ من مؤلف (معلم هونان) شعب الـ Wo ضمن الستة والثلاثين شعباً الذين يعيشون أقصى غربي البحر أو الصحراء:

«شعب البيض، وWo والنساء والفرسان... الخ» مذكورون أيضاً في مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار). والمقصود بالبيض إحدى قبائل القفقاز. ووفق وصف المجلد السابع من مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار)، فإنهم بيض البشرة وطوال الشعر. أما النساء فهن أمازونيات، بينما يرتدي الفرسان، وفق التعليق نفسه، ثوباً أصفر وقبعة وسيفاً».

وانطلاقاً من هذه الرواية يبدو أن شعب Wo لم يقطن بعيداً عن القفقازيين ذوي البشرة البيضاء. ووفق مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) آنف الذكر، فقد قطن «البيض» شمالي شعب Wo. فهل أن المقصود هنا الإغريق الذين قطنوا آسيا الصغرى؟

ويقول (معلم هونان) في مجال تعداد الاتجاهات السماوية الثمانية المرتبطة بالأقطاب الثمانية، أي الواقعة على تخوم نهايات الأرض الثمانية التالي:

«ويطلق على الغرب جبال الذهب والصحراء المروية بشكل جيد».

لقد اعتبر القدماء جزيرة العرب أرضاً ثرية بالذهب. ويشير المؤرخ الإغريقي سترابون إلى الذهب في بلاد النبطيين الذين قطنوا شمالي جزيرة العرب ويقول إنه متوفر هناك بكتل بحجم الجوز[٤٤]. ووفق عالم الطبيعة بلينيوس فقد توفر الذهب أكثر عند السبئيين الذين يمتلكون غابات البخور والأراضي الخصبة والكثير من الشمع والعسل[٤٥]. كما يتبين ثراء السبئيين بالذهب من خلال الحديث عن زيارة ملكة سبأ لسليمان. وهناك مناجم غنية بشكل غير عادي بالذهب في منطقة تبعد رحلة يومين من صنعاء عاصمة اليمن[٤٦]. وقد كانت جزيرة العرب أكثر إنتاجاً منها للفضة. وقد عدد الجغرافي الهمداني في حديثه عن اليمامة وديار ربيعة[٤٧] منجم فضة ومنجم نحاس وخمسة مناجم ذهب[٤٨].

واعتماداً على المقتبسات السابقة، يبدو لي أن مملكة «ملكة سا الأم» وقعت وسط جزيرة صحراوية لا تبعد كثيراً عن البحر حيث تتم الإشارة إلى «جبل البحر»، والتي تحولت بفعل الري الاصطناعي إلى أرض غاية في الخصوبة وإلى منطقة جبلية ثرية بمناجم الذهب. وإلى الشمال من ذلك قطن القفقازيون بيض البشرة وذوو الشعر الطويل.

ويستمر المجلد السابق من كتاب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) حديثه عن «الجزيرة الصحراوية المروية بشكل جيد» بالقول:

«وفي الجزيرة الصحراوية المروية بشكل جيد يغرد طائر Luan ويرقص الفينيقيا دون أي سبب. ويأكل السكان بيض الفينيقيا ويشربون الطَلّ الحلو. وتتحقق رغباتهم كلها بنفسها. وتتواجد هناك

مختلف أصناف الحيوانات التي تعيش مع بعضها البعض في قطعان شمالي أصناف الأفاعي الأربع[٤٩].
ويحمل الناس بيضة واحدة بكلتا اليدين ويلتهمونها. ويسبقهم طائران ويدلونهم على الطريق إليها».

ويقول المقطع الموازي من المجلد السادس عشر التالي:

«ويستخدم بيض الفينيقيا في الصحراء المسقية بشكل جيد كمأكل، والظل الحلو كشراب. وكل ما يرغبه الناس، كافة المشتهيات متوفرة... وطائر Luan يغني ويرقص الفينيقيا بدون سبب، وتتجمع كافة أصناف الحيوانات مع بعضها البعض. ويطلق على ذلك المكان اسم «الصحراء المروية بشكل جيد».

إن «الطل الحلو» الذي يشربه سكان الصحراء ما هو إلاّ المنّ الذي نعرفه من الإصحاح السادس عشر من سِفر الخروج[٥٠]، والذي أمطره الرب على يسرئيل قرب صحراء سيني عند سيناء.

«وفي الصباح كان حواليها سقيط الندى. ولما ارتفع سقيط الندى ترك على وجه البرية شيئاً ناعماً جداً، ناعماً كالجليد على الأرض. فلما رآه بنو إسرائيل تساءلوا < منٌ هو >[٥١] غير عارفين ما هو. فقال لهم موسى: هو الخبز الذي أعطاكم يهوه لتأكلوا».

إن المَنّ، أي الطل الحلو، ينبعث من نبتة الطرفة[٥٢] الموجودة في كافة أنحاء جزيرة العرب، والتي تستخرج عبر غزة الحشرة القشرية المسماة Coccus manniparus في الغصن الطري. ويجف الشراب الناتج الذي هو حلو المذاق كالعسل ويتساقط كقطرات ثقيلة على الأرض ويبدو كالطل بسبب شكله الكروي ولونه الأصفر الفاتح. وللمن طعم كالعسل ولا زال يؤكل حتى يومنا هذا من قبل العرب بوضعه على الخبز[٥٣]. ويقول العالم رتر[٥٤] إن إقليم نجد في وسط جزيرة العرب هو مركز إنتاج المن الذي يتم تصديره إلى جزيرة البحرين في شرقي جزيرة العرب.

ويفهم الصينيون الآن تحت «الطل الحلو» أحد أصناف الأمبروسيا[٥٥]، الذي يستخدم كغذاء من قبل الأرواح والجن، ومن أولئك الراغبين في أن يصبحوا كذلك. ونجد جذور هذه الميثولوجيا أمامنا في كلا المقطعين من مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار). وربما عثر الملك مو نفسه على الطل الحلو الذهبي المظهر تحت شجر الطرفة في الصحراء، وقام بشرح أصوله مثل اليهود، أي كعطاء خاص من الآلهة. إن الاعتقاد بأن الآلهة نفسها كانت تتغذى من ذلك الطل العجيب لقريب من هذا.

والآن ننتقل إلى مسألة طائر Luan والذي هو ليس إلاّ صنفاً من طير الفينيقيا الغامض. ويعرف الأوروبيون بشكل عام طائر Fêng أو Fêng-'huang بأنه هو طائر الفينيقيا، هذا رغم أن وصفه لا يتطابق تماماً مع شكل طائر الفينيقيا الإغريقي. ولا يوجد إلاّ بعض التشابه بين الصنفين.

إننا نعلم عن Fêng-'huang بأن سكان الصحراء يلتقطون بيضة بكلتا اليدين عندما يريدون التهامها، وأن طائرين يدلونهم على الطريق المؤدية إلى ذلك البيض. كما أن الفينيقيا يغني ويرقص، وتتجمع الحيوانات حوله.

فلماذا يقوم سكان البادية بالإمساك بالبيضة بيدين، أفلا تكفي يد واحدة كما هو الحال مع أصناف البيض الأخرى؟ إن السبب في كافة الأحوال هو أن البيضة أكبر حجماً من أن تلتقط بيد واحدة. ولا تصل أية بيضة إلى هذا الحجم إلاّ بيضة النعام، وهذا يعني أن المقصود هنا طائر النعام، وأن المقصود بطائر Fêng-'huang هو النعام. ولا يوجد لديَّ أدنى شك بأن النعام وليس الديك البري هو الذي شكل في الأصل الصورة الأولى لطائر Fêng-'huang الذي يعتبر «ملك الطيور». وعندما تقوم التصاوير برسم شكل Fêng-'huang لطائر على شاكلة الديك البري، فالسبب هو أن الرسام الصيني لم يعرف شكل النعامة بشكل مباشر بما جعله يعود إلى الديك البري ليستخدمه كنموذج لشكل ذلك الطائر. إن الديك البري متوفر بشكل أكثر من العادي لتقوم المخيلة الشعبية باختياره وتحويله إلى ذلك الطائر العجيب. وعلى العكس من ذلك، فإن ما يخدم هذا الهدف هو ذلك الطائر الهائل الحجم من الغرب والذي يعود إلى زمن ما قبل الطوفان. إن وصف طائر Fêng-'huang في كتاب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) وغيره من المؤلفات يتطابق تماماً مع النعامة ولا يتشابه مع الديك البري.

لقد تبين لنا أعلاه بأن كتاب (سِني السيد لو) أيضاً يشير إلى مؤلف يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وأن شعب Wo، أي سكان البادية أو الصحراء، يأكلون بيض الفينيقيا، أي بيض النعام. ويقول مؤلف Yu-yang-tsa-tsu العائد إلى القرن الثامن للميلاد بأن لطائر الفينيقيا مكان إقامة خاصاً. «وهناك شيء عند أقدام طائر الفينيقيا مثل الحجر الأبيض. ويأتي الفينيقيا من حين لآخر إليه ويبدو وكأنه يقدم له احتراماً خاصاً. ويقوم في المكان الذي يجلس فيه بحفر حفرة عمقها ثلاثة أقدام. ويضع هناك حجر كروي يشبه البيضة، وهو شديد البياض. إن الحذر الحنون الذي يرفق به ذلك يهدىء من روعه». ووفق كتاب Chên tsang ch'i الذي يحوي المقطع الوارد في مؤلف Yu-yang-tsa-tsu وبشكل أكثر تفصيلاً، يقوم طائر الفينيقيا في مكان إقامته بحفر حفرة في الأرض عمقها قدمان إلى ثلاثة أقدام. ويعبر المؤلف عن دهشته من هذا السلوك الفريد لطائر الأرواح لأنه، وفق التقاليد، لا يقيم إلاّ على غصون أشجار Wu-tung، ثم يحط على الأرض حيث يأخذ مكاناً خاصاً، ويقوم بالإضافة إلى ذلك بحفر حفرة في الأرض. ويعبّر المؤلف عن رأيه بعدم وجود أي شرح لهذا السلوك إلاّ أنه موجود في طبيعته[٥٦].

إن المقصود هنا بالطبع بيض النعام الذي يشبه حجراً أبيض كروي الشكل. وتتعامل النعامة معها بحذر حنون عندما تبيضها. وعند الوضع تقوم بحفر حفرة في رمال الصحراء تختفي فيها ولا يبرز مطلاً منها سوى العنق[٥٧].

ومن الطبيعي أن النعامة لا تقصد أن تلعب دور الدليل على عشها للعرب حتى تسهل لهم أخذ البيض، وذلك كما يرد في كتاب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار). إن سبب هذا الاعتقاد الخاطىء يمكن أن يكون التصرف التالي للنعامة. في حالة ملاحقة وطرد أنثى النعام التي

على وشك الوضع من عشها فإنها تبدأ بالصراخ منادية الذكر. ويقوم الأخير، وفق ادعاء كافة العرب، بإجبارها بالقوة على العودة إلى العش. وعلى هذا يطلق على ذكر النعام اسم «الظليم» أي «العنيف»[٥٨]. وحيث ان الظليم[٥٩] يقوم بإجبار النعامة على العودة إلى العش بهذه الطريقة، فإنه يقوم في الوقت نفسه بدل ملاحقيها أيضاً.

كما وتتطابق على النعامة الخواص الأخرى التي يذكرها (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) بالعلاقة مع طائر الفينيقيا. وهنا عليّ الاعتراف بأن خواص النعامة هذه لم تكن معروفة بالنسبة لي، وأن ملاحظات ذلك العمل سيىء الذكر هو الذي قادني إليها. وربما هذا ما قد يحصل مع بعض الزملاء المتخصصين الآخرين.

وطائر الفينيقيا يرقص ويغني، والحيوانات تلتف حوله. هذا ما يقوله (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار). لنستمع الآن إلى ما يقوله العالم المتخصص بريم[٦٠] عن النعام:

«وبعد أن يكن قد ملأن معدتهن بالطعام قرب منتصف النهار، فإنهن إما يخلدن إلى الراحة لبضع ساعات متعكزات على أطراف حوافرهن أو مستلقيات على بطونهن، ومرات أخرى يرتعن بزهو ويرقصن أجمل الرقصات بحيث أنهن يدرن بمجون في دوائر ذهاباً وإياباً، ويرفعن الجناحين ملوحتين برجة وكأنها تحاول الارتفاع في الهواء»[٦١].

ويعبر الظليم عن حبه من خلال سلوك محدد ورقص. ويقوم بالقرفصة على قدمه أمام الأنثى، ويحرك عنقه ورأسه في حركات منتظمة، ويرجف كامل جسمه، ويضرب بجناحيه. وعندما يصرخ يقوم بدفع عنقه إلى الخلف ويبدأ بطرد الهواء من رئتيه بكامل جسمه عبر حركات متشنجة وغير منتظمة، وتكون رقبته في الوقت نفسه منتفخة بشكل غير عادي. «إن الأصوات الثلاثة التي تكرر ثلاث مرات، والتي يقوم بتكرارها العديد من المرات، فتذكر بزئير أسد بعيد أو بتطبيل عميق. وتكون الصرخة الثانية أعلى من الأولى بعدة درجات، وتكون الثالثة أطول وأكثر عمقاً والتي تضعف قرب نهايتها»[٦٢].

لذا فإن مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) يتكلم بحق عن طائر الفينيقيا المغني، ذلك أن الأصوات التي يصدرها متباينة الارتفاع، فهي إما طويلة أو قصيرة، سريعة أو بطيئة، وعلى فترات منتظمة. ويقول (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) بأن أصوات الفينيقيا المنخفضة مثل قرع الأجراس وأن المرتفعة منها مثل ضرب الطبول. وفيما يخص الملاحظة حول تجمع كافة أصناف الحيوانات حول النعام فإنها ترتكز على حقيقة أن الظباء وحمير الوحش والحيوانات الأخرى رباعية الأرجل تحب التجمع حول النعام لأن الأخيرة تتمكن بفضل ارتفاعها من رؤية أي خطر داهم عن بعد أميال بعيدة وتعطي إشارة الإنذار للفرار. وهكذا تضحي، ودون أية نية مقصودة، حارسة لمن يتبعها.

إن افتراضي بأن طائر Fêng-'huang، أي الفينيقيا الصيني من غير الممكن أن يكون أي شيء

آخر غير النعامة يتأكد بشكل قاطع من خلال الكتابة. إن الرسم الصيني féng هو حديث، وقد كتب بطريقة مختلفة في السابق. إن العلامة الصينية الحالية والتي تنطبق على صورة p'éng تعني طيراً كبيراً، تماماً مثل طائر الرخ الخرافي. وقد استعمل النقش الصيني الأقدم ذو العلاقة للدلالة على الطيور الثلاثة آنفة الذكر، ولم يتم التمييز في النطق إلاّ في مرحلة لاحقة بما يعني أن طائري الفينيقيا والرخ كانا في الأصل متطابقين، وأن الإشارة إلى وجود طائرين مختلفين قد جاءت في مرحلة متأخرة. فطير الرخ ما هو إلاّ مبالغة خيالية للنعام.

إن اعتقاد القدماء بأن الحجم الضخم هو من الصفات الرئيسة لطائر الفينيقيا مسجل في مقاطع مختلفة من مؤلف Wang Ch'ung Lun-hêng (ميزان التعليقات) العائد إلى القرن الأول للميلاد. ووجب عدم النظر إلى ما يرد في المراجع عن ظهور طائر Fêng-'huang في قصور مختلف الحكام كحقيقة تاريخية. وحيث ان طائر الفينيقيا كان يعتبر مقدساً، فقد تمّ تصويره في القصور بهدف منح البركة لحكومة قيصر محدد(٦٣).

«وقد وصل طائر الفينيقيا في عهد القيصر Hsiao hsüan Ti الذي حكم في السنوات ٧٣ - ٤٨ق.م. إلى حديقة Shang-Lin، وأقام في فترة لاحقة على شجرة قرب الباب الشرقي لقصر Chang-lo. وقد كان ارتفاعه خمسة أقدام».

«وقد ظهر في عهد حكومة Wang Mang الذي حكم من السنة التاسعة قبل الميلاد وحتى السنة الثالثة والعشرين للميلاد، طير هائل يبلغ حجمه مثل حصان، وله ريش ملون وذو شكل تنين، ومعه بضع عشرات من الطيور الأخرى وأقامت جميعاً في Ch'i-hsien الواقعة في دولة P'ei. وقد وصل ارتفاع طائر الفينيقيا الذي أقام على الأرض في عهد Hsüan إلى خمسة أقدام، وهو ما يساوي حجم حصان».

إن هذا الحجم يساوي تقريباً حجم النعامة التي يبلغ ارتفاعها مترين.

ووفق الجملة الرابعة في المجلد الثالث من كتاب (تقرير عن ابن السماء لو) تعرف الملك مو على النعامة في جزيرة العرب، وقام بصيدها بسبب ريشها. وبعد أن قام بوصف زيارته لملكة سبأ. تستمر الرواية التي يخترقها انقطاع هنا وهناك، في القول:

«وفي يوم Ting-Wei - [أي اليوم ٣٣٠] جهز ابن السماء(٦٤) مأدبة على جبل Wên.... ونظر إلى الطيور. وفي اليوم ٣٣٢ عمل مأدبة على نهر Ju. وهناك أعطى أمراً ووجه فرق الجيوش الستة [لجمع] الريش... وقد كانت هناك... مستنقعات وبحيرات، تلال وسهول ومرتفعات. وقد جردت «الطيور الضخمة» من ريشها. وعندما انتهى جنود الجيوش الستة من ذلك، كانوا قد وصلوا إلى «السهل الواسع»، واصطادوا كميات هائلة. وقد تمّ صيد قطعان كاملة من الطيور والحيوانات. وقاموا بعد ذلك بالعسكرة على «[تل] الريش»... وقد قاموا باستئجار عربة لنقل فراء صيدهم وجوائزهم. وقد تم لابن السماء بهذه الطريقة تحصيل مائة عربة محملة بالريش».

إذن، لقد رأى مو ونغ نعاماً في جبال اليمن وقام بجمع ريشها. وعلى الأرجح أن أتباعه هم الذين قاموا باصطيادها. وعندما وصل في طريق العودة إلى «السهل الواسع»، أي الصحراء، قام بالصيد لفترة تسعة أيام راح ضحيتها عدد لا يحصى من النعام والحيوانات الأخرى. ومن الطبيعي

أن القول بأنه احتاج إلى مائة عربة لنقل الريش فقط هو شيء مبالغ للغاية. وقد عرف التل الذي تمّ تجميع الصيد عليه باسم «تل الريش» بسبب الكميات الكبيرة من ريش النعام الذي تمّ تجميعه في الصيد. وهنا وجب عدم الفهم بأن المقصود تل مشكل من الريش. ويبدو أن معلق «الحوليات القصبية» قد فاته هذا الأمر حيث سجل: «وفي طريقه نحو الشمال، ارتحل الملك ألف لي خلال الرمال وألف لي خلال الريش المكوم». كما أن الاتجاه الشمالي غير صحيح في هذا المقام.

أما أقدم وصف لطائر الفينيقيا متوفر بين يدينا فهو العائد إلى Han-shih-wai-chuan[٦٥] من عام ١٥٠ قبل الميلاد. وينطبق ذلك إلى درجة ما على النعامة، لكن ليس بأي حال من الأحوال على الديك البري. وهناك يرد التالي:

«من ناحية المظهر، فإن مقدمة طائر Fêng تشبه البجع البري بينما تماثل مؤخرته Kilin[٦٦]، وله فك سفلي مثل السنونو ومنقار ديك، ورقبة ثعبان وذنب سمكة. وجبهته مثل نظيرها عند الكركي والجام مثل وحيد القرن، وشكله مثل التنين وظهره مثل السلحفاة. ولريشه الألوان الخمسة، وارتفاعه أربعة إلى خمسة أقدام».

فإذا رغب المرء في تشبيه النعامة التي تختلف تماماً عن باقي الطيور الأخرى، بطير معروف، فإنه سيقول إنها إوزة أو بجعة ضخمة الحجم. ولم تتوفر إمكانية عند الصينيين لإعطاء تشبيه أفضل من ذلك. ويتم تصوير النعام في كتاب Pên-t'sao-kang-mu على شكل إوزة كبيرة الحجم، لكن بسيقان حيوان ثديي. ويبدو أن مشيته التي تشبه مشية الخيل أو الظبي هي التي قادت إلى القول بأن شكلها من الخلف يشبه وحيد القرن. وقد سجل بلينيوس في كتابه التاريخ الطبيعي ١٠: ١، أن مخالب النعامة مشقوقة إلى قسمين وتشبه نظيرها عند الإيل. وهي تستعملها للإمساك بالأحجار وقذفها تجاه ملاحقها. وللنعامة عنق طويل يشبه الأفعى، وجبهة مرتفعة مثل الكركي، والمنطقة المحيطة بالعينين ذات لون فاتح مثل البط[٦٧] ومنقاره يشبه منقار الديك والسنونو. ولا يقع على عاتقي اكتشاف التشابه بين ذنب النعامة والسمكة. وتشابه المظهر مع التنين يشير على ما يبدو إلى الريش المموج والمجعد. أما تشبيه ظهر النعامة بالسلحفاة فهو أمر موفق تماماً.

لكن ريش النعام ليس ذا خمسة ألوان. ووفق (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) و-Shuo-wên يظهر الطير كله بخمسة ألوان. إن لون ريشة الذكر القصيرة أسود، والطويلة أبيض، ولون الأرجل أصفر، والمنقار أصفر فاتح، والمنطقة العارية من الرقبة والفخذين حمراء. إذن الألوان الخمسة الأساسية التي عرفها الصينيون موجودة، باستثناء اللون الأزرق. وهذا اللون موجود في النعامة الصومالية حيث يكون لون الأقسام العارية من جسدها أزرق رمادياً[٦٨]. وفي كافة الأحوال، فإن النقش الصيني ذا العلاقة يقول بأنها متعددة الألوان، وليس أكثر من ذلك.

لقد تعرف الصينيون على النعامة للمرة الثانية من خلال حملة Chang Ch'ien التي تمت عام ١٢٢ قبل الميلاد. وتشير الصفحة السادسة في المجلد ١٢٣ من مؤلف (تسجيلات المؤرخين

الجغرافيين) إلى «الطير الكبير»، أي النعام، ويسجل أن حجم بيضه يقارب الآنية الفخارية ويذكر أن ذلك من خواص Tiao-chih، والمقصود به سوريا[٦٩]. كما وتشير الصفحة الثالثة عشرة في المجلد ٩٦أ من كتاب Ch'ien Han-shu (التاريخ الأمبراطوري لسلالة هان السالفة) إلى النعامة ضمن منتجات سوريا. ويبدو أن أول نعامة وصلت حية إلى الصين كانت في عام ١٠١ للميلاد. وقد قام أحد الملوك البارثيين بإرسالها مع أسد إلى قيصر الصين. وقد أطلق الناس على هذا الطير اسم «الطير البارثي». إن هذا المصطلح ليس بعيداً عن الحقيقة، ذلك أن البارثيين كانوا يسيطرون في ذلك الوقت على جنوب إيران أيضاً حيث ما تزال النعامة تتواجد في بعض المناطق هناك. وتتم الإشارة إلى النعامة في مؤلف (التاريخ الأمبراطوري لسلالة هان السالفة) المجلد ٩٦أ، ص ١٤ على أن موطنها في بارثيا، ويطلق عليه اسم «الطير الحصاني الكبير». ولم يرد الاسم المستخدم حالياً، أي «الطير الجملي»، إلاّ في فترة لاحقة. وقد أشرنا سابقاً إلى أن (ميزان التعليقات) قال بأن حجم طائر الفينيقيا يقارب حجم الحصان.

وتعتبر النعامة من مميزات ما يسمى بإقليم الحيوانات الحبشي، والذي يضم مناطق جنوب جزيرة العرب والخليج العربي حتى خط الاستواء، بما في ذلك المناطق المحاذية من جنوبي إيران. كما ويظهر النعام خارج هذه المناطق تجاه الشمال وحتى صحراء إقليم الفرات. وعلى العكس من ذلك، فإن مناطق آسيا الوسطى لم تكن إطلاقاً موطن ذلك الطير[٧٠].

وحيث إنه تبين لنا أن الإقليم الحبشي هو موطن الطير Fêng-huang، أي «ملك الطيور»، فعلينا أن نبحث هناك أيضاً عن وطن Ki-lin، أي ملك القوائم الأربع. ولا قيمة لتعريف الحيوان Ki-lin بأنه وحيد القرن أكثر من القول بأن الطير Fêng-'huang هو الفينيقيا. واعتماداً على المصادر الصينية، فقد ثبت أن الزرافة هي التي شكلت المثل أو الأرضية لتصوير الحيوان الميثولوجي المسمى Ki-lin[٧١]. ويعطى للأخير في معظم المصادر قرناً واحداً، رغم أنه لا يعتبر دوماً كالخاصية الأساسية المميزة للحيوان. وإني أعتقد أنه من الممكن إرجاع القول بأن للحيوان Ki-lin قرناً واحداً إلى سوء فهم مقطع في مؤلف Shiking والذي يتحدث عن قرون ذلك الحيوان. طبعاً، إن مؤلف Erh-ya يقول بعبارة واضحة أن جسد الحيوان Ki-lin يماثل أيل دون قرون، وأنه له ذنب ثور وقرن. لكن المصادر الصينية الأقدم تقول بأن الرديف الصيني للمفردة (قرن) يمكن أن يستخدم في حالتي المفرد والجمع. فعلى سبيل المثال، يقول التعليق على كتاب Kung-Yang التالي:

> «إنه شبيه بالأيل دون قرن، لكن لديه قرون».

ويقول مؤلف Shuo-wên التالي:

> «إن الحيوان Ki-lin ذو طباع جيدة، وله جسد حصان وذنب ثور وقرون لحمية».

كما يتحدث (ميزان التعليقات) في الجملة الرابعة عشرة في المجلد ١٦ من كتاب Lun-hêng

باستمرار عن كون Ki-lin حيواناً بقرنين. هذا يعني أن المرء لم يعتبر في القرن الأول للميلاد بأن للحيوان Ki-lin قرناً واحداً فقط. كما ويصور مؤلف T'u-shu-chi-ch'eng الحيوان Ki-lin بقرنين!

ونعثر في قصة حياة [النبي] محمد على الوصف الأدق للحيوان Ki-lin والذي لا يدع مجالاً للشك بأن المقصود هو الزرافة. ويتم هناك وصف الممالك الإسلامية(٧٢) الواقعة غربي الصين بما في ذلك مملكة عدن. ويتم هناك العثور على مقطع من حيوان Ki-lin التي تمّ ترجمته من قبل عالم الصينيات هـ.ك. في مجلة China Review VI, S. 277، على النحو التالي:

«ويبلغ حجم قوائمه الأمامية تسعة أقدام، والخلفية حوالى ستة أقدام. وله رأس منتصف على عنق طويل، وطول جسده المرتفع من المقدمة والمنخفض المؤخرة حوالى ١٦ قدماً. ومن غير الممكن امتطاؤه من قبل الناس. ويوجد على رأسه قرنان قصيران موجودان داخل الأذنين، وذنبه يماثل رديفه عند البقرة، بينما يشبه جسمه الغزال. وحوافره مسطحة، ومشقوقة إلى ثلاثة أجزاء. وتشكل الذرة والبازيلاء والكعك القمحي غذاءه الاعتيادي».

كما تشير القصة الرسمية لسلالة Ming إلى حيوان Ki-lin، أي الزرافة والأسود والنعام، كحيوانات مميزة في جزيرة العرب(٧٣). ولكن هذا غير صحيح فيما يتعلق بالزرافة، هذا فيما لو فهم بأن المصطلح عدن أو بلاد العرب يقتصر على شبه الجزيرة، ذلك أن الزرافة لا تتواجد إلاّ في أفريقيا. ولكن الصينيين فهموا تحت المصطلح «بلاد العرب» أيضاً المستعمرات العربية إلى الساحل الأفريقي الشرقي.

وحيث إن الصينيين عرفوا الزرافة في عهد Chou العتيق، فإني أعتقد بأنهم تعرفوا عليها وعلى النعام أيضاً من خلال رحلة الملك مو، هذا على الرغم من أن الأخير لا يشير إليها بشكل خاص. كما أود أن أفترض بأن الاسم Ki-lin يشير إلى أفريقيا، وإلى الحبشة تحديداً. ووفق الكاتب سلت، يطلق على الزرافة في أمهرة، يراتًا كيلخن(٧٤). فهل أن الاسم «كي لن» مشتق من الأخير؟

لنستمع الآن إلى ما يقوله مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) عن منتجات «البرية المروية بشكل جيد» في بلاد السبئيين. وسنتبع تلك الملاحظة بأن السكان يعثرون على كل طعام يشتهون أكله، ويستمر في المجلد السادس عشر بقول التالي:

«ويوجد عندهم زهور حلوة المذاق، وسفرجل حلو وصفصاف أبيض يعتبرونه كاللحم، أي يأكلونه مثلما يأكلون اللحم».

ومن الصعب الحسم بالمقصود بالنقش الصيني الذي يشير إلى «زهور حلوة المذاق». لكن هناك إشارة في المؤلف نفسه إلى أن أغصان وسيقان «الزهور الحلوة المذاق» حمراء اللون، وأن أوراقها صفراء. ومن الممكن أن يفكر المرء هنا بزهرة الأقحوان التي يطلق عليها بالصينية اسم

«زهرة النجمة الحلوة المذاق». ومن المفترض أن مظهرها أرجواني، ولها عبير طيب وهي حلوة المذاق. وهي تستخدم في أغراض طبية(٧٥). ووفق الفكر الطاوي فإن أكلها يطيل في العمر. ووفق معلوماتي فإن هذه الزهرة الشتوية المحبوبة في الصين واليابان غير موجودة في جزيرة العرب.

ويوجد السفرجل في جزيرة العرب بكميات وفيرة، بل وأنه يصدر من عُمان إلى الهند. وتوجد الأصناف الممتازة منه في اليمن، وفي جبل صبر(٧٦) تحديداً. ولهذه الفاكهة هناك ثمرة طرية تختلف عن رديفها في الحبشة وإيران(٧٧).

ولكن ماذا يعني القول بأن سكان «العربية السعيدة» «يأكلون صفصافاً أبيض وكأنه لحم»؟ يبدو لي الاحتمال القوي بأن الصينيين قصدوا بذلك نبتة القات(٧٨) التي يقوم العرب فعلاً بأكل أوراقها. وتزرع هذه النبتة في كافة أنحاء اليمن؛ وتتوفر أفضل أصنافه في جبل صبر. وتكتسب الجبال بأكملها مظهراً أخضر جميلاً بسبب توفره هناك، وقد حصل السكان بسبب زراعته على مستوى معيشي جيد. وعادة ما يقوم الرسل المتنقلون أياماً وليالي دون أن يترجلوا عن سروجهم، بعدم أكل أي شيء باستثناء نبتة القات، والتي تساعدهم على البقاء على قيد الحياة في الجبال. وقد قام شيخ المنطقة بتزويد الرحالة بوتًا Botta بحزمة غصن القات يومياً. «ويتم نثر الأغصان العارية من الأوراق ـ بعد الأكل ـ في غرف الوجهاء كمؤشر على الثراء. أما الأوراق الخضراء الطازجة العطرة فتعتبر دليل أنس». ويقوم كل ضيف بالتقاط ما يرغبه منها. ويقوم الناس بأكل براعم الأوراق الطازجة، والتي يتم مضغها مثل نبتة التنبول. وتحل هذه النبتة بالنسبة للسكان محل القهوة. وهذه العادة غاية في القدم وقد سبقت استهلاك القهوة بوقت طويل. ووفق الرحالة الدانيماركي نيبور، فقد تمّ إحضار وزرع هذه النبتة، مثل القهوة، من الحبشة(٧٩).

وبالإضافة إلى النعام، يشير مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) إلى حيوانات في بلاد السبئيين هي «ثلاثة أصناف من الخيل السود والبيض» وكذلك «ثلاثة أنواع من الطيور الخضراء اللون». لكني أعتقد أن هناك خطأً في الفهم حيث وجب أن يكون المقصود هنا حمار الوحش حيث يختلط الشعر الأبيض والأسود الموجود على خلفية بيضاء ميالة للصفرة وخطوط سوداء أو بنية غامقة. ونظراً لعدم وجود تعبير صيني للاسم حمار وحشي، فقد اضطر الكاتب لاستخدام التعبير «خيل».

ولا يوجد الحمار الوحشي في جزيرة العرب، وموطنه يقع في شرقي وجنوب أفريقيا. ويعرف الآن أصناف عديدة منها. ومن ضمن ذلك المسمى Equus Grevyi في السهل الصومالي وEquus Faurei في منطقة النيل الأبيض وEquus Böhmi في منطقة أفريقيا الألمانية(٨٠). ولكن الأنواع الأخرى التي تعيش في المناطق الداخلية تنتقل إلى السواحل في حالات الجفاف. إن الملاحظة الواردة في مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) حول تواجد ثلاثة أنواع من حمار الوحش في بلاد السبئيين، لا تشير برأيي إلى البلاد الأم، وإنما إلى المستعمرات السبئية على

الساحل الأفريقي الشرقي. وكما قلنا سابقاً، فإن الصينيين كانوا عند وصفهم لبلاد ما غالباً لا يأخذون بعين الاعتبار موقعها الجغرافي وإنما وضعها السياسي، ولذا فإنهم لم يفرقوا بين البلد الأم والأقاليم الواقعة بجوارها.

إن العلاقة الوثيقة بين جزيرة العرب والساحل الأفريقي معروفة أيضاً من قبل علماء الإنسان «الإثنوغرافيون» الذين يعتبرون أن مختلف القبائل الأفريقية القاطنة في شرقي أفريقيا ومنها على سبيل المثال الجالاّ والصوماليون، كخليط من العرب والأفريقيين. فالأحباش هم مهاجرين عرب. «وعادة ما كان يتم تكرار تدفق شعب في وسط آخر، كما رأينا ذلك يحدث مع سكان جزيرة العرب تجاه أفريقيا المقابلة، ويوحدون بذلك إقليمين». لقد اختار العالم راتسل هذه الكلمات كمدخل للفصل عن دائرة الشعوب الإريترية(٨١). ولم تتم الهجرة عبر دفعة كبيرة واحدة، وإنما عبر تسرب متتابع. وما زال الكثير من التاريخ القديم غير معروف. ويقول الصوماليون إنهم ينحدرون من أحد أبناء سام. كما وتمّ ذكر ملوك سبأ كحكام رئيسيين ووقف تحتهم من ناحية المرتبة ملوك الصومال المعروفون باسم «بري» والذين حكموا كمجرد محافظي مدن(٨٢). وتوجد أسطورة عند سكان الساحل الجنوبي للبحر الأحمر تقول بأن الحبشة كانت في الماضي مرتبطة بجزيرة العرب، وأن زلزالاً شق المنطقة بما أدى إلى نشوء البحر الأحمر. ووفق الأسطورة الحبشية، فإن حكام الحبشة ينحدرون من سليمان وملكة سبأ. كما ويقال إن ملكة سبأ حكمت في أكسوم. على أية حال، إن هذه الأحاديث التراثية تعكس، بالارتباط مع التشابه بين العرقين واللغة والأبجدية، ارتباطاً وثيقاً بين الحبشة وجزيرة العرب في العصور القديمة(٨٣). وقد تمّ استعمار الحبشة بشكل خاص من قبل الحميريين الذين هم من أقارب السبئيين. وهناك إثباتات على أن أفريقيا الشرقية كانت مستعمرة حميرية ـ سبئية في القرن الرابع قبل الميلاد. كما وتتم الإشارة إلى الساحل الأفريقي في مؤلف «الطواف حول البحر الأريتري» كجزء من بلاد العرب(٨٤). والبحر الأحمر لم يشكل أي عائق، ووفق ما كتبه المؤرخ والجغرافي سترابو في كتاب (الجغرافيا ١٦) فقد عبر العرب المضيق(٨٥) تجاه الحبشة على قوارب جلدية.

ويقول مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) التالي عن أصناف الطيور الخضراء الثلاثة:

> «لها رأس أحمر وعيون سوداء. ويطلق على الأول اسم الصافر(٨٦) ـ الأكبر، وعلى الثاني ـ الأصفر، وعلى الثالث، الطير الأخضر».

وعادة ما يتم تعريف «الطير الأخضر» بأنه الشحرور أو الشحرور الذهبي أو الصافر(٨٧). ووفق النص الموجود، فإن هذا الاعتقاد قريب من الحقيقية، لكنه غير صحيح لأن رأس الشحرور ليس أحمر وعيناه ليستا سوداوين. ووفق الوصف الوارد في كتاب **Pên-t'sao-kang-mu** فإن ريشه أصفر اللون، وجناحاه وذنبه مخططان باللون الأسود. أما عيناه فهي ذات لون أحمر ـ مثل الدم. وهذا هو سبب إعطائه أسماء مختلفة في اللغة الصينية ومنها «الطير الأصفر» و«الطير الأصفر ـ

الأسود»، «الطير الأسود ـ الصفراوي» و«تنورة الأشراف الذهبية» و«المعطف الأصفر». إني أعتبر أن «الطير الأخضر» ما هو إلاّ الببغاء، وأعتقد أني قادر على الاعتماد في ذلك على تعليق Tso-chuan Tu Yü (التعليق على تسو تشون) (٢٨٤ ـ ٢٢٢ق.م.) الذي يستخدم في كتاباته النقش الصيني الرديف للبغاء.

ولا يوجد إثباتات مؤكدة بأن الببغاء اتخذ من جزيرة العرب موطناً له. وترد الحدود الشمالية للببغاء في الخرائط الحيوجغرافية عبر مضيق باب المندب تاركة بلاد العرب خارجه. وفي المنطقة الواقعة بين الهند وأفريقيا حيث يوجد الببغاء، تبقى ثغرة كبيرة تمتد من جنوبي جزيرة العرب وإيران وبلوخستان. لكن الأبحاث الحيوانية في تلك الأقاليم لا تزال سطحية للغاية في هذه الأيام بما لا يستبعد وجود الببغاء فيها. ويقول العالِم تشسني بأنه اكتشف على الفرات ما يعرف بببغاء الطوق(٨٨). كما ويشير ديودور الصقلي في مجال وصفه لجزيرة العرب في مؤلفه مكتبة التاريخ ـ ٢,٥٣:٢ إلى وجود ببغاوات في أقاصي سوريا. كما ويبدو أن اسم المدينة «زِتاخي» التي تقع في أقصى جنوب آشور، والتي تعرف حالياً باسم «شرية البيضا» يشير إلى أن الببغاوات لم تكن نادرة في ذلك الموقع. لذا فإنه من غير المستبعد أن الببغاوات كانت قد اتخذت من جزيرة العرب موطناً لها في القرن العاشر قبل الميلاد، وفي الإقليم الخصب على الأقل لأن الببغاوات لا تحب الصحراء، ولذا لا يمكن العثور عليها حتى في مناطق خارج خط الاستواء بأفريقيا.

وبدلاً من البحث في جزيرة العرب عن موطن الطيور الخضراء الثلاثة المشار إليها في مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار)، يمكننا أن نفعل ذلك في أقاليم أفريقيا الشرقية التي استعمرها العرب الجنوبيون. وينطبق وصف مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) على الببغاء القزم ذي اللون الأخضر(٨٩)، وفي المقام الأول على ببغاء الحبشة القزم ذي الجبهة الحمراء المعروف باسم البراكيت الحبشي(٩٠)، والذي اكتسب اسمه من المضيق الصخري تارنتا الواقع بين مصوع وهالاي، والمعروف في اللغة الأمهرية باسم دنكرو. ويكون لونه عندما يكبر أخضر عشبياً، ولون عنانه ومقدمة رأسه أحمر صنوبري، ولون غطاء الأجنحة الأول بني داكن، ولون الغطاء الثاني ولون طرفي الأجنحة وأرضيتها وطرف غطاء الجناح أسود. ويكون لون الجبهة والعنان وطرف الذنب في الطيور الصغيرة أخضر(٩١).

وعدا هذا الصنف، يمكن أن يكون المقصود هنا الببغاء القزم ذو العجز الأزرق(٩٢) الذي يوجد في غرب وشرقي وسط أفريقيا. ولونه الأساسي هو أخضر عشبي جميل، ولون مقدمة الرأس والخدين والذقن أحمر، والعجز أزرق اللون، ولون ريش الذنب أحمر وخط أسود على عرض الوسط. أما القزحية فهي بنية أو بنية داكنة(٩٣). ولا توجد إشارة خاصة إلى لون عيون أصناف أخرى من الببغاوات.

إن مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) يصف الببغاء بأنه الصافر انطلاقاً من حقيقة

اكتشاف التشابه بين كليهما. فلكل منهما ريش فاخر، ولأحدهما ريش ذهبي أصفر ذو خطوط سوداء على الذنب والأجنحة، وللآخر ريش أخضر عشبي ذو ذنب أسود أو خطوط سوداء وأجنحة ملونة. والحب بين الذكر والأنثى عند هذا الطير المسمى «اللامنفصل» أمر معروف. ويعتبر الصينيون طائر الصافر كمثال على الحب الزوجي حيث يطير الذكر والأنثى دوماً سوية.

وكما ذكرنا آنفاً، فإن مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) يعرف الببغاوات بأسمائها الحقيقية. ويفترض بأنها اتخذت من جبال الصين الغربية موطناً له. «وهي طيور تشبه البوم، وذوات ريش أخضر ورأس أحمر، ولها لسان بشري وهي تستطيع الكلام». ويطلق عليها اسم Ying-mu، أي ببغاء. وحيث ان المقطع يشير إليها هنا على أنها خضراء اللون وذات رأس أحمر، وهو تماماً ما ينطبق على «الطيور الخضراء»، فإنه من حقنا أن نقول إن المقصود بالأخيرة الببغاء الأخضر، والقزم تحديداً.

ويضيف مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) أن من المنتجات الأخرى لبلاد السبئيين «العقيق واليشب وحجارة كريمة خضراء وخشب أبيض والمرجان الحجري وخام الرصاص الأبيض وخام الرصاص الأخضر والكثير من الفضة والحديد»...

ويقول مؤلف (تقرير عن ابن السماء مو) بأن الملك مو كان يتحلى بالعقيق.

يعتبر العقيق أحد منتجات جزيرة العرب الرئيسة، ويعثر على أجود الأنواع منه في اليمن، موقع بلاد السبئيين. ووفق المصادر العربية، يتم تحصيل العقيق والعقيق اليماني[٩٤] من جبل شبام باليمن، ولكن وجب أولاً صقلها لأنها مغطاة بغطاء حجري. أما الموقع الآخر الذي يتواجد فيه هذا الحجر فهو جبال هران[٩٥] وألهان، ويقع كلاهما أيضاً باليمن[٩٦].

ويتوافر حجر اليشب في مختلف مناطق جزيرة العرب، وفي مقدمتها دمار. كما وتفيد المراجع عن توافره بشكل خاص في مكانين باليمن[٩٧].

وعادة ما يعتبر النقش الصيني ذو العلاقة الذي قمت بترجمته إلى «حجر كريم أخضر اللون» بأنه هو حجر اليشب. ولكن ربما أن المقصود به حجر أخضر أخر لم يُعثر على اسم أكثر ملاءمة له. لقد قام الصينيون بإعطاء أسماء بسيطة للأحجار نصف الكريمة، لكنهم وظفوا أعقد وصف للأحجار الكريمة حقاً التي لم تكن معروفة بالنسبة إليهم. ووفق المصادر الصينية، فإنه من المشكوك فيه أن النقش الصيني ذا العلاقة كان يشير دوماً إلى اليشب. وهناك من الكتّاب الصينيين الذين ميّزوه عن اليشب. وفي حالة صحة ملاحظة الكاتب Wei-lio بأن هذا الحجر الكريم متوافر في الأمبراطورية الرومانية، فمن غير الممكن أن المقصود هنا اليشب أو حجر آخراً مشابه لأنه غير متوفر إطلاقاً في أي من الأقاليم آسيا الغربية. وقد وصف العالم الفرنسي هذا

الحجر بأنه أخضر اللون وشفاف. لكن حجر اليشب ليس بشفاف، ومن الأقرب للمعقول أو المقصود هنا حجر السمرجد[٩٨].

وقد كان السمرجد من ضمن الحجارة الكريمة التي لعبت دوراً بجزيرة العرب في العصور القديمة. وقد سجل سترابو في مؤلفه «الجغرافيا ١٤,١٢» أن العرب كانوا يستخرجون السمرجد وحجارة كريمة أخرى من مقالع البرزخ الواقع بين برينيكه وميوس على الشاطىء الأفريقي للبحر الأحمر. كما أن ديودور الصقلي يذكر السمرجد والزبرجد والتوباز والياقوت الجمري في الأقسام ٥٢:٢ من مؤلف التاريخ في المقام الأول عند الحديث عن الأحجار الكريمة المتوافرة في جزيرة العرب، ويسجل في الوقت نفسه ملاحظته بأنه لا المرمر الباري ولا أي حجر كريم آخر يقارب العربي من ناحية البريق والوزن النعومة.

ولا شك أن «الخشب الأبيض» الذي يذكر بالارتباط مع الأحجار الكريمة والمرجان هو صنف من الخشب الثمين ذو لون أبيض. ومن المرجح أن المقصود هنا خشب الصندل الأبيض[٩٩]. أما خشب الصندل الأصلي فلا ينمو إلاّ في الهند وعلى شاطىء ملابار حيث أقام العرب طرق تجارة لأنه لا ينمو في بلادهم[١٠٠]. ووفق الهمداني، تنمو في إقليم خولان شجرة يشبه خشبها خشب الصندل الهندي وتوظف للاستعمالات نفسها[١٠١].

ووجب هنا التمييز بين المرجان الحجري الأبيض والمرجان الثمين، أي الأحمر[١٠٢]. ولا يتوفر الصنف الأخير إلاّ في البحر الأبيض المتوسط، وبكميات أقل في الخليج العربي، وهو ما أشار إليه العالِم بلينيوس في مؤلفه (العالم الطبيعي). وكما شكّل ربط المؤرخين الصينيين للمرجان الثمين المستخرج من Ta Ch'in إسناداً لربطه مع الأمبراطورية الرومانية ـ بالمعنى العريض، فإن ذكر المرجان الحجري بالعلاقة مع «الأرض المروية بشكل جيد» يربطه مع جزيرة العرب. والمناطق التي يمكن أن يعثر عليها المرجان الحجري يجب أن تكون معرضة بشكل دائم لمياه البحر ولا يمكن أن تقع في مناطق قارية داخلية. ووفق التقاليد الصينية القديمة، فإن المرجان الحجري ينمو على شجرة في جبال K'un-lun في أواسط آسيا. ولكن المراجع الحديثة تقول بشكل صحيح أنه والمرجان الأحمر موجودان في البحار.

وقد تبين لنا أن وصف مؤلفي (سِني السيد لو) و(معلم هونان) يشير إلى جزيرة العرب حيث يعيش شعب Wo، وحيث يوجد هناك ذهب وخام الرصاص. أمام مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) فيحدد بشكل خاص خام الرصاص الأبيض أو كربونات الرصاص وخام الرصاص الأخضر، ويضيف إلى ذلك الفضة والحديد. وقد توفر للنبطيين، وفق سترابو، ذهب وفضة، لكن لم يكن عندهم لا حديد ولا نحاس. ويتحدث الهمداني عن مناجم فضة قرب شمام، ويذكر ستة أخرى كان منجم حديد. وقد وجد قديماً قرب الرضراض في جنوب جزيرة العرب منجم فضة ثري[١٠٣]. كما ويشير الهمداني إلى منجم فضة ونحاس قرب سمام والتي

نهبت من قبل آلاف السحرة [عبدة النار][١٠٤]. ووفق العالِم رتر فقد وجد في القدم مناجم فضة في جبل صبة باليمن أيضاً.

وقد أنتج العرب في القدم دروعاً حديدية شهيرة، وهي ما يسمى بالدرع السلوق حيث استخدم في صنعها حديد استخرج من منطقة سلوق قرب كدرة. وعلى ما يقوله الهمداني فقد استمر استخراج الحديد والذهب والفضة منه فترة طويلة بعد انهياره[١٠٥]. كما واشتهر جبل نقم قرب صنعاء بالحديد. وقد استخدم ذلك الحديد في تصنيع صلب نقم. كما وتوفر الحديد في الجزر العربية الشرقية مودة[١٠٦].

لقد قادتنا المعلومات الواردة في مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) عن سا ونغ مو المأهولة إلى جنوبي جزيرة العرب. ويتأكد من مقطعين واردين في الأعمال التاريخية العائدة إلى سلالة Han وهما (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) وHou Han-Shou (التاريخ الأمبراطوري لسلالة هان المتأخرة) أن هذا هو المكان الذي يجب أن يبحث فيه عن بلاد الملكة التي زارها الملك مو وليس أي مكان آخر.

يرد في مقالة Tiao-chih المسجلة في (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) التالي:

«وقد سمع البارثيون المتقدمون في السن قولاً بأنه يوجد في بلاد Tiao-chih «الماء الخفيف»، وأن «ملكة سا الأم» كانت هناك، لكنهم لم يروها».

لكن مؤرخ مرحلة سلالة Han اللاحقة يعبر عن نفسه بشكل أوضح حيث يقول عن Ta-chin'، أي الأمبراطورية الرومانية التالي:

«ويقول البعض إنه يوجد غربي هذه الأمبراطورية[١٠٧]، «الماء الخفيف»، وصحراء رملية قرب «ملكة سا الأم»، تقريباً قرب مغرب الشمس».

إن كلا المقطعين متناسقان بشكل كامل، كما وأنهما يكملان بعضهما البعض.

لقد تبين لنا أن Tiao-chih هي امبراطورية السلوقيين، وسوريا بالمعنى الأضيق، بما يوضح أنه في الزمان الذي سجل فيه خبر (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) لم يبق من الأمبراطوريات الكبرى سوى السلوقية. وأنا، مثل العالم برتشنايدر، أفهم أن المقصود بالماء الخفيف هو البحر الميت[١٠٨]. وقد ضمت امبراطورية السلوقيين أجزاء من جزيرة العرب، بما في ذلك بلاد ملكة سبأ، وهو الأمر غير الصحيح. لكن مؤلف (التاريخ الأمبراطوري لسلالة هان المتأخرة) يتجنب عدم الدقة هذه.

لقد توقفت الأمبراطورية السلوقية عن الوجود إبان سلالة «هان» التي قامت في السنوات ٢٠ - ٢٢٠ للميلاد. وكانت سوريا منذ عام ٦٤ق.م. إقليماً رومانياً. وعلى ذلك فإن مؤلف (التاريخ الأمبراطوري لسلالة هان المتأخرة) يتحدث بشكل صحيح أن البحر الميت يقع غربي Ta Ch'in،

أي القسم الشرقي من الأمبراطورية الرومانية، بما في ذلك سوريا. أما الصحراء المجاورة والتي تمتد حتى مكان إقامة ملكة سا الأم فهي الصحراء العربية السورية.

ولا يقول المقطعان بأن ملكة سبأ قد عاشت حقاً في جزيرة العرب إبان عصر سلالة Han، ولكن وجب فهم التعبير «ملكة سا الأم» على أنه مصطلح جغرافي.

ويقول مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) وكما تبين أعلاه، أن جبل «الملكة الأم» يقع في المكان الذي يتواجد فيه Wo والذي تبين لنا أن المقصود هنا السبئيون. ويشير المؤلف في مقاطع أخرى إلى أن هذا الجبل تابع لشعب K'un-lun. وفيما لو أن المقصود بالأخير سلسلة الجبال الشامخة الواقعة في منغوليا وتركستان والتيبت... الخ، وهو ما تفترضه معظم المراجع الصينية، فإننا نواجه في هذه الحالة تناقضاً غير قابل للحل. فمن غير الممكن أن مكان إقامة «ملكة سا» كان في جنوب جزيرة العرب وفي منغوليا في الوقت نفسه. وعلينا بذلك أن نقرر القبول بأحد الافتراضين. إني أتمسك، ودون أي تردد على الإطلاق، بالموقع الأول. فالأخبار عن بلاد Wo معقولة وتتوافق في الوقت نفسه مع الظروف الواقعية، هذا في الوقت الذي تربط K'un-lun بكافة أصناف الأساطير والميثولوجيا عن الإلهة سا ونغ مو وجانها. ولذا لم يخطىء وصف مؤلف K'un-lun بأنه أوليمب أو «معبد الآلهة الصينية». ومن الأمور الغريبة أنه لا يوجد جبل آخر أقل ملاءمة لإقامة «الخالدين»، من هذا الجبل بحيث تضحي أوصاف الصينيين الخيالية عن إقامة «ونغ مو» أقل ملاءمة للموقع K'un-lun. إن هذا المكان[١٠٩] هو أكثر جبال العالم قحطاً. فمنحدراته عارية تماماً ومغطاة بالحصى المشكلة من أنقاض هائلة سببها انهيار القمم. ولا تتوفر فيه وديان وشعاب، ولا يوجد أثر لأية زراعة فيه. وعلى العكس من ذلك، تشير الملاحظات الموجودة في الكتابات الصينية عن K'un-lun إلى منطقة جبلية ثرية بالنباتات والحيوانات وفي منطقة استوائية[١١٠].

لقد دهش العلماء الأوروبيون في البداية عندما قرأوا في المؤلفات الجغرافية عن «بشر سود»[١١١]، موجودين في K'un-lun. وقد كان العالِم ريموسا Rémusat مجازفاً عندما افترض وجود شعب أسود في وسط آسيا. لكن العالم الفرنسي كلبرو اتخذ موقفاً معاكساً حيث أشار في مقالة خاصة عن الموضوع[١١٢] إلى حقيقة أن الصينيين عرفوا أكثر من موقع باسم K'un-lun، ومن ضمن ذلك جزيرتان صحراويتان قرب ساحل كمبوديا هما «بولو كندوري». إن رأي كلبرو صحيح، لكن قوله بأن المقصود هنا «بشر سود» من الملايو قول خاطىء. كما أنه اعترف بنفسه بأن المصطلح «بشر سود» غير مناسب إطلاقاً نظراً لعدم وجود أي شبه على الإطلاق بينهم وبين سكان الملايو. ووفق الوصف والرسومات الموجودة في المراجع الصينية، فإن المقصود هناك «بشر سود» فعلاً ذوو جسد و«كأنه مطلي بدهان أسود». والأمر نفسه ينطبق على الملاحظة الواردة في مؤلف San-'tsai-'tu-'hui التي تقول بأنه يعيش في تلك البلاد طيور سوداء ضخمة

الحجم، أي النعام، حيث أنها لا تنطبق على جزر الملايو. والملحق الياباني عن ذلك العمل يتحدث بشكل واضح عن أن المقصود «بشر سود» أفريقيون عادة ما وجدوا كبحارة على السفن الهولندية جاءوا إلى اليابان، وكانوا بخفة القرود! إن افتراض كلبور بأن المقصود أصلاً بـ«سود» الموقع K'un-lun هم الآسيويون السود (أين؟)، وأن هذا المصطلح استعمل في مرحلة لاحقة للإشارة إلى «البشر السود» في أفريقيا ما هو إلاّ علاج مؤقت يوضح أنه واقع في ورطة.

لقد اصطحب أحد المرسلين العرب الذين ظهروا في الصين عام ٩٧٧ للميلاد أشخاصاً ذوي عيون غائرة وجسد أسود أطلق عليهم اسم رقيق K'un-lun. فهل أن ذلك العربي قام أولاً بأخذهم من جزر بولو كندور الصخرية التافهة، بدلاً من أن يحضرهم معه من بلاده؟

كما أن الملاحظة الواردة عن تاريخ سلالة Sung التي تشير إلى قيام رقيق K'un-lun في احتفال جزيرة سومطرة بمصاحبة أغانيهم بالضرب على الأرض لا يعني أبداً أن أولئك الرقيق كانوا من أهل الجزيرة. لقد شكلت سومطرة في ذلك الحين محطة مهمة للعرب في تجارتهم مع الصين. وشكل الرقيق منذ أقدم العصور «بضاعة» مهمة في تجارة العرب، وقد قاموا ببيعهم في سومطرة أيضاً. إن كلمات Sung-shih القليلة تشير فعلاً إلى رقص «البشر السود» المعروف حيث يلعب فيها الخبط على الأرض دوراً بارزاً.

آخذاً بعين الاعتبار تواجد الطيور السوداء الضخمة، فقد اعتقد العالِم بورتر سميث أنه يبدو أنه المقصود بالموقع K'un-lun هو جزر موريشوس أو مدغشقر. إني لا أعتقد أن جزر موريشوس واردة هنا. فالطير الكبير المنقرض الآن لم يكن من الممكن أن يشكل مثالاً للطير Fêng = النعامة، ذلك أن حجمه لم يتجاوز حجم البجعة. ومن الممكن للمرء أن يرجح جزيرة مدغشقر حيث إن النعامات التي وجدت فيها وانقرضت الآن، هي أكبر حجماً بكثير من رديفها الأفريقي. ولكن ما يؤيد رفض هذا التعريف هو حقيقة عدم وجود أية من الحيوانات الثدية فيها، ولا يوجد فيها بدلاً من ذلك سوى صنف واحد من القرود الثانوية الأهمية[١١٣]. وبالإضافة إلى النعام وجد في مملكة K'un-lun أفيال وكركدن وذلك وفق الكتاب Nan-I chih.

إن المصطلح الصيني التكنيكي للبشر السود في K'un-lun هو K'un-lun T'sêng-ssê. كما ويوجد مصطلح آخر ثانوي هو T'sêng-k'i. ويعود الفضل إلى العالِم كلبرو في إثبات أن اشتقاق هذا المصطلح غير الصيني قد جاء من الفارسية «زنجي»[١١٤]. والعرب يكتبون الاسم بالطريقة نفسها. هذا يوضح أنه علينا البحث عن «سود» K'un-lun والبلد نفسها بالارتباط مع بعضها البعض. وقد عرف العرب أن المقصود بالمفردة «زنجي» هم الحبشيون أو الأثيوبيون. كما كان التعبير «زنجي» معروفاً منذ القدم، وكان معروفاً عند الجغرافيين العرب مثل بكوي وابن حوقل حيث أطلق على أراضي الحبشة الداخلية اسم «زنج»، بينما اقتصر استعمال المصطلح «حبش» للدلالة فقط على المنطقة الساحلية قرب زيلا الواقعة على شاطىء البحر الأحمر[١١٥].

إذن، إن بلاد K'un-lun هي المنطقة الجبلية من الحبشة. ومن الممكن أن الاسم K'un-lun هو الحبشي «كللو»، وهو اسم أكثر جبال المنطقة ارتفاعاً في إقليم شوا(١١٦). ومن الممكن أن الملاحظة الواردة في كتاب Po-wu-chih العائد للقرن الثالث للميلاد القائلة بوجود K'un-lun صغيرة في الأمبراطورية الرومانية تقصد جبال الحبشة. وقد كانت الحبشة في القرن الأول للميلاد تحت تأثير الثقافة اليونانية، علماً بأن الصينيين عرفوا اليونان، أي أقاليم الأمبراطورية الشرقية باسم Ta Ch'in.

ووفق التعليق على كتاب Erh-ya فقد استخدم التعبير K'un-lun للدلالة بشكل عام على المدرجات الجبلية، وتحديداً على تلك المقسمة إلى ثلاثة مدرجات. وهذا لا يناسب جبال أواسط آسيا إطلاقاً، لكنه ينطبق بشكل مدهش على جبال الحبشة التي تتباين عن بعضها البعض وفق ثلاثة أجواء وزراعة مختلفة. لنقرأ قول التعليق على مؤلف Shui-ching (الكتاب الرسمي عن الممرات المائية) العائد إلى القرنين الخامس والسادس للميلاد عن K'un-lun ليتبين لنا أنه يريد على ما يبدو وصف جبال الحبشة. إن الجبل K'un-lun ثلاثة مدرجات. السفلي يسمى «أدغال»، وبكلمات أخرى «مربعات الأحراش» واسم الثاني «جنان الفاكهة الإلهية» أو «النشوة الهوائية»، والأكثر ارتفاعاً اسمه «المدرج العلوي»، أو بكلمات أخرى «باحة السماء». ويضيف تأويل متأخر أضيف لاحقاً بأنه الماء ينسال إلى البرازخ والوديان من «جبال المدرجات الثلاثة».

ويطلق على المدرج السفلي في المرتفعات الحبشية اسم «كولا». وهي ذات حرارة قارظة ومليئة بالحيوانات ومختلف أنواع النباتات. وتتشكل الأدغال من شجيرات المستنقعات والبوص والعليقة، بينما تكون الأشجار الاستوائية من الكثافة بحيث إنها تمنع مرور أشعة الشمس عبرها. ويقتطع ذلك المدرج بعدد لا يحصى من الشعاب والأودية الضيقة العميقة ومسايل تسير فيها الماء المتدفقة من القمم. وتشكل جميعاً بعد موسم المطر مستنقعات واسعة. ويطلق على المدرج الأوسط اسم «فوينا ديجا» = «مرتفعات النبيذ». ويسود هذا القطاع الربيع الأبدي، وهو طقس ممتع ومعتدل كالذي يسود في جنوب أوروبا. وتنمو فيه كافة أصناف فواكه القطاع المعتدل، ومن ضمن ذلك كروم العنب. وتقع في هذا الإقليم أكثر مدن الحبشة المأهولة بالسكان حيث كثيراً ما يتجاوز عمر الناس هناك المائة عام. أليس من الممكن أنهم الخالدون الذين تشير التقاليد الصينية إلى أنهم يعيشون في K'un-lun؟ ويطلق على الإقليم الأعلى الذي يغطي ارتفاعات ٢٤٠٠ متر فأكثر، اسم «ديجا»، أي المرتفعات، وهو الرديف الدقيق للتعبير الصيني «المدرج الأعلى»(١١٧).

لقد تبين لنا أنه وفق مؤلف San-'tsai-'tu-'hui يتواجد النعام في بلاد K'un-lun = الحبشة. كما وينقل عن «البشر السود» من مواطني الإقليم بأنهم يجعلون من بعضهم بعضاً رقيقاً يتم بيعهم إلى تجار أجانب، ويحصلون بالمقابل على ملابس ومأكل(١١٨). ونعلم من الفصل العاشر

من مؤلف T'ai-p'ing-yü-lan العائد إلى القرن العاشر للميلاد تفاصيل عن السكان والبضائع المشار إليها ضمن «قصة المتوحشين الجنوبيين».

«تنتج مملكة K'un-lun التالي: العاج، الكُشت[١١٩] وخشب الصندل[١٢٠] والتنبول والخالزدون[١٢١] وكريستال جبلي وقرن الكركدن. وعندما يقوم اللصوص المتوحشون بمهاجمة البلاد، فإنهم يعملون على تحويل مسار المياه لتغرق البلاد. ولا يتمكن السكان من الفرار في أي اتجاه ويقود ذلك إلى موت الآلاف منهم تضوراً. وفي حالة بقاء أحد على قياد الحياة، يتم قطع مرفقه الأيمن ويطلق سراحه».

وتعتبر الأفيال والكركدن من خصائص الحيوانية للأدغال الحبشية. أما الملاحظة عن القتال ضد سكان السهول فتبدو مليئة نوعاً ما بالمغامرات. وربما ما يشرح ذلك الحقائق التالية: إن قبائل شنغلا وغيرها من قبائل البشر السود تقطن الإقليم الحار. وهي تترك مساكنها مع بداية موسم المطر التي تغرق خلال زمن قصير بسبب الجداول الكثيرة بما يجبرها على الانتقال إلى الجبال حيث تتخذ من المغارات مأوى. وهي تبقى هناك ولا تعودون إلى موطنها حتى تتراجع المياه. هؤلاء هم التروجلوديون الذين أشار إليهم أجاثر خيدس[١٢٢] وأرتميدور[١٢٣]. وفي العصور القديمة أطلق على الشريط الساحلي الغربي للبحر الأحمر والذي كان جزءاً من الحبشة، اسم «تروجلديتكه»[١٢٤]. ويسود في المرتفعات الأحباش ذوو الأصول العربية، والذين هم أعداء ألداء للشنغلا. وفور بدء موسم المطر الذي يحول بلاد الشنغلا إلى مستنقعات، يبدأون بحروبهم ضد بعضهم البعض، والتي هي ليست أكثر من ملاحقة الرقيق. ويتم قتل من لا يؤسر منهم. وقد كانت من العادات المتبعة القديمة أن يقوم الأحباش بطلب رقيق الشنغلا كإتاوة[١٢٥].

ويقدم لنا مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) والذي هو بالمناسبة شبيه بكتاب (معلم هونان)، والكتابان يحويان الكثير من الخرافات عن بلاد K'un-lun، بعض المعلومات التي تشكل منطلقاً مهماً للتعرف على هذه المنطقة الجبلية.

«وإلى الجنوب من البحر الغربي، تقع على تخوم الصحراء الرملية، وخلف النهر الأحمر والنهر الأسود، جبال هائلة واسمها K'un-lun»، ويضيف بالقول: «وخارج ذلك الموقع هناك جبل ذو نار متأججة، وإذا قذف فيه شيء فإنه سيحترق».

ومن الممكن فهم أن المقصود «بالبحر الغربي» هو البحر الأبيض المتوسط، وأن الصحراء الرملية هي الصحراء الكبرى. ولا يوجد جبال تقذف ناراً في K'un-lun الصيني[١٢٦]، ولكنها موجودة في مرتفعات الحبشة. والمقصود هنا بركان «بوري» قرب مدينة مصوع الواقعة على البحر الأحمر، أما بركان أرتالي وغيره من البراكين القريبة فهي ما تزال متأججة حتى يومنا هذا[١٢٧].

ويقول المجلد الثاني من مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) عن حيوانات K'un-lun التالي:

«ويوجد هناك حيوان يشبه في مظهره الماعز، ولكنه ذو أربعة قرون ويسمى Tou-lou. وهو يأكل البشر. وبالإضافة إلى ذلك، هناك طير يسمى Ch'in-yuan، ويشبه شكله الدبور، ولكنه بحجم الإوز البري[١٢٨]. وعندما يقوم بلسع طير أو حيوان فإنه يموت، وعندما يلسع شجرة فإنها تيبس. وهناك أيضاً طير يسمى سُمّان، وهو ينفذ كافة أوامر الإله».

«كما ويعثر المرء هناك على حيوان بشكل كلب، لكنه مرقط مثل النمر. وله قرون مثل الثور. ويسمى Chiao. وولولته تشبه عواء الكلب. وعندما يظهر فإن ذلك يعني حصاداً جيداً للبلاد. وهناك أيضاً طير مثل الديك البري لكنه أحمر اللون. واسمه Hsing-yü، وهو يأكل السمك. وصراخه يشبه lu. وعندما يظهر فإن ذلك يعني أن البلاد مهددة بفيضانات».

إن الماعز ذات القرون الأربعة هي بلا شك الوعل رباعي القرن[١٢٩]، والمجتر الوحيد الذي يذكر بأنه له أربعة قرون. وزوج القرون الأمامي أصغر حجماً من الزوج الخلفي. ويبلغ حجم ذلك الحيوان الرشيق جسم غزال متوسط الحجم. ووفق الرسم الوارد عند بريم فإن شكله يشبه الماعز[١٣٠]. أما الإضافة الحمقاء أن الماعز تأكل البشر فهي إضافة من أحد العاملين في المؤلف ولا تستحق أية متابعة. ويعيش الوعل الأربعقروني في الهند، ومن المفترض أنه غير موجود خارج ذلك الإقليم. وفي حالة أن هذا هو الواقع، فمعنى ذلك أنه غير موجود في الحبشة، وأن ملاحظة مؤلف Shan-hai-king (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) غير صحيحة.

وفي ما يتعلق بالطير الذي يشبه الدبور ولسعته قاتلة للحيوان والبشر، فإني أرى أن مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) قد جعل «من الحبة قبة»، وتحديداً أنه جعل من ذبابة التسي تسي إوزة. فلا يوجد طير بشكل الدبور وذو زباني. وعلى العكس من ذلك، فإن لسعة ذبابة التسي تسي[١٣١] السيئة الذكر تسبب التأثير أو الفعالية نفسها التي ترد في كتاب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار). إن لسعة هذه الحشرة الغريبة، والتي يبلغ حجمها أصغر من نوع الذباب المعروف عندنا، تجلب الموت المؤكد لمعظم الحيوانات المدجنة مثل الخيل والماشية. ولا غرابة في أن هذه الحقيقة أثارت مخيلة الكتّاب الصينيين القدماء بما جعلهم يعيدون كتاباتها بشكل مبالغ فيه.

ولا نعرف من مؤلف (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) عن كيفية قيام السُمان بخدمة أعلى آلهة الصينيين المسمى Shang Ti[١٣٢]. ووفق الأخير فإن بلاد K'un-lun ليست مكان سكنى سا ونغ مو فحسب، وإنما أيضاً Shang Ti والأرواح التابعة له. إن السمان تهاجر في رحلة طويلة تمر بأفريقيا وآسيا الصغرى، وهي شكّلت مأكل اليهود في الصحراء وذلك بشهادة سِفر الخروج ١٦.

والآن، ما هو الحيوان الذي يشبه الكلب ويعوي مثل الكلب، ولكنه مرقط مثل النمر؟ إنه الضبع، وتحديداً المرقط[١٣٣]. أما الخاصية الثانية، أي وجود قرون مثل الثيران، فإننا نعتبرها إضافة خيالية ولا تستحق التوقف عندها. ذلك أن القرون لا تظهر في عائلة الحيوانات المفترسة. وسيتأكد صحة تفحصنا من خلال ملاحظات إضافية موجودة في مؤلف Shên-i-ching الكتاب

الرسمي عن الأرواح والعجائب) العائد للقرنين الرابع والخامس للميلاد عن هذا الحيوان المشابه للكلب:

«وله بطن، ولكن دون الأقسام الخمسة[١٣٤]، وله أيضاً أحشاء، لكنها مستقيمة وليست ملتوية بحيث ان ما يلتهمه يخرج بشكل فوري. وهو يبتعد عن البشر الفضلاء، لكنه يبقى مع الأشرار. وهذا ما قررته السماء. واسمه Hun-tun. وقال كتاب (بيني السيد لو) أن Hun-tun كان ابن القيصر Hing غير المفيد. وهو عادة ما يعيش في المغارات ولا يتحرك، وفقط عندما يلتهم بأضراسه فإنه يلوي ذنبه إلى الخلف ويضحك باتجاه السماء».

وبينما نجد الضبع المخطط في كل أنحاء أفريقيا وجنوبي آسيا حتى خليج البنغال، نجد أن الضبع المرقط، وهو موضوعنا هنا، لا يوجد بوفرة خارج جنوب وشرق أفريقيا، وفي الحبشة تحديداً حيث يطلق عله اسم زونّي. ولونه أبيض غامق ميال للرمادي، ومرقط ببقع بنية. ومن الخصائص ذات العلاقة أن الغدد الشرجية للضبع تشكل جيباً واسعاً في المنطقة الواقعة بين الذنب والشرج تنصب فيها إفرازات ذلك الحيوان. إن ملاحظة هذه العملية قد هيأت للصينيين أن أحشاء ذلك الحيوان غير طبيعية، وأن ما يأكله يخرج فوراً من الجسد بما جعلهم يتصورون أن أحشاء الضبع غير عادية وأن أمعاءه غير ملتوية. وتعتبر الضباع وفق تقاليد الأحباش والعرب بشراً مسحورة[١٣٥]، هي الفلاشا[١٣٦]، وتحديداً البشر الذين ارتكبوا ذنوباً، الملعونين والمولولين من المعاصي التي ارتكبوها، والذين قاموا فيما بعد بملاحقة السويين بهدف إفسادهم. والنظرة نفسها موجودة في كتاب (الكتاب الرسمي عن الأرواح والعجائب) الذي يقول بأن الضبع كان إنساناً فاسداً، وأنه لا يهاجم إلاّ المستقيمين. وهي تختبيء في فترة النهار في الحفر والمغارات الصخرية، ولا تخرج منها إلاّ في الليل. وقوة عضتها هائلة حيث انها قادرة بسهولة على طحن أكثر العظام صلابة. وعندما تقوم بالبحث عن مأكلها، وهو الماشية الصغيرة أو الجثث، فإنها تطلق عواءً مخيفاً يشبه رنين ضحكات جهنم، وهي، كما قال الكاتب الصيني «تضحك باتجاه السماء». ويعود تأليف الميثولوجيا الخيالية الشعبية التي تراكمت حول الضبع المرقط إلى ضحكة جهنم هذه. لكن عواء الضبع المرقط هو أقل قباحة.

والغريب هو ملاحظة (الكتاب الرسمي عن الأرواح والعجائب) بأن ظهور الضباع يعني حصاداً جيداً. ويبدو أن عواء الضباع لم يؤثر بطريقة متشابهة على كافة الأقوام. وبينما يشكل ذلك موضع خوف متشائم عند العرب، يكون مثيراً للضحك عند سكان منطقة تابورا على سبيل المثال[١٣٧].

أما طائر Hsing-yü الذي لا بد أنه يعيش في الماء لأنه يأكل السمك، وله ريش أحمر ويشبه الديك البري، والذي يعني أنه بحجم ذلك الطير وذو ريش جميل، فمن الممكن أنه طائر الفلامينغو. ولا يعيش هذا الطير إلاّ في الأقاليم الدافئة، ويأتي في قطعان كبيرة إلى منطقة أمفيلباي شمالي الحبشة[١٣٨].

ويقول (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) أنه كما للحيوانات، فهناك في بلاد K'un-lun نبتتان ذات الخواص العجيبة نفسها:

«وهناك شجرة تشبه شجرة التفاح البري[١٣٩]. ولون براعهما أصفر، وثمارها حمراء. وطعمها مثل البرقوق[١٤٠]، ولكن لا يوجد بها نوى. وتسمى «شجرة التفاح الخشبي الرملية»، وتحمي من المياه. وعندما يأكل الإنسان منها فإنه لا يغرق في الماء».

كما وتوجد إشارة إلى نبتة أخرى تسمى «عدسة الماء»[١٤١]. ومظهرها يشبه الخبازى وطعمها مثل البصل. ويشفي أكلها من الإجهاد.

ويقوم الآن (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) بتقديم وصفاً هزلياً كاملاً لـ سا ونغ مو وكأنه يتكلم عن شيطان شرير. ويقوم المجلد الثاني من المؤلف بنقلها إلى «جبل الأحجار الكريمة» عدة مئات من الأميال غربي K'un-lun، بينما يضعها المجلد السادس عشر في K'un-lun نفسه. ومن الممكن التوفيق بين المقطعين عندما ننظر إلى K'un-lun على أنه اسم عام لسلسلة الجبال أو للمرتفعات و«جبل الأحجار الكريمة» والتي كانت موقعاً واحداً.

وقد قيل إن:

««جبل الأحجار الكريمة» هو مقر «ملكة سا الأم». وللملكة سا مظهر إنسان، وذنب فهد وأسنان نمر. وهي قادرة على العواء. وشعرها منتفش، لكنها تضع حلية على الرأس. وهي تسيطر على أرواح السماء الشريرة وعلى النكبات الخمسة».

ونقرأ في المجلد السادس عشر التالي:

«وهي ذات مظهر إنساني وتضع حلية على رأسها وأسنانها مثل النمر ولها ذنب مثل الفهد. وهي تعيش في مغارة واسمها سا ونغ مو».

أما المجلد الثاني عشر فيقول أخيراً:

«وتستند سا ونغ مو على الطاولة، وتتزين بحلية على الرأس وترتكز على عصا. وإلى الجنوب من ذلك هناك ثلاثة طيور خضراء اللون تحضر الطعام لسا ونغ مو».

إن هذه الأوصاف شاذة للغاية وتحمل طبيعة الاختلاق وتقف متناقضة في مواجهة كافة التقاليد الأخرى التي تقول بأن سا ونغ مو كانت امرأة جميلة، ولذا فإنها لا يمكن أن تستدرجنا.

ولكن ما هو السبب الذي دفع (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) ليسكن «ملكة سبأ الأم» في بلاد K'un-lun، أي مرتفعات الحبشة بدلاً من «الجزيرة الصحراوية المروية بشكل جيد»؟ إنني أشرح ذلك بالطريقة التالية: لقد تمكن السبئيون وأقرباؤهم الحميريون منذ أقدم العصور من مد سلطتهم على الساحل الأفريقي واستعمروا الحبشة. وحيث أن ملكة سبأ حكمت الحبشة أيضاً، وربما زارتها مرة، فقد ارتكب خطأ بنقل مكان إقامتها إلى هناك. ووفق التقاليد الحبشية، فقد أقامت الملكة في مدينة أكسوم وما زال يشار إلى قبرها بالقرب منها[١٤٢]. ومعنى ذلك أن جزءاً

كبيراً من رعايا الملكة كانوا من القبائل السوداء البشرة. ولا شك أن مرافقي مو ونغ كانوا قد رأوا الرقيق الأسود في بلاط سبأ وتكلموا عن ذلك في تقارير رحلتهم التي شكلت أرضية المعلومات في كتاب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار). وتمّ في وقت لاحق خلط الأمور بعضها ببعض بما أدى إلى القول بأن الملكة كانت نفسها بربرية، وتمّ وصفها على هذا النحو. وقد وظف الترجلوديون القدماء وقبائل الشنغلا والدوبا والدناقل الحالية كنموذج أو كأرضية لذلك القول. وتعيش الملكة في مغارة وشعرها منتفش وأسنانها حادة مثل النمر. هذا يعني ربما أن أسنانها قد بردت كما يحدث مع الشعوب البدائية. ومن الطبيعي أن يعرف أيضاً عن عواء البدائيين كنوع من التعبير عن الفرح والألم. وهي ترتدتي جلد فهد يتدلى منه ذنب أيضاً. وكتاب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) يقول باختصار إنه كان لها ذنب فهد. ومن الأمور المعروفة أن السود يرتدون جلد النمر أو الفهد. أما الشيء الأنثوي الوحيد الذي يقال عن تلك الملكة أنها كانت ترتدي غطاء للرأس وهو ما تشير إليه المراجع الثلاثة. ووفق كتاب Kang-hi فإن المصطلح المستعمل يعني «غطاء رأس نسوي». وهو محاك من حرير وذهب.

إني آمل أن أكون قد تمكنت عبر إيراد الاستشهادات الآنفة من إثبات أن المقصود بمملكة سا ونغ مو جنوب جزيرة العرب والحبشة، وكلاهما من الإقليم الحيواني الحبشي. إن الحيوانات المختلفة المشار إليها مثل النعامة والزرافة والضباع المرقطة وذبابة التسي تسي لا توجد إلاّ في تلك الأقاليم. وقد كانت تلك الحيوانات، وعلى الأخص النعامة والزرافة، معروفة للصينيين في عهد سلالة «تشو» القديمة التي حكمت قبل القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد، ذلك أنها تظهر في الأدب الكلاسيكي. فكيف تمكن الصينيون من التعرف على هذه الحيوانات؟ فهل تمّ ذلك عبر أخبار أتتهم من جيرانهم؟ هذه الشعوب البدائية كانت ذات مرتبة حضارية بدائية ولم تكن تعرف أكثر من الصينيين. أو هل أن العرب هم الذين أتوا إلى الصين وقاموا بالحديث عن ثروات بلادهم النباتية والزراعية؟ هذا ممكن، لكن لا يوجد بين أيدينا أية أدلة تاريخية مؤكدة تدعم ذلك. ومن غير المتوقع أن حكايات أجانب كانت كافية للتأثير العميق على الصينيين بدرجة جعلتهم يجعلون النعام والزراف فيما بعد حيوانات إلهية. إن المعارف عن البلاد الغربية تترك أثراً فقط من خلال القيام بالرحلات الشجاعة في تلك البلاد، وليس عبر غرباء أتوا منها ليتحدثوا عنها. إن مزايا تلك البلاد تبدو لسكانها طبيعية للغاية بسبب تعودهم عليها بحيث انهم لا يقومون بالتحدث عنها بالتفصيل. كما أنهم افتقدوا في الكثير من الأحيان القدرة على التعبير بلغة أجنبية بما لا يسمح لهم بالتأثير على مستمعيهم، وحتى عندما كانوا يتحدثون عن أشياء فريدة، فإن الناس لم يكونوا ليصدقوهم. والأمر يختلف في حالة قيام ابن البلد نفسها بزيارة بلدان غريبة ثم يعود ليحدث أبناء موطنه على العجائب التي رآها. وقد كان الناس يصدقونه لأنه إذا كان يبالغ أو يكذب فإنهم يعرفونه. وقد بدا له في البلدان الغريبة كل شيء غريباً ومثيراً بحيث لا يقوم ابن البلد يتجاهل تلك المسائل. وهذا ينطبق أيضاً على وصفه الذي يثير الشكوك. ولذا لا يبقى علينا شرح معارف

الصينيين القدماء على حيوانات ونباتات وإنتاجات الإقليم الحبشي منذ سلالة «تشو» إلاّ القول بأنهم وصلوا إلى هناك، وأنهم قدموا وصفاً لما شاهدوه هناك. إننا نشعر باضطرارنا للوصول إلى هذه النتيجة عبر الوصف الوارد في المراجع القديمة، وحتى في حالة عدم توفر معلومات تاريخية عن رحلة الملك مو إلى جنوب جزيرة العرب لزيارة ملكة سا. إن هذه الأخبار تكتسب من خلال الأخيرة درجة عالية من التوكيد.

ومعلوماتنا عن طريق رحلة مو ونغ تفيد بأنه ارتحل عن طريق البر. وقد قطع الطريق على عربة. بذلك فمن الضرورة أنه مرّ بإيران. وفي مؤلف «التاريخ الصيني» العائد للفارسي بنكتي[١٤٣] والذي هو على الأرجح مجرد مقتطفات من عمل أكبر مفقود يعود للمؤرخ رشيد الدين الذي عاش في القرن الرابع عشر للميلاد، يتم التركيز على أن قائد عربة الملك مو واسمه Tsao Fu قد جاء مرات عديدة إلى بلاد فارس. إن هذا التاريخ الصيني يرتكز، وكما شددنا على ذلك في المدخل، على مصادر صينية، والتي تتفق معها في معظم الأحيان. وفي حالات التباين، وكما حصل فيما يخص المقاطع التي تتعامل مع مو ونغ، فإن ذلك يعود إلى عدم فهم النص الصيني أكثر من القول بالاعتماد على أحاديث فارسية قديمة متوفرة تعود إلى تلك الفترة[١٤٤].

ومن الأمور المحتملة جداً أن مو ونغ قد مرّ أيضاً قرب دمشق. وقد قال (المعلم لي) التالي عن تلك الرحلة المهمة للملك:

> «وعندما انطلق الملك مو في رحلته الاستكشافية إلى الغرب[١٤٥]، فقد أهدي إليه سيف من صلب أحمر وقطعة قماش غُسلت بالنار. وفي العام الرابع والعشرين من حكمه أمر الملك مؤرخي شمالي Jung Fu بكتابة مؤلف يوميات».

وقد كان طول السيف ١,٨ قدم، ومصنوع من الصلب، وذو شفرة حمراء اللون. وكان قادراً على قطع الأحجار الكريمة مثل الطين.

وعندما أراد المرء أن يغسل «القماش المغسول بالنار»، كان عليه أن يرمي بها في النار. وبهذه الطريقة اكتسبت القماشة لون النار، بينما احتفظت القذارة بلون القماش. وعندما التقطت من النار وتمّ نفضها، كان لونها أبيض ناصعاً مثل الثلج.

وقد رأى الكاتب الصيني (معلم هونان) أن هذه الأشياء غير موجودة، وأن من يتحدثون عنها هم كذابون. وقال الكاتب Hsiao Shu: إن الكاتب (المعلم هونان) يثق تماماً بنفسه، ولكنه في المقدمة عندما يكون الأمر متعلقاً بالتشهير بالحكمة.

ولا يوجد أي مجال للشك أن السيف المصنوع من فولاذ أحمر الذي يقطع الأحجار وكأنها طين والذي أهدي للملك مو ونغ، كان سيفاً دمشقياً، وأن القماشة التي لا تحترق في النار كانت حريراً صخرياً[١٤٦]. ومن مميزات السيوف الدمشقية أنها قادرة على قطع أقسى الأجسام، مثلاً مسامير حديدية، دون أن تثلم. أما لون الصلب الأحمر أو البني المشار إليه فيلمح إلى الرسوم

الملونة الفريدة، أي ما يعرف بالدمشقية. وقد كانت هذه السيوف، وكما يدل الاسم، تنتج أولاً في دمشق. والمدينة كانت قائمة منذ أقدم العصور. وكانت دمشق مشهورة منذ أقدم العصور بكونها أهم أمكنة التبادل التجاري بالأسلحة. ومن المعروف أن نبوخذنصر(١٤٧) قد قام باختطاف صناع الأسلحة من مدينة دمشق بعد احتلالها.

ويبدو أن مو ونغ كان قد حصل على السيف الدمشقي من مدينة دمشق نفسها، أو على الأقل من مكان قريب منها. ولا يمكن الافتراض بأن هذه الأسلحة الثمينة كانت تباع حتى في الأقاليم النائية في وسط آسيا حيث ان التصنيع كان محدوداً بحيث لا يتجاوز حدود حاجات البلاد. كما كان من مصلحة الدمشقيين أن لا يزودوا شعوب غريبة بسلاحهم الفذ الذي كان من الممكن أن يستخدم في حالة الحرب ضد مصنيعها. وقد تمّ التعرف على السيوف الدمشقية في أوروبا التي أقامت علاقات تجارية منذ القدم مع آسيا الصغرى وكانت أقرب إليها، إبان الحروب الصليبية عندما قام الأوروبيون بالتوجه إلى سوريا بأعداد كبيرة. ويتبين من الجملة الختامية في مؤلف (المعلم تسي) بأن الصينيين لم يعرفوا سوى القليل جداً عن السيوف الدمشقية والحرير الصخري بحيث انهم اعتبروا مثل هذه الأشياء مجرد خرافات.

ووفق الصفحة العاشرة من المجلد المائة والثامن عشر من كتاب (التاريخ الأمبراطوري لسلالة هان المتأخرة)، فقد وجد الحرير الصخري في الأمبراطورية الرومانية. ومن المحتمل أن يفهم أن ذلك يضم آسيا الصغرى. ويبدو أنه كان عند الصينيين الاعتقاد بأنه يستخرج من جلود ما يسمى «الفئران النارية» التي تعيش في الجبال التي تقذف ناراً.

وعلى ما يرد في الجزء ٢,٣ من كتاب (المعلم لي) فقد انطلق مو ونغ في رحلته بصحبة خيوله الثمانية شد عليها عربتان. وقد امتطى إحداها الملك بصحبة قائد العربة Tsao Fu ومرافق واحد. ووجد في العربة الثانية أيضاً ثلاثة أشخاص. ووفق كتاب (تقرير عن ابن السماء مو) تمّ الحديث عن ستة جيوش رافقت الملك في رحلته. وتحولت تلك الرحلة بذلك إلى حملة عسكرية. إني أعتبر هذا نوعاً من المبالغة. ولم يكن بإمكان الرحلة التي يرافقها حوالى خمسة عشرة ألف جندي أن تمر بسلام، وهو ما يفهم من تقارير (تقرير عن ابن السماء مو). ومما لا شك أن سكان الأقاليم التي مرت عبرها هذه الجيوش كانوا سيتخذون موقفاً معادياً من هذه الأعداد الكبيرة من الجنود. كما وكان على جند الملك أن يقوموا بحملات سطو ونهب فقط حتى يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة. ولا تتوفر أية معلومات عن أية معارك من هذا النوع، ويبدو أن مهمة هذه الفيالق الستة كان الإشارة إلى مرافقي الملك عند وصف الرحلة. وهذا يجعلنا نميل للقول بأن المقصود عدد محدود للغاية من جنود الملك الذين شكلوا حراسات الملك وكانوا مقسمين إلى ستة أقسام. وبهذه الطريقة أيضاً تمت مرافقة Chang Ch'ien في رحلته إلى أواسط آسيا حيث كان معه مرافقون مكونون من أكثر من مائة رجل.

ويقول مؤلف Shi-yi-chi الصادر في القرن الرابع للميلاد، والذي وجب الحذر الشديد عند استشارته لأنه كثيراً ما يتحدث عن عجائب، أن الملك مو روفق بعدد من الكتبة الذين أوكلت إليهم مهمة تسجيل ما لاقاه في الرحلة. ويقول المقطع ذو العلاقة التالي:

«وكان معه عشرة كتبة الذين كان من مهمتهم وصف البلاد التي زارها. كما وجد معه مع الملك عشرة مركبات مزينة باليشب لأجل نقل كتبهم».

ولا تبدو هذه الملاحظة غير معقولة ومن الممكن أنها ترتكز على أساس تاريخي. لقد أراد مو ونغ نقل ما جرى له إلى من خلفه. وهذا يتضح بشكل جلي من خلال ملاحظة قصيرة ترد في «الحوليات القصبية»:

«في العام الرابع والعشرين من حكمه، أمر الملك مؤرخي اليسار Jung Fu بكتابة اليوميات».

إذن بعد مرور سبع سنوات على انطلاقه في رحلته إلى ملكة سبأ، استلم المؤرخ أمراً بكتابة مؤلف تاريخي. ويبدو أن العمل تمّ استناداً إلى كافة المواد التي جمعها كتبة الملك إبان الرحلة. وبكل أسف فإن هذا العمل غير متوفر حالياً. وأنا أرجح أن القسم الأكبر منه، قد وجد طريقه، ربما حرفياً، إلى الكتابين (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) و(تقرير عن ابن السماء مو). وتتم المحافظة على الأعمال العلمية في الصين بأن يقوم كاتب ما بالنقل حرفياً عن سابقه، ودون أن يشير إلى مصادره.

ونعثر على أسهب وصف لزيارة الملك مو لملكة سبأ في مؤلف (تقرير عن ابن السماء مو). ووفق ذلك العمل، فقد تمت الرحلة على النحو التالي:

«وفي يوم فأل الذي يحمل العلامة Chia-tsê، أي اليوم ٢٨٧، استقبل ابن السماء من قبل ملكة سبأ الأم. وقد دخل عليها وهو يحمل الصولجان الأسود والأبيض في يديه وقد إليها كهدية ١٠٠ لفافة أشرطة من الديباج الحريري ومائة أوقية من الذهب والأحجار الكريمة. وقد قبلت الملكة الأم الهدايا بعد أن انحنت مرات عديدة.

وفي يوم Yi-ch'iou، أي اليوم ٢٨٨، أقام ابن السماء مأدبة للملكة الأم على ضفاف بحيرة اليشب. وقد قامت الملكة الأم بإهدائه الأبيات التالية:

حتى إذا كانت السماء مغطاة بالسحاب الأبيض

وسامق خلالها الجبل والتل

وحتى إذا كانت الطريق أميال كثيرة

وتفصل بيننا أيضاً الجبال والأنهار

آمل أنكَ سوف لن تقضي

وأن تعودَ مرة أخرى

وقد أجابها ابن السماء:

مشرقاً إلى وطني أسرعُ

لأسس وحدة في الأمبراطورية
عندما يكون كل الشعب في سلام
سأعود إليكِ.
قبل أن تكون ثلاث سنوات قد مضت
سأرجعُ إلى صحراكِ

وقامت الملكة الأم بقول المقاطع الرثائية التالية لابن السماء:

طريقكَ أخذتكَ بعيداً إلى هذه البلاد في الغرب،
وخَلدتَ هنا إلى الراحة
حيث قطعان النمور والفهود تتجول،
وأعشاش الغربان والعقاعق
أنا ابن الملك!(١٤٨)
فمن هم هؤلاء الناس بالمقارنة!
لكني سأفقدكَ على أية حال
ولن تتركَ تعهدكَ الملوكي.
غنّي وابتهجي يا نايات
لتغرق نبضات القلب في أصوات المزامير!
آه! إن بإمكان أبناء الناس أن يحلموا بالجنان.

وانطلق ابن السماء بعد ذلك وارتقى «جبل غروب الشمس». وعمل على أن ينحت في الصخر تقريراً عن زيارته. كما وعمل على أن يحضر إلى المكان لوحة من خشب «هواي» كتب عليها «جبل ملكة سبأ الأم».

إن كتاب (تقرير عن ابن السماء مو) عن رحلة الملك مو عبارة عن مؤلف مزخرف بالأساطير. لكن وصف الرحلة إلى ملكة سبأ لا يعطي الانطباع بأنها كانت مجرد اختراع؛ ومن الممكن أيضاً أنها تمت وفق ما يرد فيه. ولا تتم الإشارة فيه إلى الملكة على أنها ذات مميزات فوقطبيعية أو كشيطان، هذا على عكس (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) وغيره من المؤلفات الطاوية اللاحقة. وتتميز الهدايا التي قدمها مو ونغ إلى الملكة بالبساطة. وبينما يشار إلى استلام رؤساء القبائل التي مر الملك بأراضيهم كميات كبيرة من الفضة والذهب واللؤلؤ كهدايا مقابل ما قدموه له مما يحتاجه لرحلته، تستلم الملكة شرائط حريرية. ويبدو أن حسابات الملك كانت صحيحة تماماً من حيث إحضاره معه حريراً إلى الملكة والذي كان غالياً في العصور القديمة عند الإغريق وفي روما لدرجة أن الأثرياء أنفسهم كانوا يتفادون شراءه، والذي كان أكثر قيمة من الذهب والأحجار الكريمة التي توافرت بكميات كبيرة في بلادها.

وقد تمت الزيارة في كافة الأحوال في مأرب عاصمة السبئيين، والتي عرفها القدماء باسم

مريابا. وتتم الإشارة بشكل خاص إلى قيام الملك بعمل وليمة للملكة على ضفاف «بحيرة اليشب». وتلعب هذه البحيرة دوراً مميزاً في الميثولوجيا المحاكة حول الإلهة «سا ونغ مو». إن التعبير الصيني «اليشب» يشير إما إلى لون الماء الأخضر، أو إلى الحائط المزين المحيط بالبحيرة. ومن الممكن أن «بحيرة اليشب» تشير إلى خزانات الماء الشهيرة بمأرب التي أطلق عليها الرحالة الدانيماركي نيبور اسم «بحيرة سبأ الضخمة». وقد تشكلت تلك البحيرة التي استخدمت لري أراضي السبئيين من حوض مائي وقع بين جبلين وبوابات مائية. وقد اعتمدت حياة البلاد بأكملها على ذلك السد لدرجة أن انهياره أدى، وفق المؤرخين العرب إلى خراب البلاد وجعل منه بداية تاريخ[١٤٩]. وقد كان الري المتفوق لبلاد السبئيين معروفاً للصينيين، وهو ما تبين لنا أعلاه.

أما الأبيات التي قيل بأن الملك قد نطق بها وتلك التي ردّت فيها الملكة على مضيفها، فهي إضافة لاحقة. وعلى المرء أن يعترف بأنهما تكيفا مع الوضع. ووفق هذه الأبيات، فلا بد أن ملكة سبأ كانت قد أحست بعواطف جياشة تجاه ابن السماء. فهل أنها أحد أصناف كليوباترا ولم يخفق قلبها بهذه الشدة للملك سليمان فحسب، وإنما أيضاً للملك مو بما جعلها تغطي على ذلك الخفقان عبر عزف الناي والمزامير؟

ولا تتم الإشارة في كتاب (تقرير عن ابن السماء مو) إلى قصيدة الملكة الثانية فور الأولى، وذلك كما يرد في نص Pi Yuan، حيث يقع بينهما الإشارة إلى زيارة الملك مو إلى جبل غروب الشمس. ووفق ذلك النص، فقد قام الملك بتوديع الملكة مرة أخرى قبل أن يبدأ رحلة العودة حيث تمّ نطق القصيدة الثانية، هذا إن كان تم نطق أية قصيدة إطلاقاً، وأن هذا الخبر هو مجرد إضافة لاحقة وهو الأمر الأكثر احتمالاً. فالنقش الصيني ذو العلاقة يعني جبلاً ما يحجب الشمس. وهو الجبل الذي يوجد في آخر العالم في أقصى الغرب حيث اعتقد الصينيون أن الشمس تغرب. إذن ملكة سبأ لم تقطن في ذلك الجبل الذي أعطاه الملك اسمها حيث إنه قام بالترحال بعيداً عن الملكة حتى يتم له تسلقه.

إن وصف الرحلة يحسب أن زمن إقامة الملك مو في بلاط سبأ كان أياماً معدودة. ويبدو لي أن هذا احتمال ضعيف لأنه يرد في أعقاب رحلة طويلة وشاقة. والأقرب للصدق الملاحظة الواردة في (تسجيلات المؤرخين الجغرافيين) والتي تقول إن إقامة الملك مو بطرف سا ونغ مو أعجبته لدرجة أنه نسي العودة. هذا يعني أن الإقامة في سبأ استمرت لفترة طويلة. وفقط في هذه الحالة الثانية يمكن أن نفهم سبب صعوبة الفراق على الملكة. وأود أن أستعير بخصوص مسألة الإقامة مقطعاً موجوداً في كتاب (المعلم تسي) والذي يقول بأن الملك مو وصل في رحلته تجاه الشمال إلى بلاد الجن وبقي فيها ثلاث سنوات ونسي العودة. وبعد عودته إلى وطنه الصين بقي أشهراً عديدة وهو يشعر بالحنين إلى تلك البلاد. إذن، لقد أقام الملك مو ونغ ثلاثة أعوام في «العربية السعيدة» التي خدمت كمثل فردوسي للميثولوجيا الصينية.

ولا يعرف على وجه التحديد فيما إذا كان مو قد تمكن من الانتقال من سبأ إلى مرتفعات الحبشة، أو أنه مجرد سمع أو رأى فيها بعضاً من منتجاتها. فلا يوجد أي تبرير لقيام الملك بوضع لوحة مكتوب عليها «جبل ملكة سبأ الأم» في «جبل غروب الشمس». هذا في حالة أن ذلك الجبل وقع في بلاد سبأ نفسها قرب مسكن الملكة حيث من الطبيعي أن كافة تلك الجبال كانت لها. وتكتسب مسألة اللوحة مغزى في حالة أن الجبل وقع في المرتفعات الحبشية، والتي كانت مستعمرة غير مباشرة تابعة لسبأ.

ووفق (الحوليات القصبية) ، فمن المفترض أن ملكة سبأ قامت برد زيارة الملك مو ونغ في العام نفسه الذي ظهر فيه في سبأ، وأنها أقامت في قصر Chou-Kung. هذا غير ممكن لأسباب مختلفة، فمن غير الممكن إنجاز رحلة من الصين إلى جزيرة العرب والعودة من هناك خلال عام. ومن غير المرجح أن تقوم امرأة بإنجاز مثل هذه الرحلة المنهكة. إني أنظر إلى هذه الملاحظة كاختراع يعود إلى ذلك الزمان الذي كانت فيه سا ونغ مو قد أضحت إلهة. ووفق (الحوليات القصبية) فقد ظهرت سا ونغ مو في بلاط القيصر Shun الذي حكم في الأعوام ٢٢٥٥ - ٢٢٠٥ قبل الميلاد، وأنها أحضرت له معها خواتم من اليشب. وتتحدث مصادر أخرى عن قيام سا ونغ مو بإحضار هدايا إلى القيصر Shun تتضمن أيضاً حزاماً من الأحجار الكريمة وخريطة. كما ويتفرض أن القيصر الخرافي Huang Ti كان قد استلم هدايا منها بالطريقة نفسها. ويوجد في كتاب Han Wu Ti nei chuan (تقرير داخلي عن القيصر وو حاكم هان) العائد إلى القرن الثالث للميلاد حديث عن زيارة سا ونغ مو للقيصر Han Wu Ti من سلالة Han، حيث وصفت بأنها على جانب كبير من الجمال. وكما كان ظهور Kilin وFêng-huang وكافة المبشرات المباركة الأخرى التي تلعب دوراً كبيراً عند الصينيين، فإن زيارة الآلهة إلى الحكام ذوي العلاقة التي ظهرت لهم قد جلبت البركة وأشير إليهم بصفتهم محبوبو الآلهة. ولا ينظر إلى هذه العلامات السعيدة والإرساليات السماوية على أنها ذات أرضية تاريخية.

وعندما نلخص نتائج بحثنا نصل إلى الاستنتاجات التالية.

لقد كان الملك مو من سلالة (تشو) الذي حكم في الأعوام ١٠٠١ - ٩٤٦ قبل الميلاد حاكماً على جانب كبير من الحيوية، وامتلك رغبة قوية في عمل إنجازات ومنجزات. وكان السفر أقوى جوانب ولعه. وقد امتلك رغبة ملحة في استكشاف العالم كله. كما أظهر في الوقت نفسه ميلاً قوياً للسحر ورغب في اكتشاف فردوس الأرواح. وقد قام في عام ٩٨٥ قبل الميلاد برحلة استكشاف طويلة تجاه أقصى الغرب أوصلته إلى بلاد «سا ونغ مو». وفي ذلك الوقت تحديداً، حكم في أقصى الغرب ملكة سا ـ با = «سبأ» في جنوب جزيرة العرب. وقد كان بلاطها الرائع ومملكتها المزدهرة هي الروضة الفردوسية التي وصل إليها الملك مو ونغ والتي تمّ زخرفتها في مرحلة لاحقة من قبل مخيلة الصينيين الشعبية. إن سا ونغ مو تعني «الملكة الأم لـ سا

= سبأ» وذلك وفق الاختصار اللغوي الصيني المعهود. وتشهد المصادر القديمة العائدة إلى القرن الأول قبل الميلاد بشكل جيد على حقيقة أن هذه الزيارة قد تمت فعلاً.

وقد وصفت الكتب (الكتاب الرسمي عن الجبال والبحار) و(سِيني السيد لو) و(معلم هونان) بلاد سا ونغ مو بأنها «الجزيرة الصحراوية المروية بشكل جيد» غربي الرمال التي تذروها الرياح، أي الصحراء العربية قرب بلاد الذهب الواقعة على البحر، ويسكن شماليها القفقازيون ذوو البشرة البيضاء. ووفق يوميات سلالة Han فقد وقعت هذه البلاد قرب الصحراء وغربي آسيا الصغرى على مسافة غير بعيدة من البحر الميت.

ولم تحكم ملكة سبأ على أراضي قومها السبئيين، أي العربية السعيدة، فحسب، وإنما أيضاً جبال K'un-lun وهي مرتفعات (كولو) في الحبشة. وقد تمت الإشارة إلى هذا الإقليم على أنه مقسم إلى ثلاثة مدرجات زراعية: الأدغال وحديقة الفاكهة والمرتفعات. وكان الماء ينساب إلى الشعاب والوديان من المدرجات الثلاثة.

ويضم عالم الحيوان في مملكة سبأ، بما في ذلك القطاع الحبشي، الأفيال والكركدن والزرافات وحمير الوحش والضباع المرقطة والظباء ذات القرون الأربعة. كما ووجد هناك النعام التي قام الملك مو بصيدها لتحصيل ريشها، والببغاء القزم والسمان والفلامينغو. وتمت الإشارة إلى حشرات منها ذبابة التسي تسي؛ وفيما يتعلق بالحيوانات النباتية، فقد وجد هناك المرجان الصخري الأبيض. ومن ضمن النباتات التي وجدت هناك كان نوع من خشب الصندل والسفرجل وتفاح بري وشجرة القات والبوتشوك وعدس الماء الذي يؤكل. كما وتمت الإشارة إلى المعادن ومن ضمنها الذهب والفضة والحديد والرصاص والكريستال الجبلي وصنف من الأحجار الكريمة والعقيق الأحمر الذي تحلى الملك مو بحجر منه واليشب وحجارة كريمة خضراء، أي الزبرجد.

وقد انطلق مو ونغ في رحلته الناجحة للغاية عن طريق البر. وقد صاحبه في ذلك مجموعة من الكتبة الذين قاموا بتسجيل ما حدث معه خلالها. وفي عام ٩٨٧ قبل الميلاد، كلّف الملك أحد المؤرخين الجغرافيين بكتابة ما حدث معه. ويبدو أن هذا العمل شكل أرضية المؤلفات الأخرى التي وصلتنا عن الموضوع.

وقد مر الملك خلال رحلته بمدينة دمشق حيث حصل على سيف دمشقي. وقد أعجبته الإقامة في سبأ لدرجة أنه أقام فيها لفترة طويلة دون التفكير بالعودة. وقد أقيمت إبان إقامته في سبأ وليمة كبرى شاركت فيها الملكة على ضفاف بحيرة اليشب والتي يمكن أن المقصود بها بحيرة الري الاصطناعية في العاصمة مأرب.

ويبدو أن تأثير رحلة الملك مو على التراث الصيني لم يكن عميقاً للغاية. ولم تؤد تلك الزيارة

إلى إقامة اتصال بين الشعبين. فالمسافة بينهما كانت كبيرة للغاية، والمخاطر والصعوبات المرتبطة بتلك الرحلة الطويلة كان التغلب عليها يتطلب توفر جسارة ورغبة المغامرة مشابهة لتلك التي كانت عند مو ونغ. ويبدو أن الميثولوجيا الصينية فقط هي التي اكتسبت غذاء كافياً من هذه الرحلة التي تحولت إلى ميثولوجيا. إن الإلهة سا ونغ مو وجبل الآلهة Kun-lun المرتبط بالخلود وبالأرواح والجان، وحجارته الكريمة والمرجان والنفائس الأخرى وثماره الممتازة والصبغة الحمراء المكتسبة من الرصاص الخام الذي يمنح آكلها الخلود ليس سوى ملكة سبأ ومرتفعات الحبشة في غطاء شاعري، وتحولت الزرافات والنعام إلى Kilin وFêng-huang وصار مَنُّ الصحراء غذاء الآلهة والجن. ومن المحتمل أنه وجد تأثير عربي في الكيمياء الصينية والسحر والتي نجد أثراً لها في الفكر الطاوي القديم.

لقد قال العالِم بوتير أن مو ونغ أحضر معه في رحلته فنانين مهرة قاموا بتزيين القصور والحدائق في كل أنحاء الصين[١٥٠]. هذا يعني أن التأثير الأجنبي على البناء الصيني قد وجد له مدخلاً. ولا تعطي المصادر الصينية أي إشارة لمثل هذا الادعاء، وهو يرتكز على سوء فهم مقطع ورد في الجزء ١٢,٥ من (المعلم تسي). ولا يتم هناك الحديث عن فنانين عرضوا خدماتهم على الملك، ولكن هناك إشارة إلى الميكانيكي الذي عمل آلة للملك، والتي كان بإمكانها المشي والرقص والغناء، ثم يمكن تفكيكها بعد ذلك. وقد التقى هذا الميكانيكي بالملك على حدود الصين[١٥١].

وفي الخاتمة نعود إلى شرح معنى الاسم سا ونغ مو من قبل علماء صينيات جدد وقديرين. لقد وجد العلماء الصينيون بالطبع أرضية للقول بأن مو ونغ كان بلا شك قد زار إلهة؛ فالمصطلح سا ونغ مو معروف بشكل عام كاسم إلهة. لكنهم حاولوا شرح معنى الكلمة بشكل آخر من حيث انهم قصدوا بذلك اسم مملكة أو بلاد. وقد قَبِل ذلك مجموعة من علماء الصينيات الأوروبيين ومنهم لجه[١٥٢] ومايرز وإيتل وشافان. وعندما يتبين أن هذا الشرح لا ينسجم ضمن نص معين، فقد استخدموا كلمات مثل «رُسُل» و«سكان» و«حاكم» و«رئيس قبيلة». كما أن عالم الصينيات ماير اعتبر أنه من الممكن ترجمة سا ونغ مو إلى «ملك الغرب مو». وفي حالة أنه توفر لهؤلاء البحاثة المادة التي تمكنت من جمعها، فلربما كانوا قد وصلوا إلى رأي مختلف

هوامش الملاحق

(١) A. Forcke. Mu Wang und die Kònigin von Saba. In: **Mitteilung des Seminars für Orientalische Sprachen and der Königlichen Friedrich-Wilhelm- Universität zu Berlin.** Jahrgang VII, Erste Abteilung: Ostasiatische Studien. Berlin. 1904.

(٢) أي البحر الأبيض المتوسط - ز. م.

(٣) الإسلامية - ز. م.

(٤) Bretschneider: **The Knowledge possessed by the ancient Chinese of the Arabs and Arabian colonies.** London 1871.

(٥) لا تحوي الصينية نطقاً لحرف الراء، وينطق بدلاً من ذلك لاما - ز.م.

(٦) Bambus Analen.

(٧) مقياس صيني يقارب الثلث ميل - ز.م.

(٨) «The Queen mother of the West».

(٩) Of the west.

(١٠) Legge.

(١١) The Queen-mother of Se.

(١٢) Wright, **Arabic Grammer, Bd.** I. S. 9.

(١٣) لا يوجد نطق حرف الدال في النقوش الصينية - ز. م.

(١٤) Hamzae Isphannenis Annalium Libri X, ed. Gottwaldt, Leipzig 1844, S. 99.

(١٥) Maçoudi, **Les prairies d'or,** par C. Barbier de Meynard et Pavet de Courtelle, Paris 1861-77, Bd. III, S. 154.

(١٦) Caussin de Perceval, **Essai sur l'histoire des Arabes,** Paris 1847, Bd. I, S. 75.

(١٧) حجر كريم أخضر اللون - ز. م.

(١٨) Vgl. Wylie, **Notes on Chinese Literature S.** 153.

إنني غير قادر على الموافقة على رأي أيتل بأن العمل يعود للقرن العاشر قبل الميلاد والذي سجله بالعلاقة مع ترجمته للحوليات في China Review Bd. XVII, S. 223.

(١٩) See Chavannes, **Mémoires historique de Se Ma T'sien Bd.** II, S. 6ff.

(٢٠) أسماء الخيل - ز. م.

(٢١) Yule, **Cathay and the Way thither** S. 21.

(٢٢) أي «الجبال والبحار الكلاسيكية».

(٢٣) أي صافي اللون - ز. م.

(٢٤) الاسم الصيني هو «Hsiung - nu». أما الاسم «السكيثيون» فهو يوناني واستخدم للدلالة على مجموعة من القبائل الرعوية التي قطنت في مناطق وسط آسيا وجنوبي سيبيريا - ز.م.

(٢٥) من الشعوب التي قطنت المنطقة الواقعة حالياً في شمالي إيران ومناطق القفقاس، علماً بأن الأستاذ نقولا زيادة يشير إليهما بصيغة «الفرتيون» - ز. م.

(٢٦) معنى الاسم الإغريقي «المدينة المقدسة» والمقصود مدينة في القطر السوري هي «المنبادي» حالياً - ز. م.

(٢٧) الاسم اللاتيني هو Hektamopolis، وقد أسس تلك المدينة التي تقع شرقي العاصمة الإيرانية طهران، السلوقي الأول في القرن الثالث قبل الميلاد - ز. م.

(٢٨) الاسم اللاتيني هو Hyrkanier، وتقع المدينة في إيران جنوب شرقي بحر قزوين الذي عرفه الإغريق باسم البحر الهيركاني - ز. م.

(٢٩) Bretschneider, a. a. O. S. 4.

(٣٠) De Mailla, **Histoire Général de la Chine.** Paris 1777. Bd. I, S. 347ff.

(٣١) v. Fries, **Abriß der Geschichte China.** Wien 1884. S. 34.

(٣٢) فيلسوف إغريقي عاش في الأعوام ٥٤٠ - ٥٠٠ق.م. - ز.م.

(٣٣) فيلسوف إغريقي عاش في الأعوام ٤٦٠ - ٣٧١ق.م.ز.م.

(٣٤) Plinius XXV, 13 Porphyr. vita Plot. 11, 12.

(٣٥) Sprenger, **Die alte Geographie Arabiens,** 1875, S. 91.

(٣٦) Vgl. Faber, Licius, Elberfeld 1877, S. 58.

(٣٧) الشكل الثاني يرد في النص التوراتي - ز. م.

(٣٨) وجب فهم أن المقصود هنا «كلب البحر ذو الرأس البشري»:

(٣٩) Schlegel: **Problémes Géographiques,** T'ung-pao Bd. III, 1892 ff.

(٤٠) Vgl. Eitel a. a. O. S. 340.

(٤١) هنا يناقش المؤلف مسألة كيفية قراءة النقوش الصينية ذات العلاقة.

(٤٢) Paulys Realenzyklopädie des Klassischen Altertums, herrausgegeben von G. Wissowa. Stuttgart 1896 Bd. II, unter Arabia (D. h: Müller), S. 343.

(٤٣) Ritter, Erdkunde, Bd. XII, S. 488.

(٤٤) Strabo XVI, 18.

(٤٥) Plinius VI, 161.

(٤٦) Sprenger, Geo. S. 284.

(٤٧) في النص الأصلي «ديان ربيعة» ويبدو أنه خطأ مطبعي - ز. م.

(٤٨) Ebenda S. 52.

(٤٩) لقد كانت جزيرة العرب وفق شهادات قدماء الكتّاب ثرية بشكل غير عادي بالأفاعي. وقد تحدث هيرودوت في مؤلفه «التاريخ ١٠٧:٣» عن الأفاعي المجنحة التي تحرس شجيرات البخور في بلاد السبئيين، والتي لا يمكن إبعادها إلاّ باستخدام دخان الميعة. كما يشير بلينيوس أيضاً في مؤلفه «التاريخ الطبيعي ١٨:١٢» إلى قيام السبئيين بحرق الميعة بهدف إبعاد الثعابين التي تتواجد بكثرة في غابات البلسم.

(٥٠) أي من التوراة - ز. م.

(٥١) برأينا أن مترجمي النسخة العربية أخطأوا في فهم الجملة الأصلية حيث أن المقصود هنا «هو مَنّ» وليس سؤال - ز.م.

(٥٢) واسمها العلمي Tamarix mannifera.

(٥٣) وهو يعتبر من المواد التجارية في سيناء. ويستخرج هناك ما يقرب من ٣٠٠ كيلوغرام سنوياً. ويقوم البدو بضغطه داخل علب ويبيعونه للحجاج.

(٥٤) Ritter: Erdkunde, Bd. XII, S. 596.

(٥٥) أي «غذاء الآلهة» الذي كثيراً ما أشار إليه الكتّاب الإغريق وقصدوا به «البخور» - ز.م.

(٥٦) أي غريزياً - ز. م.

(٥٧) Brehms Tierleben, **neu bearbeitet von Pechuel** - Loesche 1890, Bd. V, S. 701.

(٥٨) Brehm a. a. O. S. 705.

(٥٩) أي ذَكَر النعامة - ز. م.

(٦٠) Brehm.

(٦١) Brehm. a. a. O. Bd. V, S. 693.

(٦٢) Brehm a. a. O. Bd. V, S. 699.

(٦٣) لقد لاحظ Wang Ch'ung بعدم وجود أي من مزامنيه أو من الصينيين الذين عاشوا في القرون السابقة يعرف متى رأوا طائر الفينيقيا أو وحيد القرن. وقد قام القدماء بإعطاء الاسم الفينيقيا أو وحيد القرن لكافة الطيور والحيوانات ذات المظهر النادر، ودون أي خلفية لذلك. ولذا يبدو أن الاسم فينيقيا منح لأي طائر كبير ونادر في عهد القيصر هسوان تي وونغ منغ.

(٦٤) هذا لقب القيصر الصيني ـ ز.م.

(٦٥) Vgl. Faber, **Doctrines of Confucius,** 1875, S. 9.

(٦٦) المقصود هنا الزرافة، أنظر تالياً عن المسألة ـ ز.م.

(٦٧) في النص الألماني Mandarinente، وهو صنف من البط لم نعثر على رديف له في ما توفر لدينا من المعاجم العربية ـ ز. م.

(٦٨) Brehms Tierleben, V. S. 691.

(٦٩) إنني على قناعة بأن المصطلح Tiao-chih هو صيغة نطقية مختصرة للاسم اليوناني diadochoi، والذي أضحى dia'd'o-chih. وقد استعمل الاسم Tiao-chih خصيصاً للإشارة لمملكة السلوقيين، وهو ما سأقوم بإثباته في مقال لاحق اعتماداً على المراجع الصينية. وقد قام بارثيو الأمبراطورية السلوقية التي حكمت في البدايات معظم إيران، وهو ما جعل الصينيين يعتقدون أنه الاسم القديم لذلك البلد، باحتلال الإقليم وحتى سوريا. وقد تمكن ماثريداتس الأول من الوصول إلى نهر الفرات. أما ابنه أرساكس السابع فقد قام باحتلال بابل عام ١٢٨ قبل الميلاد.

(٧٠) Brehm a.a. O. Bd. V. S. 69.

(٧١) **China Review,** Bd. VI, 1878, S. 277 und Bd. VII, S. 72.

(٧٢) في النص الألماني «المحمدية» ـ ز. م.

(٧٣) Arabien.

(٧٤) Ritter, Erdkunde Bd. I, S. 212.

(٧٥) Bretschneider, Botanicon Sinicum II, Nr. 69.

(٧٦) قرب مدينة تعز ـ ز. م.

(٧٧) Ritters Erdkunde Bd. XII, S. 483, 788 und 901.

(٧٨) Celastris edulis.

(٧٩) Ritter a. a. O. S. 786ff. 795ff.

(٨٠) Matschi, Die Geographische Verbreitung der Tigerpferd. Sitzungsbericht der Gesellschaft der naturforschernden Freunde, Berlin 1898, Seite 169-181.

(٨١) Ratzel, Vòlkerkunde 1894, Bd. II, S. 396.

(٨٢) Ratzel, Völkerkunde 1894, Bd. II, S. 171.

(٨٣) Ratzel, Völkerkunde 1894, Bd. II, S. 409, 410.

(٨٤) Eduard Glazer, **Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens.** Bd. II, Berlin 1890, S. 42, 205, 206.

(٨٥) أي مضيق باب المندب ـ ز. م.

(٨٦) Pirol.

(٨٧) Oriolus Chinesis.

(٨٨) Palaeronis torquatus.

(٨٩) المسمى أيضاً Inséparable

(٩٠) اسمه العلمي Psittacula Tarantae، وتصفه المعاجم بأنه «ببغاء صغير هزيل» ـ ز. م.

(٩١) Finsch Bd. II, S. 634.

(٩٢) اسمه العلمي Psittacula pullaria

(٩٣) Finsch Bd. II, S. 636, 638.

(٩٤) Onyx.

(٩٥) Ritter, Erdkunde Bd. XII, S. 256und 818.

(٩٦) Sprenger, Geographie Arabiens S. 61.

(٩٧) Ritter, a. a. O. S. 256, 782, 906.

(٩٨) لم أعثر في كتابات Williams, Giles, Couvreur على أي مصطلح صيني للسمرجد.

(٩٩) Santalum album.

(١٠٠) Ritter, Erdkunde Bd. XII, S. 250.

(١٠١) Sprenger, a. a. O. S. 58.

(١٠٢) اسمه العلمي Coralium rubrum

(١٠٣) Sprenger, a. a. O. S. 52, 53, 58.

(١٠٤) E. Glazer, **Geschichte und Geopgraphie Arabiens** II, S. 348.

(١٠٥) Glazer, S. 19.

(١٠٦) Ritter S. 391, 590, 724.

(١٠٧) وفي النص الأصلي Ta - 'chin، والمقصود الأمبراطورية الرومانية - ز.م.

(١٠٨) Bretsschneider, **Knowledge of the ancient Chinese of the Arabs ets.** S. 4.
إن الصينيين يربطون «الماء الخفيف» بالاعتقاد أنه خفيف لدرجة أنه لا يملك أي قدرة على حمل الأجسام، وأن الوحيدة التي تعوم عليه هي بخفة الريش، أما الباقية فتغرق فيه. ومن غير الصحيح الاعتقاد بأن الصينيين قد ابتدعوا بشكل كامل هذه الخواص. ولا شك أنهم سمعوا ما حفزهم على ذلك. ويبدو أنهم سمعوا بخواص البحر الميت التي تبلغ ملوحته درجة تجعل الأجسام تعوم على سطحه. وقد تمّ الاختلاط في مرحلة لاحقة حيث أشير إلى الخواص بطريقة معكوسة. ولا توجد مياه غير قادرة على حمل أي شيء باستثناء الريش. إن كلا الاستشهادين يشيران بالضرورة إلى البحر الميت.

(١٠٩) أي الواقع في منغوليا - ز. م.

(١١٠) يبدو أن الصينيين القدماء لم يعرفوا عن جبال آسيا الوسطى شيئاً باستثناء الاسم، وأنهم لم يروها مطلقاً. وتمّ في الوقت اللاحق الحديث عن عجائب مرتبطة بها.

(١١١) لقد استخدم العالم الألماني المصطلح المرفوض «عبيد neger» - ز. م.

(١١٢) «Sue les nègres de Kue-lun». In Journal Asiatique 2. Ser. Bd. XII, S. 232ff.

(١١٣) Elisée Réclus, **Géographie universelle Bd.** XIV, S. 84. Sievers-Hahn, Afrika 1901, S. 612.

(١١٤) Vgl. China Review VIII, S. 189.

(١١٥) Oriental Geogrphy by W. Ousely S. 13; bei Ritter, Erdkunde Bd. I, S. 177.

(١١٦) Daniel, **Handbuch der Geography** 1895. Bd. I, S. 567.

(١١٧) Ritter, Erdkunde Bd. I, S. 209, 243ff.; Elisée Réclus, Géographie Bd. X, S. 202.

(١١٨) Klaproth, a.a. O. S. 234ff.

(١١٩) ويكتب أيضاً الكسط والقسط - ز.م.

(١٢٠) أي خشب الصندل الأفريقي المسمى Baphia nitida.

(١٢١) المقصود حجر كريم أعطي له اسم المدينة الإغريقية، ولم نعثر في المعاجم على رديف عربي له - ز. م.

(١٢٢) عالم إغريقي اسمه أجاثر خيدس الكنيدي Agatharchides of Cnidos. عاش في الأعوام ٢٠٠ - ١٢٠ق.م. كتب مؤلفات عديدة منها «عن البحر الإريتري»، أي «الأحمر». ورغم عدم توفر معلومات مستفيضة عنه، إلاّ أنه يعتبر أحد أهم الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة الإغريق، علماً بأنه كان قريباً من البلاط البطليسي في مدينة الإسكندرية. كما ويعرف عنه تأليفه عدة كتب هي (الأوضاع في أوروبا)، (الأوضاع في آسيا) - ز.م.

(١٢٣) جغرافي ورجل دولة أغريقي عاش في القرن الأول قبل الميلاد. قام بالعديد من الرحلات وكتب مؤلفات عديدة لم يبق إلاّ مقاطع منها واردة في مؤلفات جغرافيين إغريق آخرين - ز.م.

(١٢٤) Frenzel, **Enzyklopädie der Naturwissenschaften,** untder Troglodyten.

(١٢٥) Ritter I, S. 190,247ff.

(١٢٦) أي الموقع الآخر في منغوليا والذي يحمل الاسم نفسه - ز. م.

(١٢٧) Réclus Bd. X, S. 216.

(١٢٨) Mandarinente.

(١٢٩) Tetraceros quadricornis.

(١٣٠) Frenzel, **Enzyklopädie der Naturwissenschaften unter Tetraceros,** Brehm, Tierleben Bd. III, S. 388.

(١٣١) Glossina morsitans.

(١٣٢) إن السمان يلعب دوراً في الميثولوجيا اللاسيكية والهندية أيضاً. وقد قدّس من قبل الإلهة لاتو والإله هرقل الإغريقيين. أنظر:

A. de Gubernatis, **Zoological Mythology,** London 1872, Bd. II, S. 276.

(١٣٣) Hyaena crocuta.

(١٣٤) القلب، الكبد، المعدة، الرئة والكلى.

(١٣٥) أو «مضبوعة» بالأحرى - ز. م.

(١٣٦) Ritter, Erdkunde Bd. I, S. 211.

(١٣٧) Brehms Tierleben Bd. II, S. 1ff.

(١٣٨) Ritter, a. a. O. S. 237.

(١٣٩) Holzapfelbaum.

(١٤٠) أو الخوخ - ز. م.

(١٤١) نبتة مائية يمكن أكلها واسمها العلمي Marsilea quadrifolea. أنظر:

Bretschneider, **Botanicon Sinicum Bd.** II, Nr. 198.

(١٤٢) Ritter, Bd. I, S. 192.

(١٤٣) لقد أعاد العالم أندرياس موللر خطأ هذا العمل إلى عبد الله بيضاوي والذي نشر تحت عنوان:

Abdallae Beidavaei Historia Sinesis, Jena 1689. Aus dem Persischen Übersetzt. Vgl. darüber M. Quatrenièr, Histoire des Mongols de la Perse, Paris 1836, T. I, S. Cff.

فهل أن زاقو هي مجرد تصحيف للمفردة «زاقو أي زا - فو = Tsao - fu». أما (خا - تسن) الذي كان يعلم الكيمياء أيضاً للصينيين..... فهو ليس إلاّ الكيماوي أو الساحر الذي أشار إليه (لي - تسي). إنني أفترض أن الاسم (خوازن) يرد في الصينية وهو لم يكن اسماً ولكنه عنى «كيماوي أو ساحر».

(١٤٤) Vgl. zur Frage Chvannes, Mémoires Historique de Se Ma Tsiwn Bd. II, S. 6ff. Anm.

(١٤٥) في النص الأصلي (بنغ) الذي وظفه الصينيون للإشارة إلى كافة الأقوام التي كانت تقع إلى الغرب منهم.

(١٤٦) يقول قاموس المورد التالي: معدن لا يحترق ولا يوصل الحرارة ويكون على شكل خيوط تتخذ منها الأقمشة والأدوات غير القابلة للاحتراق - ز.م.

(١٤٧) ٦٠٤ - ٥٦٢ق.م. - ز.م.

(١٤٨) في النص الألماني «الأمبراطور».

(١٤٩) Ritter, Erdkunde Bd. XII, S. 75ff.

(١٥٠) Pauthier, La Chine S. 95, 99.

(١٥١) Vgl. Faber, Licius X. 124.

(١٥٢) Legge, Shuking, Prolegomena S. 114, 150.

المراجع

المراجع العربية القياسية

الشيخ كمال الدين الدميري: حياة الحيوان الكبرى. طبع على نفقة مصطفى فهمي الكتبي بمصر. ١٣٣٠ هجرية.

أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد؟ ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م[٣].

شهاب الدين أحمد بن عبد القادر: تاريخ فتوح الحبشة. النسخة الصادرة في باريس عام ١٨٩٧.

أبو عثمان الجاحظ: كتاب الحيوان. طبع على نفقة الحاج محمد الساسي المغربي تاجر الفحامين بمصر. طبع المطبعة الحميدية المصرية ١٣٢٣هـ.

زكريا بن محمد القزويني: ١) كتاب آثار البلاد وأخبار العباد و٢) كتاب عجايب المخلوقات وغرايب الموجودات. النسخة العربية الصادرة بألمانيا من إعداد فرديناند فستنفلد. جوتنجن ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩.

ابن اسحق إبراهيم الثعلبي: كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس. المطبعة الهنية، مصر ١٣٠١هـ.

ابن سيّد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسير. مكتبة القدسي. القاهرة ١٣٥٦هـ.

أبو القاسم الحريري: المقامات الأدبية. مطبعة الكتب العربية الكبرى. مصر ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

أبو الريحان البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية. طبعة عربية صدرت في ألمانيا بإشراف د. ك. إدوَرد زاخَو. لايبزغ ١٨٧٨.

نشوان بن سعيد الحميري: منتخبات من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نسخ وتصحيح عظيم الدين أحمد. ليدن ١٩١٦.

ملوك حمير وأقيال اليمن ـ قصيدة نشوان بن سعيد الحميري وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة. حققها وعلق عليها السيد علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي. المطبعة السلفية ومكتبتها. القاهرة ١٣٧٨.

محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان. بيروت ١٩٧٥.

جلال الدين الرومي: المثنوي. ترجمة وشرح ودراسة د. محمد عبد السلام كفافي. المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ١٩٦٦.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧.

وهب بن منبه: كتاب التيجان في ملوك حمير. وهب بن منبه عن رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد ابن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب ابن منبه رضي الله عنهم. تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء ١٣٤٧هـ/ ١٩٧٩م.

ابن هشام الحميري: السيرة النبوية. حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقى، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. مطبعة مصطفى الحلبي، مصر ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م/ ٦٨٦.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩.

المشترك وضعاً والمفترق طبعاً. تحرير وإصدار فرديناند فستنفلد. جوتنجن ١٨٤٦.

ابن دُرَيد: **الاشتقاق.** تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. بيروت ـ دمشق ـ بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨.

عبد الله البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق وضبط مصطفى السقا. بيروت ١٩٨٣[٣].

ابن منظور: لسان العرب. تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب وهاشم محمد الشاذلي. دار الكتاب العربي، دمشق ـ د. ت.

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني: صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي؛ سلسلة «نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب» ـ إشراف حمد الجاسر، الرياض ١٩٧٧.

الإكليل ـ الجزء الأول. حققه وعلق حواشيه أوسكار لوفجرن. أوبسالا ـ السويد ١٩٥٤.

الإكليل ـ الجزء الثاني. حققه وعلق حواشيه محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦.

الإكليل ـ الجزء الثامن. حرره وعلق حواشيه نبيه أمين فارس. برنستن ١٩٤٠.

ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.

الفيروزآبادي: القاموس المحيط. دار الجيل، بيروت. د. ت.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد: كتاب الردة ـ رواية أحمد بن محمد بن أعثم الكوفي؛ تحقيق: د. يحيى الجبوري. دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠.

ابن الكلبي: كتاب الأصنام. تحقيق أحمد زكي باشا؟

ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. تصحيح علال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس وتعليق الأمير شكيب أرسلان. ٣ أجزاء، مصر ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦.

أبو الوليد الأزرقي: كتاب أخبار مكة شرّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار. رواية أبو محمد إسحاق بن أحمد بن إسحاق ابن نافع الخزاعي. لايبزغ ١٨٥٨.

محيي الدين بن العربي: ترجمان الأشواق. دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٦٦.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ. دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧.

ـ كتاب المرصع. إصدار س. ف. سيبولد. فَيمار ـ ألمانيا ١٨٩٦.

أبو القاسم عبد الحكم بن أعين القرشي المصري: كتاب فتوح مصر وأخبارها. ليدن ١٩٢٠. أعادت طباعته مكتبة المثنى ببغداد نقلاً عن نسخة جامعة ييل بالولايات المتحدة.

جمال الدين بن نباتة المصري: كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ـ ويليه الرسالة المذكورة مع الرسالة الجدية لإبن زيدون أيضاً. تصحيح محمد قطة العدوي. مصر ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣.

ابن قتيبة: طبقات الشعراء. مراجعة M. J. De Goeje. ليدن ١٩٠٢.

محمد ابن سعد: كتاب الطبقات الكبيرة. عني بتصحيحه وطبعه إدوارد سخو. ليدن ١٩٠٥.

ياسين بن خير الله العمري: الروضة الفيحاء في تواريخ النساء. تحقيق رجاء محمود السامرائي. بيروت ١٩٨٧.

المراجع العربية الحديثة

إبراهيم، محمد أبو الفضل. علي محمد **البجاوي**، محمد أحمد جاد **المولى بك**: أيام العرب في الجاهلية. منشورات المكتبة العصرية. صيدا ـ بيروت، د. ت.

البجاوي، علي محمد، محمد أحمد جاد **المولى بك**، محمد أبو الفضل **إبراهيم**، والسيد **شحاته**: **قصص** القرآن. مطبعة الإستقامة. القاهرة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩[٢].

داود، الأب جرجس داود: أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

الزركلي، خير الدين: الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت ١٩٦٩.

زيادة نقولا: عربيات ـ حضارة ولغة. رياض الريّس للكتب والنشر. لندن ١٩٩٤.

ـ شاميات ـ دراسات في الحضارة والتاريخ. رياض الريّس للكتب والنشر. لندن ١٩٨٩.

شامي، يحيى: الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام. دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٨٦.

عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها. العربية محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ـ تونس ودار الفارابي ـ بيروت ١٩٩٤.

علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين ـ بيروت، ومكتبة النهضة ـ بغداد ١٩٧٦.

كحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

المقحفي، إبراهيم أحمد: **معجم البلدان والقبائل اليمنية**. دار الكلمة ـ صنعاء ١٩٨٨[٣].

النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**. سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥.

همّو، عبد المجيد: بلقيس ـ بين الحقيقة والأسطورة. دار معد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٢.

أمية بن أبي الصلت ـ شرح ديوان: قدم له وعلق على حواشيه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.

أعلام النساء. مؤسسة الرسالة. بيروت١٩٧٧[٣].

شهيرات نساء العرب والإسلام: إعداد محمد رفعت. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر. بيروت ١٩٩١.

محيي الدين بن عربي ـ في الذكرى المئوية لميلاده ١١٦٥ ـ ١٢٤٠/ الكتاب التذكاري. أشرف على الكتاب وقدم له د. إبراهيم بيومي مدكور. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٩. الفصل الثالث ـ طريقة الرمز عند أبن عربي، في ديوان «ترجمان الأشواق» للدكتور زكي نجيب محفوظ.

المعجم السبئي (بالإنكليزية والفرنسية والعربية): أ. ف. ل. بيستون، والتر مولر، محمود الغول، جاك ريكمانز. بيروت، ١٩٨٢.

الكتاب المقدس ـ أي كتب العهد القديم والعهد الجديد. الترجمة العربية الجديدة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية. دار الكتاب المقدس، بيروت ١٩٩٣[١].

المراجع الأجنبية

ARTIKEL **LILIT.** IN: ENCYCLOPAEDIA JUDAICA; DAS JUDENTUM IN GESCHICHTE UND GEGENWART. BERLIN 1934.

ARTIKEL **SEMIRAMIS.** IN: AUSFÜHRLICHES LEXIKON DER GRIECHISCHEN UND RÖMISCHEN MYTHOLOGIE: HERAUSGEGEBEN VON W. H. ROSCHER, LEIPZIG 1909-1915.

ARTIKEL **SEMIRAMIS.** IN: PAULYS REALENCYCLOPAEDIA DER CLASSISCHEN ALTERTUMSWISSENSCHAFT. SUPPLEMENTBAND VII. STUTTGART, 1940.

DIE HIMJARISCHE KASIDEH: HERAUSGEGEBEN UND ÜBERSETZT VON ALFRED VON KREMER. LEIPZIG 1865.

BIBLIA HEBRAICA STUTTGARTENSIA. STUTTGART 1984.

PERIPLUS OF THE ERYTHRAREAN SEE, BY AN UNKNOWN AUTHER WITH SOME EXTRACTS FROM AGATHARKHIDES «ON THE ERYTHRAEAN SEA». TRANSLATED AND EDITED BY G. W. B. HUNTINGFORD. LONDON 1980.

MIDRASCH TANHUMA B. «R. TANHUMA ÜBER DIE TORA GENANNT MIDRASCH JELAMMEDNU». BERN, FRANKFURT AM MAIN, LAS VEGAS 1980.

MIDRASH RABBAH - ECCLESIASTES. TRANSLATED BY REV. DR. A. COHEN. LONDON 1939.

MIDRASH RABBAH - RUTH. TRANSLATED BY RABBI DR. L. RABINOWITZ. LONDON 1939.

ZOHAR: SEPHER HA-ZOHAR (LE LIVRE DE LA SPLENDEUR); DOCTRINE ÉSOTÉRIQUE DES ISRAÉLITES ÜBERSETZT VON JEAN DE PAULY, PARIS 1970.

THE ZOHAR. TRANSLATED BY H. SPERLING AND M. SIMON. LONDON (SONCINO PRESS) 1931-34.

DER ZOHAR. DAS HEILIGE BUCH DER KABBALA. NACH DEM URTEXT AUSGEWÄHLT, ÜBERTRAGEN UND HERAUSGEGEBEN VON ERNST MÜLLER. KÖLN 1982.

THE ZOHAR. TRANSLATED BY HARRY SPERLING AND MAURICE SIMON. LONDON 1956 (REVISED EDITION).

ABBOTT, NABIA: PRE-ISLAMIC ARAB QUEENS. IN: THE AMERICAN JOURNAL OF SEMITIC LANGUAGES, VOLUME 58, 1941.

STUDIES IN ARABIC LITERARY PAPYRI, II (QUR'ANIC COMMENTARY AND TRADITION), ORIENTAL INSTITUTE PUBLICATIONS, VOL. LXXXVI, CHICAGO 1967.

AGATHARCHIDES OF CNIDUS: ON THE ERYTHRAREAN SEE (TRANSLATED AND EDITED BY STANLEY M. BURSTEIN). LONDON 1989.

ALBRIGHT, W. F.: THE CHALDAEAN INSCRIPTIONS IN PROTO-ARABIC SCRIPT, BULLITEN OF AMIRICAN SCHOOL OF ORIENTAL RESEARCH, 128, 1952.

ARRIAN: DER ALEXANDERZUG, INDISCHER GESCHICHTE, GRIESCHICH UND DEUTSCH VON G. WIRTH UND O. HINÜBER. BERLIN, 1985.

AVIAD, Y.: «M'SH MLKT SB'». IN: SEFER ASAF. JERUSALEM 1953. (HEBREW).

BACHER, W.: LILITH KÖNIGEN VON SMARGAD. IN: MONATSSCHRIFT FÜR GESCHICHTE UND WISSENSCHAFT DES JUDENTUMS, 19 (1870).

BACHOFEN, J.J.: DAS MUTTERRECHT. STUTTGART 1861.

BASSET, R.: HISTOIRE DE LA CONQÊTE DE L'ABYSSINIE (XVI[e] SIÉCLE). ARABIC TEXT AND FRENCH TRANSLATION OF SHIHAB AD-DIN FUTUH AL-HABASHA. PARIS 1897-1901.

BERDYCZEWSKI, M. J. «MICHA BIN GORION»: DIE SAGEN DER JUDEN. FRANKFURTH MAIN 1962.

BEYER, ROLF: DIE KÖNIGEN VON SABA - ENGEL UND DAEMON, DER MYTHOS EINER FRAU. BERGISCH GLADBACH, 1992.

BEZOLD, CARL: KABRA NAGAST «DIE HERRLICHKEIT DER KÖNIGE». IN: ABHANDLUNGEN DER PHILOSOPHISCH-PHILOLOGISCHEN KLASSE DER KÖNIGLICH BAYRISCHEN AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN. BAND XXIII. MÜNCHEN 1909.

BLAU, L.: DAS ALTJÜDISCHE ZAUBERWESEN, STRASSBURG 1898.

- SIND UNS RESTE ARABISCHE BIBELÜBERSETZUNGEN AUS VORISLAMISCHER ZEIT ERHALTEN GEBLIEBEN? IN: MUSÉON 86. 1973.

BLOMBERG, A. V.: DIE KÖNIGEN VON SABA BEI SOLOMON: EIN GALANTES ABENTEUER? IN: EXPERTISE, APRIL 4 (1980).

- DIE KÖNIGN VON SAGA. IN: DIE WAAGE, 14 (1975).

BORGER, R.: ASSYRIOLOGISCHE UND ALTARABISCHE MISZELLEN. IN: ORIENTALIA, N.S. 26. 1957.

BRUNNER, UELI: DIE ERFORSCHUNG DER ANTIKEN OASE VON MAYRIB MIT HILFE GEOMORPHOLOGISCHER UNTERSUCHUNGSMETHODEN, FORSCHUNGEN DES DUTSCHEN ARCHÄOLOGISCHEN INSTITUTS IN MAYRIB UND DER UMGEBUNG DER SABÄERHAUPTSTADT, BAND II. MAINZ AM RHEIN 1983.

BUDGE, (SIR) E.A. WALLIS: THE QUEEN OF SHEBA AND HER ONLY SON MENYELEK. LONDON 1922.

BUBER, S.(ED.): MIDRASH MISCHLE. WILNA 1893.

- MIDRSH TANHUMA. WILNA, 1885.

CASSEL, P.: ZWEITES TARGUM ZUM BUCHE ESTHER. LEIPZIG 1885.

- AN EXPLANATORY COMMENTARY ON ESTHER. EDINBURGH, 1888.

- AUS LITERATUR UND GESCHICHTE. BERLIN 1885.

CÉLIN MANGAN, O.P. (TRANSLATION AND COMMENTS): THE TARGUM OF JOB. IN: THE ARAMAIC BIBLE, VOL. 15. EDINBURGH 1991.

CHATTERJI, SUNITI KUMAR: AN EARLY ARABIC VERSION OF THE MAHABHARATA STORY FROM SINDH: AND OLD SINDHI LITERATURE AND CULTURE. IN: INDO-ASIAN CULTURE 7, 1958.

CHWOLSOHN, D. S.: DIE SSABIER UND DER SSABISMUS, ST. PETERSBURGH 1856.

CONYBEARE, F. C.: THE TESTAMENT OF SOLOMON. (TRANSLATED FROM THE CODEX OF THE PARIS LIBERARY). IN: THE JEWISH QUARTERLY REVIEW, X (1898).

CROOKE, W.: THE QUEEN OF SHEBA. IN: JOURNAL OF THE ROYAL ASIATIC SOCIETY, 1913.

DAUM, WERNER (HRSG.): MÄRCHEN AUS DEM JEMEN; MYTHEN UND MÄRCHEN AUS DEM REICH VON SABA. KÖLN 1983.

DIODORUS OF SICILLY. WITH AN ENGLISH TRANSLATION BY C. H. OLDFATHER. LOEB CLASSICAL LIBERARY. LONDON, CAMBRIDGE-MASS. 1935. VOLUME 1.

DOE, BRIAN: MONUMENTS OF SOUTH ARABIA. ROME 1982.

- SOUTHERN ARABIA. 1971.

DUKES, L.: RABBINSCHE BLUMENLESE. LEIPZIG 1844.

EILERS, WILHELM: SEMIRAMIS - ENTSTEHUNG UND NACHHALL EINER ALTORIENTALISCHEN SAGE. ÖSTERREICHISCHE AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN - PHILOSOPHISCH-HISTORISCHE KLASSE, SITZUNGS-BERICHTE, 27 BAND, 2 ABHANDLUNG. WIEN 1971.

ELLENBOGEN, MAXIMILIAN: FOREIGN WORD IN THE OLD TESTAMENT - THEIR ORIGIN AND ETYMOLOGY. LONDON 1962.

ERMAN, ADOLF: BRUCHSTÜCKE KOPTISCHE VOLKSLITERATUR. IN: PHILOSOPHISCHE UND HISTORISCHE ABHANDLUNGEN DER KÖNIGLICHEN AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN ZU BERLIN. BERLIN 1897.

EWALD, HEINRICH: GESCHICHTE DES VOLKES ISRAEL. GOETTINGEN 1866.

FÄRBER, A.: KÖNIG SOLOMON IN DER TRADITION. STRAßBURGER DISSERTATION. WIEN 1902.

FLAVIUS JOSEPHUS: JÜDISCHE ALTERTÜMER. ÜBERSETZT UND MIT EINLEITUNG UND ANMERKUNG VERSEHEN VON DR. HEINRICH CLEMENTZ. WIESBADEN 1990.

FREYTAG, G.W.: LEXICON ARABICO-LATINUM. HALLIS SAXONUM 1830.

FRISK, H.: GRIESCHICHES ETYMOLOGISCHES WÖRTERBUCH. 1970-72.

GASTER, M. HELLER, B: BEITRAGE 1918), NEW YORK ZUR VERGLEICHENDEN SAGEN- UND MÄRCHENKUNDE. IN MONATSSCHRIFT FÜR GESCHICHTE UND WISSENSCHAFT DES JUDENTUMS, 80, I, 42. BRESLAU 1936.

GASTER, MOSES: STUDIES AND TEXTS IN FOLKLORE, MAGIC MEDIAEVAL ROMANCE, HEBREW APOCRYPHA AND SAMARITAN ARCHAEOLOGY. VOL. II,III. LONDON 1925-1928.

GASTER, THEODOR H.: LEGEND AND COSTUM IN THE OLD TESTAMENT. (LONDON 1969.

GELBHAUS, S.: TARGUMLITERATUR. IN: DAS TARGUM SCHENI ZUM BUCH ESTHER. FRANKFURT 1893.

GINZBERG, LOUIS: THE LEGENDS OF THE JEWS. PHILADELPHIA 1946.

GLASER, EDUARD: SKIZZE DER GESCHICHTE UND GEOGRAPHIE ARABIENS. BERLIN 1890.

- 2 INSCHRIFTEN ÜBER DEN DAMMBRUCH. IN: MITTEILUNGEN DER VORDERASIATISCHEN GESELLSCHAFT. LEIPZIG 1897.

GOLDSCHMIDT, LAZARUS: DER BABYLONISCHE TALMUD. BERLIN 1933.

GRAF, G.: GESCHICHTE DER CHRISTLICHEN ARABISCHEN LITERATUR. ROM 1944.

GRAY, J.: 1 AND 2 KINGS. A COMMENTARY. PHILADELPHIA 1963.

GRIERSON, G.A.: DURYODHANA AND THE QUEEN OF SHEBA. IN: JOURNAL OF THE ROYAL ASIATIC SOCIETY, 1913 & 1914.

GROHMANN, ADOLF: KULTURGESCHICHTE DES ALTEN ORIENTS - ARABIEN. MÜNCHEN 1963.

GROSSFELD, BERNARD (TRANSLATION AND EDITING): THE TARGUM SHENI OF ESTHER. IN: THE ARAMAIC BIBLE, VOL. 18. EDINBURGH 1991.

GRÜNBAUM, A.: NEUE BEITRÄGE ZUR SEMITISCHEN SAGENKUNDE. LEIDEN 1893.

GRÜNWALD, M.: MITTEILUNGEN DER GESELISCHAFT FÜR JÜDISCHE VOLKSKUNDE. BD. 2, 1898, BD. 5, 1900.

- GESAMMELTE AUFSATZE ZUR SPPRACH - UND SAGENKUNDE FELIX PERLES (ED.) BERLIN 1901.

HAAG, HERBERT: TEUFELSGLAUBE. TÜBINGEN 1974.

AL-HAMDANI: SÜDARABISCHES MUSTABIH; VERZEICHNIS UND HOMOGRAPHER EIGENNAMEN. AUS DEM BERLINER UNIKUM DES IKLIL HERAUSGEGEBEN VON OSCAR LÖFGREN. UPPSALA 1953. ARABISCH.

- THE ANTIQUITIES OF SOUTH ARABIA BEING A TRANSLATION FROM THE ARABIC WITH LINGUISTIC, GEOGRAPHIC, AND HISTORIC NOTES OF THE EIGHTH BOOK OF AL-HAMADANI'S AL-IKLIL, RECONSTRUCTED FROM AL-KARMALI'S EDITION AND A MS IN THE GARRETT COLLECTION PRINCETON UNIVERSITY LIBERARY BY NABIH AMIN FARIS. PRINCETON 1938, HYPERION REPRINT EDITION 1981.

HARTMANN, MARTIN: ZUR GESCHICHTE DES ISLAM IN CHINA. 1921.

HAUSSIC, H. W.: (HRSG). GOETTER UND MYTHEN IM VORDEREN ORIENT. IN: WÖRTERBUCH DER MYTHOLOGIE. BAN I. STUTTGART 1965.

HELLER, BERNHARD: GRÜNDZÜGE DER AGGADA DES FLAVIUS JOSEPHUS. IN: MONATSSCHRIFT FÜR GESCHICHTE UND WISSENSCHAFT DES JUDENTUMS, 80 = N.F. 44) III & IV. 1936.

HENNINGER, J: POLIANDRIE IN VORISLAMISCHEN ARABIEN. IN: REVUE INTERNATIONAL D'ETHNOLOGIE ET DE LINGUISTIQUE (ANTHROPOS), BD. 49. 1945.

- MENSCHENOPLER BEI DEN ARABERN. IN REVUE INTERNATIONAL D'ETHNOLOGIE DE LINGUISTIQUE (ANTHROPOS), BD. 53. 1958.

- ZUM PROBLEM DER VENUSSTERNGOTTHEIT BEI DEN SEMITEN. IN: ANTHROPOS BD. 71. 1976.

HERTZ, WILHEM: DIE RAETSEL DER KÖNIGEN VOU SABA IN ZEITSCHRIFT FÜR DEUTSCHES ALTERTHUM UND DEUTSCHE LITERATUR. BERLIN 1883, BD. 27.

HÖFNER, MARIA: SÜDARABIEN. SABA', QATABAN UND ANDERE. IN; WÖRTERBUCH DER MYTHOLOGIE, HG. V. H. W. HAUSING, BD. 1. STUTTGART 1965.

- SAMMLUNG EDUARD GLASER, VIII, INSCHRIFTEN AUS SIRWAH, HAULAN, I. IN: SITZUNGSBERICHTE DER ÖSTERREICHISCHEN AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN IN WIEN, PHILOSOPHISCH-HISTORISCHE KLASSE 291, 1. 1973 UND 304, 5, 1976.

- TA'LAB UND DER HERRRDER TIERE IM ANTIKEN SÜDARABIEN. IN: FESTSCHRIFT JOSEPH HENNINGER, AL-BAHIT, STUDIA INSTITUTI ANTHROPOS 28. ST. AUGUSTIN 1976.

JASTROW, M.: DICTIONARY OF THE TARGUMIM THE TALMUD BABILI AND JERUSHALMI, AND THE MIDRASCHIC LITERATURE. NEW YORK/BERLIN AND LONDON 1926.

JOSEPHY, M. R.: MAGIC AND SUPERSTITION IN THE JEWISH TRADITION. CHICAGO 1975.

KAHLE, PAUL: DIE ARABISCHE BIBELÜBERSETZUNG. LEIPZIG 1904.

KOBARSKI, JULIUS: SAGEN DES MORGENLANDES, NR. 10. BERLIN 1852.

KRAUSS, S.: GRIECHISCHE UND LATEINISCHE LEHNWÖRTER IM TALMUD, MIDRASCH UND TARGUM. HILDESCHEIM 1964 (REPRINT).

- «DIE NAMEN DER KÖNIGEN VON SABA», IN: FESTSCHRIFT FREIMANN. BERLIN 1937.

KREMER, ALFRED VON; UBER DIE SÜDARABISCHE SAGE. LEIPZIG 1866.

LEWY, JULIUS: THE LATE ASSYRO-BABYLONIAN CULT OF THE MOON AND ITS CULMINATION AT THE TIME OF NEBONIDOS. IN: HEBREW UNION COLLEGE ANNUAL, CINCINNATI. 19/1945/46.

LITTMANN, E.: THE LEGEND OF THE QUEEN OF SHEBA IN THE TRADITION OF AXUM. LEIDEN 1904.

MANDEL, GABRIEL: DAS REICH DER KÖNIGIN VON SABA; ARCHÄOLOGEN GRABEN IM PARADIES UND ENTRÄTSELN DIE FRÜHGESCHICHTE ARABIENS. BERN UND MÜNCHEN 1976.

MONTGOMERY WATT, W.: THE QUEEN OF SHEBA IN ISLAMIC TRADITION. IN: SOLOMON & SHEBA. LONDON 1974.

MÜLLER, W.W.: ERGEBNISSE DER DEUTSCHEN JEMEN-EXPEDITION, 1970. IN: ARCHIV FÜR ORIENTFORSCHUNG 24. 1973.

MUNK, LEO: TARGUM SENI 'AL MAGILAT ESTER. BERLIN 1876.

NIELSEN, DITLEF: DER SABÄISCHE GOTT ILMUKAH. IN: MITTEILUNGEN DER VORDERASIATISCHEN GESELLSCHAFT, LEIPZIG 1909, 4 (14).

NOTH, MARTIN: BIBLISCHER: KOMMENTAR, BAND IX/1 - KÖNIGE. NEUKIRCHEN 1968.

OSIANDER, ERNST: ZUR HIMJARISCHEN ALTERTHUMS- UND SPRACHKUNDE. IN: ZEITSCHRIFT DER DEUTSCHE MORGENLÄNDISCHEN GESELLSCHAFT X, 1856; XVII, 1863, XIX 1864.

OSTOIA, V.K.: TWO RIDDLES OF THE QUEEN OF SHEBA. IN: METROPOLITAN MUSEUM JOURNAL, 6 (1976).

PRITCHARD, J.: THE AGE OF SOLOMON. IN: SOLOMON & SHEBA. LONDON 1974.

RASID AD-DIN: DIE GESCHICHTE DER KINDER ISRAELS. EINLEITUNG, ÜBERSETZUNG UND KOMMENTARY VON KARL JAHN. WIEN 1973۹.

RHODOKANAKIS, NIKOLAUS: ALTSABÄISCHE TEXTE. IN: SITZUNGSBERICHTE DER ÖSTERREICHISCHEN AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN IN WIEN, PHILOSOPHISCH-HISTORISCHE KLASSE, 206. BD. 2, 1927.

ROESCH, GUSTAV: DIE KÖNIGEN VON SABA ALS KÖNIGEN BILQIS. IN: JAHRBUECHER FUER PROTESTANTISCHE THEOLOGIE. LEIPZIG 1880. BD. 6.

ROSMARIN, TRUDE WEISS: ARIBI UND ARABIEN IN DEN BABYLONISCHASSYRISCHEN QUELLEN. JOURNAL OF THE SOCIETY OF ORIENTAL RESEARCH, VOL. XVI, JANUARY-APRIL, 1932, NUMBERS 1-2.

RUDOLF, WILHELM: CHRONIKBÜCHER. IN: HANDBUCH ZUM ALTEN TESTATMENT. TÜBINGEN 1955.

RUSSEL, BERTRAND: THE QUEEN OF SHEBA'S NIGHTMARE. IN: NIGHTMARES OF EMINENT PERSONS AND OTHER STORIES. LONDON 1954.

SALZBERGER, G.: DIE SALOMON-SAGE IN DER SEMITISCHEN LITERATUR. BERLIN 1907.

SALOMOS TEMPELBAU UND THRON IN DER SEMITISCHEN SAGENLITERATUR; SCHRIFTEN DER LEHRANSTALT FÜR DIE WISSENSCHAFT DES JUDENTUMS, BAND II. HEFT 1. BERLIN 1912.

SCHECHTER, S.: MIDRASCH HA-GODOL TO GENESIS. CAMBRIDGE 1902.

- THE RIDDLES OF SOLOMON IN RABBINIC LITERATUR. IN: FOLKLORE - A QUARTERLY REVIEW OF MYTH, TRADITION, INSTITUTION, AND CUSTOM. VOL. I. NO.3. LONDON 1890.

- AGADATH SHIR HA-SHIRIM. CAMBRIDGE 1896. (REPRINT FROM JEWISH QUARTERLY REVIEW, OLD SERIES).

SCHOLEM, G.: ZUR KABBALA UND IHRER SYMBOLIK. BADEN-BADEN 1960.

SHAHÏD, IRFAN: THE MARTYRES OF NAJRAN, NEW DOCUMENTS. IN: SUBSIDIA HAGIOGRAPHIA 4 Q. BRUXELLES 1971.

AL-SHEIBA, ABDALLAH HASSAN: DIE ORTSNAMEN IN DEN ALTSÜDARABISCHEN INSCHRIFTEN (MIT DER VERSUCH IHRER IDENTIFIZIERUNG UND LOKALISIERUNG). DISSERTATION?

SILBERMAN, L.H.: «UNRIDDLING THE RIDDLE». IN: REVUE DE QUMRAN, 11, 3, 3 (1961).

- «THE QUEEN OF SHEBA IN JUDAIC TRADITION». IN: SOLOMON & SHEBA. LONDON 1974.

SPRENGER, A.: POST- UND REISEROUTEN DES ORIENTS. IN: ABHANDLUNGEN DER DEUTSCHE MORGENLÄNDISCHEN GESELLSCHAFT, III BAND, NR. 3. LEIPZIG 1864.

STEINSCHNEIDER, M.: DIE ARABISCHE LITERATUR DER JUDEN - EIN BEITRAG ZUR LITERATURGESCHICHTE DER ARABER. FRANKFURT/MAIN 1902.

STERN & WALTZER, S.M. & SOFIE: THREE UNKNOWN BUDDHIST STORIES IN AN ARABIC VERSION. OXFORD 1971.

STIEGNER: R. G.: DIE KÖNIGIN VON SABA IN IHREN NAMEN- BEITRAG ZUR VERGLEICHENDEN SEMITISCHEN SAGENKUNDE UND ZUR ERFORSCHUNG DESENTWICKLUNGSGANGES DER SAGE. DISSERTATION DER UNIVERSITÄT GRAZ. 1977.

- (HRSG.): MARIA HÖFNER: FESTSCHRIFT ZUM 80 GEBURTSTAG. GRAZ 1981.

SULZBACH, A.: TARGUM SCHENI ZUM BUCH ESTHER. FRANKFURT/MAN 1920

TABARI, ABOU DJAFAR: CHRONIQUE DE ABOU-DJAFAR-MOHAMMED-BEN DJARIR-BEN-YEZID TABARI, TRADUITS SUR LA VERSION PRESAENE D'ABOU-'ALI MOHAMED BEL'AMI D'APRES LES MANUSCRIPTS DE PARIS, DE GOTHE, DE LONDRES ET DE CANTERBURY PAR M. HERMANN ZOTENBERG. PARIS 1958.

TRACHTENBERG, J.: JEWISH MAGIC AND SUPERSTITION. A STUDY IN FOLK RELIGION. NEW YORK 1939.

ULLENDORFF, EDUARD: ETHIOPIA AND THE BIBLE; CONFERENZA TENUTA NELLA SEDUTA DEL 13 MARZO 1969. IN: ACCADEMIA NATIONALE DEI LINCEI, ANNO CCCLXVIII - 1971. ROMA 1971.

-ETHIOPIA AND THE BIBLE. THE SCHWEICH LECTURES OF THE BRITISH ACADEMY 1967. LONDON 1968.

- THE QUEEN OF SHEBA IN INETHIOPIAN TRADITION. IN: SOLOMON & SHEBA. LONDON 1974.

UMAJJA IBN ABI sSALT: DIE UNTER SEINEM NAMEN ÜBERLIEFERTEN GEDICHTRAGMENTE GESAMMELT UND ÜBERSETZT VON FRIEDRICH SCHULTHEß. LEIPZIG 1911.

VAN BEEK, GUS W.: THE LAND OF SHEBA. IN SOLOMON & SHEBA. LONDON 1974.

VON DER OSTEN, H. H. & NAUMAN, R.: (HRSG). TAKHTI-I-SULEIMAN: VORLAÜFIGER BERICHT ÜBER DIE AUSGRABUNGEN 1959. BERLIN 1961.

WATSON, PAUL F.: THE QUEEN OF SHEBA IN CHRISTIAN TRADITION. IN: SOLOMON & SHEBA. LONDON 1974.

WEIL, G.: BIBLISCHER LEGENDEN DER MUSELMÄNNER - «AUS ARABISCHEN QUELLEN ZUSAMMENGETRAGEN UND MIT JÜDISCHEN SAGE VERGLICHEN». FRANKFURT/MAIN 1845.

WÜNSCHE, A.: DIE RÄTSELWEISHEIT BEI DEN HEBRÄERN. LEIPZIG 1883.

- BIBLIOTHECA RABBINICA, EINE SAMMLUNG ALTER MIDRASCHIM. HILDESHEIM 1967 (LEIPZIG 1880-84).

- MIDRASCH TEHELLIM, ODER HAGGADISCHE ERKLÄRUNG DER PSALMEN - NACH DER TEXTAUSGABE VON SOLOMON BUBER ZUM ERSTEN MALE INS DEUTSCHE ÜBERSETZT UND MIT NOTEN UND QUELLENANGABEN VERSEHEN. HILDESHEIM 1967.

ZUNZ, L.: DIE GOTTDIENSTLICHEN VORTRÄGE DER JUDEN, HISTORISCH ENTWICKELT. BERLIN 1832.

فهرس الأعلام

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الأماكن

أ

ب

ت

م

ن

هـ

و

ي